



تصدر عن كلية الآداب
جامعة ذمار

الآداب

العدد الرابع - يوليو ٢٠٠٨م

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية

أحمد محمد نعمان وعلاقته بمصر ثقافيا وسياسيا ١٩٣٦ - ١٩٥٥م

الأوضاع التعليمية والثقافية في الإمارة الهبيلية الهاشمية، بيحان ١٩٤٢ - ١٩٦٧م

الاستراتيجية السوفيتية وأمن الخليج العربي ١٩٨٠ - ١٩٨٥م

حاجات الإنسان من المنظور النفسي والإسلامي

قراءة معاصرة في نص تراثي الحوار في حكايات أكليلة ودمنة

القبائل في الفقه الإسلامي

الآداب

العدد الرابع - يوليو ٢٠٠٨م

Arts⁴rd Issue July, 2008





تصدرها كلية الآداب

الهيئة الاستشارية

- أ. د. أمين عبدالله الحميري
- أ. د. أحمد عبده صالح
- أ. د. عبد العزيز المقالح
- أ. د. أحمد عبدالله الصويغ
- أ. د. عبدالوهاب راوح
- أ. د. أحمد باطبايع
- د. مهيوب غالب أحمد
- د. مارش أحمد سعيد

المراسلات

جامعة ذمار- كلية الآداب
صندوق بريد: 87246 ذمار- اليمن
تلفاكس 06 509584
البريد الإلكتروني: arts96@yahoo.com

مجلة الآداب

- جميع الحقوق محفوظة.
- لا يحق إعادة نشر المواد المنشورة في
المجلة دون استئذان إدارتها.
- لا يحق الاقتباس من المواد المنشورة في
المجلة دون ذكر المصدر.

الآداب

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية
العدد الرابع يوليو 2008 م

الإشراف العام

أ. د. أحمد محمد الحضراتي

رئيس التحرير

أ. د. محمد حزام العماري

مدير التحرير

أ. د. كريم زغير المالكي

أعضاء هيئة التحرير

- أ. د. صادق ياسين الحلو
- أ. د. صبري مسلم حمادي
- د. أحمد عبدالعبيادي
- د. مديحة محمد رشاد

التدقيق اللغوي

د. عبدالكريم البحلة

سكرتير التحرير

مشعل ناصر شرهان

الصف والإخراج

محمد محمد سبيع
أشواق الحماطي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قواعد النشر بالمجلة

مجلة الآداب مجلة علمية محكمة أكاديمية تعنى بالعلوم الإنسانية تصدرها كلية الآداب ، وترحب بالبحوث والدراسات التي تتميز بالأصالة والخبرة ، وتسهم في إضاءة أفق فتلقي بألق المعارف الإنسانية ، وتقبل لنشر الدراسات والبحوث والمقالات والنصوص الإبداعية وفقا للشروط الآتية :

1- تخضع الأبحاث المقدمة للنشر للتحكيم من قبل محكم أو أكثر من ذوي الاختصاص على نحو سري وفي ضوء ذلك إذا طلب المحكم إجراء بعض التعديلات على البحث ، فيبلغ الباحث لإجراء التعديلات المشار إليها .

2- لا يقبل نشر البحوث التي تتجاوز 20 صفحة A4 .

3- تقدم المواد مصقوفة على الحاسوب الآلي وترسل بثلاث نسخ مع قرص منمج CD .

4- يكون توثيق الهوامش في نهاية المادة ، ويراعى في ترتيب المراجع توثيقا دقيقا وترقيما موحدًا وعلى النحو الآتي :

(أ) الكتب : اسم المؤلف ، اسم الكتاب ، اسم المطبعة ، رقم الطبعة ، مكان الطبع ، تاريخ الطبع ، رقم الصفحة .

(ب) الدوريات : اسم المؤلف ، اسم المقال ، العدد ، المطبعة ، مكان الطبع ، التاريخ ، رقم الصفحة .

(ج) الرسائل الجامعية : اسم صاحب الرسالة ، عنوانها ، الجامعة والكلية ، تاريخ إجازتها، رقم الصفحة .

5- تتولى المجلة إبلاغ أصحاب الأبحاث المجازة بقبول أبحاثهم للنشر .

6- تنشر المجلة ملخصات الرسائل الجامعية المجازة ، وتقارير المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية و عروض الكتب في مجالات الأدب واللغات الإنسانية والعلوم النفسية والاجتماعية .

7- تنشر المجلة الأبحاث باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية .

8- تمتنع المجلة عن نشر أية مادة سبق نشرها أو قبولها للنشر .

9- أصول الأبحاث المرسلة إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر .

10- يقدم الباحثون الذين ينشرون لأول مرة سيرة علمية مختصرة عن أنفسهم .

11- يرفق ملخص للبحث باللغة العربية على ألا يزيد عدد كلماته عن 200 كلمة .

توجه المراسلات والبحوث باسم رئيس تحرير المجلة على العنوان الآتي :

جامعة ذمار - كلية الآداب

اليمن - ذمار

تلفاكس : 06 509584

العنوان البريدي : ص . ب : 87246 كلية الآداب

E-mail : arts96_2006@yahoo.com

الآداب مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية الآداب جامعة ذمار

العدد (4) - يوليو 2008م

فهرس المحتويات

كلمة المشرف العام	7	أ.د. أحمد محمد الحضرائي رئيس جامعة ذمار
❖ كلمة رئيس التحرير	9	أ.د. محمد حزام العمري
❖ أحمد محمد نعمان وعلاقته بمصر ثقافياً وسياسياً 1936 - 1955 م (مشارك)	11	أ.د. صدادق ياسين الحلو د. أنور جاسب الطريف
❖ موارد بامخرمة في كتابه (تاريخ ثغر عدن) دراسة نقدية	25	أ.د. رعد زهران مطشر
❖ الاستراتيجية السوفيتية وأمن الخليج العربي 1980-1985 م (مشارك)	54	أ.د. كريم زغبيراسيود د. أنور جاسب الطريف
❖ الصراع على ذمار بين الزيدية والظاهرين في عهد السلطان الظافر عامر بن طاهر من سنة 858 هـ / 1454 - 1465م	69	د. محمد أحمد طاهر الحاج
❖ الأوضاع التعليمية و الثقافية في الإمارة الهبيلية الهاشمية (بيجان) 1943 - 1967م	78	أ.د. نصر سالم هادي
❖ العلاقات بين المملكة المتوكلية اليمنية وبريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى حتى سنة 1925م (مشارك)	96	د. عبداللله سعيد الجعيد د. ثابته صالح اليزيدي
❖ عوامل تغيير سياسات الأمن القومي الأمريكي وملامح تحولاتها	118	د. عبدالكريم حميد بريسي
❖ بيئة الجزر اليمنية وفرص الاستثمار	147	د. أحمد عبد الله أحمد حمادي
❖ حاجات الإنسان من المنظور النفسي والإسلامي	181	د. علي الطيارق
❖ معوقات البحوث الميدانية في جامعة تعز بحث سوسيولوجي ميداني للمعوقات من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس	220	د. عبدالرزاق محمود الهيتي
❖ قراءة معاصرة في نص تراثي الحوار في حكايات "كليلة ودمنة"	250	أ.د. مصري مسلم حمادي
❖ فن الكتابة والتأليف عند العرب (من عصر النقش إلى عصر الطباعة)	262	د. عبدالعزیز الحاج مصطفى
❖ المستدرك على ديوان الفرزدق	288	د. طسراف طارق النهاس
❖ أصوات الاستعلاء في العربية وأثرها الدلالي	313	د. خالد محمد حماد
❖ القات في الفقه الإسلامي	350	د. مازن حسين حريسي
❖ Novel as a Tool of Highlighting Evil:Fagin (The Old Jew) as an Incarnation of Evil.A Study of Charles Dickens' Oliver Twist.	373	د. إسماعيل الشامي

- المواد المنشورة تعبر عن آراء كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة .
- ترتيب المواد في المجلة يخضع لاعتبارات فنية .



كلمة المشرف العام

سعت الجامعة إلى إبراز الدور العلمي وتفعيل البحث العلمي لجميع أعضاء هيئة التدريس للإطلاع على الكم العلمي المخزون في عقل وفكر الباحثين من خلال نشر البحوث العلمية في المجالات العلمية التي تصدر من جامعتنا أو في جامعات ومراكز بحثية أخرى، وفعلاً تهالت البحوث العلمية في جميع الاختصاصات وتوسعت دائرة النشر العلمي في جامعتنا من خلال وجود المجالات العلمية المحكمة .

وهنا أشير إلى العدد الرابع 2008م من مجلة كلية الآداب العلمية الذي أطلعنا في طياته على البحوث العلمية الأدبية والإنسانية في فروع عدة لتشارك في تنمية المجتمع، إذ يهمننا كثيراً أن الجامعة تختلط مع المجتمع لتنتج تفاعلاً مع فئاته وتكون في جميع المجالات وخاصة في مجال البحث العلمي الذي طور شعوب العالم في التقدم العلمي والتكنولوجي سيما وأن جامعتنا تشق طريقها في جميع الأصعدة .

ويطيب لي أن أدعو الباحثين و الأكاديميين في جامعتنا وجميع الجامعات والمراكز البحثية بإرسال أبحاثهم إلى المجالات العلمية في جامعتنا في جميع الاختصاصات، فضلاً عن شكري وتقديري إلى العاملين على المجلة لأخراجها وطباعتها بهذا المستوى .

والله الموفق ،،

أ. د. أحمد محمد الحضرائي

رئيس الجامعة

المشرف العام على المجلة



كلمة رئيس التحرير

يشمل هذا العدد (الرابع) من مجلة كلية الآداب (جامعة زمار) على (16) بحثاً أغلبها لباحثين أكاديميين في جامعتنا ، فضلاً عن عدد من الأبحاث لزملاء أكاديميين من الجامعات اليمنية الحكومية الأخرى .

و تمثل جميع الأبحاث أفكار الباحثين و عسارة جهودهم في مجالات تخصصاتهم العلمية و للإتصاف أن معظمها مواضيع بحثية قيمه تخدم مسيرة التنمية الشاملة في وطن الثاني و العشرين من مايو الذي نحتفي هذه الأيام بذكرها الثامنة عشرة.

و لذلك فقد احتوى هذا العدد على أبحاث لمعظم التخصصات الأدبية العلمية سواء في المجالات التاريخية و اللغة و الأدب و الجغرافيا و غيرها .

لا يسعنا إلا أن نضع هذا العدد المتميز بموضوعاته العلمية بين أيدي القراء و الباحثين و المراكز البحثية المتخصصة في المجال الأدبي و الفكري ليدعو من خلالها الأكاديميين و الباحثين لمشاركتهم العلمية البناءة في الإعداد القادمة .

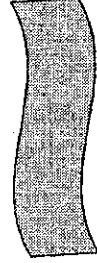
و أخيراً يسعدني أن أتقدم بالشكر الجزيل باسمي شخصياً و نيابة عن هيئة التحرير للأخ الأستاذ الدكتور أحمد محمد الحضرائي رئيس الجامعة المشرف العام على المجلة على دعمه المادي و المعنوي لإخراج هذا العدد لحيز الوجود .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛؛؛

د. محمد حزام العماري

عميد كلية الآداب والألسن

أحمد محمد نعمان وعلاقته بمصر ثقافياً وسياسياً 1936 – 1955م



د. أنور جاسب الطريف *

أ. د. صادق ياسين الحلو *

بواكير تكوينه الثقافي :-

ولد أحمد محمد نعمان في 26 أكتوبر 1909 في قرية الجبانة ذو ثقيان عزامة ذبحان، قضاء الحجرية ، لواء تعز . (1)

إن أول ما يتبادر إلى الذهن أن مكان ولادته تعز يعد من الأماكن الثقافية المهمة في اليمن ، فكان محظوظاً منذ البداية لأن البيئة الثقافية تدفعه إلى التعلم.

دخل أحمد محمد نعمان إلى المعلمة (الكتاب) ، عندما تجاوز عمر السبع سنين ليتعلم كما يقول : "القراءة فقط" عند الفقيه ، ونقرأ القرآن ونحفظه غيباً ، وليس فهماً .. كنا نبدأ بالألف باء ثم نقرأ بعدها جزء عم ونواصل قراءة السور سورة سورة .. كنا نختم القرآن الكريم جزءاً بعد جزء . (2)

كانت المعلمة المصدر الوحيد للثقافة وكان يذهب إليها رغم قسوة الفقيه تنفيذاً لرغبة أسرته التي كانت تريد له أن يتعلم . (3)

* جامعة نمار - كلية الآداب - قسم التاريخ

* جامعة البصرة - كلية الدراسات التاريخية - قسم التاريخ

أستطاع أحمد محمد نعمان بسبب ذكائه أن يختم القرآن خلال ثلاث سنين حتى ينفذ بجلده من الفقيه في حين يبقى تلاميذ آخرون مدة خمس سنوات أو عشر سنين أو مدة أطول لأنهم لم يستطيعوا ختم القرآن. (4)

دخل بعد ذلك إلى مكتب فتحة الأتراك في الحجرية ليتعلم فيه الكتابة ، وكان هذا المكتب أمتياز لعائلته لأنه من طبقة المشايخ. (5)

أستوعب نعمان في سني شبابه الأولى مصادر الثقافة المتوفرة بالقرية : المعلمة ، المكتب ، الكتب ، فضلاً عن احتكاكه بالعلماء الذين يستقدمهم آباؤه ، وهم ضليعون بالشريعة واللغة العربية والعقائد الإلهية ، وكانوا قدوة حسنة ، حيث حرصت العائلة أبناءها (ومنهم نعمان) للوصول إلى مرتبة هؤلاء العلماء.

من ذلك يظهر أن نعمان كانت أساس ثقافته دينية وهو ما توفر لديه ضمن محيطه الجغرافي في تلك المرحلة من حياته.

وحتى عندما بلغ سن السادسة عشرة (1925) قرر نعمان وقد أصبح على أبواب الرجولة، وقادر على شق طريق مستقبله ومواجهة مشاق الاغتراب بمفرده. (6) بالإضافة إلى تفكيره بالهرب من ضرب إخوانه الأكبر منه له ، فكر أن يذهب إلى مدينة زبيد التي كانت من المدن العلمية الكبيرة ، فيها دراسة اللغة العربية والشريعة ، وفيها علماء ، أي أنها كانت مدينة مشهورة بالعلم . (7)

أصبحت زبيد المحطة الثقافية الثانية في مسيرة نعمان العلمية ، إذ نزل في رباط الأهدل (مدرسة) المعروف برباط الإدريسي ، وقد أطل مقامه بزبيد وتردد على مشايخها ، ويقول إنه : قرأ كتاب أبي شجاع إلى آخره مع شرحه ، وتعلم العربية والنحو في كتاب الأجرومية، وأيضاً كان التعليم حفظاً عن ظهر قلب وليس فهماً ، وبقي هناك مدة عام على هذا المنوال عاد بعدها إلى البلاد حيث قوبل بالاحترام في المعلمة . (8)

ثم عاد إلى زبيد وبقي يدرس فيها ، سبع سنين حتى بلغ من العمر الحادية والعشرين ، حتى عاد إلى بلده عالمياً من العلماء ولبس العمامة والقميص المكمسم والعصا بيده ،

وأصبح يعقد الحلقات وأصبح له عند الناس سمعة دينية ، لاسيما وقد أخذ يدرس الناس بدل أن يذهبوا إلى زبيد. (9)

قام النعمان بنقل المعارف التي تعلمها في زبيد إلى قريته الجبانة ذبحان وفتح مدرسة عام 1931 وبدأ يدعو الناس للمجيء إليها وليقرأوا صحيح البخاري ويسمعوا الأحاديث النبوية، وبذلك أصبح صاحب مدرسة وقد اشتهرت شهرة واسعة كونها أول مدرسه تدرس العلوم الحديثة من جغرافيا وحساب وإملاء ورياضية، وكان المدرس لهذه العلوم هو محمد أحمد حيدرة الحكيمي. (10)

وفي عام 1935، تحقق له الاتصال بمحمد سعيد الأضحج ، الذي قام بإقامة مدارس ونوادي في عدن بمساعدة محمد علي لقمان ، باسم نادي الإصلاح ، فافتتح أحمد محمد نعمان بالتجربة ونجاحها ، فما كان منه إلا أن دفع الأهلين لإقامة مدرسة ومبنى لنسائي الإصلاح ، فكانت هي المدرسة الأولى في الشطر الشمالي من اليمن آنذاك . وقد أدخلت هذه المدرسة دروساً عصرية في الجغرافيا والتاريخ والتربية الوطنية ، وهذه المدرسة لم تعجب أمير لواء تعز على عبدالله الوزير فأبقاها حيناً من الوقت بهدف تفريق الطلبة وإفشال التجربة . (11)

حاول أحمد محمد نعمان مقاومة خطة أمير لواء تعز لمحاربة هذه المدرسة ، فاتصل بولي العهد أحمد بن الإمام يحيى حميد الدين ، فما كان من ولي العهد إلا أن شجعه على الاستمرار في عمله وأمره بمنحة مالية بقصد النكاية بعلي عبدالله الوزير . (12)

انتشرت سمعة هذه المدرسة والنادي الذي كان أحمد محمد نعمان وراء تأسيسهما في أجزاء من المناطق المجاورة . ويشير النعمان إلى الجهود التي بذلها في تهيئة الأمور في أن لا يقتصر التدريس فيها على المقررات الدينية فقط ، بل شمل التاريخ والجغرافيا، والرياضة والأنشيد الوطنية فأصبحت مدرسة الحجرية تنشأ وتؤثر وتشتهر ثم أنشأنا مكتبة وبدأت الأمور تسير رويداً رويداً ، إلى أن دخلنا في صراع مع الحكومة، كان لا بد من أن يحدثوا لنا فتنة جاء أحد أبناء الإمام إلى الحجرية وهو الأمير القاسم بن الإمام يحيى حميد الدين الذي زار الحجرية ومعه الأمير علي بن الوزير في سنة 1935 وقال :

" نبحان هذه ستكون كلبان". وذهب إلى الإمام يحيى حميد الدين الذي أمر بسحب أحد أساتذتها (13) ، و أتوا بمعلمين آخرين إلى المدرسة. " (14)

أحمد محمد نعمان بتخوف و عدم رضا الحكومة عن المدرسة ذات الاتجاه الوطني فسحب نفسه وقرر الذهاب إلى الحج. (15) ، ومع ذلك لم يسلم من ملاحقة الإمام ، وطلبه أمير تعز على عبدالله الوزير وأبقاه تحت الإقامة الجبرية نحو شهر من الزمن ، فتخلى عن المدرسة وتشتت طلابها ، لكن بعد أن غرس فيهم النزعة الوطنية وأنت ثمارها. (16) ترافقت هذه الأحداث المتعلقة بالمدرسة والنادي في الحقبة 1934 - 1935 ، بحصول تطورات مهمة في المسيرة السياسية والثقافية لأحمد محمد نعمان على المستوى السياسي كانت الحرب السعودية اليمنية قد جاءت سنة 1934 وبدأت الأوضاع تتغير وبدأت الكتب تصل أيضاً فيذكر أحمد محمد نعمان أثناءها قررنا تكوين جمعية هدفها شراء الكتب وغير ذلك، وأوصي للإمام يحيى بأن هذه الجمعية ضد الحكم (17) ويبدو من جانب آخر كانت هزيمة ، قوات الإمام يحيى أمام القوات السعودية قد دفعت بأحمد محمد نعمان إلى التفكير بالانتصار السعودي وهزيمة الإمام ، فقرأ كتاب "هدي الرسول" لمحمد أبو زيد وفيه أفكار جديدة كما يذكر كانت منطلقاً لعدم الاقتصار على كتب الفقه ، فعد المشايخ في زبيد خروج على طريقتهم لأننا كما يقول " بدأنا نقرأ ونتحرر ونجدد في كل ما كنا نقرأه من خرافات وجمود " (18)

كان ذلك بداية إضافة ثقافة تجديدية ورؤية جديدة عند أحمد محمد نعمان فيما يمتلك من ثقافة دينية فيها انفتاح على المعارف الأخرى والتفاعل مع أفكار دينية إصلاحية ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل استمر في العبور إلى مواضيع أخرى ، ويصف ذلك الانفتاح، قائلاً : " أصبح المقصود عندي هو التطلع ومعرفة الجديد ، كعلم الجغرافية والتاريخ وغير ذلك . وحين بدأت وقع في يدي كتاب طبائع الاستبداد لعبد الرحمن الكواكبي وهدى الرسول لمحمد زيد.

ويستمر أحمد محمد نعمان واصفاً هذا التطور والتحول الثقافي عنده فيقول : " كنت قد انتقلت من كتب الفقه إلى مرحلة السنة ، إلى الفكر الإسلامي الخالص. الدراسة

الأولى كانت دراسة إسلامية ولكن محشوة بالخرافة فانتقلنا إلى مرحلة الديانة الإسلامية المجردة من الخرافة وجاء كتاب طبائع الاستبداد وكتاب هدى الرسول وإذا بنا ننتقل إلى الحكم والسياسة ، وإلى طابع الاستبداد وطابع المستبد . (19)

على هذا يمكن القول إن توسع أحمد محمد نعمان في قراءة كتب متنوعة غير الكتب الدينية الكلاسيكية ، في مبادئ التاريخ والجغرافيا ، فضلاً عن الكتب السياسية لكتاب يعدون من رواد النهضة العربية الحديثة قد كونت ثقافته الدينية المنفتحة التي وظفها في التدريس والوعظ في المساجد ، كما ظهرت لديه في هذه الحقبة من حياته الرغبة في تحريك الحياة الأدبية فأسس الجمعية اليمنية التي كانت ذات طابع أدبي ، ثم برزت عنده بوادر الاهتمام بالسياسة من خلال قراءته لكتب السياسة أولاً وبسبب ظروفه العائلية ، لما أصاب عمه عبدالوهاب نعمان من اعتقال ونفي ، والمعارضة الكبيرة من أمير لواء تعز علي عبدالله الوزير لمدرسة الحبرية ومبادئ الإصلاح.

أحمد محمد نعمان ودراسته ونشاطه السياسي في القاهرة 1936-1940

بعد إحساسه باستبداد النظام الإمامي ومضايقة بعض أفراد عائلته ومضايقته هو فردياً ولرغبته في مواصلة تعليمه رحل إلى الحج في سنة 1936 ومن الحج إلى مصر . كان في خيال أحمد محمد نعمان عند دخوله مصر بأنه سيدخل الجامعة المصرية لان أسلوب الأزهر وتعليمه يشابه تعليم زبيد . (20)

لكن عدم حصوله على البكالوريا والشهادة الثانوية وعدم معرفته باللغات الأجنبية ، لذلك اقترح عليه سليمان حزين الذي كان يرأس البعثة إلى اليمن أيام الملك المصري فؤاد الأول أن يدخل الأزهر لكي يأخذ الشهادة العالمية .

فذهب أحمد محمد نعمان إلى الأزهر واستقبل هناك وامتحنوه ، وكان الامتحان قراءة قرآن ، وأخذ يقرأ ودهشوا وقالوا بارك الله فيك ، ثم سألوه فيما إذا كان يعرف اللغة العربية والنحو ، فأجاب بأنه يعرف ولكن ليس مثلهم فقالوا له يجب أن تنتسب حالاً ، ويذكر : " سجلوا اسمي ودخلت الأزهر هناك في الأزهر يوجد قسم يسمونه القسم العام ، وتستطيع فيه أن تأخذ الشهادة العلمية خلال سنة.. أن محبت في الأزهر وبالمجتمع." (21)

لقد رافق أحمد محمد نعمان في سفره إلى مصر عدد من أصدقائه منهم محمد سالم البيحاني الذي عاش معه في حجرة واحدة فنال الشهادة العالية ، كما كان معه أثناء دراسته في الأزهر محمد صالح المسمري ويحيى زيارة ومحمد الجفري (22) كما كان أثناء دراسته في الأزهر ووداً ، ولم يكن منكفئاً على نفسه بل اتصف بالنشاط والحركة. (23)

عند خروج أحمد محمد نعمان من اليمن كانت أفكاره السياسية قد بدأت تتضح ودخلت روح المقاومة للوضع في اليمن في نفسه حيث يقول: " كنت قد تشربت بها (المقاومة) وخرجت من اليمن لأن الحكام فيها لم يحكوننا من العلم ، ولأنني كنت قد عرفت الاستبداد الذي يسود في البلاد وكان يتصور لي بمجرد أن يخرج الإنسان من اليمن سيكتب عنه أبو الحسن " (24)

لقد كانت أحد دوافع خروج أحمد محمد نعمان ورغبته في الإقامة بمصر فضلاً عن العلم، كان من أجل اللقاء بابي الحسن (صاحب جريدة الشورى)، وكان الأزهر عبارة عن مأوى ، وكانت جريدة الشورى تصل إلى اليمن ، وينشر صاحبها محمد علي الطاهر فيها نقداً للأوضاع في اليمن ولأوضاع الإمام ، ويقول إن اليمن بحكم الإمام متخلف ومتأخر.

وقد كتب في جريدته أيضاً عن زيارة أحمد محمد نعمان للجريدة فقال: زارنا أحمد محمد نعمان من ذبحان ، وعندما رأى اليمنيون اسمه في الجريدة كتبوا إلى أبي الحسن يقولون له إنهم بعد ذلك لن يكتبوا للجريدة عن اليمن شيئاً لأن عندك العلامة أحمد محمد نعمان خذ أحوال اليمن منه. (25)

أخذ أحمد محمد نعمان بعد أن توطدت علاقته برئيس تحرير جريدة الشورى يكتب القصص عن أوضاع اليمن فيقوم أبو الحسن بنشرها في جريدته ، وعرف في اليمن بأنه هو الذي ينشر هذه القصص ويذكر أحمد نعمان هذا الموضوع " وفرحت أنا بذلك لأنه - يجنبي وأسرتي عقاب الإمام ومسئوليه في المنطقة" (26)

ويعد هذا النشاط الإعلامي لأحمد محمد نعمان بالكتابة في جريدة الشورى وملازمته لرئيس تحريرها أبي الحسن ذا طابع سياسي لأن الجريدة كانت تنتقد الأوضاع في اليمن، فكان وجوده في القاهرة إذاً ليس من أجل مواصلة التعليم فقط بل كان ينشر في الصحف أيضاً.

بقي أحمد محمد نعمان ثلاث سنوات في الأزهر للمأوى والاختلاط بالمجتمع المصري ، وحاول تعلم اللغة الأجنبية ولكنه لم ينجح لانشغاله بقضايا أخرى، كما أنه كان بشهادة في الدراسة بالأزهر لم ينجح في نيل الشهادة الأهلية قبل عام 1939، ولكنه استطاع وقبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية إكمال امتحانه في الأزهر وحصل على الشهادة العالية ، وعندما ابتدأت الحرب كان لا يزال في مصر للدراسة ، وقدم له أبو الحسن كل ما يحتاج إليه من مصاريف. (27)

بعد ذلك دخل أحمد محمد نعمان باب الكفاح إذ وصل محمد محمود الزبيري إلى مصر واتصل به عندما كان بالأزهر وطلب إليه مساعدته ليلتحق بدار العلوم ولكن حال دون ذلك عدم حصوله على شهادة البكالوريوس فسجل فيها مستمعاً ثم عمل هو والزبيري أثناء وجودهم بمصر في هذه الحقبة على إصدار مجلة الأنثى الأولى التي أصدرها أحمد محمد نعمان عام 1939م وكذلك أصدرها معاً (اليمن الخضراء) وهي مجلة شهرية صدر منها عددان ثم توقفت. (28)

وفي أثناء تواجد أحمد محمد نعمان في مصر كان يرسل ولي العهد أحمد وحسن علاقاته به وهدف من وراء ذلك كما يذكر " إلى استمالته لكي نوجد نوعاً من التناقض بينه وبينهم يقصد الحكام في المناطق " لأنه كان متضابقاً منهم وعندما وصل أحمد إلى تعز عام 1938 سأل عن أحمد محمد نعمان وكتب له إلى مصر فوعده كما يقول: " بأننا سنواصل إصدار صحيفة من هناك اسمها (اليمن الخضراء) لأن (جريدة الشوري) توقفت بعد أن طاردها الإنكليز واعتقل أبو الحسن". (29)

على ذلك يتضح أن فكرة الإصلاح من خلال النظام الإمامي القائم كانت بدأت تراود أحمد محمد نعمان بأحداث شرح بين ولي العهد وعائلته والحكام في المناطق فضلاً عن

أملهم في تنمية الروح العصرية بالضد من واقع الجمود والغفلة والتأكيد على الروح الوطنية في نفوس الناشئة .

أخذ أصحاب أحمد محمد نعمان يلحوا عليه بان يعود إلى اليمن بحراً أو براً وشرحوا له الأمور وأخبروه بأن ولي العهد أحمد الذي كان يكتبه من قبل عندما وصل تعز أميراً لها نحي أولاد الوزير الذين يحكمون منطقة أحمد محمد نعمان (تعز ، نبحان ، ذر لقيان) عند استلامه لمنصبه . لذلك ذهب أحمد محمد نعمان و بجواز سفر مصري عن طريق ميناء جدة .

ومن هناك عاد إلى اليمن (1940) وعينه ولي العهد لإدارة المعارف في تعز (30) . بهذا انتهت المدة الأولى التي قضاها أحمد محمد نعمان في مصر حيث استطاع أن يحصل على الشهادة العالمية من الأزهر وتعرف على بعض الشخصيات العربية في القاهرة عند لقائه بأبي الحسن صاحب جريدة الشورى من أمثال شكيب أرسلان وسعد الله الجابري وغيرهم كما مارس الكتابة في الصحافة وبعدها أصدر مجلتين تختصان بشؤون اليمن فتصاعدت شهرته وارتفع وزنه الثقافي والسياسي في اليمن وبخاصة عندما استدعاه ولي العهد أحمد بن الإمام يحيى حميد الدين ليبدأ مرحلة نضالية جديدة في اليمن قبل أن يعود مرة أخرى إلى مصر .

عودة أحمد محمد نعمان من مصر إلى اليمن ونشاطه السياسي 1940 – 1955 :

عاد أحمد محمد نعمان من مصر عام 1940 وقد اتفق مع الزبيرى على أن يتولى هو التأثير على ولي العهد أحمد بن الإمام يحيى لدفعه نحو الإصلاح في حين يتولى الزبيرى بالدفع بالإمام يحيى حميد الدين إلى الإصلاح (30) .

ألقى أحمد محمد نعمان خطابات ومحاضرات عن مصر وما فيها من خير وشر ثم واصل سعيه لدى ولي العهد أحمد وحثه على الشفاعة لدى والده الإمام يحيى حميد الدين لكي يطلق سراح الزبيرى من سجن الاهنوم واعداء إياه بأنه سيكون ومعه سائر شباب اليمن من أنصاره (32) لذلك عهد إليه ولي العهد إدارة معارف تعز ووكّل إليه تعليم ولده البدر (33) .

بقي أحمد محمد نعمان في تعز في عام 1940-1944 ومع الزبيرى وأحمد الشامي وزيد الموشكي يحاولون خلال هذه المدة محاورة ولي العهد لإقناعه بتبني الروح العصرية والإصلاح وفي أحد الاجتماعات به تحدث أحدهم بما يجب أن يكون في اليمن في عهده المنتظر من حكم شورى ومجلس شورى وغير ذلك من المدارس والكليات إلى آخره ، فلما سمع ذلك غضب غضباً شديداً وأخذ السيف وهددهم قائلاً : والله لو أريد أسمع منكم مثل هذا الكلام لأقطع الرأس بهذه اليد فسقط في أيديهم وخابت آمالهم ولم يسعهم بعد ذلك إلا النجاة بأنفسهم فغادروا تعز هرباً الزبيرى وزيد الموشكي وأحمد الشامي وأحمد محمد نعمان (34)

اعتقد الزبيرى وأحمد محمد نعمان إن ولي العهد يقصدهما بهذا التهديد فدبرا فرارهما إلى عدن إذ لم تتفع محاولات نعمان وأسلوبه الخطابى الهادئ الأخاذ ونعومة أحاديثه الجذابة مع ولي العهد ولم تجد شيئاً فاشتد الأمر ولزم الارتحال. (35)

كانت مدة بقاء نعمان في تعز قد اتسمت بنشاطه التعليمي حيث كان مديراً للمعارف وتعليم البدر ابن ولي العهد بجانب محاولاته السياسية لدفع ولي العهد نحو طريق الإصلاح والعصرية غير أنه لم ينجح في ذلك. عند وصول نعمان والزبيرى والموشكي والشامي إلى عدن عام 1944م أنشؤ حزب الأحرار اليمنى وانتخب أحمد محمد نعمان رئيساً للحزب في شطريها وأصبحت له فروع سرية. وبعد ذلك تم إعلان برنامج حزب الأحرار الذي طبع في مطابع فتاة الجزيرة (36) برز حزب الأحرار على الساحة اليمنية وأصبحت له فروع مسيرته في الداخل وأصبحت له نشرات وكتيبات وأقام مقراً له في عدن وأصدر صحيفة صوت اليمن وقد أزعج هذا النشاط الإمام يحيى لاسيما بعد أن انضم إليه ابنه سيف الإسلام إبراهيم وكان ذلك نجاحاً لحزب الأحرار. (37)

لقد كان الإعلان عن معارضة الإمام يحيى حين ألف الزبيرى ونعمان حزب الأحرار اليمنى حدثاً ضخماً، اهتزت له اليمن كلها وكان ضربة جبارة على الإمام يحيى ورجال حكومته جميعاً مما حملهم على اتخاذ إجراءات عنيفة داخل البلاد واللجوء إلى تغيير السياسة الخارجية لليمن وبذل جهود واسعة لحرب فكرة الأحرار فاعتقلوا أكثر الوجهاء

والأدباء داخل البلاد وأوفدوا الكثير من رجالهم إلى الخارج يتوددون للحكومات ويجاملونها ويخطبون ودها لتكون حليفة لهم ضد الأحرار وحركتهم الشعبية (38) لكل ذلك زار ولي العهد الإمام أحمد عام 1946 مدينة عدن وحاول الاتصال بأحمد محمد نعمان والزيبري وإقناعهما بالعودة إلى تعز على أن يعمل بنصائهما غير أن الأحرار في عدن والقاهرة أجريا مشاورات بينهم قدموا خمسة مطالب وطنية لولي العهد باسم الجمعية اليمنية الكبرى هي الشروط لعودتهما وأن وضحا له أنه إذا لم تعط له الصلاحيات لتنفيذها فله أن يقدم تعهدا خطياً بتحقيقها عندما يخلف أباه فرفض ذلك (39). كانت المطالب التي رفعها الأحرار تتضمن تأسيس مجلس شوري للدولة وإنشاء وزارة من رجالات البلاد الأكفاء لها منهاج إصلاحية واحتفاظ سيوف الإسلام بمكانتهم كأمرأء دون تولي المناصب في الدولة وإصدار منشور ملكي بشأن تأسيس الوزارة وأخيراً الموافقة على تشكيل لجنة مراقبة من المواطنين تكون مهمتها مراقبة وتنفيذ المطالب السالفة ويكون مقرها بلد محايد مثل عدن أو القاهرة (40).

استمر نشاط الأحرار في السنوات اللاحقة وعندما بدأ آل الوزير يطمعون بالحكم يقول أحمد محمد نعمان: " فقلنا لنتعامل معهم وليسقط حكم الامام يحيى ويكون الحكم حكماً دستورياً ووضعا المطالب ثم بدأت تنتشر".

في سنة 1948 قامت الحركة وأطاحت بالإمام يحيى ولكن نحن في مقدمة الحركة نحن والأمير إبراهيم وبعض الزعماء الكبار مثل الزيبري تشكلت الوزارة فعينت وزيراً للزراعة ثم أعلن الميثاق الوطني المقدس كدستور مؤقت يحدد حقوق الإمام ويحدد حقوق الشعب (41).

استطاع أحمد ولي العهد إثارة القبائل فهبت صنعاء وسجنت أصحاب الدستور ولكن أحمد محمد نعمان وصل براً إلى ذمار في طريقه إلى صنعاء وكانت الثورة قد اجهضت فاعتقل هو ومن معه من الأحرار في ذمار على يد عاملها ابي طالب (42) وأرسل إلى صنعاء ومن هناك إلى حجة ووضع في سجن نافع وأعدم العديد من الأحرار والدستوريين من الذين وقعوا على الميثاق والدستور وبعد اربعة اشهر نقل احمد محمد

نعمان إلى سجن القاهرة وبعد المراسلات مع الإمام أحمد من السجن سمح له بعد سنتين ليخرج في النهار من السجن ليكشف على المدارس والمعارف في حجة ونجح في فتح مدرسة فيها اسمه المدرسة المتوسطة التي أغلقها الإمام عام 1952 (43)

وكان أحمد محمد نعمان قد خرج من السجن في عام 1951 مع فرض الإقامة الجبرية عليه في مدينة حجة حيث عمل مديراً لمعارف حجة حتى عام 1954. (44)

عاد أحمد محمد نعمان إلى تعز بعد ان عفى عنه الامام احمد وحصل انقلاب عام 1955 يقوده سيف الإسلام عبد الله احتجاجاً على تقريب الإمام أحمد للأحرار وتشجيعهم لأخذ البيعة لابنه البدر وحوصر الإمام أحمد بقصره في تعز وقرر الثائرون إرسال وفد إلى الأمير البدر في الحديدية لإقناعه بمبايعة عمه وكان أحمد محمد نعمان من ضمنه وعند وصولهم إلى الحديدية شددوا من معنوية البدر وشجعوه على التوجه إلى حجة لإثارة القبائل لنجدة والده وفك الحصار عنه والاتصال بالملك سعود. (45)

بعث البدر وفداً إلى السعودية برئاسة أحمد محمد نعمان وأحمد الشامي يطلب النجدة والمساندة بالمال والعتاد فلبى سعود الطلب فارتفعت معنوية البدر وأمر بإطلاق المساجين في حجة واستخدمهم لصالحه. (46)

كان لمصر في هذه المدة علاقة بالبدر وبالأحرار أيضاً ، فيقول أحمد محمد نعمان : " أبرقنا إلى غيدالناصر من السعودية ، فأرسل حسين الشافعي مع وفد والتقينا بالرياض " (47)

استطاع الإمام أحمد بخططه ومراوغته إفشال انقلاب 1955 ويقضي على قاداته ، وأبرق بذلك إلى الملك سعود ، واقترح أحمد محمد نعمان أن يذهب وفد سعودي مع الوفد الذي وصل من مصر إلى اليمن لتهنئة الإمام بالانتصار ، وهذا ما حصل حيث كان الوفد السعودي برئاسة فهد بن عبد العزيز والمصري برئاسة حسين الشافعي واستقبلهم الإمام أحمد ورحب بهم في تعز . (48)

وقد نصح الوفد ابن الإمام بالهدوء وبتغيير الأوضاع وتحسين الأحوال في اليمن .

وقف أحمد محمد نعمان بجانب الإمام أحمد والبدر ضد انقلاب عام 1955 حتى يعمق الخلاف بين الإمام وإخوانه ، ويساند ولاية العهد للبدر أملاً هو والأحرار إلى دفع البدر في طريق الإصلاح والعصرية والشورى ووضع دستور للبلاد.

الختام:

1- ولد أحمد محمد نعمان في بيئة ثقافية - تعز - حفظ فيها في طفولته القرآن الكريم وانتقل إلى زبيد مركز ثقافي آخر ليكمل دراسته هناك في الفقه واللغة ، لينتقل بعد ذلك إلى الأزهر في مصر لمواصلة دراسته ، ويكمل مشواره السياسي في المعارضة للحكومة اليمنية.

2- حاول إقناع الامام أحمد ولي العهد قبل أن يصبح إماماً بتبني الفكر الإصلاحي والعصرية والتحديث في التعليم فلم ينجح.

3- أسهم مع الزبيرى ومطيع دماج والحكيمي في تأسيس حزب الأحرار في عدن الذي تحول إلى الجمعية اليمنية الكبرى، وأصدروا (صوت اليمن) لتعبر عن أفكارهم ونشاطاتهم وأهدافهم .

4- كان أحد أسباب ذهابه إلى مصر للالتقاء بـ (محمد طاهر الحسن) صاحب جريدة الشورى ، وليكتب من خلالها عن أوضاع اليمن ، ويتعرف على شخصيات عربية كشكيب أرسلان وسعد الله الجابري وغيرهم ، مما أتاح له شهرة واسعة في اليمن وفي مصر .

5- هاجر أكثر من مرة إلى مصر وأصبحت له علاقة خاصة بها ، وفيها أنشأ مع الزبيرى الاتحاد اليمني في الخمسينات من القرن العشرين وأعادوا إصدار (صوت اليمن) ، وبعد قيام ثورة يوليو 1952 في مصر تشكلت له علاقة مع القيادة المصرية وبخاصة مع جمال عبدالناصر عندما فر هارباً من اليمن بعد فشل انقلاب 1955.

هوامش البحث

1. عبد الرحمن بعكر، ثمانون عام من حياة النعمان ، صنعاء . 1990 ، ص21
2. مذكرات احمد محمد نعمان ، سيرة حياته الثقافية والسياسية، مراجعة وتحرير علي محمد زيد طه ، صنعاء ، 2004 ، ص14-ص15.
3. المصدر نفسه ، ص15.
4. المصدر نفسه ، ص17.
5. المصدر نفسه ، ص17-18.
6. عبد الرحمن بعكر ، مصدر سابق ، ص30.
7. مذكرات احمد محمد نعمان ، مصدر سابق ، ص20-ص21.
8. المصدر نفسه ، ص21.
9. المصدر نفسه ، ص22.
10. اسماعيل بن علي الكوع ، أحمد محمد نعمان ، الموسوعة اليمنية ، مجلد (4) ط2، صنعاء ، 2003 ، ص2990.
11. عبد الرحمن بعكر ، مرجع سابق ، ص33.
12. اسماعيل بن علي الكوع ، مرجع سابق ، ص2990 ، 2991 .
13. وهو الاستاذ محمد احمد حيدرة ، وهو شاب يماني تعلم في عدن وفي الخارج ، تعلم الجغرافيا والتاريخ ، مذكرات محمد احمد نعمان ، المصدر السابق ، ص31.
14. مذكرات احمد النعمان ، المصدر السابق ، ص33.
15. المصدر نفسه ، ص33.
16. اسماعيل بن علي الكوع ، مرجع سابق ، ص2990 ، 2991.
17. مذكرات احمد محمد نعمان ، مصدر سابق ، ص33.
18. المصدر نفسه ، ص30
19. المصدر نفسه ، ص32
20. المصدر نفسه ، ص34
21. نفسه
22. اسماعيل بن علي الكوع ، مرجع سابق ، ص2990 - 2991
23. عبد الرحمن بعكر ، مرجع سابق ، ص40
24. مذكرات احمد محمد نعمان ، مصدر سابق ، ص34.
25. المصدر نفسه، ص34-35.
26. المصدر نفسه، ص36.
27. المصدر نفسه، ص37.
28. المصدر نفسه ، ص38.
29. المصدر نفسه، ص39.

30. المصدر نفسه ص 39-40.
31. عبد الرحمن بعكر ، مرجع سابق ، ص. 46.
32. احمد بن محمد الشامي ، رياح التغيير في اليمن ، ط 2 ، بيروت ، 1985 ، ص 120.
33. عبد الرحمن بعكر ، مصدر سابق ، ص 47.
34. زيد بن علي عنان ، مذكراتي ، القاهرة ، 1403 ، ص 49.
35. عبد الله المجاهد الشماعي ، اليمن الانسان والحضارة ، صنعاء ، 2004 ، ص 207.
36. مجموعة باحثين ، اضاءات على مسيرة الشهيد والشاعر زيد الموشكي ، جامعة ذمار ، 2003 ، ص 263 ، مذكرات احمد محمد نعمان ' مصدر سابق ، ص 43-44.
37. عبد الله الشماعي ، مرجع سابق ، ص 209.
38. محمد احمد نعمان ، الفكر والموقف والاعمال الكاملة ، صنعاء ، 2001 ، ص 63.
39. عبد الرحمن بعكر ، مصدر سابق ، ص 68 - 70.
40. محمد احمد نعمان ، مصدر سابق ، ص 395 - 396 .
41. محمد علي الاسودي ، حركة الاحرار اليمنيين والبحث عن الحقيقة ، دم ، 1987 ، ص 65.
42. مذكرات احمد محمد نعمان ، مصدر سابق ، ص 52-53.
43. حيدر علي ناجي العزي ، انقلاب عام 1955 في اليمن ، صنعاء ، 2004 ، 165 .
44. عبد الله بن احمد الثور ، ثورة السيمن (1367 - 1387 هـ / 1948 - 1968) ط 1 ، دم ، 1968 ، ص 100.
45. المرجع نفسه .
46. محمد محمد الشعبي ، شهيد و طاغية ، دمشق ، 1989 ، ص 73.
47. مذكرات أحمد محمد نعمان ، مصدر سابق ، ص 57.
48. المصدر نفسه ، ص 59.

موارد بامخرمة في كتابه (تاريخ ثغر عدن) دراسة نقدية



أ. د. رعد زهراو الموسوي *

المقدمة :

تعد دراسة المؤرخين العرب المسلمين واحدة من أكثر الدراسات التاريخية أهمية في تحديد سمات التاريخ الإسلامي ، وترسيخ أسس منهج البحث التاريخي عند المسلمين ، فهذه الدراسات تستوجب التعرف على مناهج المؤرخين ، وأساليبهم الكتابية ، ومواردهم ، باعتبارها وسيلة من الوسائل التي تؤدي للكشف عن مصادر معلوماتهم ، وتبيان إسهامات المؤرخين والعلماء في الحياة الفكرية عبر العصور .

ولأهمية هذه الدراسات ، وضرورتها لإعادة كتابة تاريخنا وفق أسس متينة ورصينة لتقويم مناهج مؤرخينا ، وتبيان قيمتها التاريخية ، تأتي هذه الدراسة التي استهدفت تسليط الضوء على منهج واحد من العلماء الذين أسهموا في الحياة الفكرية والثقافية في القرن العاشر الهجري من خلال كتابه (تاريخ ثغر عدن) .

لقد ركزت الدراسة على مصادره التي نهل منها ، بغية إظهار قيمتها التاريخية ، ودراسة منهجه في تناولها ، وطرائق النقل منها ، وأنواعها — سواء كانت مؤلفاته سابقة له أو مؤلفات معاصرة له ، أو مشاهداته وملاحظاته — بالنقد والتحليل .

أهمية الكتاب :

على الرغم مما يثار حول كتاب (تاريخ ثغر عدن) من هنات منهجية ، سواء كان ذلك من حيث البناء المنهجي للكتاب ، أم طريقة عرضه ، أم أسلوب المؤلف في تغطية الفترة الزمنية التي ضمتها تراجمه⁽¹⁾ ، فإن المؤلف كان له قصب السبق في كتابه تاريخ مدينته (عدن) . هي بحق الدراسة العربية الوحيدة حول عدن ، تلك المدينة التجارية المهمة ، والتي أراد لها مؤلفها أن تحمل اسم الثغر كدلالة منه على أهميتها الاستراتيجية بالنسبة للعالم الإسلامي⁽²⁾ .

والحق أن بامخرمة بعمله هذا ، قد غطى فترات تاريخية مهمة وطويلة من حياة مدينته ، وكشف فيها الدور الحضاري والعلمي والاقتصادي الذي لعبته المدينة من خلال علمائها وأعلامها في إثراء وإغناء الفكر العربي الإسلامي ، وبالتلاقح والمساهمة مع الواردين إليها من شتى بقاع العالم آنذاك ، وبذلك أكد بامخرمة هنا ، خطأ الرأي القائل بأن تواريخ المدن عند المسلمين يغلب عليها المحلية⁽³⁾ .

وتبرز أهمية الكتاب من خلال عمل مصنفه في جزئه الأول تحديداً ، والخاص بخطط المدينة ، فقد كشف عن رؤية مؤرخ بارع ، ثاقب النظر ، استطاع أن يربط حاضر مدينته بماضيها ، مؤكداً على العمق التاريخي للمدينة وخططها⁽⁴⁾ .

فضلاً عن أن الكتاب قد حفظ لنا بين دفتيه العديد من الروايات والنصوص ، إذ لولا عمله هذا لأصبحت الآن في عداد المفقودات ، وما أكثر ما فقد من تراثنا ، فالنصوص الشعرية مثلاً ، التي أوردها وأبدى رأيه فيها نقداً أحياناً ، وتبريراً لإيرادها في كتابه أحياناً أخرى ، تشكل دليلاً على ما ذكرناه ، نحو قوله في ترجمة (الصنعاني) : " ومن محاسن شعره .. وهي طويلة ، وقد أوردتها بجملتها لعزة وجودها ، ولما تضمنته من المعاني العجيبة والألفاظ الغربية"⁽⁵⁾ .

إلى جانب ذلك ، فقد حفظ لنا في كتابه عدداً من الوثائق المهمة ، فيها نص تقليد الأشرف عمر بن مظفر سنة 694هـ⁽⁶⁾ ، ورسالة أمير كندة إلى السلطان الحبوشي⁽⁷⁾ ،

وحتى نص ملكية دار أوردتها بقوله : " كذا وجدته في مسطور كُتب لِبنته عائشة مَلكها داراً صغيرة بحافة البانين .. وتاريخ المسطور ... " (8) .
خطّة الكتاب وتنظيمه وأسلوب عرضه :

باستثناء المخطط العام الذي قسم به بامخرمة كتابه تاريخ ثغر عدن إلى قسمين رئيسيين ، أحدهما : خططي والأخر رجالي ، لم يوضح بامخرمة الأسس المنهجية التي اتبعها في مصنفه ، على عكس ما فعل في كتابيه (قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر) (9) (و النسبة إلى المواضع والبلدان) (10) ، فهو لم يبين الأسباب التي دفعته إلى تأليفه ، ولا الموارد التي اعتمد عليها في بناء معلوماته وطرق الإشارة إليها ، فضلاً عن عدم معرفتنا الأسس التي اعتمدها في إثبات دخول بعض المترجم لهم إلى عدن – الواردين إليها – التي هي على ما يبدو من شرط كتابه ، عدا بعض الإشارات في تضاعيف الكتاب ، جاءت أكثرها ظنية أحياناً واستنتاجية أحياناً أخرى (11) .

ولعلنا نتلمس له العذر في ذلك ، فمن المحتمل أنه كان قد رسم هيكلًا عاماً ليكون مصنفه الذي وسمه بـ : " تاريخ ثغر عدن " أشبه بـ : " تعليقه " على حد وصفه له (12) أو بالأحرى أراد أن يكون هكذا في بدء الأمر ، فيجمع ما يمكن جمعه من معلومات تخص مدينته عدن من المصادر المتوفرة لديه ، إلا أنه على ما يبدو عدل عن ذلك ، وقد دفعته وفرة المعلومات ، إلى أن يكتب مصنفاً لم يحالفه الحظ بإنجازه لسبب ما ، وقد يكون مرضه الذي عانى منه ، وشل حركته عام 944هـ ، سبباً مباشراً لذلك ، فترك الكتاب مسودّة لم تتجز (13) .

ومع ذلك ، فقد نهج بامخرمة نهج الآخرين ممن سبقوه من مؤلفي تواريخ المدن ، فابتدأ في تبیان فضل مدينته عدن ، فذكر ما قيل فيها من أقوال وأشعار مسبوقة ببعض الآيات القرآنية وأحاديث الرسول محمد (ﷺ) ، ولم ينس أن يشير إلى اسمها وما قيل في تفسير ذلك .

ومن الجدير بالذكر أن بامخرمة قد قسم الجزء الأول إلى عدد من المباحث أطلق على كل واحد منها اسم فصل ، منها فصل يتحدث عن أبوابها ، وفصل آخر عن دورها، وفصل عن سورها...الخ.

أما القسم الآخر فقد خصصه لتراجم (من نشأ بها ، أو وردها من العلماء، والصلحاء ، والملوك ، والأمراء ، والتجار ، والوزراء)⁽¹⁴⁾ ، وقد رتبها حسب حروف الهجاء ، فيذكر كنى وألقاب المترجم لهم وأسماءهم مع ذكر نسبهم إلى القبيلة والبلد ، على نحو قوله : " أبو الحسن أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد ... الغساني الأسواني القاضي الرشيد..."⁽¹⁵⁾ ، وقوله : " حسن بن علي التيمي نسباً الفارسي بلداً ..."⁽¹⁶⁾ وعلى نحو ذلك.

وقد أبدى بامخرمة جهداً في ضبط الأسماء والكنى والألقاب أينما وردت ، منعاً للتصحيف أو التحريف أحياناً ، أو التعريف بها من الناحية اللغوية أحياناً أخرى ، نحو قوله : " أبو عبد الرحمن بشر بكسر الباء الموحدة وسكون الشين المعجمة "⁽¹⁷⁾ ، وقوله : " أبو الخير بن منصور... الشماخي بفتح الشين المعجمة وتشديد الميم وكسر الخاء المعجمة، نسبة إلى شماخ ، اسم جد له ، السعدي نسبة إلى سعد العشيرة من مذحج "⁽¹⁸⁾ .

وقد تابع بامخرمة أحوال المترجم لهم فيذكر شيوخهم وتلاميذهم ، ومهتهم مع ذكر ولادات بعض منهم ووفياتهم ، ومن الملاحظ ، أن حجم التراجم عنده تختلف من ترجمة إلى أخرى ، ففي حين ترجم على سبيل التمثيل (للحسين بن سلامة)⁽¹⁹⁾ و(السلطان المنصور الرسولي)⁽²⁰⁾ وغيرهم عدة صفحات ، ترجم لعدد آخر بترجمة لم تتعدى السطرين⁽²¹⁾، ولعل مرد ذلك يعود لأسباب : منها وفرة المعلومات من عدمها، وعلاقة المؤلف بالمترجم له ، وموقف المؤلف من بعض منهم⁽²²⁾ .

وقد تخللت تضاعيف التراجم كم هائل من المعلومات ، فتبرز في بعضها أحداثاً سياسية واجتماعية وفكرية واقتصادية مهمة جداً على نحو ما ذكر على سبيل التمثيل : " وكان الملك العزيز طغتكين في أيوب بنى للقطارين قيصارية جديدة جميعها دكاكين ،

ولها باب يغلق ليلاً ثم أن المعتمد رضي الدين .. جدد عمارتها ..⁽²³⁾ وقوله في ترجمة (عمر الدويدار) : " وكان والياً على لحج وأبين للمؤيد ... ثم لابنه المجاهد .. ثم في شعبان من سنة 723 هـ خالف على المجاهد في لحج وأبين وخطب بهما للظاهر⁽²⁴⁾ وقوله في ترجمة (غازي بن المعمار) : " وكان كثيراً ما يتولى المدن الكبار وهو أول من سن قراءة الحديث وكتب الوعظ في مسجد الأشاعر .. ووقف على من يقرأ ذلك وفقاً جيداً "⁽²⁵⁾ .

ومن الجدير بالذكر هنا أن بامخرمة قد نهج نهجاً يميل إلى الاختصار قدر الإمكان، وقد أشار إلى ذلك مرات عدة نحو قوله : " وقد ذكرهما الخزرجي في تاريخه بتمامهما وحذفتها اختصاراً "⁽²⁶⁾ وأحياناً يُبرر أسباب إسهابه في مسألة ما خلافاً لشرطه بقوله : " وإنما سقناه بطوله لما فيه من الفوائد "⁽²⁷⁾ .

ويظهر أن إحالاته الكثيرة جاءت لتخدم منهجه في الاختصار ، فإشارات المتكررة ، ولاسيما في القسم الثاني من الكتاب إلى تراجم سبق وأن ترجم لها أو تراجم سيجري لها، تدلل على ذلك ، نحو قوله: " والمتقدم ذكره في حرف الهزمة "⁽²⁸⁾ ، وقوله : " و سيأتي ذكر الداعي محمد بن سبأ مبسوطاً في موضعه "⁽²⁹⁾، فضلاً عن أن هذه الإحالات قد حذق باستعمالها لربط أجزاء تراجمه بعضها ببعضها الآخر .

ومن الجدير بالإشارة إلى أن بامخرمة قد أحال القارئ إلى بعض المؤلفات لغرض الاستزادة نحو قوله : " وقد بسط السهيلي قصة ذلك في كتابه التعريف والإعلام ، فمن أحب الوقوف عليها فليراجع الكتاب المذكور "⁽³⁰⁾ .

موارد بامخرمة :

على الرغم من أن بامخرمة قد اعتمد اعتماداً كلياً على مصدرين مهمين ، هما (الجندي ، والخزرجي) وهو نابع من اعتقاده بأنهما عُنيا بترجمة أعلام أهل اليمن ، إلا أنه أضاف إليهما مصادر أخرى ، واستقى منها معلوماته التي شكّلت أساس كتابه . والملاحظ أن هدف الكتاب — بالرغم من عدم التصريح به بشكل واضح من قبل مؤلفه — قد عُنِيَ بتاريخ عدن وإبراز مساهمة أعلامها ، فقد اهتم بالمصادر التي

كتبت عنها ، ومن ثم فإن الهدف قد أثر تأثيراً كبيراً في اختيار طبيعة هذه الموارد ، فضلاً عن المصادر الأخرى التي تكمل هذا الهدف ولاسيما في الجزء المخصص للتراجم .

لقد اعتمد بامخرمة - على ما يبدو - على جملة من الأسس في تعامله مع

موارده، ولعل أبرز هذه الأسس هي :

أولاً : موقفه من المؤلفات السابقة :

اهتم بامخرمة في اختيار مصادره على المعاصرة الزمنية قدر الإمكان ، وقد أشار إلى ذلك في إحدى تراجمه بالقول : " ... وعمارة أولى بالتقليد لقرب عهده بالزمان والمكان " (31) .

ولكونه قد خصص كتابه لتراجم أعلام مدينته ، فقد ركّز على المعاصرة ، ويتجلى ذلك في أبرز مظاهرها في تبيان علاقة المصدر - المؤلف - بالمتراجم له ، كالسماع منه ، أو الكتابة عنه (32) ، أو الصحبة (33) ، أو المشاهدة وحضور مجالسه (34) ، وغيرها من التعبيرات الدالة على المعاصرة ، نحو قوله في ترجمة (سعيد بن محمد الأشعري) : " قال الأهدل ... واجتمعت به وذاكرته .. " (35) ، وقوله : " قال الخزرجي ، وهو مستمر على ذلك في عصرنا (36) .

إن اهتمامه وعنايته بذلك ، جعلت بامخرمة يُفضّل مصدراً على آخر في قسم تراجمه بألفاظ دالة ، نحو قوله : " قال أبو الحسن الخزرجي ، وهو الراجح عندي " (37) . وقوله " .. كما ذكره ابن سمره وهو الصواب " (38) .

ثانياً : الإشارة إلى المصدر :

لم يتبع بامخرمة شأنه شأن الكثير من العلماء والمؤرخين أسلوباً واحداً في إشاراتهم لمواردهم (39) ، فهو تارة يشير إلى المؤلف دون الكتاب (40) ، الأمر الذي يجعل مهمة إرجاع النصوص إلى أصولها أمراً ليس بالهين ، ولاسيما إذا كان لدى المؤلف أكثر من مصنف .

وعلى الرغم من تصريحه تارة أخرى باسم المصدر المنقول عنه ، إلا أنه لا يذكره بعنوانه الذي وُضع له أصلاً ، ويكتفي بذكره مختصراً نحو قوله : " قال الشيخ اليسافعي في تاريخه " (41) . و " ذكره السبكي في طبقاته " (42) . والمعروف أن للسبكي ثلاثة كتب تحمل الاسم نفسه هي: الطبقات الكبرى ، والوسطى ، والصغرى .

ومع كل هذا فهو يشير أحياناً إلى اسم المؤلف والمصدر كاملاً ، وهو بذلك يجنب الباحث مشقة البحث عن النصوص المقتبسة نحو قوله على سبيل التمثيل : " حكى محمد بن حاتم الهمداني في كتابه العقد الثمين في أخبار ملوك اليمن المتأخرين " (43) . وقوله : " ذكره تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى " (44) . وقوله : " قال.. أحمد بن أبي بكر بن سلامة في كتابه المسلك الأرشد في مناقب عبد الله بن أسعد " (45) .

وعلى أية حال فإن هذه الطرق للإشارة إلى المصدر، تتبع ذوق المصنف ، كما أنها كانت شائعة لدى جمهور العلماء على ما يبدو ، فضلاً عن أن ما يصعب علينا الاهتداء إليه وتحديده كان معروفاً عندهم (46) . فهو على سبيل التمثيل لم يسم ابن المجاور باسمه صراحةً ، وأغلب إشاراته له جاءت على نحو : " قال المستبصر في تاريخه " (47) ، و " كذا نقله المستبصر في كتابه " (48) .

ثالثاً: الإشارة إلى مواضع النقل :

كانت عناية العلماء المسلمين بتنظيم مصنفاتهم وفق النظام الحولي ، أو الطبقات ، أو حسب الحروف الهجائية بالنسبة لكتب التراجم قد سهلت الطريق على من يريد الوقوف على نص ما ، من خلال رجوعه إلى الكتاب المعني شريطة معرفته بأسلوب تنظيمه (49) . لذا فلم يكن العلماء بحاجة إلى تحديد مواضع النقل والاقْتباس من مصادرهم.

ومع ذلك فقد اهتم بامخرمة في الغالب الأعم بتحديد موضع نقولاته ويتجلى ذلك في بحثه عن بعض الأعلام ممن لم يجد لهم تراجم من الكتب التي اقتبس منها ، حيث يذكر مكان الخبر أو الحكاية تحديداً نحو قوله في ترجمة (إبراهيم بن بشارة العدني) : " لا أعلم في حاله غير ما ذكره شيخنا.. الأهدل في ترجمة الفقيه إسماعيل الحضرمي ،

وقد استطردها فيها ذكر الشيخ أحمد الصياد ، قال وقد جمع سيرته - يعني سيرة الصياد - تلميذه الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن بشارة ... " (50) ، وقوله في ترجمة (غازي بن المعمار) : " وذكر الجندي في ترجمة سالم بن إدريس الحبوضي ... " (51) ، وحتى في بعض الروايات ، حرص بامخرمة على تنصيب النقل تحديداً نحو قوله : "نقله السهيلي في شرح السيرة... ذكره في أوائل الكتاب على أولاد عدنان .. " (52).

رابعاً: بدايات النقل وانتهائه :

على الرغم من أن بامخرمة أشار في معظم اقتباساته إلى بدايات النقل بألفاظ وعبارات معبرة عن ذلك كما أسلفنا آنفاً ، إلا أنه أورد أيضاً نصوصاً حصرها بين لفظين ، دل الأول منها على أنه بدايات النقل ، فيما أشار الآخر إلى انتهائه ، نحو قوله : " كذا في المستبصر قال.. انتهى " (53) ، و " قال الجندي .. انتهى " (54).

ومن الملاحظ أن بامخرمة غالباً ما ينتهي اقتباسه بإيراد نص آخر إذا اقتضت الضرورة لذلك ، ويستعمل للتدليل على ذلك بلفظ يدل على بدايات نقل جديد ، نحو قوله : " قال النووي في شرحه.. انتهى كلام النووي . عن ابن عباس قال .. أخرجه الطبراني ، ذكره الفقيه ابن زبيدة في كتابه انتهى " (55) ، وقوله : " قال الصنعاني في التكملة .. انتهى ، قال المستبصر في تاريخه " (56) .

ومع ذلك ، فهو أحياناً يختم اقتباسه باستعمال عبارات وإشارات كدلالة للتعبير عن رأيه في نص أو مسألة ما ، أو لزيادة معلومات لم يذكرها مصدره ، أو لتصحيح شيء ما ، نحو قوله : " .. قال الجندي.. انتهى ، والظاهر... " (57) . وقوله : " .. كذا في الخزرجي ، وما أدري من أين نقله " (58) ، وقوله : " قال الجندي .. انتهى ، والموجود في ثبت الحرازي ... " (59) ، وقوله : " قال عمارة .. انتهى كلام عمارة ، وإنما سقناه بطوله لما فيه من الفوائد " (60) .

خامساً: الدقة في النقل :

إن ثقافة بامخرمة في علمي الحديث والفقہ تحثيداً جعلاه يتوخي الدقة في نقل النصوص ، وذلك بحكم أن هذين العلمين كانا يتطلبان الدقة والأمانة لتعلق الأول بالأسانيد والآخر لارتباطه بالأحكام الشرعية⁽⁶¹⁾.

وتظهر هذه الدقة في أغلبية نصوصه المقتبسة ، وإن كانت غير منقولة حرفياً من أصولها ، فهو يهدف على ما يبدو إلى النقل الأمين، من المصدر دون الإخلال . فعلى سبيل التمثيل في ترجمة (إسماعيل الدينوري) وبعد أن نقل من أحد تلاميذ المترجم له (يوسف الصلبي) ختم الترجمة بعبارة : " انتهى .. ولم أقف على تاريخ الفقيه إسماعيل المذكور ، إلا أن زمنه معروف بمعاصريه .. وتلميذه أحمد القريظي توفي سنة 584 هـ كما تقدم ، وأما المقرئ يوسف فالذبي، وقفت عليه .. أنه توفي لبضع وعشرين وخمسمائة ، ولا شك أنه وهم من الناسخ " وإن الصواب... وإنما ذكرته هنا للتبنيـه " (62) . وكذا في قوله في ترجمة (محمد بن حسن بن علي التيحي الفارسي) ، إذ بعد أن ذكر الاسم كاملاً ، نبه إلى ذلك : " كذا في الخزرجي، وأظنه سقط بينه وبين حسن أبوان ، فهو محمد بن أبي بكر بن محمد بن حسن " (63) .

وفق هذا التصور عالج بامخرمة منقوله عن مرارده ، فالتزم أحياناً بالنقل الحرفي في الحالات التي تتطلب ذلك ، ولو جاء على خلاف شرط كتابه ، مثل أقوال العلماء في الجرح والتعديل، أو الرسائل المتبادلة ، فضلاً عن الروايات المسندة إلى شيوخه المباشرين نحو قوله : " ذكر ابن سمرة .. ما نصه " (64) ، وقوله : " .. من تذهيب الذهبي ، الأصبط اسمه ، فمن التقريب للحافظ ابن حجر وزاد.. " (65) . و " نكر ذلك جمعيه الخزرجي في تاريخه " (66) .

وقد ألمح بامخرمة في بعض الأحيان إلى أسباب نقله الحرفي ، كأن يكون بسبب الفوائد المستقاة من النص نحو قوله : " انتهى كلام عمارة ، وإنما سقناه.. لما فيه من الفوائد .. " (67) ، أو بسبب إعجابه بمسألة ما أو حكاية أو قصيدة نحو قوله : " .. فأوردناها وإن طالت لحسنها " (68) ، أو بسبب خطأ نتيجة النقل الخاطيء من قبل المؤلف

عن مصدره ، أو بسبب عدم دقة النسخ كما أوضحنا سابقاً ، أو بسبب بيان رأيه بالنص على نحو ما قاله في ترجمة (البيلقاني) : " انتهى ما نقل الخزرجي من كلام الجندي ، ولا يخفى ما فيه من التحامل على البيلقاني.. فانظر إلى هذا التحامل وما سببه إلا مبالغة البيلقاني لهم في العقيدة " (69).

على أن با مخرمة كان أحياناً أخرى يقوم باختصار النص أو ينتقي منه مع التقديم والتأخير في أجزائه دون الإخلال بمضمونه ، مستخدماً ألفاظاً وعبارات دالة على ذلك نحو قوله : " ذكر ابن سمرة.. انتهى المقصود من ذلك " (70) ، وقوله : " وقد ذكرهما الخزرجي بتمامهما وحذفتها اختصاراً " (71) ، أو قوله : " قاله الخزرجي " (72) .

على أن دفته بالنقل من مصادره تظهر بشكل دقيق وواضح من خلال إشاراته إلى المصادر التي أقتبست فيها مصادره المباشرة نحو قوله : " ذكره السبكي في طبقاته وقال: قال المطري .. " (73) وقوله : " قال أبو حاتم.. وقال ابن عدي .. وقال النسائي.. من التذهيب للذهبي " (74) .

هذه هي الأسس التي تعامل وفقها بمخرمة مع مصادره ، وندرج في أدناه أهم مصادره التي نقل منها مرتبة حسب وفيات أصحابها :

أولاً : موارد من المؤلفات السابقة :

1- عمارة اليماني (ت : 569هـ) :

نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان الحكمي ، من أشهر مؤرخي اليمن ، كان فقيهاً نبياً نحويماً أديباً شاعراً ، استقر بمصر آخر حكم الفاطميين ، وأعدم عام 569هـ من قبل صلاح الدين الأيوبي (75) . صنف الكثير في التاريخ والأدب (76) منها ، تاريخ اليمن المسمى : (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيان أدبائها) ، وكتاب : (النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية) .

أقتبس با مخرمة من كتابه (المفيد) " 22 نصاً (77) ، الذي أشار إليه في نصين فقط (78) منبهاً في نص آخر على الفرق بينه وبين (مفيد جباش) بقوله : " للاحتراز " (79) . وذكره بصيغ (قال ، روى ، أتى) .

وتناولت المقتطفات المقتبسة تراجم لأعلام الدول التي حكمت اليمن أبان الدولة النجاشية ومنهم (الحسين بن سلامة) والدولة الزيرية . وبعض الأحداث التي مرت على اليمن أبان الحكم الصليحي .

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى عدد من النصوص ، نقلها با مخرمة من (عمارة) نقلاً عن الخزرجي أو الجندي ، وقد أشار إلى ذلك نحو قوله : " قال عمارة كما نقل عنه الخزرجي " (80) .

2- الجعدي (ت : بعد سنة 586هـ) :

أبو حفص عمر بن علي بن سمرة ، أحد فقهاء الشافعية في اليمن ، كان " فقيهاً متقناً ، ولي القضاء بعدد من النواحي .. وترأس فيها بالفتوى " (81) ، قال عنه ابن الربيع ، كان " ذو سبق والابتداء فيما ألف في تاريخ اليمن وفضائله " (82) . اقتبس با مخرمة من ابن سمرة (22) (83) نصاً صرح في سبع منها على أنها من " تاريخه " (84) . والذي أسماه أحياناً بـ : " الطبقات " (85) ، وذكره بصيغة واحدة " ابن سمرة " وبلفظ (قال ، ذكر ، أثنى) .

وكان با مخرمة في معظم هذه الاقتباسات ناقلاً حرفياً ، ومُتصرفاً بعض الشيء في قسم منها أحياناً ، كما دللت عليه المطابقات مع كتابه (طبقات فقهاء اليمن) ، وعلى النحو الآتي :

طبقات فقهاء اليمن

، 99 ، 74 ، 43 ، 69 ، 99

، 222 ، 202 ، 225

تاريخ ثغر عدن

، 6 / 2 ، 27 ، 64 ، 91 ، 98 ، 117

، 130 ، 135 ، 152 ، 155

3- ابن المجاور (ت : بعد 630هـ) :

جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد البغدادي النيسابوري ، كتب كتابه المسمى (المستبصر) أو (تاريخ ابن المجاور) الذي يُعد مصدراً مهماً لتاريخ الحجاز

ومكة واليمن في أوائل القرن السابع الهجري ، فضلاً عن ما ضمنه من ملاحظات بلدانية قيّمة⁽⁸⁶⁾.

استقى بامخرمة من كتاب ابن المجاور (14) نصّاً⁽⁸⁷⁾، أشار في معظمها على أنها من (تاريخ المستبصر) دون أن يصرح باسم مؤلفه ، بل كان يكتب بالقول : " قال المستبصر في تاريخه ⁽⁸⁸⁾

أو : " نقله المستبصر في كتابه ⁽⁸⁹⁾.

وتناولت المقطعات نصوصاً تتعلق بخط مدينة عدن ، والملاحظ أن بامخرمة ، كان يعقب في معظم نقولاته ويصنّف مشاهداته والتغيرات التي طرأت على هذه الخطط، نحو قوله في وصف (دار السعادة) : " كذا ذكره المستبصر .. وزيد في دار السعادة في أوائل الدولة الطاهرية ، زاد الشيخ عامر بن طاهر فيه زيادة ... ⁽⁹⁰⁾ . وقوله في (دار الطويلة) : " ... وكانت متجرراً للملوك فيما تقدم ، وصار الآن المتجر دار الصلاح .. ⁽⁹¹⁾ .

كما أنه كان أحياناً يشكك ويصحح بعض المعلومات التي ينقلها من (ابن المجاور) نحو قوله في (دار المنظر) : " قال المستبصر: بناها الملك المعز إسماعيل بن طفتكين .. انتهى ، وكان المعز جدد عمارتها وإلا فهي قديمة كانت لسلطين بني ربيع يسكنون بها ⁽⁹²⁾ .

4- ابن خلكان (ت : 681هـ) :

شمس الدين أحمد بن محمد الأربلي، قاضي قضاة الشام ، وصفه (اليونيني) بأنه كان " فقيهاً ، إماماً ، عالماً ، معدوم النظر في علوم شتى ، حجة فيما ينقله ، محققاً بما يورده " ⁽⁹³⁾ . كتب ابن خلكان كتابه الشهير المسمى (وفيات الأعيان) ، الذي اقتبس منه بامخرمة خمسة نصوص ⁽⁹⁴⁾ . سمي في واحد منها كتابه باسم (التاريخ) ⁽⁹⁵⁾ . وذكره بصيغتين " ابن خلكان ، القاضي ابن خلكان " وبالألفاظ (قال ، ذكر ، أثنى) .

وتناولت معظم المقترسات نسبة المترجم لهم ، وثقافتهم ، وصفاتهم ومكانتهم العلمية. وقد تطابقت معظم الاقتباسات مع كتاب (وفيات الأعيان) وعلى النحو الآتي:

وفيات الأعيان

. 309، 309، 156/1
. 433، 432 /3

تاريخ ثغر عدن

. 170، 165، 38، 24، 16 /2

وكان بامخرمة في هذه المقتبسات ناقلاً حرفياً ، عدا نصاً واحداً تصرف فيه بعض الشيء ، دون إخلال بالمعنى (96).

5- الجندي (ت : 730 أو 733 هـ) :

بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن يعقوب السكسكي ، صاحب كتاب : " السلوك في طبقات العلماء والملوك " ، الذي عُدَّ من أهم المصادر اليمنية الشاملة. (97) جمع فيه جملة كبيرة من رجالات العلم والفضل والرؤساء جنباً إلى جنب معلومات مهمة وغزيرة عن تاريخ اليمن في الإسلام. (98).

اقتبس بامخرمة من الجندي (113) نصاً (99) ، لم يصرح في أي منها على أنها من كتابه (السلوك) ، أو من (تاريخه) على الأقل ، وذكره بصيغتين (الجندي، البهاء الجندي) ، وبلفظ (قال ، ذكر ، روى) .

وتناولت المتقطعات المقتبسة ، أحوال المترجم لهم ، ورحلاتهم العلمية ، وإسهاماتهم الفكرية ، والمناصب التي تولوها ، وأعمالهم العمرانية مع ذكر سني وفياتهم ، كما تضمنت أيضاً بعض الأحداث السياسية وقد جاءت هذه أثناء الحديث عن المترجم لهم .

وكان با مخرمة في معظم هذه النصوص ناقلاً حرفياً كما دلت عليه بعض المطابقات مع كتاب السلوك ، وناقداً في بعض منها ، نحو قوله في ترجمة (البيلقاني) (100)، رغم تأكيدات على أهمية كتاب الجندي (101) .

السلوك

184، 153، 222، 66، 102، 57/1
431، 419، 431، 437، 333، 62/
. 442

تاريخ ثغر عدن

135، 129، 89، 80، 68، 43/2
117، 100، 91، 81، 19، 18، 2
. 143

6- الذهبي (ت : 747 هـ) :

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد التركماني الذهبي ، شيخ المحدثين وقُدوة الحفاظ والقراء ، محدث الشام ومفيده ⁽¹⁰²⁾ . صنّف في الحديث ورجاله ، وفي الفقه وأصوله ، والتاريخ ، وغيرها من العلوم ⁽¹⁰³⁾ .

اقتبس بامخرمة من الذهبي (17) ⁽¹⁰⁴⁾ نصاً ، أشار في عشرة منها إلى أنها من كتابه (التذهيب) نحو قوله : " ذكره الذهبي في التذهيب " ⁽¹⁰⁵⁾ ، ونصّان في كتابه (الميزان) ⁽¹⁰⁶⁾ ، وذكره بصيغة واحدة (الذهبي) ، ولفظ (قال ، ذكر ، كذا في ...) . وتناولت معظم الاقتباسات مرويات المترجم لهم ، وشيوخهم ، ونسبتهم أحياناً ، وما قيل فيهم من جرح وتعديل . وكان فيها با مخرمة ناقلاً حرفياً كما دلت عليه الألفاظ الدالة نحو قوله : " ذكره الذهبي في التذهيب ... انتهى " ⁽¹⁰⁷⁾ .

7- اليافعي (ت : 768 هـ) :

أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي المكي ، وصفه الأسنوي بقوله : " كان إماماً يسترشد بعلومه ويقنّدي " ⁽¹⁰⁸⁾ ، صنّف عدداً من المؤلفات لعل أشهرها كتابه في التاريخ المسمى : " مرآة الزمان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان " ، و " روضة الرياحين في حكايات الصالحين " ⁽¹⁰⁹⁾ .

اقتبس با مخرمة من اليافعي (12) ⁽¹¹⁰⁾ نصاً ، أشار في خمسة منها إلى أنها من (تاريخ اليافعي) أو من (تاريخه) كما سماه . ونصاً واحداً ، من " بعض مؤلفاته " ⁽¹¹¹⁾ ، وذكره بثلاث صيغ : " الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي ، الإمام عبد الله بن أسعد ، اليافعي " ، ولفظ (قال ، ذكر ، وصف) .

وتناولت المقطعات المقتبسة في معظمها ، شيوخ المترجم لهم ، ومكانتهم العلمية ، ومهنتهم ، وكراماتهم ، وأحياناً وفياتهم . وقد تطابقت معظم الاقتباسات مع كتابه " مرآة الزمان " وعلى النحو الآتي :

وفيات الأعيان

، 171 /2 ، 17 /4 ، 183/2 ، 200 ، 71/4
 . 289 /3

تاريخ ثغر عدن

، 174 ، 156 ، 150 ، 93 /2
 . 238 ، 231

وكان بامخرمة في هذه الاقتباسات ناقلاً حرفياً أحياناً ، متصرفاً بعض الشيء أحياناً أخرى ، دونما إخلال بالمعنى العام للنص .

ومن الجدير بالذكر هنا أن بامخرمة قد اعتمد في ترجمة (اليافعي) على كتاب (المسلك الأرشدي في مناقب عبد الله بن أسعد الذي أُلّفه تلميذ اليافعي (أحمد بن أبي بكر بن سلامة) (112) ، ونصاً واحداً تعلق بأحد مشائخ (اليافعي) ، حيث قال : " ذكر الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر سلامة في كتابه عند تعداد مشائخ اليافعي " (113).

8- الخزرجي (ت : 8 12 هـ) :

موفق الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر الزبيدي ، من كبار مؤرخي اليمن قال عنه ابن العماد الحنبلي : " مؤرخ اليمن ، اشتغل بالأدب ، ولهج بالتاريخ فمهر فيه ، وجمع لبلده تاريخاً على السنين ، وآخر على الأسماء ، وآخر على الدول " (114).

اقتبس بامخرمة من الخزرجي (62) (115) نصاً ، ما صرح في أغلبها بأنها من (تاريخه) (116) ، دون أن يحدد أيّاً منها ، وأشار في نص واحد على أنه من " تاريخه الكبير المرتب على السنين " (117) ، وذكره بثلاث صيغ : " الخزرجي ، أبو الحسن الخزرجي ، أبو الحسن الخزرجي ، وبلفظ (قال ، نقل ، ذكر ، أورد) .

وتناولت المقنطفات المنقولة ، تراجم الأعلام ، فتذكر أسماءهم ونسبهم وألقابهم مع الضبط أحياناً وثقافتهم وشيوخهم ، وتلاميذهم أحياناً ، ومكانتهم وطبقاتهم ، وبعض المعلومات التاريخية الأخرى .

ومن المحتمل جداً أن اقتباساته هذه جاءت من كتاب الخزرجي " طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن " ، الذي يعرف بـ : " العقد الفاخر الحسن في طبقات أعيان اليمن " ، حيث أشار في ترجمة (محمد بن مؤمن) ما يمكن أن يفهم منه إن نقله من كتاب (التاريخ الكبير) جاءت تأكيداً لما ذكره من كتابه الآخر (118).

ويفهم أيضاً من ألفاظ بامخرمة ، أن اقتباساته من الخزرجي كانت حرفية في معظمها كقوله : " قال أبو الحسن الخزرجي .. انتهى " (119) ، وبتصرف دون إخلال — على ما يبدو — بالمعنى العام ، كقوله : " قال الخزرجي .. انتهى المقصود " (120) ، وناقداً في معلوماته أحياناً (121) .

9- الفاسي (ت : 832هـ) :

تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي ، الحافظ " مفيد الديار الحجازية وعالمها " (122) ، كان له معرفة بالحديث والشيوخ والبلدان (123) . صنّف في الحديث ورجاله ، وله كتابان : " شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام " و " العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين " ، وكلاهما مطبوع .

اقتبس بامخرمة من الفاسي (14) (124) نصاً ، صرّح في ستة منها على أنها من " تاريخه " (125) ، وذكره بصيغتين : " التقي الفاسي ، الفاسي " وبلغظ (قال ، ذكر ، كذا في تاريخه) ، وتناولت المقتبسات تراجم الأعلام من العدنيين أو من الحجازيين ممن زاروا عدن ، فتذكر نسبهم مع ضبطها أحياناً ، وثقافتهم وصفاتهم ووقباتهم أحياناً . وقد تطابقت معظم الاقتباسات مع كتاب الفاسي " العقد الثمين " وعلى النحو الآتي :

وفيات الأعيان

تاريخ ثغر عدن

163 / 6 ، 188 ، 195 ، 101 ، 240/5

78 / 2 ، 109 ، 116 ، 118 ، 150

وكان بامخرمة في هذه الاقتباسات متصرفاً بعض الشيء دونما إخلال بالمعنى العام للنصوص . ناقداً له أحياناً .

10- ابن كبن (ت : 842هـ) :

جمال الدين محمد بن سعيد بن كبن الطبري الشافعي ، ولد بـعدن ودرس بـزبيد وتولى قضاء عدن ، يعرف أكابر علماء اليمن في القرن التاسع الهجري ، صنّف عدداً من المؤلفات (126) .

نقل با مخرمة من ابن كبن (12) (127) نصاً أشار في أربعة منها إلى أنها من " خطه " (128) ، ما عدا نصاً واحداً (129) أشار فيه إلى أنه من كتابه : " وصف الطالب لكشف الكرب " (130) ، الذي ألفه لدفع وباء الطاعون الذي شهده اليمن عام 836هـ (131).

ونرجح أن معظم الاقتباسات من ابن كبن جاءت من مشيخته ، التي سماها با مخرمة : " الثبت " لأن مضامينها هي قراءات أو سماعات ابن كبن من شيوخه الذين ترجم لهم با مخرمة ، نحو قوله : " قرأ عليه ابن كبن شمائل الترمذي .. كما وجدته بخط القاضي .. " (132) ، وقوله : " قرأ عليه القاضي ابن كبن ... وأجازه في جميع ما يرويه .. كذا وجدته بخط القاضي ... في ثبته " (133).

وذكر با مخرمة القاضي بصيغة : " القاضي ابن كبن ، القاضي جمال الدين محمد بن سعيد بن كبن " ولفظ (قال ، ذكر) .

11- ابن حجر العسقلاني (ت : 852هـ) :

شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني ، حافظ عصره ، انتهت إليه معرفة الرجال ، ومعرفة العالي والنازل وعلل الحديث (134) . صنف في العربية والفقه والحديث والتاريخ ، مثل كتاب : (تقريب التهذيب) و (تقريب التقريب) و (الإصابة في تمييز الصحابة) وغيرها (135).

اقتبس بامخرمة من ابن حجر (9) (136) نصوص أشار في ثمان منها إلى أنها من كتابه (التقريب) ونرجح أنه (تقريب التهذيب) لأن معظم الاقتباسات تعلقت بما قيل عن المترجم لهم من جرح وتعديل وتقييد وضبط أسماء بعض منهم.

بالإضافة إلى هذه المجموعة من المؤلفات ، اقتبس بامخرمة عدداً من النصوص من (ابن عبد البر القرطبي) حيث نقل عنه نصين (137) ، تضمنا ترجمة لأحد الصحابة ، ومن المحتمل أنه من كتابه المعروف (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) . وثلاثة نصوص من كل من الشاعر الأديب الصيدي (138) الذي كان كاتب السر عند الموفق بلال الزريعي (139) . ومن كمال الدين جعفر بن تغلب الأدفوي الذي أشار إلى أنه نقلها

من كتابه (الطالع السعيد)⁽¹⁴⁰⁾ والسهيلي في كتابه الذي أسماه " شرح السيرة " ⁽¹⁴¹⁾.
ومن (الجوهر الشفاف) لأبي محمد بن عبد الرحمن بن محمد الخطيب الأنصاري
(ت : 641هـ) ⁽¹⁴²⁾ .

كما أنه نقل نصاً واحداً من كل من (محمد بن حاتم الهمداني) وقد أشار إلى أنه
في كتابه (العقد الثمين في أخبار ملوك اليمن المتأخرين) ⁽¹⁴³⁾ ومن النووي الحافظ في
كتابه الذي سماه (شرح النووي) ⁽¹⁴⁴⁾ ولعله كتابه المعروف (المنهاج شرح صحيح
مسلم بن الحجاج) ومن (الذوالي) من كتابه (طبقات الصالحين من أهل اليمن) ⁽¹⁴⁵⁾،
ومن الشيبيني في كتابه (الشرف الأعلى)⁽¹⁴⁶⁾ والصنعاني من كتابه (التكملة) ⁽¹⁴⁷⁾ .
ومن القاضي محمد بن عبد السلام الناشري في كتابه الموسوم بـ : (موجب دار
السلام في صلة الوليد والأرحام) ⁽¹⁴⁸⁾ . ومن الشريف أبو بكر العيدروس ⁽¹⁴⁹⁾ . ومن
الإمام علي بن أحمد الأصبحي في كتابه (الفتاوى) ⁽¹⁵⁰⁾ .

ثانياً : موارده من المؤلفات المعاصرة :

1- الأهدل (ت : 903 هـ) :

الشريف حسين بن الصديق بن حسين بن عبد الرحمن الأهدل ، وصفه تلميذه با
مخرمة بقوله : " شيخنا ، كان فقيهاً ، عارفاً بمتن الحديث " ⁽¹⁵¹⁾ ، درّس الحديث والفقّه
والنحو في جامع عدن ، وكتب عدداً من المؤلفات منها (تحفة الزمن) وهو " تاريخ
مختصر اختصره من تاريخ جده المختصر من تاريخ الجندي " ⁽¹⁵²⁾ .

اقتبس بامخرمة من شيخه (17) ⁽¹⁵³⁾ نصاً ، أشار في معظمها إلى أنها من
(تاريخه) ، وذكره بصيغة (شيخنا الأهدل ، الأهدل ، شيخنا الشريف حسين الصديق
الأهدل) وبلغظ (قال ، ذكر) .

2- أبو الطيب عبد الله بن أحمد بن علي الشهير بأبي مخرمة (ت : 903هـ) ،
قال عنه ابنه بامخرمة : " الإمام ، العالم ، العلامة ، البحر ، الفهامة والدي
وشيخي " ⁽¹⁵⁴⁾ .

صنّف عدداً من المؤلفات منها (النكت على جامع المختصرات) و (النكت على ألفية ابن مالك) في النحو وغيرها .

نقل بامخرمة من والده ثلاثة نصوص (155) ، أشار في واحد منها إلى أنه في (خطه) (156) ، وتضمن ضبط بعض الأماكن وشرح بعض الأسماء ، والآخرا تعلقاً بحكاية عن (جبل صيرة) ، وذكره بصيغة واحدة (شيخنا الوالد) وبلفظ (قال) .

3- العيدروس (ت : 914هـ) :

الشريف فخر الدين أبو بكر بن عبد الله بن أبي بكر العيدروس الصوفي الشاعر (157) ، نقل منه نصاً واحداً أثناء حديثه عن قرية (رباك) ، حيث ذكر أن الشاعر العيدروس ذكرها في أشعاره (158) .

ثالثاً : الخطوط :

يشكل الاقتباس في الخطوط أهمية تاريخية قيمة ، فعلى الرغم من اختلاف قيمة معلومات خط عن آخر من حيث الضبط ودقة النقل ، خصوصاً إذا كان صاحب الخط قد جمع معلوماته من خلال ما علقه عن شيوخه ، فإن هذه الخطوط غالباً ما تكون بعيدة عما يتعرض له النص من تحريف أو تصحيف ، وحتى السقط .

وقد عُني بامخرمة بالاقتباس والنقل من خطوط العلماء ، سواء من شيوخه المباشرين وطبقتهم ، أو من هم أقدم منهم . فقد نقل كما أشرنا سابقاً من خط (ابن كبن) ، ومن خط (والده) ، ومن جده (جمال الدين محمد بن مسعود أبو شكيل الأنصاري ، المتوفى سنة 871هـ) (159) ، ومن خط القاضي عبد العليم القماط ، " الذي نقله من خط تلميذه القاضي ابن كبن في إجازته " (160) . ومن خط (رضي الدين اليافعي) (161) ، ومن (محمد بن سعيد بن أحمد المذحجي) (162) ، ومن (محمد بن مسعود الأنباري الشافعي) (163) .

ومن الجدير بالذكر هنا ، أن معظم هذه الخطوط هي عبارة عن معاجم شيوخ (مشيخات) أو كما عبر بامخرمة باسم (ثبت) نحو قوله : " رأيت في ثبت القاضي

مجد الدين الصديقي بخط شيخنا القاضي محمد بن حسين القمطاط " (164) ، وقوله : " رأيت في ثبت شيخ المحدثين في عصرنا بالديار اليمنية عماد الدين يحيى العامري " (165) . ولا يخفى أن هذه المعاجم (الثبت) إلى جانب دقة معلوماتها فإنها تُعد من أنفس المصادر المعاصرة (166) .

رابعاً: المشاهدة والملاحظة والسماع :

شكّلت مشاهدات وملاحظات بامخرمة عنصراً إضافياً إلى مصادره التي اعتمد عليها ، وتظهر بشكل واضح في الجزء الأول في كتابه (167) ، فهو غالباً ما يورد ملاحظاته ومشاهداته على ما ينقله من مصادره ، فهو على سبيل التمثيل بعد أن نقل ترجمة (الحكم بن أبان) عن أبي سمرة ، قال : " ومسجده الذي يقف فيه في عدن هو مسجد أبيه الذي يُعرف عند أهل عدن بمسجد إبان ، وهو أحد مساجد عدن المشهورة " (168) ، وقوله في ترجمة (الزكي البيلقاني) : " ودفن بالقطيع ، وكانت عليه قبة عظيمة أركانها ، فهدمها بعض الولاة .. والآن عليه وعلى أهله حائط صغير " (169) ، وقوله في ترجمة (سعيد بن محمد الأشعري) : " .. ودخل عدن في أيام السلطان المجاهد علي بن طاهر وسكن بالقرب من بيت النقيب .. ودخلت عليه في ذلك البيت وأنا صغير... وكان آنذاك قد كبر وتقل سمعه " (170) .

إلى جانب ذلك كانت سماعاته ومساءلاته قد شكّلت أيضاً مصدراً مهماً لمعلوماته في كتابه ، فقد ذكر في ترجمة (محمد بن علي بن مياس) على سبيل التمثيل : " وسمعت العدول في عدن ينزهونه عما ينسب إلى غيره من الحكام " (171) .

وقوله : " وحدثني من أتق به عن الفقيه ... " (172) وغير ذلك من الألفاظ (173) .

الخاتمة:

لقد حاكى بامخرمة في كتاب (تاريخ ثغر عدن) من سبقه من المؤلفين لتواريخ المدن ، فقدمها للكتاب بمقدمة طبوغرافية وبيان خطتها ، وألحق به قسم لأعلامها وعلمائها مُبرِّزاً إنجازاتهم في شتى المجالات .

وعلى الرغم من أن بامخرمة قد اعتمد على مصدرين أساسيين عنيا بتراجم أهل اليمن ، إلا أنه استطاع أن ينوع في مصادره قدر الإمكان ، فقد أضاف إليهما مصادر أخرى منها خطوط العلماء والشيوخ، وفي كتب معاصريه أو قريبي العهد من عصره ، فضلاً على أنه وضع بصماته الواضحة على الكثير من معلومات مصادره سواء كانت في خطط المدينة أم في المعلومات عن المترجم لهم جاءت أغلبها من مشاهداته وملاحظاته وسماعاته .

لقد أظهرت الدراسة أن بامخرمة كان دقيقاً في نقله من مصادره ، فهو في الأغلب الأعم كان ناقلاً حرفياً أو ناقلاً مختصراً دون إخلال بطبيعة النص ومقوماته، معقياً أحياناً أو ناقداً أحياناً أخرى .

وختاماً ، إن هذه الدراسة هي محاولة للكشف عن القيمة التاريخية لكتاب (تاريخ ثغر عدن) ، مقدمة إياه كحلقة من حلقات الدراسات المتخصصة في مناهج المؤرخين وأساليبهم الكتابية .

الهوامش

- (1) انظر دراستنا (تاريخ ثغر عدن لأبي مخزومة : وجهة نظر جديدة ، مقدم إلى ندوة أوضاع عدن السياسية والاجتماعية والاقتصادية 856 هـ - 1254 هـ ، مركز البحوث والدراسات اليمنية - جامعة عدن / ديسمبر 2005 م .
- (2) انظر ما كتبه (O. Lofagren) في مقدمة كتاب تاريخ ثغر عدن ، 11 .
- (3) انظر روز نثال ، فرانز ، علم التاريخ عند المسلمين ، 206 - 235 .
- (4) انظر أشاراته وتعليقاته على بحيرة الأعاجم ، دار البندر ، دار السعادة ، لخبية ، وغيرها ، بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، 1 / 3 ، 11 ، 13 ، 14 ، 16 ، 22 ، 23 .
- (5) المصدر نفسه ، 2 / 123 .
- (6) المصدر نفسه والجزء ، 83 - 84 ، 181 .
- (7) المصدر نفسه والجزء والصفحات .
- (8) المصدر نفسه والجزء ، 255 .
- (9) بامخرمة ، قلادة النحر ، 1 / 5 - 6 .
- (10) بامخرمة ، النسبة إلى المواضع والبلدان ، 21 - 22 .
- (11) انظر الموسوي ، رعد ، مصدر سابق ، 3 - 4 .
- (12) بامخرمة ، تاريخ ، 1 / 1 .
- (13) انظر الموسوي ، رعد ، مصدر سابق ، 3 - 4 .
- (14) بامخرمة ، تاريخ ، 1 / 1 .
- (15) المصدر نفسه ، 2 / 4 .
- (16) المصدر نفسه ، والجزء ، 51 ، وانظر على سبيل التمثيل ، 47 ، 80 ، 113 ، 116 ، 165 ، 199 ، 202 ، 203 .
- (17) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 25 .
- (18) المصدر نفسه والجزء ، 71-72 ، وانظر على سبيل التمثيل ، 2 / 7 ، 15 ، 66 ، 98 ، 105 ، 117 ، 130 ، 201 .
- (19) المصدر نفسه والجزء ، 59 - 62 .
- (20) المصدر نفسه والجزء ، 139 وانظر على سبيل التمثيل 83 - 85 ، 101-107 ، 109 - 113 .
- (21) المصدر نفسه والجزء ، 7 ، 12 ، 16 ، 116 ، 117 ، 151 ، 155 ، 227 .
- (22) انظر الموسوي : د . رعد ، السبكي ومنهجه في كتابة طبقات الشافعية الكبرى ، 95 .
- (23) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 223 ، وانظر أيضا ، 237 ، 239 .
- (24) المصدر نفسه والجزء ، 173 وانظر أيضا 2 / 8-9 ، 19 ، 24 ، 37 ، 44 ، 69 ، - 70 ، 74 ، 139 ، 168 - 165 .
- (25) المصدر نفسه والجزء ، 188 وانظر أيضا ، 13 ، 18 ، 29 ، 67 ، 81 ، 124 ، 131 ، 158 .
- (26) المصدر نفسه والجزء ، 38 .

- (27) بامخرمة ، تاريخ 2 / 61 ، وانظر أيضا 17 ، 33 ، 55 ، 107 .
 (28) المصدر نفسه والجزء ، 62 .
 (29) المصدر نفسه والجزء ، 89 ، وانظر على سبيل التمثيل ، 3 ، 9 ، 11 ، 69 ، 7 ، 71 ، 78 ، 97 ، 107 .
 (30) المصدر نفسه ، 1 / 2 .
 (31) المصدر نفسه ، 2 / 61 .
 (32) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 18 ، 30 .
 (33) المصدر نفسه والجزء ، 183 ، 188 ، 193 .
 (34) المصدر نفسه والجزء ، 28 .
 (35) المصدر نفسه والجزء ، 91 .
 (36) المصدر نفسه والجزء ، 188 .
 (37) المصدر نفسه والجزء ، 171 .
 (38) المصدر نفسه والجزء ، 27 .
 (39) لاحظ ما نتره بامخرمة في هذا الشأن في كتابه قلادة النحر ، 5/1 وكتابه النسبة إلى المواضع والبلدان ، 22 .
 (40) أنظر على سبيل التمثيل بامخرمة ، تاريخ ، 1 / 2 ، 17 ، 23 / 2 ، 36 ، 58 ، 118 .
 (41) المصدر نفسه ، 2 / 93 .
 (42) المصدر نفسه والجزء ، 109 ، وانظر أيضاً 2 / 91 ، 116 وغيرها .
 (43) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 83 .
 (44) المصدر نفسه والجزء ، 235 .
 (45) المصدر نفسه والجزء ، 109 وانظر أيضاً ، 112 ، 120 .
 (46) انظر الموسوي : رعد زهراو مطشر ، السبكي ومنهجه في كتابة طبقات الشافعية الكبرى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، البصرة ، 1993 م ، 143-145 .
 (47) بامخرمة ، تاريخ ، 1 / 8 ، 19 ، 22 .
 (48) المصدر نفسه ، 2 / 118 ، 237 .
 (49) أنظر معروف : بشار عواد ، الذهبي ومنهجه في كتاب تاريخ الإسلام ، 427 .
 (50) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 2 .
 (51) المصدر نفسه والجزء ، 188 ، وانظر أيضاً ، 108 ، 180 ، 190 ، 238 .
 (52) بامخرمة ، تاريخ ، 1 / 4 .
 (53) المصدر نفسه والجزء ، 18 .
 (54) المصدر نفسه ، 2 / 99 ، وانظر أيضاً 1 / 2 ، 8 ، 28 ، 39 ، 50 ، 66 ، 90 ، 117 ، 123 ، 154 .
 (55) المصدر نفسه ، 1 / 3 .
 (56) المصدر نفسه والجزء ، 21 - 22 .
 (57) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 18 .

- (58) المصدر نفسه والجزء ، 67 .
- (59) المصدر نفسه والجزء ، 117 .
- (60) المصدر نفسه والجزء ، 61 .
- (61) وصفه الثلي بقوله : " علامة علماء الإسلام ، فهامة فقهاء الفضلاء العلماء ، مالك ناصية العلوم ، وحائز قصبة السيق في حلبة رهاتها " . السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر ، 349 .
- (62) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 22 .
- (63) المصدر نفسه والجزء ، 209 ، وانظر أيضاً 2 / 60 ، 67 ، 118 ، 152 ، 163 ، 187 .
- (64) المصدر نفسه والجزء ، 135 .
- (65) المصدر نفسه والجزء ، 193 .
- (66) المصدر نفسه والجزء ، 151 ، وانظر أيضاً 2 / 190 ، 192 ، 204 ، 235 .
- (67) المصدر نفسه والجزء ، 61 ، وانظر أيضاً ، 107 .
- (68) المصدر نفسه والجزء ، 33 ، وانظر أيضاً ، 123 .
- (69) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 81 - 82 .
- (70) المصدر نفسه والجزء ، 135 ، وانظر أيضاً ، 210 ، 233 ، 238 .
- (71) المصدر نفسه والجزء ، 38 .
- (72) المصدر نفسه والجزء ، 189 .
- (73) المصدر نفسه والجزء ، 109 .
- (74) المصدر نفسه والجزء ، 63 ، وانظر على سبيل التمثيل أيضاً 1 / 5-6 ، 8 ، 2 / 64 ، 96 ، 138 ، 155 ، 222 .
- (75) اليافعي ، مرآة الجنان ، 3 / 295 - 296 ، وانظر أيضاً ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 2 / 205 - 208 .
بامخرمة ، قلادة ، 2 / 2432 - 2434 .
- (76) أنظر مؤلفاته ، الزركلي ، معجم المؤلفين ، 7 / 268 .
- (77) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 7 ، 12 ، 13 ، 17 ، 46 ، 60 ، 61 ، 62 ، 70 ، 88 ، 128 ، 165 ، 183 .
- (78) المصدر نفسه والجزء ، 61 ، 183 .
- (79) المصدر نفسه والجزء ، 47 .
- (80) المصدر نفسه والجزء ، 43 .
- (81) الجندي ، السلوك ، 1 / 466 - 467 .
- (82) ابن الربيع ، قرّة العيون ،
- (83) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 6 ، 27 ، 64 ، 91 ، 98 ، 117 ، 118 ، 130 ، 135 ، 136 ، 152 .
- (84) المصدر نفسه والجزء ، 152 .
- (85) المصدر نفسه والجزء ، 130 .
- (86) سيد ، أيمن فؤاد ، مصادر ، 124 .
- (87) بامخرمة ، تاريخ ، 1 / 8 ، 10 ، 11 ، 12 ، 18 ، 19 ، 20 ، 22 ، 23 ، 20 / 2 ، 118 ، 237 .

- (88) انظر المصدر نفسه ، 1 / 19 ، 20 ، 22 ، 2 / 20 ، 118 .
- (89) المصدر نفسه ، 1 / 8 .
- (90) المصدر نفسه والجزء ، 10 - 11 .
- (91) المصدر نفسه والجزء ، 11 ، وانظر أيضاً 12 ، 17 ، 18 ، 20 .
- (92) المصدر نفسه والجزء ، 12 .
- (93) ذيل مرآة الزمان ، 4 / 150 ، وانظر ابن شاکر الکتبی، فوات الوفيات، 1 / 110 .
- (94) بامخرمة ، تاریخ ، 2 / 16 ، 24 ، 38 ، 165 ، 170 .
- (95) بامخرمة ، تاریخ ، 2 / 16 .
- (96) قارن المصدر نفسه والجزء ، 2 / 170 وابن خلکان ، وفيات ، 3 / 433 .
- (97) انظر سيد ، المصدر السابق ، 129 .
- (98) انظر ما كتبه الأکوع في مقدمة الجزء الأول من كتابه السلوك .
- (99) بامخرمة ، تاریخ ، 2 / 2 ، 5 ، 7 ، 9 ، 17 ، 18 ، 19 ، 20 ، 23 ، 24 ، 26 ، 43 ، 48 ، 52 ، 61 ، 68 ، 80 ، 89 ، 91 ، 96 ، 99 ، 100 ، 108 ، 109 ، 117 ، 126 ، 129 ، 131 ، 134 ، 135 ، 136 ، 151 ، 153 ، 156 ، 158 ، 165 ، 179 ، 180 ، 188 ، 189 ، 194 ، 197 ، 200 ، 201 ، 205 ، 218 ، 223 ، 229 ، 238 .
- (100) انظر بامخرمة ، تاریخ ، 2 / 81 - 82 .
- (101) انظر المصدر نفسه والجزء ، 9 .
- (102) السیوطي ، ذیل طبقات الحفاظ ، 247 ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، 3 / 426 .
- (103) قدم كل من السبكي وابن شاکر الکتبی قائمة بمصنفاته أحتوت مع فارق بينهما من 25 - 41 مصنف . السبكي ، طبقات ، 9 / 104 - 105 . ابن شاکر الکتبی ، فوات ، 3 ، 316 .
- (104) بامخرمة ، تاریخ ، 2 / 2 ، 63 ، 64 ، 83 ، 94 ، 100 ، 108 ، 117 ، 118 ، 130 ، 193 ، 230 ، 235 ، 237 ، 239 .
- (105) المصدر نفسه والجزء ، 2 ، 63 ، 64 ، 83 ، 108 ، 117 ، 118 ، 193 ، 237 .
- (106) المصدر نفسه والجزء ، 108 ، 237 .
- (107) المصدر نفسه والجزء ، 64 .
- (108) طبقات الشافعية ، 2 / 579 ، وانظر ترجمته ، الفاسي ، العقد الثمين ، 5 / 104 ، بامخرمة ، قلادة النحر ، 3 / 3469 . تاریخ ، 2 / 141 - 145 .
- (109) انظر الزركلي ، الأعلام ، 4 ، 72 عن مؤلفاته .
- (110) بامخرمة ، تاریخ ، 2 / 39 ، 78 ، 82 ، 93 ، 150 ، 156 ، 170 ، 174 ، 231 ، 238 .
- (111) المصدر نفسه والجزء ، 78 .
- (112) المصدر نفسه والجزء ، 109 .
- (113) المصدر نفسه والجزء ، 120 .
- (114) شذرات الذهب ، 4 / 97 ، وانظر أيضاً السخاوي ، الضوء اللامع ، 5 / 210 وعن كتبه انظر أيمن فؤاد سيد ، مصادر ، 161 - 162 .

- (115) بامخرمة، تاريخ ، 2 / 2 ، 7 ، 11 ، 15 ، 16 ، 21 ، 24 ، 30 ، 36 ، 51 ، 82 ، 95 ، 123 ، 186 ، 188 ، 190 ، 192 ، 194 ، 201 ، 209 ، 214 ، 218 ، 221 ، 224 ، 227 (على سبيل التمثيل)
- (116) انظر على سبيل التمثيل ، المصدر نفسه والجزء ، 30 ، 55 ، 64 ، 98 ، 104 .
- (117) المصدر نفسه والجزء ، 228 .
- (118) ورد النص كالآتي " ... كما ذكره الخزرجي نفسه في ترجمة المجاهد ، وفي تاريخه الكبير المرتب على السنين "
- (119) المصدر نفسه والجزء ، 4 .
- (120) المصدر نفسه والجزء ، 15 .
- (121) المصدر نفسه والجزء ، 81 .
- (122) ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، 4 / ، 199 ، وانظر أيضاً السخاوي ، الضوء اللامع ، 7 / 18 ، بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 199
- (123) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 200 .
- (124) المصدر نفسه والجزء ، 3 ، 7 ، 69 ، 78 ، 108 ، 109 ، 112 ، 116 ، 118 ، 131 ، 150 ، 228 .
- (125) المصدر والجزء ، 3 ، 69 ، 78 ، 108 ، 109 ، 116 .
- (126) بامخرمة ، قلاة ، 3 ، 3570 - 3571 ، وانظر أيضاً السخاوي ، الضوء اللامع ، 7 / 250 . البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، 331 - 333 .
- (127) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 14 ، 28 ، 92 ، 95 ، 116 ، 155 ، 223 ، 227 ، 233 ، 234 .
- (128) المصدر نفسه والجزء ، 14 ، 95 ، 116 ، 234 .
- (129) المصدر نفسه والجزء ، 92 .
- (130) المصدر نفسه والجزء والصفحة .
- (131) عن هذا الوباء انظر
- (132) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 14 .
- (133) المصدر نفسه والجزء ، 95 .
- (134) ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، 4 / 270 ، وانظر أيضاً ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، 15 / 533 .
- (135) عن مؤلفاته انظر شاكر عبدالمنعم محمود ، ابن حجر العسقلاني ، مصنفااته ومنهجه في كتابه الإصابنة، دار الرسالة، بغداد، 1978م .
- (136) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 64 ، 83 ، 108 ، 130 ، 193 ، 236 ، 237 ، 239 .
- (137) المصدر نفسه والجزء ، 67 ، 68 .
- (138) المصدر نفسه ، 1 / 12 ، 2 / 20 .
- (139) انظر عنه ، عمارة ، المفيد ، 349 .
- (140) بامخرمة ، تاريخ ، 1 / 4 ، 5 ، 6 .
- (141) بامخرمة ، تاريخ ، 1 / 2 ، 4 ، 5 . وعن السهيلي صاحب الروض الأنف انظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 12 / 198 - 202 . ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، 4 / 444 - 445 .

- (142) بامخرمة، تاريخ ، 2 / 154 ، 188 .
- (143) المصدر نفسه والجزء ، 83 .
- (144) المصدر نفسه ، 1 / 2 - 3 ، وهو الإمام محيي الدين يحيى بن شرف (ت : 651هـ) .
- (145) المصدر نفسه ، 2 / 78 ، وهو الإمام أحمد بن موسى المعروف بابن عجيل المتوفي سنة 690 هـ أو 691 هـ . انظر عنه السبكي ، طبقات ، 8 / 40 . الجندي ، السلوك ، 1 / 416 .
- (146) بامخرمة ، تاريخ 2 / 211 .
- (147) المصدر نفسه ، 1 / 21 وهو أبو الفضائل الحسن بن محمد الصنعائي النحوي ، ذيل على صحاح الجوهرية كتاب التكملة ، انظر عنه الجندي ، السلوك ، 2 / 404 .
- (148) بامخرمة ، تاريخ ، 1 / 6 .
- (149) المصدر نفسه والجزء ، 21 .
- (150) المصدر نفسه ، 2 / 11 .
- (151) بامخرمة ، قلادة ، 3 / 3691 ، وانظر العيدروس ، انوار السافر ، 27 - 30 .
- (152) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 213 .
- (153) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 2 ، 15 ، 30 ، 53 ، 58 ، 95 ، 180 ، 192 ، 199 ، 213 ، 220 ، 232 ، 236 .
- (154) بامخرمة ، قلادة ، 3 / 3689 . وانظر أيضاً السخاوي ، الضوع ، 4 / 8 . البريهي، مصدر سابق ، 337 .
- (155) بامخرمة ، تاريخ ، 1 / 17 ، 18 ، 2 / 66 .
- (156) المصدر نفسه ، 2 ، 66 .
- (157) انظر ترجمته ، بامخرمة ، قلادة ، 3 / 3705 ، العيدروس ، انوار السافر ، 481 .
- (158) بامخرمة ، تاريخ ، 1 / 21 .
- (159) نقل عنه نصان بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 39 ، 131 . وانظر ترجمته ، البريهي، مصدر سابق، 336 .
- (160) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 30 .
- (161) المصدر نفسه والجزء ، 28 ، والنص " وقفت في دفعة شرحه الذي بخطه " .
- (162) المصدر نفسه والجزء ، 219 .
- (163) المصدر نفسه والجزء ، 236 والنص " كذا وقفت عليه في سند الإمام محمد بن مسعود .. "
- (164) المصدر نفسه والجزء ، 53 .
- (165) المصدر نفسه والجزء ، 91 .
- (166) انظر معروف : بشار عواد ، معاجيم الشيوخ والمشايخ وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي ، مجلة الأعلام ، ع7 ، س5 ، بغداد ، العراق .
- (167) انظر على سبيل التمثيل بامخرمة ، تاريخ ، 1 / 16 ، 18 ، 20 - 21 ، 22 ، 23 ، 39 .
- (168) المصدر نفسه ، 2 / 64 .
- (169) المصدر نفسه والجزء ، 82 .
- (170) المصدر نفسه والجزء ، 92 .
- (171) بامخرمة ، تاريخ ، 2 / 223 .

- (172) المصدر نفسه والجزء ، 92 .
 (173) المصدر نفسه ، 1/ 32 ، 44 ، 47 ، 52 ، 2 / 53 ، 58 ، 213 .
 (174)

أولاً: المصادر:

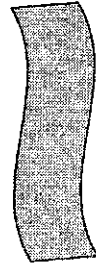
- الأسنوي ، جمال الدين عبدالرحيم (ت : 772هـ)
 طبقات الشافعية ، تحقيق عبد الله الجبوري ، ط1، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، 1970م .
 بامخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله (ت : 947هـ)
 تاريخ ثغر عدن ، نشره أوسكار لوفغرين ، دار التنوير ، بيروت ، ط1، 1986م .
 قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، تحقيق محمد يسلم عبد النور، إصدار وزارة الثقافة صنعاء ، 2004م .
 النسبة إلى المواضع والبلدان ، منشورات مركز الوثائق والبحوث ، أبوظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، 2004م .
 البريهي ، عبد الوهاب بن عبدالرحمن السكسكي (ت : حوالي 904 هـ) .
 طبقات صلحاء اليمن ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، ط2 ، 1994م، مكتبة الإرشاد اليمن
 ابن تغري بردي ، جمال الدين يوسف بن تغري بردي ، (ت : 874هـ) .
 النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر والطباعة، د . ت .
 الجعدي ، عمر بن علي بن سمرة (ت : 586 هـ) .
 طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، 1957م .
 الجندي ، أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت : 732 هـ) .
 الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ضبطه وصححه الشيخ عبد الوارث محمد علي ، القاهرة ، 1997م .
 ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم (ت 981 هـ) .
 وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، د . ت .
 الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت : 748 هـ) .
 تذكرة الحفاظ ، حيدر آباد الدكن - الهند ، 1957م .
 السبكي ، أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت : 771 هـ) .
 طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود الطناحي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
 السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت : 902 هـ) .
 الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، نشره حسام الدين الفسسي ، القاهرة ، 1355هـ .
 السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت : 911هـ)
 ذيل طبقات الحفاظ ، دمشق ، 1347 .
 ابن شاکر ، محمد بن أحمد بن شاکر الکتبی (ت : 764هـ) .
 فوات الوفيات ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة - بيروت 1974م .
 ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي (ت : 1089 هـ) .
 شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار المسير ، بيروت ، 1399هـ - 1979م .
 العبدروس ، محي الدين عبد القادر بن شيخ عبد الله (ت : 1045هـ) .

- النور السافر في أخبار القرن العاشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1985م .
 الفاسي ، تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي (ت : 822 هـ) .
 العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق محمود الطناحي وآخرون ، القاهرة ، 1958-1969م .
 ابن المجاور ، جمال الدين يوسف بن يعقوب (ت : 690هـ)
 صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر ، اعتنى بتصحيحه أوسكر لوفغرين ، دار
 التنوير ، بيروت ، 1407هـ / 1986 م .
 الياضي ، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي (ت : 768هـ)
 مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1970 م .
 اليونيني ، موسى بن محمد (ت : 762هـ) .
 ذيل مرآة الزمان ، المطبعة العثمانية - حيدر آباد الدكن ، 374هـ .

ثانياً: المراجع :

- روزنثال ، فرانز
 علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة د . صالح أحمد العلي ، بغداد ، 1963م .
 الزركلي ، خير الدين
 الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1965م .
 سيد ، فؤاد أيمن .
 مصادر تاريخ اليمن ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، 1972م
 شاكر ، د. مصطفى
 التاريخ العربي والمؤرخون ، دار العلم للملايين ، ط1 ، بيروت ، 1978 م .
 عبد المنعم ، د. شاكر محمود .
 ابن حجر العسقلاني ، مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة ، دار الرسالة ، بغداد ، 1978م .
 معروف ، د. بشار عواد .
 الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1976م .
 معاجيم الشيوخ والمشايخ وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي ، مجلة الأعلام العراقية ، ع7 ، س5 ، بغداد .
 الموسوي ، د. رعد زهراو .
 كتاب تاريخ نجر عدن ، وجهة نظر جديدة ، مركز البحوث والدراسات اليمنية ، جامعة عدن ، ندوة أوضاع عدن
 السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ديسمبر، 2005م .
 السبكي ومنهجه في كتابه طبقات الشافعية الكبرى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، البصرة ، 1993 .

الاستراتيجية السوفيتية وأمن الخليج العربي 1980-1985م



د. انور جاسب الطريف *

أ.د. كريوزغير اسبيود *

المقدمة

تكمن أهمية هذا البحث في استجلاء موقف بعض الصحف العربية والأجنبية والدوريات من الاستراتيجية السوفيتية وأمن الخليج العربي من عام 1980 - 1985 م ، كون هذا الموضوع لم تتناوله دراسات سابقة . حيث توغل الباحثان في مطالعة الصحف العربية والأجنبية وبعض الدوريات التي تناولت هذا الموضوع ، وركزا على بعض الاقتباسات لإعطاء الدارسين فائدة علمية عند دراستها ، والرجوع إليها لتسجيل الحقبة التاريخية التي تناولتها تلك المدة ، ولغرض توثيق المعلومات قام الباحثان بمحاولة استخدام بعض المصادر التي كتبت للمدة نفسها .

شهدت نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات متغيرات دولية وإقليمية كان لها تأثير متزايد على أهمية منطقة الخليج العربي ، كما تطلبت إعادة التفكير بمصالح الولايات

* جامعة ذمار - كلية الآداب - قسم التاريخ

* جامعة البصرة - كلية الدراسات التاريخية - قسم التاريخ

المتحدة الأمريكية في هذه المنطقة ، وصياغة سياسة جيدة لاحتواء الأثار المحتملة للتحديات الجديدة ، ومن أبرز تلك المتغيرات سقوط النظام السياسي في إيران عام 1979م ، والاحتلال السوفيتي لأفغانستان ، والحرب العراقية الإيرانية 1980م ، والنشاط السوفيتي في القرن الأفريقي . ومن أجل ترسيخ المصالح الأمريكية في المنطقة حددت الولايات المتحدة استراتيجياتها ضمن محاور أبرزها اعتبار منطقة الخليج ذات أهمية استراتيجية ، ومن الممكن أن تصبح هدفا للاتحاد السوفيتي بسيطرته على الأقاليم المجاورة لبعض مناطقها الآسيوية ، كما أصبح للاتحاد السوفيتي نوايا بعيدة الأمد بسبب غزوه لأفغانستان ، واعتبر الأمريكان ذلك تحدياً لأمن الخليج العربي ، ومن الضروري إيجاد تعاون أوثق مع أقطار الخليج العربي .

كما أخذت الولايات المتحدة الأمريكية في نظر الاعتبار حاجة العالم لنفط المنطقة وموقعها وأهميتها للحفاظ على توازن استراتيجي دولي ، وخلال ذلك ظهر مبدأ الرئيس الأمريكي جيمي كارتر G. Carter الذي أكد على ضرورة التدخل العسكري في منطقة الخليج العربي ضد تهديدات الاتحاد السوفيتي ، واعتمدت الولايات المتحدة لذلك سياسة الاحتواء التي استمرت حتى سقوط الدولة السوفيتية عام 1991م (1) .

وتتميز هذه المرحلة ببعض الاعتبارات التي تزيد من اهتمام السوفيت في الخليج العربي ، ومنها أن الاتحاد السوفيتي وغيره من دول الكتلة الشرقية ستكون معتمدة على نفط منطقة الخليج في المستقبل ، ثم قرب المنطقة من الاتحاد السوفيتي ، وهي ضعيفة من الناحية التكنولوجية ، ويمكن أن تصل إليها القوة السوفيتية برا وبحرا ، وتقع ضمن منطقة المصالح السوفيتية ، ولا بد أن تحتل إيران الأفضلية القصوى بالنسبة للتخطيط السوفيتي بسبب مجاورتها للخليج العربي والاتحاد السوفيتي والمحيط الهندي ، وكذلك زيادة اعتماد الدول الغربية على نفط الخليج ، وقد تظهر الخلافات بين الحلفاء ، أو أن المنطقة ستحتل أهمية كمنقطة لممارسة الضغط السياسي والنفسي ضد اليابان أو حلف شمال الأطلسي (2) .

وفي الجانب السياسي يرى السوفيت أن زيادة نفوذهم في الخليج سوف يسهل عليهم تحقيق الأهداف الحيوية جميعها في المنطقة وهي إزالة الخطر الغربي على أمنهم في الحصول على تسهيلات عسكرية ، ويساعدهم كذلك على تحقيق أهدافهم الاقتصادية وهي الحصول على نفط الخليج بأسعار مناسبة وترويج التجارة السوفيتية .

إن السياسة السوفيتية في العراق تتركز في الاعتبار الأمن والأمنية والسياسية والاقتصادية ، وهي ذات أهمية قليلة إذا ما قورنت بمصالح الولايات المتحدة والدول الغربية⁽³⁾ ، وإلى جانب ذلك قد يزداد النفوذ السوفيتي للمنطقة بسبب ضغوط سياسية وعسكرية للحصول على نفط المنطقة بشروط تفصيلية ، ومع ذلك فإن القوة العسكرية السوفيتية لم تشهد توسعا مماثلا للنفوذ السياسي ، كما أن مكانة الاتحاد السوفيتي في منطقة الخليج كانت مكانة غير مؤثرة .

هذا وقد كتبت بعض الدوريات عن التوجه السوفيتي إزاء منطقة الخليج العربي وعلاقة ذلك بالمشروع السوفيتي حول أمن الخليج ، فجريدة القبس كتبت في مقال لها عن النفوذ السوفيتي والمصالح السوفيتية ما تضمنه "إن موسكو تعزز نفوذها ووجودها العسكري في الخليج وتقاتل نل أبيب لأن الندم بدأ يساور السوفيت لأنهم قطعوا علاقتهم مع الكيان الصهيوني بعد حرب الأيام الستة ، كما أن السوفيت يريدون أن يلعبوا دورا في مؤتمر جنيف الخامس للسلام في الشرق الأوسط"⁽⁴⁾ ، بينما تحدثت جريدة الأنباء بالتفصيل حول تعزيز الوجود السوفيتي في المحيط الهندي وقال "إن من عوامل تزايد النشاط السوفيتي هو الوضع السياسي في إيران وأفغانستان وباكستان" ، وأضافت الجريدة تقول "إن الاتحاد السوفيتي يعزز نشاطه الجوي والبحري في المحيط الهندي والمناطق البرية المجاورة ، ونشر نشاطاته في المنطقة الممتدة من بحر العرب إلى مضيق هرمز والخليج العربي"⁽⁵⁾ ، أما جريدة عمان فكتبت في مقال لها ما نصه "إن الاتحاد السوفيتي يسعى لفرض نفوذه في القرن الأفريقي والبحر الأحمر والمحيط الهندي، ويستخدم وسائل وأساليب للوصول إلى الخليج العربي " ، واعتبرت الجريدة في

عدد آخر لها الاحتلال السوفيتي لافغانستان هو خطوة سوفيتية باتجاه الخليج ، وأن ما يسمى بمذهب بريجيف قد بدأ تنفيذه فعلا (6).

كما نقلت جريدة السياسة تحذير موسكو لواشنطن من قضية التدخل العسكري في الخليج أو المحيط الهندي ، لأن ذلك من وجهة النظر السوفيتية يتعارض مع مبدأ عدم استخدام القوة ، ومع جوهر المحادثات الدولية حول الحد من النشاط العسكري في منطقة المحيط الهندي (7).

ومن هنا جاءت مبادرة الرئيس السوفيتي ليونير بريجيف (L. U. Brichinev) لإعلان مشروعه حول أمن الخليج العربي في خطابه للولايات المتحدة والدول الغربية واليابان والصين .

وقد ذكرت جريدة الأنباء الكويتية بنود المشروع السوفيتي الذي تضمن :

1- احترام حق السيادة لدى منطقة الخليج على مواردها الطبيعية ، وعدم خلق أي عقبات أو أخطار على التبادل التجاري الطبيعي ، وعلى استخدام الطرق البحرية التي تربط دول هذه المنطقة بدول العالم الأخرى .

2- عدم استخدام أو التهديد باستخدام القوة ضد بلدان المنطقة ، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية .

3- الامتناع عن إقامة قواعد عسكرية في منطقة الخليج والجزر المتاخمة لها .

4- احترام وضع عدم الانحياز الذي اختارته المنطقة ، وعدم جرّها إلى التكتلات العسكرية التي تشارك فيها الدول النووية .

5- عدم وضع أسلحة نووية أو أية أسلحة أخرى للإبادة الشاملة في منطقة الخليج والجزر المتاخمة لها (8) .

هذا ورغم بعض التخطيطات الخليجية في الاستجابة للمشروع السوفيتي ، فإن الكويت رجعت بالمشروع ، ونقلت جريدة الأنباء التصريح الرسمي للحكومة الكويتية بصدد ذلك ، الذي جاء فيه "إن المشروع يرفض التدخل في الشؤون الداخلية لدول

المنطقة ، ويؤكد على إبعاد المنطقة عن الصراع الدولي ، ورفض الوجود العسكري فيها⁽⁹⁾ .

وأما المملكة العربية السعودية فلم توضح موقفها من المشروع السوفيتي ، واكتفت جريدة الرأي العام الكويتي بالتعليق على الرفض السعودي ، وبالإشارة إلى ذلك "إن السعودية طلبت من الاتحاد السوفيتي كأول خطوات حسن النوايا إزالة العدوان على أفغانستان ، البلد المسلم ، والانسحاب منها ، لأن ذلك لا يتفق مع المبادئ والمثل والمعايير الدولية" ، وأضافت الجريدة إلى قولها أن السعودية ترفض إعطاء تسهيلات لدول أجنبية على أراضيها ، وأن مصلحة العالم إبعاد المنطقة عن التوتر والصراعات الدولية ، وأنها لا تسمح بإقامة قوى عسكرية أجنبية في المنطقة⁽¹⁰⁾ .

وعن موقف أقطار الخليج من المشروع السوفيتي ، اكتفت جريدة نيويورك تايمز بالإشارة إلى "أنه لم يظهر موقف خليجي واضح تجاه المشروع ، وأن هناك تحفظات تجاه المشروع والرد عليه"⁽¹¹⁾

موقف الأقطار العربية الخليجية من أمن الخليج العربي في الصحف والدوريات العربية والأجنبية

أولت بعض الدوريات العربية والأجنبية في مقالات تضمنت تحليلات فكرية وسياسية اهتماما بموقف أقطار الخليج من أمن الخليج العربي وهي البحرين وسلطنة عمان والكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة وقطر .

وقد كشفت دراسة المقالات الافتتاحية ، وبعض المقالات السياسية لمعظم الدوريات العربية التوجهات القومية لها ، التي عبرت عن مدى تطور مستوى الاهتمام بالموضوعات الوطنية والقومية .

ولقد أكدت أقطار الخليج العربي في نظرتها إلى أمن الخليج العربي على مسألتين هامتين : أولهما مسألة الاستقرار السياسي في الخليج والعلاقات بين أقطار الخليج نفسها أو علاقتها مع إيران ، وثانيهما مسألة الملاحة البحرية في الخليج العربي ومضيق

هرمز، وقد بدأ موقف أقطار الخليج واضحا إزاء هاتين المسألتين مما طرحه ممثلوا هذه الأقطار في مؤتمر الأمم المتحدة الثالث لقانون البحار الذي عقد في كاراكاس عام 1974م⁽¹²⁾.

البحرين

إن موقف البحرين من أمن الخليج العربي ومشاريعه لا تختلف عن موقف أية دولة خليجية عربية، فهناك قناعة مشتركة تقوم على مبدأ ثابت يقول أن المنطقة مسألة خاصة بأقطارها التي بمقدورها حماية هذا الأمن والحفاظ عليه.

ونظرية البحرين إلى أمن الخليج تتحدد في الواسع بعوامل أبرزها: التهديد الإيراني للبحرين وسيادته على أراضيها، وقد كشفت جريدة صوت أخبار الخليج موقف البحرين من أمن الخليج ومشاريعه، وكتبت في مقال لها "إن سياسة البحرين تركز على قضية مهمة على المستوى الخليجي هي قضية استقرار الأوضاع الإقليمية والمحلية، مع الأخذ بنظر الاعتبار ضرورة أن يكون هناك تفاوت في الاجتهادات الخاصة المتعلقة بالأوضاع ذات الصلة المحلية البحتة، بشرط أن لا يتوخ العمل بهذا المفهوم إلى حد توفير مناخات العبث والفوضى والاضطراب حتى لا تنتشر من خلاله وعبر الأقطار الإقليمية والدولية التي تنتظر فرصة ملائمة للانقضاض".

وأضافت الجريدة قائلة "إن البحرين ترى أن أمن الخليج هو من اختصاص دول المنطقة وحدها، وأن صراع القوتين الأعظم يهدد الأمن من أجل نفوذها على المنطقة"، وأكدت الجريدة على أن مهمة حماية المنطقة تقع على دولها، وإبعاد أن هناك إمكانية وجود خطر داخلي مع توفير حد أقصى من التنسيق الدفاعي⁽¹³⁾.

كما نقلت مجلة ألف باء تصريح وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء في البحرين جواد سالم العرفي حول موقف البحرين تجاه نظرة العراق إلى المشروع العماني، وجاء فيه "إن موقف العراق من الخليج واقعة ينسجم مع موقفنا، وإن العراق يشجب بصورة مستمرة أي تدخل من خارج المنطقة لغرض الأمن عليها"⁽¹⁴⁾.

سلطنة عُمان

يختلف موقف سلطنة عمان عن مواقف أقطار الخليج الأخرى ، وقد توضح ذلك من خلال التصريحات التي أدلى بها بعض المسؤولين العمانيين ، ومن خلال المشروع الذي طرحته السلطنة ، الذي عرف بالمشروع العماني لأمن الخليج .

وقد تأثر الموقف العماني ببعض العوامل أبرزها الروابط القوية القائمة بين الولايات المتحدة الأمريكية وسلطنة عمان ، ومواجهة السلطان قابوس لمشاكل داخلية في مقدمتها الثورة في إقليم ظفار ، وكذلك الوضع الجغرافي لسلطنة عمان كدولة مطلة على مضيق هرمز الحيوي ، الذي يقع جزء منه ضمن المياه الإقليمية للسلطنة ، وقد تمسكت سلطنة عمان فيما يتعلق بالملاحة البحرية في مضيق هرمز بقاعدة المرور البري الذي يمنح عمان بوصفها دولة مطلة على مضيق هرمز الحق في التدخل في حركة الملاحة البحرية عبر المضيق في حالة معينة⁽¹⁵⁾ .

لقد كتبت بعض الدوريات العربية عن موقف سلطنة عمان من أمن الخليج ، ولم توضح بعض الدوريات وجهة نظرها من الموقف العماني ، بل اكتفت بنشر بعض التصريحات الرسمية للمسؤولين العمانيين ، فجريدة صوت أخبار الخليج ذكرت في مقال لها "إن عمان ترى أن مصالحها الأساسية تقوم على مبدأ التنسيق والتعاون مع جميع أقطار الخليج العربي ، وتعتبر ما يحدث في هذا الجزء من منطقة الخليج ينحسب بدوره على الجميع ، وقد أعطت المصادقة الجغرافية لعمان فرصة السيطرة على مضيق هرمز الحيوي"⁽¹⁶⁾ .

أما جريدة الوطن فقد نشرت نص المقالة التي تمت بين الجريدة وبين السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان حول المشروع العماني لأمن الخليج العربي خاصة والأمن الإقليمي عامة ، ففي بداية مقالها أوضحت الجريدة اسباب إهتمام عمان بأمن الخليج العربي ، واحتلال السياسة العمانية حيزا كبيرا من منطقة الخليج العربي ، وارجعت ذلك إلى اتساع الرقعة الجغرافية للسلطنة وكثافة سكانها وامتداد الساحل

العماني لأكثر من 1700 كم ، ووجود مضيق هرمز ضمن الأراضي أوالمياه الإقليمية العمانية ، وخلافاً سلطنة عمان المزمنة مع جمهورية اليمن الديمقراطية السابقة ، والموقع الاستراتيجي الذي تمثله لها بالنسبة لشطري اليمن والمملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة وإيران ، كما ذكرت الجريدة أجوبة السلطان على مجموعة من الأسئلة وجهت إليه حول أمن الخليج العربي ، ومما قاله السلطان قابوس : "إن التركيز على أمن الخليج أصبح واضحاً ، وتزيد أبعاد المنطقة عن الصراعات الدولية ، وإيجاد قاعدة صلبة للتفاهم السياسي، والاعتماد على قوتنا الذاتية ورغم ضخامة الثروات المالية والنفطية التي يتمتع بها العالم العربي ، إلا أنها لم تتحول إلى قوة اقتصادية مؤثرة ، وقد وضع مؤتمر الطائف الأسس الأولية لنص أكبر وتفاهم أشمل" ، وتطرقت الجريدة في نهاية مقالها إلى موقف السلطان قابوس من المشروع العماني والدول الأجنبية ، وذكرت الجريدة أن السلطان أكد على "أن الملاحاة قد تتعرض لصعوبات في مضيق هرمز ، والمطلوب الحفاظ على هذا الممر الحيوي، وأن الدول الصناعية الكبرى تدرب كوادر من الدول النامية فلماذا لا يساعدوننا بالمال" (17) .

ولقد كشفت جريدة نيويورك تايمز تحمس السلطان قابوس للحصول على المساعدات الأجنبية ، مما يفسح المجال للتدخل الأجنبي عندما اعتبر الولايات المتحدة أقوى قوة في العالم تمنع التدخل السوفيتي في شؤون المنطقة ، وأن مستقبل الخليج العربي سيكون محقوفاً بالمخاطر إذا لم تقف الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي خوفاً على مصالحها ومصالح حلفائها (18) .

أما جريدة السياسة الكويتية فقد أكدت في مقال لها على أن "اقتراح إقامة خطة دفاعية طارئة تشترك فيها الدول المنتجة للنفط والدول المستهلكة له هي من عمل السلطان قابوس لحماية مضيق هرمز من أعمال التخريب كما تحتاج عمان لمساعدة الغرب في إقامة شبكة رادار متطورة وغير ذلك من أجهزة الرقابة لحماية مدخل الخليج" (19) .

هذا وقد أرجعت جريدة الفاروبان البريطانية إصدار السلطان قابوس لمشروعه حول أمن الخليج إلى عدة عوامل أبرزها توقيع معاهدة بين الاتحاد السوفيتي واليمن الجنوبي ،

وهي تفوق أية معاهدة تم توقيعها بين الاتحاد السوفيتي وأية دولة عربية في الماضي لأنها تؤكد على تعاون عسكري ومنظمة دفاع آسيوية ، ثم أنهت الفاروبان مقالها بالقول "إن المملكة العربية السعودية وعمان تشعران بالقلق الشديد إزاء هذه التطورات ، بل إن دولا بعيدة عن المنطقة مثل مصر أعربت عن قلقها وترى هذه الدول أن المعاهدة مقدمة لمد النفوذ السوفيتي في جنوب شبه الجزيرة العربية لتعويض ما فقده الاتحاد السوفيتي في الشمال" (20) .

وفي مقال تحليلي ربطت جريدة الرأي العام الكويتي بين المشروع العماني وموقف عمان تجاه أمن الخليج ومبادرة الرئيس المصري أنور السادات مع الكيان الصهيوني ، وقالت "إن وقوف عمان إلى جانب السادات في مبادرته السلمية مع الكيان الصهيوني قد يعزز احتمالات قيام عمليات إرهابية ، وتزيد من صعوبة تدخل الدول العربية المحافظة لمساعدة نظام السلطان قابوس بصورة علنية ، وأن المبادرة المصرية مع الكيان الصهيوني قد شجعت السلطان قابوس على إعلان مشروعه" (21) .

أما مجلة نيوزويك الأمريكية فقد كتبت مقالا أوضحت فيه النشاط الأمريكي في عمان بعد صدور المشروع العماني وسياسة عمان تجاه أمن الخليج ، إذ قالت "إن وفدا عسكريا أمريكيا من عشرة رجال وصل إلى مسقط لتقييم حاجات السلطنة الأمنية ، وبلغت قيمة المشتريات العمانية من الأسلحة الأمريكية مبلغ (100) مليون دولار" (22) ، ومن هنا يتضح أن الولايات المتحدة وعمان تعملان معا لتنفيذ مشروع حماية مضيق هرمز ، وأن عرض هذا المشروع من قبل السلطان قابوس على دول المنطقة الهدف منه سكوته وليس شيئا غير ذلك .

كما وقعت عمان كما تقول جريدة الهيرالد تريبون الأمريكية مع الولايات المتحدة اتفاقيات اقتصادية وعسكرية ، الغاية منها حصول الأخيرة على تسهيلات عسكرية خاصة في ميناء مسقط ، وفي القاعدة الجوية في جزيرة مصيرة ذات الموقع المهم (23) . وفيما يتعلق بموقف عمان من المبادرات الإيرانية حول أمن الخليج العربي التي سبق أن أشرنا إليها ، فقد أكدت جريدة الوطن دعم عمان لتلك المبادرات التي رفضتها أقطار

الخليج العربي ، وقالت "إن سلطنة عمان وحدها من بين الدول العربية المطلقة على الخليج وافقت على المشروع الإيراني كون القوات الإيرانية كانت متواجدة في ظفار ، وساهمت في سحق الثورة الشعبية لتحرير عمان" (24) .

الكـويت

إن موقف الكويت من أمن الخليج يختلف أيضا عن مواقف أقطار الخليج الأخرى، ففي كل مرة تستدعي فيه الظروف اتخاذ موقف ما ، وتتحرك الدبلوماسية الكويتية للتشاور والتنسيق مع بلدان الخليج العربي الأخرى ، وتحاول الالتزام بمنهج عمل سياسي يحقق المزيد من القوة للصف العربي ، هذا من جهة ومن جهة أخرى نلاحظ أن الكويت تحاول في معظم الأحيان ربط موقفها من أمن الخليج بالمشاكل الحيوية القائمة بينها وبين العراق (25) .

وعن موقف الكويت من أمن الخليج والأحلاف العسكرية ، كتبت جريدة الاتحاد في مقال لها مؤكدة رفض الكويت للأحلاف الأجنبية ، وقالت في مقالها "إن الكويت ترفض مشاريع الدفاع المشتركة في الخليج تشترك فيها أمم أجنبية ، هذا على لسان وزير دفاعها سالم الصباح ، ولا تؤيد التدخل الأجنبي في أمن الخليج بأي شكل من الأشكال" (26) .

أما جريدة السياسة فقد علقت على موقف الكويت من أمن الخليج بقولها "إن الكويت ترفض الأحلاف العسكرية ، وتشجب قيام كتلات لأنها لا تتسجم مع السياسة الكويتية ، ولأنها تؤدي إلى بروز مخاطر على أمن الخليج" (27) .

كما نشرت مجلة أخبار دبي ، وجريدة السفير اللبنانية تصريح وزير خارجية الكويت في مجال تطرقه إلى الخطوة الأمنية في الخليج بقوله : "إن جميع الدول الخليجية رفضت الاتفاقيات العسكرية التي من شأنها أن تؤدي إلى وجود قوات أجنبية في المنطقة" ، ثم اشارت تلك الدوريات إلى جملة أمور طرحها المسؤول الكويتي حول مسألة أمن الخليج والمشاريع المطروحة حوله ، وأبرزها أن دول الخليج تدرس إمكانية

تشكيل اتحاد فدرالي فيما بينها مستلهمة النموذج الأمريكي ، وأن الكويت ترفض الاتفاقيات العسكرية التي من شأنها أن تؤدي إلى وجود قوات أجنبية في الخليج ، كما أن العراق والقوات المسلحة لدول الخليج قادرة على ضمان أمن مضيق هرمز⁽²⁸⁾ .

قطر

لا شك أن لقطر اهتمامات بأمن الخليج العربي ، وتدعو قطر كالكويت والمملكة العربية السعودية إلى إيجاد مساعدة للتعاون الاقتصادي والعسكري لحماية أمن المنطقة، وتؤكد أن المنطقة تكون بعيدة عن مخاطر التدخل الأجنبي إذا حصل تنسيق وتعاون بين جميع الدول للتصدي لها .

ولقد كشفت مجلة صدى الأسبوع موقف دولة قطر تجاه أمن الخليج العربي ومشاريعه ، وخاصة المشروع الصحافي بإشارتها إلى تصريح أمير دولة قطر الذي جاء فيه "نحن أمام خيارين فنحن إما نقبل بما هو قائم ومعناه نكون محط أنظار الدول الكبرى ، وإما نرفض وجودنا عن طريق تقوية أنفسنا وتوحيد جهودنا لخلق تيار موحد، وأن الهدف الأساسي من موضوع الأمن أن نحمي ثرواتنا من العبث"⁽²⁹⁾

كما أكدت مجلة الوطن العربي في مقال لها على أن المسؤولين في قطر أكدوا على مسألة التعاون الاقتصادي بين دول المنطقة ، وأشارت إلى تصريح وزير الدولة القطري للشؤون الخارجية بصدد ذلك ، إذ قال : "نحن في الخليج جميعا أحوج ما نكون إلى حصر إمكاناتنا وجهودنا كلها في نطاق التنمية والتطوير لصالح شعوبنا على أساس الاحترام المتبادل وحسن الجوار بمعزل عن أي تدخل أجنبي"⁽³⁰⁾ .

دولة الإمارات العربية المتحدة

دولة الإمارات العربية المتحدة هي الأخرى لها إهتماماتها بأمن الخليج ، وهي تسعى في إطار إدراكها لمواجهة التحديات ولحماية أمنها الوطني إلى بناء قاعدة ارتكازية في علاقاتها التسليحية والعسكرية والاقتصادية ؛ فروابطها الأساسية هي مع أقطار الخليج .

إن نظرة متفحصة تكشف عن مجموعة من الاعتبارات التي تؤثر على موقف دولة الإمارات العربية المتحدة من أمن الخليج ، أبرزها احتلال إيران للجزر الثلاث (طنب الكبرى ، طنب الصغرى ، أبو موسى) ، والهجرة الواقعة التي تمثل خطراً على عروبة الدولة وبنيتها السياسية والاجتماعية ، والخلافات الداخلية بين الإمارات ، ومع ذلك فإن دولة الإمارات العربية ترى أن استقرار الخليج موضوع يمثل مكانة بالغة الأهمية في التقدير إذا وصل إلى مرحلة الاحتياج الحيوي الاستراتيجي لشعوب المنطقة ، الذي بدونها لا تستطيع شعوب المنطقة حماية نفسها وثرواتها التي يتنافس الشرق والغرب على السيطرة عليها والتحكم فيها بشتى الوسائل ، و يمكن تلخيصها بمعاييرين التطويق من الخارج والإثارة من الداخل .

ولقد كشفت جريدة السفير في مقال لها بصدد الوضع في الإمارات العربية وموقفها من أمن الخليج العربي بقولها "إن دولة الإمارات العربية المتحدة أصدق مثل على ضعف الروح الوجودية لدى حكام الخليج لأن الإمارات متحدة فقط بالاسم والعلم والنشر ذلك فهي وحدوية في تصريحاتها ، ليست فقط على المستوى الإقليمي بل على المستوى القومي" .

وأضافت الجريدة نقول "إن ما صرح به الشيخ زايد بن سلطان رئيس الدولة بتأكيدهِ على رفض التدخل الأجنبي دليل على أن الدولة تريد أن تقوم بدور أكثر فاعلية وإيجابية حول أمن الخليج ، وتقوم بتقوية مكانتها في المنطقة والتصدي للمطامع الأجنبية"⁽³¹⁾ .

أما جريدة اليمامة السعودية فقد أشارت في مقال لها إلى ما تضمنته تصريحات الشيخ زايد بصدد أمن الخليج ، التي أكد فيها على ضرورة تقوية الروابط والعلاقات بين الدول العربية القائمة على حسن الجوار ، وأن الأمن في تعاون الأمة العربية وتضامنها مع بعضها بعضاً ، ورفع مستوى تقاسم الأعباء والمسؤوليات بين دولها وإقامة علاقات متوازنة ورفض الأحلاف والتكتلات العسكرية⁽³²⁾ .

الخاتمة

على ما عرضت من معلومات في هذه الدراسة يعتقد الباحثان أن الاستراتيجية السوفيتية وأمن الخليج العربي التي تناولتها الصحف العربية والأجنبية وبعض الدوريات، تكمن فيما يأتي :

1- أن أبرز الخلافات بين الأقطار العربية الخليجية حول أمن الخليج العربي هو الخلاف في وجهات النظر حول من يهدد أمن الخليج العربي ، فبعض الأقطار ترجعه إلى التهديد الخارجي ، بينما تعتبره أقطار أخرى تمثيل في المعارضة الوطنية في الداخل .

2- أن من أبرز العوامل التي وضعت الاتحاد السوفيتي السابق في الاهتمام بأمن الخليج العربي هي استغلال السوفيت للعواطف المضادة للولايات المتحدة الأمريكية والغرب في المنطقة ، والرغبة في إقامة علاقات قوية مع بعض الأقطار العربية الخليجية ، والشعور بالحاجة - أي حاجة الاتحاد السوفيتي - والكتلة الشرقية المتزايدة من النفط، وبخاصة نفط الخليج العربي في المستقبل .

3- هناك مسؤولية مشتركة لكل أقطار الخليج العربي للحفاظ على أمن الخليج ، والمحافظة على وحدة الأمن العربي في معارضة مخططات دول غير عربية ، وإيجاد مناخ سياسي يؤمن بجدوى التعاون العربي ، كذلك على أقطار الخليج العربي الابتعاد عن اتخاذ مواقف تهدد التضامن العربي ، ومقاومة قيام أي دولة أجنبية بأي دور في الأمن الإقليمي للمنطقة .

4- لقد استبعدت معظم الدوريات في أسلوبها إلى حد ما الأسلوب المحاسبي العاطفي ، والتزمت بعضها الأسلوب الموضوعي العقلاني ، وتعاملت مع الأحداث وقت وقوعها ، كما استخدمت معظم الدوريات في جمع مادتها الأساليب والطرق التي تتبع في الدراسات العلمية منها ذكر تاريخ نقل المعلومات ، وطريقة الاقتباس من صحف أخرى ، مع ذكر تاريخ صدور الصحيفة ، يضاف إلى ذلك أن معظم

الدوريات ربطت في متابعتها الأحداث بالوضع الدولي بطريقة ضمنية أحيانا أو بطريقة صريحة أحيانا أخرى ، وقد ورد هذا المنهج في معظم الدوريات .

المصادر والهوامش

- (1) The New York Times, October 23 , 1980; وانظر للمقارنة : مركز الخليج للدراسات العربية ، الشارقة ، التقرير السياسي ، العدد 2 ، ايلول 1980م ، ص
- (2) The Wall Street Journal, March 2 , 1969. Protectuity U. S Interests in the Arab gulf region, Deabrtment of state Baucitine, May, 1980, P.63f.
- (3) اللواء الركن حسن البدوي ، الولايات المتحدة ومشاكل أمن الخليج العربي ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، 1979م = ص 171 وما بعدها ؛ وانظر : إسماعيل صبري مقلد ، الاستراتيجية والسياسة الدولية ، المفاهيم والخصائص الآتية ، بيروت ، 1979م ، ص83 ؛ وانظر أيضا : Allanfin R. D., Soviet Policy in the Arab Gulf. (4) جريدة القيس الكويتية ، العدد 4294 ، 27 نيسان 1979م . (5) جريدة الأنباء الكويتية ، العدد 1193 ، 25 نيسان 1979م . (6) جريدة عمان (عمان) ، العدد 523 ، 12 حزيران 1979م . (7) جريدة السياسة الكويتية ، العدد 3964 ، 10 تموز 1979م ؛ وانظر للمقارنة : U. S. Congress, House of Represent (ve5)Hearing and Military posture, 96th cong, 1st Session, Washington 1977, pp.379 – 380, Arthur J. Kley. Khoffer, The Soviet Union and International Oil Polities, New York, 1977, pp.110 – 120. (8) جريدة السياسة الكويتية ، العدد 1783 ، 11 كانون الأول 1980م . (9) جريدة الأنباء الكويتية ، العدد 1794 ، 22 كانون الأول 1980م . (10) جريدة الرأي العام الكويتية ، العدد 6150 ، 24 كانون الأول 1980م . (11) The New York Times, December 26 , 1980. (12) R. K. Ramazani, The Arab Gulf and the strait of Hermer, The Nethe Rland, 1979, p82ff. (13) جريدة صوت أخبار الخليج (البحرين) ، العدد 6068 ، 8 يب 1979م . (14) مجلة ألف باء العراقية ، العدد 574 ، 26 أيلول 1979م ، ص 6 – 7 . (15) Rhalifa, op. cit., pp. 12 – 13 ; وللإطلاع على مفهوم المرور البري في القانون الدولي ، أنظر : محمد سعيد الخطيب ، القانون والحق العربي في منع الملاحة (الاسرائيلية) في المياه الإقليمية العربية ، بغداد ، 1979م ، ص359 . (16) جريدة صوت أخبار الخليج ، العدد 1089 ، 19 آب 1979م . (17) جريدة الوطن الكويتية ، العدد 1832 ، 16 تشرين الثاني ، 1979م . (18) The New York Times, November 20, 1980 . (19) جريدة السياسة الكويتية ، العدد 4072 ، 3 تشرين الأول 1980م . (20) The Quardion (London), February 12, 1980. هناك معلومات مفيدة عن سباق التسلح في المحيط الهندي والتنافس الدولي ، أنظر : Terrence A-Vali, poetics of the Indian ocean, The Balance of power New York – 1976 .

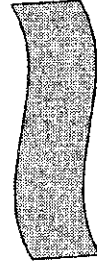
- (21) جريدة الرأي العام (الكويت) ، العدد 5778 ، 7 كانون الأول 1980م .
- (22) News Week, December 21, 1980.
- (23) Herald Tribune, April 23, 1980.
- (24) جريدة الوطن الكويتية ، العدد 1816 ، 28 تشرين الأول 1979م .
- (25) مجلة الرسالة (الكويت) ، العدد 860 ، 21 تشرين الأول 1979م ، ص 4 - 5 .
- International Middle East, January 1, 1976, pp.20 - 22
- (26) جريدة الاتحاد (أبو ظبي) ، العدد 2463 ، 23 أيلول 1979م .
- (27) جريدة السياسة الكويتية ، العدد 3185 ، 22 نيسان 1979م ؛ وانظر أيضا :
- نصريح وزير الدفاع الكويتي بصدد ذلك في : مجلة اليقظة الكويتية ، العدد 624 ، 4 تشرين الأول 1979م ، ص 6.
- (28) م
- (29) جلة أخبار دبي ، العدد 43 ، 10 تشرين الثاني 1979م ، ص 10 ، 12 ، جريدة العرب (قطر) ، العدد 1790 ، 29 تشرين الأول 1979م .
- (30) مجلة صدئ الأسبوع (بيروت) ، العدد 298 ، 24 شباط 1976 ، ص 8 .
- (31) مجلة الوطن العربي (باريس) ، العدد 107 ، 2 - 8 آذار 1970م ، ص 7 .
- (32) جريدة السفير اللبنانية ، العدد 1990 ، 4 تشرين الثاني 1979م .
- (33) جريدة اليمامة (السعودية) ، العدد 573 ، 26 تشرين الأول 1979م .

الصراع على ذمار

بين الزيدية والظاهرية

في عهد السلطان الظاهر عامر بن طاهر

من سنة 858 هـ / 1454 - 1465 م



د. محمد أحمد طاهر الحاج *

أولاً: الزيدية التسمية ودخولها اليمن

الزيدية: فرقة من الشيعة، وتنسب إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الذي خرج في خلافة هشام بن عبد الملك حتى قتل سنة 122هـ / 740م ثم انتشرت هذه التسمية عن طريق تلامذته وأولاده الذين تفرقوا في البلدان خوفاً من بني أمية (1).

وللزيدية نظرة مختلفة عن باقي فرق الشيعة، خاصة في مسألة المعارضة للحاكم، فقد تبنت مبدأ (الخروج عن الحاكم الظالم بالسلاح)، مما جعلها أكثر فرق الشيعة علانية وصراحة (2)، والحقيقة أن مبدأ الخروج عن الحاكم الظالم مبدأ من مبادئ الإمامة عند الزيدية جعلت الكثير منهم يتعرض للاضطهاد و السجن والقتل طوال العصرين الأموي و العباسي و ما بعدهما. (3).

* جامعة ذمار - كلية الآداب - قسم التاريخ

دخول الزيدية اليمن:

إن أول من دعا إلى مذهب الزيدية في اليمن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم، الذي يُعد مؤسس الدولة الزيدية في اليمن إثر خروجه الثاني إلى اليمن سنة 284هـ/ 897م⁽⁴⁾، ومنذ مجيء الهادي إلى اليمن وتأسيس دولة زيدية قاعدتها صعدة⁽⁵⁾، أستطاع من خلالها إظهار مذهب الزيدية باليمن وتعاقب عليها عددٌ من الأئمة عارضوا حكم الدويلات المستقلة (آل يعفر، الصليحيون، بنو حاتم، بنو مهدي، بنو أيوب، بنو رسول، بنو طاهر)، فكانت دولتهم تمتد لتسيطر على معظم اليمن وأحياناً تتكمش إلى دولة صغيرة في الشمال، وذلك بحسب الظروف السياسية في البلاد ومدى قوة الدولة القائمة آنذاك⁽⁶⁾، واستمرت دولة أئمة الزيدية بين ضعف وقوة حتى تمكنوا من السيطرة على اليمن في عهد أسرة آل القاسم - من سنة 1006 - 1382هـ / 1597 - 1962م - التي تم إسقاطها بقيام الجمهورية و إلغاء الإمامة رسمياً في 26 سبتمبر 1962م⁽⁷⁾.

ثانياً: قيام الدولة الظاهرية في اليمن من سنة 858 - 923هـ / 1454-1517م.

قامت دولة بني طاهر سنة 858هـ/1454م على أنقاض دولة بني رسول، وكان أول من استقل بملك اليمن من بني طاهر الأخوان علي بن طاهر بن تاج الدين الذي لُقّب بالملك المجاهد، وعامر بن طاهر بن تاج الدين الذي لُقّب بالملك الظافر⁽⁸⁾، وكان قيامها رسمياً حينما دخل الأخوان المجاهد والظافر مدينة عدن⁽⁹⁾، وخرج منها الملك المسعود الرسولي هارباً إلى زبيد⁽¹⁰⁾، ومنها إلى مدينة حيس⁽¹¹⁾ التي أعلن فيها خلع نفسه سنة 859هـ/1455م، فسار الملك الظافر عامر بن طاهر إلى زبيد، ودخلها دخولاً معظماً وخطب له على منابرها في 12 ذي الحجة من السنة نفسها، فكان ذلك إيذاناً بنهاية دولة بني رسول وقيام دولة بني طاهر⁽¹²⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن بني طاهر ورثت بلاداً تسودها الفوضى والاضطرابات، وتمزقها الفتن الداخلية، إذ أعلنت كثير من القبائل اليمنية عصيانها وتمردوا خاصة التي كانت تقطن منطقة تهامة، الأمر الذي حتم على الأخوين المجاهد والظافر الاشتراك في حكم اليمن من باب الحفاظ على تماسك الدولة الطاهرية في بداية تكوينها، نظراً لعدم استقرار الأوضاع الداخلية⁽¹³⁾.

ثالثاً: الصراع على ذمار بين الزيدية وبني طاهر

لقد أدت حركة التمرد والعصيان من قبل كثير من القبائل ضد بني طاهر إلى تشجيع الزيدية وطمعها في السيطرة على اليمن، وراودتها الأحلام في إجهاض الدولة الناشئة قبل تمكنها، واستطاعت الزيدية السيطرة فعلاً على قسم كبير من اليمن يمتد من ذمار وصنعاء جنوباً إلى صعدة وما يليها من الجبال شمالاً، الأمر الذي حتم على بني طاهر مواجهة تلك الحركات والتصدي لها، وتزعم الإمام الناصر بن محمد قوى الزيدية المناوئة لبني طاهر، وأبدت الزيدية استعدادها لمهاجمة منطقة رداع⁽¹⁴⁾ مقر السلطات الطاهرية⁽¹⁵⁾.

كانت الزيدية بزعامة الإمام الناصر قد حشدت قواها وانطلقت من صنعاء متجهة نحو ذمار، وكان ذلك في سنة 862هـ/1457م، فلما علم السلطان الظافر عامر بن طاهر خرج لمواجهة الزيدية، بيد أن خروجه لم يكن للحرب بل عقد صلحاً مع إمام الزيدية، ولم تذكر المصادر أية بنود لذلك الصلح، الذي أقره ضعف بني طاهر في مواجهة الإمام الزيدي الذي عاد إلى صنعاء بعد عقد الصلح⁽¹⁶⁾.

ويبدو أن بني طاهر بعد عقد الصلح قد أدركوا عدم استطاعتهم مواجهة الزيدية، وقاموا بتغذية الصراع الدائر بين أئمة الزيدية حول مسألة الإمامة، فقاموا بمراسلة الإمام الناصر بن محمد سراً، وشجعوه على التخلص من منافسه الإمام المطهر بن محمد، وفي مقابل ذلك راسل السلطان الظافر عامر بن طاهر الإمام المطهر بن محمد، والأمير

محمد بن حسن قائد همدان وحرصهما على التخلص من الإمام الناصر، وأبدى استعداداه لمنابرتهما، واستجاب الإمام المطهر بن محمد لدعوة السلطان الطاهري، وسار بجيش من كوكبان (17)، ولقيه قائد همدان وتحركت جموعهما نحو صنعاء، وجرت حرب ومصاولة شديدة على صنعاء، وحصن (ذي مرمر) (18) وفيه عامل الناصر، واستمرت الحرب سجلاً بين قوى الزيدية حتى استولت قوات الإمام المطهر على قلعة (ظهر) القريبة من صنعاء (19).

لم يكن الإمام الزيدي الناصر بن محمد غافلاً عن الدور الذي لعبه السلطان الظافر عامر بن طاهر في تأليب قوى الزيدية ضده في المناطق المحيطة بصنعاء، لذلك استقر رأيه على مهاجمة بلاد بني طاهر الواقعة إلى الجنوب من ذمار مهما كلفه الأمر، فأعد حملة عسكرية سنة 863 هـ/1458م، ووقع الحرب بينهم، وقتل من أصحاب الإمام جماعة (20).

رجع الإمام الناصر بن محمد إلى ذمار، ومنها قام بجمع قوى الزيدية المناصرة له، وتمكن من إعداد جيش كبير الغرض منه إجهاض الدولة الطاهرية المتمركزة في رداع، فلما اقتربت قوى الزيدية من رداع خرج السلطان الظافر عامر بن طاهر لملاقاة الزيدية، ووقعت الحرب بينهما قُتل فيها الكثير من الطرفين، وكان النصر حليف الزيدية، وهُزمت عساكر بني طاهر، وقُتل من مشايخ بني الطاهر محمد بن طاهر أخو السلطان، وانتهت خيامهم والكثير من معداتهم وخيولهم، وعادت قوى الزيدية إلى ذمار (21).

وأمام ذلك الخطر الذي بات يهدد الدولة الطاهرية من جانب الزيدية، أعد السلطان الظافر عامر بن طاهر جيشاً جراراً في شهر رجب سنة 865 هـ/1460م، وسار نحو منطقة ذمار المتمركزة بها قوى الزيدية، وقاموا بضرب خيامهم خارج المدينة، فلما أحس الناصر عدم قدرته على المقاومة، خرج مع نسائه وأولاده إلى حصن (هران) (22)، ودخلت القوات الطاهرية ذمار دون قتال، وبعد دخول السلطان ذمار أقر أوضاعها وأصاب ابن أخيه علي بن تاج الدين عنه وعاد إلى رداع (23).

إلا أن نشوة الانتصار وسيطرة الملك الظافر على ذمار لم تدم طويلاً، إذ قامت الزيدية بزعامة الإمام الناصر بإعداد حملة عسكرية سنة 866 هـ/1461م للسيطرة على ذمار، وانتزاعها من بني طاهر خاصة وأن الملك الظافر خرج منها على رأس حملة عسكرية لإخضاع المتمردين عن الدولة الطاهرية في منطقة الشحر (24)، واستطاعت قوات الزيدية السيطرة على ذمار، فأرسل عبد الوهاب بن داود بن طاهر إلى عمه الملك الظافر يخبره بذلك، فأمره بأن يجمع جموعه حتى يصل إليه، وحينما وصل عسكر الظافر هاجمت القوات الطاهرية ذمار في رجب من السنة نفسها وهرب الإمام الزيدي إلى حصن هران (25).

وخرج أهل ذمار إلى السلطان يطلبون منه الأمان فأمنهم واستولى الملك الظافر على ذمار، ودخلها واخرب القصر واستولى على خزانة الإمام وطلب الإمام من السلطان المصالحة وعرض عليه تسليم حصن هران وأن يكون له ما وراء نقيل يسلم إلى ذمار، وما عداه للناصر فلم يستجب السلطان الظافر بل طلب منه إرجاع حصن (ذي مرمر) لهمدان، فكبر ذلك على الإمام الناصر، وسارع الإمام بالتوجه نحو صنعاء وترك أهله وبعض عساكره في حصن هران (26).

لم يستطع الإمام الناصر مواصلة سيره إلى صنعاء، فقد اعترضته القبائل في (عرقب) (27)، وأظهروا له أنهم من أتباعه، وطلبوا منه النزول في ضيافتهم، فلما دخل عندهم أسرته تلك القبائل، وسلمته للإمام المطهر بن محمد الذي قام بسجنه إلى أن توفي سنة 868 هـ/1463م (28).

مصراع السلطان الظافر عامر بن طاهر على أيدي الزيدية:

لقد كانت عملية أسر الإمام الزيدي الناصر بن محمد وسجنه من أهم الأسباب في تفكير السلطان الظافر في توسيع دائرة الصراع مع الزيدية، وتقليص نفوذهم شمالاً، فقام

بمحاصرة أسرة الإمام في حصن هران وضيق الخناق عليهم، ثم توجه شمالاً للقضاء على نفوذ ابنه محمد في صنعاء (29).

فأدرك محمد بن الإمام الناصر الذي كان يسيطر على صنعاء خطورة موقفه، إذ أصبح بين قوتين متحالفتين، قوة الإمام المطهر بن محمد شمالاً، وقوة بني طاهر جنوباً، لذلك أسرع في مراسلة السلطان الظافر وعرض عليه تسليم صنعاء مقابل خمسين ألف ديناراً، كما أنه أراد من وراء ذلك ضرب تلك القوتين بعضها ببعض، فوافق السلطان الظافر ودخلت قواته صنعاء في شوال سنة 866 هـ/1461م (30).

وحينما أدرك محمد بن الناصر أنه أخفق في سياسته قام بتدبير خطة أثناء غياب والي صنعاء من قبل السلطان الظافر، ودخلها بمساعدة أحد كبار أعوانه ويدعى محمد بن عيسى بن شارب في المحرم سنة 869 هـ/1464م (31). وأما السلطان عامر بن طاهر فقد غضب غضباً شديداً لتخليه عن صنعاء بهذه السهولة، وبادر بإعداد جيش جرار لاستعادتها، وحاصرت قواته صنعاء، إلا أنهم فشلوا في دخولها، وصالحوا محمد بن الإمام الناصر على مال يلتزم بدفعه لبني طاهر (32).

وعلى الرغم من أن المصادر لم تذكر أسباب رجوع السلطان الظافر إلى بلاده، إلا أنها ترجح أن أخبار المصالحة تلك غير صحيحة، بدليل أن السلطان عاد لمحاصرة صنعاء في المحرم من سنة 870 هـ/1465م، وقامت قواته بعملية تخريب واسعة النطاق في المناطق المحيطة بصنعاء، وحينما اقترب جيش السلطان والتحم بجيش الزيدية، استطاعت قوات الزيدية إلحاق الهزيمة بجيشه ولقي مصرعه على أبواب صنعاء، وقتل من عسكره خلق كثير، وقامت الزيدية بعد هزيمتهم بسلب ما جلبوا من أموال وسلاح، وخيول، وبقتل السلطان الظافر يسدل الستار على ذلك الصراع الذي دام قرابة عشر سنوات مع خصومه من الزيدية (33).

الهوامش والتعليقات:

- (1) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ج1، ص: 172، الفضيل، علي بن عبد الكريم، الزيدية نظرية وتطبيق، ص: 27.
- (2) صبحي، أحمد محمود، الزيدية، ص: 61.
- (3) التوتو، يحيى بن حسين، نظام الحسبة عند الزيدية، ص: 65، الموسوعة اليمنية، ج1، ص: 498.
- (4) سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، ص: 41.
- (5) صعدة بالفتح ثم السكون، مدينة عامرة أهلة يقصدها التجار من كل بلد، وبها مدايق الأحم وجلود البقر، الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان ج3، ص: 406.
- (6) الموسوعة اليمنية، ج1، ص: 498.
- (7) المرجع السابق ص: 455.
- (8) يحيى بن الحسين، أنباء الزمن في تاريخ اليمن، (خ)، ص: 247.
- (9) عَن: يفتح العين والدال المهملتين، مدينة كبيرة جنوبي تهامة عند مضيق باب المنذب، المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: 432.
- (10) زبيد: وادٍ مشهور يصب في تهامة ثم البحر الأحمر، وقد أطلق هذا الاسم على المدينة التي تقع في منتصفه، المقحفي، المرجع السابق ص: 286.
- (11) حَيْس: يفتح الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحت ثم سين مهملة، مدينة بالجنوب من زبيد بمسافة 35كم، المقحفي، المرجع السابق ص: 202.
- (12) ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي، قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون، ص: 406، بغية المستفيد في تساريخ مدينة زبيد، ص: 122.
- (13) محمد عبد العال، بنو رسول وبنو طاهر، ص: 258.
- (14) رداغ: مدينة كبيرة شرقي ذمار بمسافة 53كم، اتخذ حكام بنو طاهر من بلدة المقرانة التي تقع على مسافة 62كم عاصمة لهم، وشيدوا بها عدة مباني، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: 265، 623.
- (15) يحيى بن الحسين، أنباء الزمن في تاريخ اليمن، (خ)، ص: 249، زيارة، أمة اليمن، ج1، ص: 324.
- (16) ابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص: 129، زيارة، أمة اليمن ج1، ص: 324.
- (17) كوكبان: حصن ومقل شهير يطل من الشمال الشرقي على مدينة شبام الأثرية، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: 543.
- (18) ذي مرمر: حصن مشهور يُدعى أحياناً (حصن الغراس)، ويقع في ثمن ذي مرمر أحد أثمان ناحية بني حشيش، الأكوح، إسماعيل بن علي، هجر العلم ومعاقلة في اليمن، ج2، ص: 788.
- (19) يحيى بن الحسين، أنباء الزمن، (خ)، ص: 250، 251.
- (20) زيارة، أمة اليمن، ج1، ص: 324.
- (21) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص: 130، يحيى بن الحسين، أنباء الزمن، (خ)، ص: 249.
- (22) هَرَّان: بكسر الهاء وتشديد الراء، من حصون ذمار، ويقع في شمال المدينة، وكانت به قسرى عامرة، وقصور عالية، الحموي، معجم البلدان، ج5، ص: 396، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: 677.

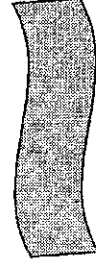
- (23) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص: 131، الجنداري، أحمد بن عبد الله، الجامع الوجيز، (خ)، ورقة / 113، يحيى بن الحسين، أنباء الزمن (خ)، ص: 249، 250.
- (24) الشحر: بكسر أوله وسكون ثانيه، صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، ويقع بين عدن وعمان، الحموي، معجم البلدان، ج3، ص: 327.
- (25) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص: 132، قرّة العيون، ص: 412.
- (26) يحيى بن الحسين، أنباء الزمن، (خ)، ص: 251، زيارة، أئمة اليمن، ج1، ص: 325.
- (27) عرقوب: بلد من ناحية الحداء، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: 439.
- (28) يحيى بن الحسين، أنباء الزمن، (خ)، ص: 251، زيارة، أئمة اليمن، ج1، ص: 325.
- (29) يحيى بن الحسين، المصدر السابق ص: 252.
- (30) الزحيف، محمد بن علي بن يونس، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، ج 3، ص: 1295، محمد عبد العال، بنو رسول وبنو طاهر، ص: 317.
- (31) ابن الديبع، قرّة العيون، ص: 414.
- (32) الزحيف، مآثر الأبرار، ج3، 1298.
- (33) ابن الديبع، قرّة العيون، ص: 415، الزحيف، المصدر السابق ص: 1298.

المصادر والمراجع:

- الأكوغ، إسماعيل بن علي، هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1416هـ / 1995.
- الجنداري، أحمد بن عبد الله، الجامع الوجيز بذكر وفيات العلماء ذوي التبريز، مخطوط مصور، دار المخطوطات، صنعاء، برقم (2524)، حقق الباحث منه من سنة 532 - 858هـ.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت.
- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي، قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ، ط/ 2، 1409 هـ / 1988م.
- بغية المستفيد في تاريخ مدينة زيد، تحقيق: عبد الله الحبيشي، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ط/ 1979م.
- زيارة، محمد بن محمد، أئمة اليمن، القسم الأول، مطبعة النصر الناصرية، تعز، ط/ 1، 1375.
- الزحيف، محمد بن علي بن يونس، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، تحقيق: عبد السلام الوجيه، خالد قاسم، مؤسسة الإمام زيد بن علي، الأردن، ط/ 1، 1423هـ / 2002م.
- سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، رواية علي بن محمد بن عبد الله العباسي، تحقيق: سهيل زكسار، دار الفكر للطباعة والنشر، ط/ 2، 1401 هـ / 1981م.
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، قدم وعلق حواشيه: صلاح الدين الهواري، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط/ 1، 1988م.

- صبحي، أحمد محمود، الزيدية، الزهراء للإعلام العربي، ط/ 2، 1404 هـ / 1984م.
- الفضيل، علي بن عبد الكريم، الزيدية نظرية وتطبيق، دار العصر الحديث للنشر، بيروت، ط/ 2، 1412 هـ / 1990م.
- محمد عبد العال، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما 628 - 923 هـ / 1231 - 1517م، دار المعرفة الجامعية، 1989م.
- المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، ط/ 1988م.
- الموسوعة اليمنية، مؤسسة العقيف الثقافية، صنعاء، ط/ 1، 1412 هـ / 1992.
- النونو، يحيى بن حسين، نظام الحسبة عند الزيدية، مكتبة التعاون، صنعاء، ط/ 2، 1424 هـ / 2004م.
- يحيى بن الحسين، أنباء الزمن في تاريخ اليمن، مخطوط مصور، دار المخطوطات، صنعاء، رقم (109).

الأوضاع التعليمية والثقافية في الإمارة الهبيلية الهاشمية (بيحان) 1943 - 1967م



د. نصر سالم هادي*

توطئة:

الإمارة الهبيلية الهاشمية (بيحان) واحدة من إمارات ومشيخات وسلطنات الجنوب اليمني في فترة الاحتلال البريطاني لعُدن 1839 - 1967م، هذه الإمارة التي تعد إحدى ما عرف بمحميات عدن الغربية في عهد النظام الاستعماري، تعد من أكثر الإمارات الجنوبية تخلفاً في الجانب التعليمي والثقافي خلال تلك الفترة، ومن هذا المنطلق اخترت بحثي هذا للكشف عن السياسة البريطانية في جنوب اليمن وما مارسته من فرض للتخلف وعدم الاهتمام بالتعليم والثقافة إلا بما يخدم مصالحها ومصالح التابعين لها.. حيث تابعت البدايات الأولى للتعليم في هذه الإمارة الذي أتى خدمة للمصالح البريطانية في المنطقة...
التعريف بالإمارة:

1. التسمية : سميت بالإمارة الهبيلية الهاشمية نسبة إلى اسم الأسرة التي أنشأت الإمارة وحكمتها (1) فترة من التاريخ تقدر بحوالي ربع قرن من الزمن، ويعود نسبها إلى أسرة آل الهبيلي، وهي أحد فروع البيت الهاشمي حيث ينتهي نسب أميرها (2)

* جامعة عدن - كلية الآداب - قسم التاريخ

الشريف صالح بن حسين بن أحمد بن محسن بن مبارك بن ضيف الله الهبيلي إلى عبدالله بن حمزة صاحب أرحب الحسنى العلوي الفاطمي الهاشمي (3) الذي جعل من بيحان (4) عاصمة له عام 1943م (5).

2. موقع الإمارة: تقع الإمارة الهبيلية الهاشمية (6) في بيحان - وتقع بيحان في الركن الغربي الشمالي من المنطقة الشرقية لاتحاد الجنوب العربي الذي تكون في جنوب اليمن عام 1959م في فترة الاحتلال البريطاني لجنوب اليمن. كما تقع هذه المنطقة بين خط 37/45° و 49/45° شمالاً وخط 40/14° و 00/15° شرقاً (7). وتحدها بلاد العوالق من الشرق وبلاد عبيدة من الغرب وتتصل حدودها من الشمال بالمملكة العربية السعودية، ومن الجنوب بلواء البيضاء التابع للمملكة المتوكلية اليمنية " سابقاً " (8). وتبعد عن عدن بحوالي 300 كيلو متر، وعن صنعاء بحوالي 343 كيلو متر (9).

مساحتها: تشمل الإمارة منطقة واسعة الرقعة حيث تبلغ مساحتها نحو 8300 كيلو متر مربع (10).

سكانها: يعتمد معظم السكان على الزراعة والتجارة في دخلهم المعيشي حيث يعمل بالزراعة حوالي 35% من إجمالي عدد السكان (11)، و25% من السكان يمارسون التجارة والحرف اليدوية المحلية و 40% من إجمالي عدد السكان هم بدو رحل من القبائل والعشائر. ويسكن بيحان الأشراف، السادة آل المحضار، المشايخ، قبيلة المصعبي، وقبيلة بلحارث، آل إسحاق، آل ربيع، لقيط، آل عبد القادر بالإضافة إلى فئات المجتمع الأخرى كالقراد، والصبي، والصبيان، والشحذ (12).

أهم مدن الإمارة: بيحان القصاب، النقوب، عين، الحجب، موقس، الحرجة، عسيلان، الحقبة ... وغيرها

الأوضاع التعليمية والثقافية

كان الجهل سائداً في اليمن شماله وجنوبه، ففي الشمال لا توجد مدارس ولا وسائل إعلامية ولا صحف ثقافية فقد تعمد الإمام أن تظل بلاده معزولة، وكانت مناطق جنوب

اليمن هي الأخرى تعيش حالة سيئة ولم تشهد التربية والتعليم أي تطور خلال الحكم الأنجلو سلاطيني حيث لم تكن المدارس كافية لتغطية تعليم أبناء المنطقة وتمركزت هذه المدارس في عواصم السلطنات وفي مستعمرة عدن، وكان هدف بريطانيا من بناء هذه المدارس هو الحصول على كتبه وموظفين لتسيير بعض الأعمال وفقاً للسياسة البريطانية الاستعمارية كما إن المدارس المتوسطة محصورة لتعليم أبناء السلاطين والمشايخ أما الآخرون فإنه إذا وجدت فرصة للتعليم فهي محصورة فقط في معرفة القراءة والكتابة ومبادئ أولية في الحساب، ولهذا كان الجهل مخيماً على غالبية السكان.

ولكن بالمقارنة بين شمال اليمن وجنوبه نجد إن الجنوب مثل حالة أفضل وخاصة مستعمرة عدن التي أنشئت فيها عام 1935م مدرسة لأبناء الشيوخ والسلاطين⁽¹³⁾. وظلت إمارة بيحان عبر فترات طويلة من التاريخ تعاني من الجهل والعزلة مثلها مثل بقية مناطق اليمن بعيداً عن الحركات الثقافية في الوطن العربي وحتى بعد الحرب العالمية الأولى، وظهور بوادر البعث العربي فإنها لم تتأثر بها، كانت الأفكار الرجعية هي السائدة ولها أكبر الأثر في العزلة الثقافية التي عانت منها المنطقة.

وخلال فترة التمزق القبلي وتسلط العشائر المسلحة (1839م - نهاية القرن التاسع

عشر) فقد تميز المجتمع بالعديد من الخصائص⁽¹⁴⁾ أهمها:

- سيادة العلاقات العشائرية وانتشار الحروب القبلية.

- العزلة والجمود.

- انتشار الخرافات والهجرة إلى الخارج.

- تخلف النظام الإداري والاقتصادي.

أما في عهد النفوذ البريطاني تميز بانتشار النفوذ البريطاني عبر المعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع السلاطين والأمراء والمشايخ ودحر النفوذ الإمامي من المنطقة كان آخرها من شبوة وبيحان⁽¹⁵⁾.

ففي المناطق الريفية وجدت المدارس القرآنية المتناثرة هنا وهناك في القرى، فيقوم المعلم وهو إمام المسجد غالباً بتعليم التلاميذ تلاوة القرآن في المسجد⁽¹⁶⁾.

المؤسسات التعليمية الدينية:-

الكتاب: عرف المجتمع العربي الكتاتيب (17)، ولمعت أسماء من تولى مسؤولية تعليم الصبيان أمثال يوسف النقي، وبشير بن عبد الملك العبادي، وعمرو بن زادة، وغيلان بن سلمة بن معتب (18).

ففي المساجد نشأت حلقات التعليم للصغار وحلقات الدرس للكبار، وهذا يعني تعدد وظائف المسجد من وظيفة تعبدية حيث يصلي فيه المسلمون ويقرأون القرآن. ووظيفة وعظ وإرشاد حيث تعقد الدروس التوجيهية العامة التي يستمع إليها جمهور الناس إلى وظيفة تعليمية (19).

فالكتاب مؤسسة تعليمية في مستواها الأدنى أو الابتدائي، ارتبطت بالمجتمع الإسلامي ونشأت في أحضان حضارة عربية إسلامية. ووجد الكتاب منذ أن أسس الرسول صلى الله عليه وسلم أول مسجد في يثرب بالمدينة المنورة (20).

والعلامة في بيحان لا تخرج عن سائر معالم القطر اليمني في مظاهرها، وأماكنها، وملابسها، وتعاليمها وآدابها، وآلة تأديب المعلم من العصا الطويلة والقصيرة وتسمى (السوط) ويحتاج المتعلم للوح والدواة والأقلام المصنوعة من القصب أو اليرع. فالعلامة تكون في المساجد في الغالب وفي بعض مناطق وجدت العلامة تحت الشجر، ويتوفر في العلامة الماء للشرب ومحو الألواح. ويحصل المعلم على مبلغ من المال مقابل تعليم الأطفال الهجاء والخط والإملاء ومبادئ الحساب وقراءة القرآن حتى يختم الختمة (المصحف).

وفي إمارة بيحان انتشرت العديد من الكتاتيب أو ما يعرف باسم العلامة منها على سبيل المثال:

- **علامة الشيخ صالح بن محمد جبر:** أقيمت هذه العلامة في مسجد (سعيد) المجاور لمنزل الشيخ صالح بالعليا ويعتبر هذا المسجد أقدم جامع في بيحان - كان يقوم بتعليم عدد من الطلاب القرآن الكريم بالإضافة إلى بعض مبادئ أولية في الحساب والنحو.

● معلمة الشيخ عبد ربه ناصر الحداد: قام بالتدريس في مسجد العليا ودرس على يده عدد من الأطفال القرآن الكريم وتحفيظه، كما قام بالتدريس في عدد من المساجد.

● معلمة موقس: وتقع في الجزء الشمالي في مسجد موقس، كان يدرس بها ضيف الله قاسم الشاحذ - المبادئ الأولية لحروف الهجاء وتحفيظ القرآن الكريم.

● معلمة الشيخ صالح بن إبراهيم العليمي: وتقع في مسجد حصن آل هادي الأعلى وكان الشيخ صالح يدرس بها الفقه ويحضر درسه كثير من طلاب العلم وخاصة علم الفرائض بالإضافة إلى وجود عدد من الكتاتيب في مسجد علي ومسجد النقوب... وغيرها (21)

المدارس الأهلية: هي المدارس التي قام أهالي بيحان ببناؤها على حسابهم ومن هذه المدارس :

* المدرسة العلمية القديمة: تم افتتاحها في عام 1944م وكان مقرها في منزل (عليوه) بالعليا وبها ثلاثة فصول دراسية، ضم الصف الأول للتلاميذ الصغار وكان يدرس فيه الشيخ علي أحمد صالح جببر الخولاني والشيخ عبد الرحمن المسلماني وكانا يقومان بتحفيظ القرآن الكريم. أما الصف الثاني وكان في الغرفة الجنوبية من المنزل وكان مربيه الشيخ محمد أحمد العليمي باوزير ويدرس طلبته التفسير والفقه ويضم هذا الصف للتلاميذ الذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة والعاشر تقريباً، أما الصف الثالث كان بالغرفة الشمالية من المنزل ويضم التلاميذ الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والثانية عشرة تقريباً وهم التلاميذ اللذين كانوا منخرطين في حلقات المشايخ في المساجد وكان مربيه الشيخ صالح محمد جبر ويدرس طلبته اللغة العربية وعلومها والحديث ومصطلحه، أما نظام الدراسة بالمدرسة كان على ثلاث فترات (صباحية وظهيرة ومساءية). وكان من بين المدرسين بهذه المدرسة على سبيل المثال الشيخ عبدالله سالم الكدادي والشيخ عوض أحمد واكد والشيخ محمد عوض الشعبي... وغيرهم

* المدرسة العلمية الحديثة: قام ببناء هذه المدرسة المواطنون من أهالي منطقة بيحان في الجهة الشرقية من الجامع الكبير بالعليا وتم افتتاحها في عام 1962م في حفل مهيب بجامع بيحان الكبير حضره نائب الأمير الشريف قائد بن حسين ومشايخ وأعيان البلاد وأهالي منطقة بيحان (22).

بدأت الدراسة بها في عطلة الصيف لعام 1962م وسجل فيها عددٌ كبيرٌ من الطلاب، وعند بدء الدراسة بالمدارس الحكومية عاد الطلاب إلى مدارسهم، وبقيت الدراسة في المدرسة العلمية بعد صلاة العصر حتى المغرب، ويعتبر الشيخ عبد القادر عاتق جبر هو المؤسس الحقيقي لهذه المدرسة التي تعتبر امتداداً للمدرسة العلمية القديمة.

التعليم الحكومي في إمارة بيحان: افتتحت أول مدرسة ابتدائية حكومية للبنين في إمارة بيحان عام 1944م (23)، وتكاد كل المدارس الحكومية في المحمية الغربية لا تتجاوز الصف الرابع الابتدائي. بل إن معظمها لا تتعدى أن تكون مدارس أولية أي كتاتيب متطورة حيث يقتصر محتوى التعليم فيها على القراءة والكتابة والحساب إلى جانب بعض المعارف الدينية البسيطة (24).

وخلال الخمسينيات أخذت المدارس الأولية في الانتشار وحظيت الإمارة بست مدارس موزعة في مدنها المختلفة، حيث وجدت مدرسة أولية بالعليا كان يدرس بها الشيخ محمد أحمد العليمي والأستاذ جلال محمود نديم والأستاذ عبد القادر محمد عاتق والأستاذ ضيف الله قاسم، وتخرجت منها أول دفعة في عام 1959م بعد إتمام الصف الرابع ابتدائي وانتقلوا للدراسة بالمدرسة المتوسطة في (جعار " سلطنة الفضلي ") كان من بينهم محمد صالح قرعه وصالح محمد مطهر، وعبد القادر عبدالله عوض مطهر، وصالح حسين حدير. كما فتحت مدارس أخرى في كل من منطقة عسيلان وكان يدرس بها الأستاذ علي عبدالله الحداد ومدرسة أخرى في منطقة موقس ويدرس بها الأستاذ حسين مبارك أحمد وثلاثة في منطقة

العين والحجب، ويدرس بها الأستاذ علي صالح الحداد ورابعة في الحرجة يدرس بها الأستاذ محمد عبدالله خميس مطهر وخامسة في النقوب (25).

وعين الشيخ محمد أحمد العليمي با وزير مديراً للمعارف حتى 1959م وجاء بدلاً له الأستاذ محمد بن عبدالله بن الحضرمي (26).

وفي عام 1961م افتتحت المدرسة المتوسطة ببيحان تحت إشراف الأستاذ بشير (سوداني الجنسية) وكان عدد الطلاب ما بين 30 - 40 طالباً وهي شعبة واحدة وفي كل عام تضاف شعبة جديدة. ويوجد بالمدرسة قسم داخلي يضم الطلاب الوافدين من مختلف مناطق الإمارة، وكانت الدراسة مجانية وكذا القسم الداخلي والتغذية (27).

حجم التعليم الابتدائي للبنين في إمارة بيحان لعام 1966م

عدد المدارس	الشعب الدراسية	المدرسون	التلاميذ
7	23	25	840

حجم التعليم الابتدائي للبنات في إمارة بيحان لعام 1966م

عدد المدارس	الشعب الدراسية	المدرسون	التلاميذ
1	3	3	43

حجم التعليم المتوسط للبنين في إمارة بيحان لعام 1966م (28)

عدد المدارس	الشعب الدراسية	المدرسون	التلاميذ
1	3	5	95

نستنتج مما سبق أن سياسة التعليم الاستعماري، كانت تهدف من وراء إنشاء مدارس محدودة العدد بغرض تغذية الجهاز الإداري والحكومي بالموظفين الصغار، مع توجيه السياسة العامة لهذه المدارس بما يخدم ثقافة المستعمر البريطاني، إلا أنه ومن حيث لا يدري قد أسهم في إيجاد الكوادر السياسية التي قادت المعركة ضد وجوده. فإن

الدفعات المتخرجة من تلك المدارس سواء كانت نظامية حكومية أم نظامية أهلية - قد لعبت دوراً هاماً في مسار النضال التحرري الوطني للشعب اليمني، وكذا في مجال البناء الاجتماعي.

البعثات التي زارت بيحان

لقد بدأت أعمال التنقيب الأثري في اليمن عامي 1931 - 1932م بمبادرة من العالمين الألمانين فان وايزمن وكارل راتجن (H.von Wiseman and carl Rathjens) اللذان قاما بالتنقيب في منطقة (الحقة) شمال صنعاء على مسافة تقدر بحوالي 23 كم تقريباً. ومن ثم توالى الرحلات إلى مختلف مناطق الحضارة اليمنية⁽²⁹⁾. وتعتبر بيحان من أهم المراكز الحضارية اليمنية - تلك المنطقة التي قامت على أراضيها دولة قتبان الشهيرة في التاريخ، وهنا نحن بصدد الحديث عن البعثات التي زارت بيحان نستعرض بشكل موجز أهم تلك البعثات وهي:

1. بعثة جون فليبي (J. Philby): في عام 1936 - 1937م قام العالم جون فليبي بعدة رحلات كانت أهمها تلك الرحلة التي بدأها من جدة ماراً بعسير فنجران حتى بلغ شبوة وتريم. فهو أول من اهتدى إلى نقش العقلة بالقرب من شبوة⁽³⁰⁾.
2. بعثة أحمد فخري: جاءت إلى اليمن بعثة بقيادة الباحث المصري أحمد فخري في عام 1947م، وقام بزيارة عدد من المواقع الأثرية من بينها تمنع⁽³¹⁾ ونشر نتائج رحلته في كتابه (رحلة أثرية إلى اليمن) و(اليمن ماضيها وحاضرها).
3. البعثة الأمريكية لدراسة الإنسان: في عامي 1950 - 1951م نظمت المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان رحلة إلى قلب دولة قتبان القديمة. وكانت البعثة مكونة من ثلاثين عضواً بقيادة ويندل فيلبس (Wendell Phillips) وقد رافقه في هذه البعثة و.ف البرايت (W.F Albrizht) والأب جام (A. Jamme) وآخرون⁽³²⁾، ونقبت البعثة في ثلاثة مواقع هي حيد كحلان

(تمنع القديمة) ومقبرتها حيد بن عقيل، وهجر بن حميد، وأجرت مسحاً كاملاً أثرياً للمنطقة، وصدرت عن البعثة مقالات ودراسات هامة عما قامت به من أعمال تنقيبية شملت كل مناطق مملكة قتبان (33).

4. بعثة اليونسكو عام 1979م: زارت بيحان بعثة من اليونسكو مكونة من ثلاثة خبراء وذلك في ابريل عام 1979م كجزء من مشروع صيانة المواقع الأثرية التي هي إحدى برامج اليونسكو، وتمكنت البعثة من الاطلاع على أوضاع المواقع التي زارتها ووضعت تصوراً شمولياً وعلمياً للإجراءات الممكن إنجازها لصيانة وترميم مختلف المواقع والمباني التاريخية (34).

المواقع الأثرية التي تم اكتشافها

1. تمنع: وهي عاصمة مملكة قتبان وتعرف اليوم باسم هجر كحلان، وهي رابية بيضاوية الشكل طولها كيلو متر واحد (شمال جنوب) وعرضها ربع كيلو متر (شرق غرب) (35)، وتقع على الضفة اليسرى لوادي بيحان، وتبعد حوالي 35 كم تقريباً شمال بيحان (36)، وتمت فيها حفريات أجرتها البعثة التابعة للمؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان، ونشرت معظم نتائج أبحاثها.
2. حيد بن عقيل: وهو عبارة عن جبل قائم إلى الشمال الشرقي من مدينة تمنع، وهو المكان المعروف بمقبرة تمنع (37)، وقد نبشت قبورها منذ حفريات (وندل فيليبس) في بداية الخمسينات، ويلاحظ بعض ركام القبور، والأبنية التي كانت مشيدة من الحجارة والطين.
3. هجر بن حميد: ويقع على الضفة الشرقية لوادي بيحان، ويحده من الجنوب جبل خدراء وقرية هجر السادة، ومن الشمال قرية الحنو، ومن الشرق جبل كشاكش، ومن الغرب وادي بيحان، ويبعد هذا الموقع مسافة 15 كم تقريباً إلى الجنوب من تمنع (38).

4. موقع حنو الزرير: يشرف من جهته الشرقية على وادي عين، ويحده من الشمال قرية هجر الجحاش على مسافة تقدر بحوالي نصف كيلو متر تقريباً، وقرية درب آل علي بمسافة تقدر بحوالي اثنين كيلو متر تقريباً، ويحده من الشرق جبل شقير، ومن الجنوب الشرقي قرن عبيد⁽³⁹⁾ وهذا الموقع محاط بسور من كتل الحجارة استخدم بينها الطين كمادة ربط، ويضم أبنية كثيرة شيدت بالحجارة، ومما يلفت الانتباه وجود بناية تختلف عن الأبنية الأخرى فهي معبد المستوطن⁽⁴⁰⁾.
5. صخرة الغركة: وتقع عند الكنف الجنوبي الغربي من جبل شقير، ونقش على وجهها الشرقي نص باللغة الحميرية⁽⁴¹⁾.
6. صخرة صيغان: وتقع عند الكنف الشرقي لجبل قرن عبيد الذي يطل على وادي عين شرق قرية تمرة، وعلى وجهها الشرقي نص كتب باللغة الحميرية⁽⁴²⁾.
7. موقع وسد يادي: يقع شمال شرقي مدينة بيحان القصاب بمسافة تقدر بحوالي أربعة كيلو متر تقريباً، ويمتد بمسافة تقدر بحوالي اثنين كيلو متر بالقرب من الضفة الشرقية لوادي بيحان بين جبل خلبس من الشرق والجنوب الشرقي، وجبل خدراء من الشمال الشرقي، وقرية آل عضية من الغرب، ومن الشمال قرية الركبة⁽⁴³⁾ ويضم هذا الموقع بقايا سد ومستوطن هما:
- أ. السد: يقع على الكنف الشرقي لوادي بيحان عند مجرى الوادي الذي يستقبل السيول القادمة من وادي خر الذي يلتقي بوادي بيحان في نقطة قريبة من السد⁽⁴⁴⁾. وقد شيد هذا السد بكتل من الحجارة مختلفة الأحجام، ومتعددة النوعية.
- ب. المستوطن: ويقع إلى الشرق من السد ووادي بيحان، ويمتد من الشمال إلى الجنوب، ومحصوراً بين جبل خلبس في الجنوب الشرقي وجبل خدراء في الشمال الشرقي، وتنتشر بعض الأبنية على طول الضفة اليمنى لوادي بيحان حتى موقع هجر بن حميد⁽⁴⁵⁾.

8. موقع الخربة: وهي عبارة عن أبنية حجرية تتدرج على قمم جبل يدعى باسم (حيد ذي نصر) الذي يشرف على وادي بيحان. وتحديداً تقع أبنية الموقع جنوب قرية الحرجة بمسافة تقدر بحوالي كيلو متر واحد إلى الغرب من قرية الفارح بمسافة كيلو متر واحد أيضاً جنوب قرية الجلة بالمسافة نفسها تقريباً، ويحده من الشمال الشرقي جبل الزاحم ومن الشرق والجنوب الشرقي جبل منثول، ومن الشمال الغربي حصن الغير (46) .

المواقع والآثار الإسلامية

مقدمة: عين الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون والأمويون والعباسيون حتى القرن الثالث والتاسع حكماً وولاً على جنوب اليمن وحضرموت. فجغرافياً وتاريخياً وثقافياً ظل شطري اليمن شمالاً وجنوباً مرتبطين ارتباطاً وثيقاً خاصة في الفترة الإسلامية (47) . فالطبيعة والخصائص المعمارية للمساجد والبيوت والبنائيات الأخرى، ظلت مشتركة كثيراً، فهناك سمات تزين وتبين الصلات الوثيقة مع العواصم الإسلامية الكبرى مثل القاهرة وبغداد، ولو أن هناك خصائص تنفرد بها اليمن خاصة في التصميم والشكل يتميز بها الطابع المعماري (48) .

أهم أبراج القلاع في إمارة بيحان:

لقد وجدت في الإمارة الكثير من أبراج القلاع، وفي العادة توجد وسط المدن الصغيرة في وادي بيحان برج " قلعة " مميز مجاور للمسجد مما تتحاشى معه الحاجة إلى سور مدينة واق، ويتجمع السكان في هذه القلعة عندما تكون المدينة تحت الهجوم (49) .

كما يوجد داخل بعض هذه الأبراج نفق تحت الأرض يقود إلى داخل المسجد المجاور الذي به غالباً بئر منفصل للماء داخل البرج (50) .

الصحافة:

ظهرت في إمارة بيحان العديد من المحاولات الهادفة إلى إصدار عدد من الصحف والمجلات، وكانت أولى المحاولات للأستاذ جلال محمد إذ نديم أصدر صحيفة سماها

(التلميذ البيحاني) وهي منسوخة بخط اليد، واستمرت في الصدور لفترة ليست بطويلة، وقام الأخ محمد عبدالله عوض بوضع تصميم لصحيفة دعاها (المصباح) وكان يعتزم إصدارها ولم يكتب لها النجاح، وسار على نفسه الاتجاه الأستاذ صالح عبد ربه الحداد الذي وضع تصميماً لصحيفة أخرى كان ينوي إصدارها ولم تر النور، ولعل آخر محاولة كانت للأخ حسين أحمد العليمي ولكنها هي الأخرى لم يكتب لها النجاح. وبعد هذه المحاولات صدرت عدد من الجرائد والمجلات وهي:

1. مجلة الشعاع: وهي صحيفة نصف شهرية تصدر عن دار الإصلاح بيحان

بموجب الموافقة السامية رقم ب 16/29 / إمارة بيحان ويقوم بتحريرها نخبة من الشباب. صدر العدد الأول منها بتاريخ 2 / 2 / 1380 هـ الموافق 26 / 7 / 1960م مكتوباً بخط اليد ثم صدرت مطبوعة بالآلة الكاتبة وقد أقيم حفل في دار الإصلاح بمناسبة إخراج أول جريدة مطبوعة في بيحان حضر الحفل الأمير صالح بن حسين الهبيلي أمير الإمارة الهبيلية الهاشمية وكان ذلك في سبتمبر 1960م (52).

2. جريدة تمنا: جريدة شهرية يصدرها ديوان الإمارة الهبيلية بيحان، وهي إخبارية بحثه، صدر العدد الأول منها في مارس عام 1961م.

3. مجلة الأنوار: مجلة ثقافية نصف شهرية كان يرأسها الشيخ صالح محمد جبر ويقوم بتحريرها الشيخ محمد عبدالله عوض مطهر، صدر عددها الأول في 15 القعدة لعام 1380 هـ الموافق 10 / 5 / 1961م منسوخاً بخط اليد وفيما بعد صدرت مكتوبة بالآلة الكاتبة ونشرت إسهامات ورسائل القراء في الأدب وتوقفت عن الصدور اثر وفاة رئيسها عام 1962م (53).

وعلى الرغم من محدودية انتشار هذه الصحف في بيحان إلا أننا نلاحظ انتشار البعض منها خارج بيحان وعلى وجه الخصوص عدد من ذلك جريدة تمنا التي تصدر عن ديوان الإمارة الهبيلية الهاشمية. لقد اصطدمت هذه الصحف بمشاكل كثيرة لعل أهمها إنها كانت صحف تكتب باليد ولم تطبع بالآلة الكاتبة إلا في الأونة الأخيرة وبالتالي

كان أثرها ضعيفاً ومحصوراً في حدود ضيقة لم يصل صوتها إلى مسامع الغالبية من السكان. ولكنه على الرغم من محدودية انتشارها إلا إنها استطاعت أن تحقق الأهداف التي رسمتها والمتمثلة في النهوض الحضاري والعلمي والاجتماعي لمنطقة بيحان، وإيصال آراء المثقفين والطلبة وإداعتهم الأدبية إلى الحكام والمحكومين، وبالتالي فإنهم قد أسهموا في تكوين ونمو الوعي الوطني.

خاتمة البحث

لقد حاولنا استعراض أهم ملامح الحياة التعليمية والثقافية في الإمارة الهبيلية الهاشمية " بيحان " التي عكست تخلف المنطقة في هذا الجانب نتيجة للسياسة الاستعمارية البريطانية في جنوب اليمن وإن كانت الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية قد شهدت البدايات الأولى بدخول التعليم الحكومي إلى الإمارة إلا أن تلك البداية كانت نتيجة لحاجة السياسة البريطانية إلى بعض الكتبة والموظفين ورغم ذلك فإن هذه البداية أسهمت في خلق البدايات الأولى لفئة المتعلمين والمثقفين الذين مثلوا فيما بعد الجيل الذي حمل أفكار التحرر الوطني من الاستعمار وأعوانه وأسهموا في البناء اللاحق للبلاد بعد خروج المستعمر البريطاني...

مراجع البحث

أولاً: التقارير:

1. ليوكوك، رونالد، صيدح ، روجر: صيانة وترميم وعرض الآثار والأنصاب والمواقع الأثرية والتاريخية في ج.ي.د.ش، ترجمة محمد أحمد الماس، مركز الدراسات والبحوث اليمني، عدن، يوليو 1979م.
2. شير نسكي، سيرجي : أضواء على الآثار اليمنية، إصدار المركز اليمني للأبحاث الثقافية، مؤسسة 14 أكتوبر عدن ، التاريخ بدون.
3. ملخص تقرير بعثة اليونسكو لصيانة المواقع الأثرية فسي ج.ي.د.ش، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والإرشاد، قسم الآثار والمتاحف، عن، مايو 1979م.
4. وزارة الثقافة والسياحة: تقرير أولي لمواقع مختارة للصيانة في ج.ي.د.ش، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والإرشاد والمتاحف، يوليو 1980م.

ثانياً: المجلات والصحف:

1. مجلة اليمن، السنة العاشرة، العدد التاسع مايو 1999م - مركز البحوث والدراسات اليمنية جامعة عدن.
2. فتاة الجزيرة، العدد 1438، الخميس 17 ربيع الأول 1380 الموافق 8 سبتمبر 1960م.
3. صوت الجنوب: العدد الثاني، الأحد 2 يوليو 1961م.

ثالثاً: المقابلات:

1. مقابلة مع عدد من الأساتذة الذين عاصروا فترة الدراسة منهم الأستاذ علي عبدالله الحداد والأستاذ صالح عبدالله دعدع والأستاذ صالح عبد ربه أبو نهار.

رابعاً: الكتب والمؤلفات:

1. . با وزير ، عبدالله عبد القادر العلمي: أبناء الزمان في من رحل من علماء بيحان خلال قرنين من الزمان، الطبعة الأولى، دار النشر بدون، 1998م.

2. البيحاني، محمد بن سالم : أشعة الأنوار على مروريات الأخبار . إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر 1986.
3. الجرو، أسهان سعيد: موجز التاريخ السياسي لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، موسى حمادة، أريد - الأردن 1996م .
4. جرجرة، عبد الرحمن: أرضنا الطيبة- هذا الجنوب. المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة بدون - بيروت 1966م .
5. سليمان كرامة مبارك، التزبية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن، الجزء الأول، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء 1994م.
6. عبدالله يوسف، محمد . أوراق في تاريخ اليمن وأثاره (بحوث ومقالات) الجزء الأول الطبعة الثانية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1990م .
7. القباص، مهدي راشد: الإمارة الهبيلية الهاشمية في بيحان بجنوب اليمن - دراسة تاريخية سياسية (1943 - 1967م). رسالة ماجستير، مقدمة لقسم التاريخ كلية الآداب - جامعة عدن. 2003م.
8. القيسي، ربيع، الشكرية، صباح: دراسة ميدانية لمسوحات ومواقع أثرية في شطري القطر اليمني، وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، 1981م.
9. مجهول: مجموعة وثائق - مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن.
10. الموسوعة اليمنية، الجزء الثاني. الطبعة الأولى صنعاء.
11. العرشي، حسين علي : اليمن الكبرى الجزء الأول، الطبعة الثانية، مكتبة الإرشاد صنعاء 1991م.

الهوامش

1. أيجاتي، محمد بن سالم : أشعة الأنوار على مروريات الأخبار . إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر 1986، ص 374.
2. يعد الشريف حسين أحمد الهبيلي المؤسس الحقيقي للإمارة الهبيلية الهاشمية التي امتد حكمها في بيحان من عام 1943م واستمر حتى سقوط إمارتهم في 19 سبتمبر 1967م، انظر القباص، مرجع سبق ذكره، ص 31.
3. من مواليد بيحان عام 1925م أسندت إليه ولاية العهد وهو لا يزال صغيراً بعد وفاة جده أحمد بن محسن في أواخر الثلاثينات من القرن العشرين وظل والده حسين بن أحمد وصياً عليه حتى تم تشكيل اتحاد إمارات الجنوب العربي في 11 فبراير 1959م، وأصبح والده وزير للداخلية في حكومة الاتحاد، وتولى ابنه الأمير صالح حكم الإمارة وظل أميراً وحاكماً لها حتى سقوطها في عام 1967م، تنظر القباص، مرجع سبق ذكره ص 31.
4. هي إحدى مديريات محافظة شبوة حالياً.
5. والحدة من السلطنات والمشيخات والإمارات التي كانت قائمة في جنوب اليمن أثناء فترة الاحتلال البريطاني لجنوب اليمن " 1839 - 1967 " وسقطت في عام 1967م كغيرها من إمارات وسلطنات ومشيخات جنوب اليمن.
6. تنظر الخريطة رقم (1) ص .
7. تنظر القباص، مرجع سبق ذكره ص 11.
8. الجيرو، أسهان سعيد: موجز التاريخ السياسي لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، موسى حمادة، أريد - الأردن 1996م، ص 137.
9. العرشي، حسين علي : اليمن الكبرى الجزء الأول، الطبعة الثانية، مكتبة الإرشاد صنعاء 1991م، ص 31.
10. لا يوجد في الإمارة إحصاء رسمي لعدد السكان خلال فترة الدراسة، ولم توجد سجلات للأحوال المدنية حتى في العواصم والمدن حيث مراكز الحكم والإدارة، ويقدر عدد سكان الإمارة وفقاً لتقديرات عام 1960م نحو ثلاثين ألف نسمة راجع الموسوعة اليمنية، الجزء الثاني. الطبعة الأولى صنعاء، ص 373. بينما يذكر أيجاتي بان سكان الإمارة نحو خمسين إلى ستين ألف نسمة، راجع أيجاتي، مرجع سبق ذكره، ص 373. ويذكر عبد الرحمن جرجرة بان سكان الإمارة يبلغ نحو خمسين ألف نسمة. راجع جرجرة، عبد الرحمن: أرضنا الطيبة - هذا الجنوب. المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة بدون - بيروت 1966م ص 13.
11. ثلثاين: مرجع سبق ذكره، ص 16 - 19 .
12. مجلة اليمن، السنة العاشرة، العدد التاسع مايو 1999م - مركز البحوث والدراسات اليمنية جامعة عدن، ص 17.
13. سليمان كرامة مبارك، التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن، الجزء الأول، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء 1994م. ص 45.
14. نرجع نفسه .

15. مجلة اليمن، السنة العاشرة، العدد التاسع مايو 1999م، ص 176.
16. الكتاب مفردا كتاب وهو مصطلح عربي مشهور يسمى في جنوب اليمن علما أو معلما.
17. سليمان كرامة مبارك، المرجع السابق ص 48.
18. نفس المرجع ص 49.
19. نفس المرجع، ص 49.
20. مقابلة مع عدد من الأساتذة اللذين عاصروا فترة الدراسة منهم الأستاذ علي عبدالله الحداد والأستاذ صالح عبدالله دعدع والأستاذ صالح عبد ربه أبو نهار.
21. فتاة الجزيرة، العدد 1438، الخميس 17 ربيع الأول 1380 الموافق 8 سبتمبر 1960م ص 4.
22. مجهول: مجموعة وثائق - مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن ص 28.
23. سليمان بن كرامة مبارك: مرجع سابق ص 166.
24. صوت الجنوب: العدد الثاني، الأحد 2 يوليو 1961م ص 3.
25. با وزير ، عبدالله عبد القادر العلمي: أتياء الزمان في من رحل من علماء بيحان خلال قرنين من الزمان، الطبعة الأولى، دار النشر بدون، 1998م ص 51.
26. جرجرة، عبد الرحمن : مرجع سابق ص 17.
27. سليمان كرامة مبارك مرجع سابق.
28. التجرو، أسمهان سعيد الجرو، مرجع سابق ص 67.
29. نفس المرجع ص 69.
30. عبدالله يوسف، محمد . أوراق في تاريخ اليمن وأثاره (بحوث ومقالات) الجزء الأول الطبعة الثانية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1990م، ص 358.
31. شير نسكي، سيرجي : أضواء على الآثار اليمنية، إصدار المركز اليمني للأبحاث الثقافية، مؤسسة 14 أكتوبر عدن ، التاريخ بدون، ص 29.
32. ليوكوك، رونالد، صيدح ، روجر: صيانة وترميم وعرض الآثار والأصناف والمواقع الأثرية والتاريخية في ج.ي.د.ش، ترجمة محمد أحمد الماس، مركز الدراسات والبحوث اليمني، عدن، يوليو 1979م، ص 40.
33. ملخص تقرير بعثة اليونسكو لصيانة المواقع الأثرية في ج.ي.د.ش، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والإرشاد، قسم الآثار والمتاحف، عن، مايو 1979م.
34. وزارة الثقافة والسياحة: تقرير أولي لمواقع مختارة للصيانة في ج.ي.د.ش، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والإرشاد والمتاحف، يوليو 1980م، ص 23.
35. شيرنسكي، سيرجي : المرجع السابق، ص 41.
36. القيسي، ربيع. الشكرية، صباح: دراسة ميدانية لمسوحات ومواقع أثرية في شطري القطر اليمني، وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد، 1981م، ص 36.
37. شيرنسكي، سيرجي: المرجع السابق، ص 34 - 35.
38. وزارة الثقافة والسياحة: المرجع السابق، ص 34.
39. القيسي، ربيع، الشكرية، صباح: المرجع السابق، ص 33.

40. ليوكوك، رونالد، صيدح، روجر: المرجع السابق، ص 36.
41. الفيسي، ربيع، الشكرية، صباح: المرجع السابق، ص 32.
42. نفس المرجع: ص 33.
43. ليوكوك، رونالد، صيدح، روجر: المرجع السابق، ص 18.
44. ملخص تقرير البعثة اليونسكو: المرجع السابق، ص 3.
45. ليوكوك، رونالد، صيدح، روجر: المرجع السابق، ص 41.
46. ليوكوك، رونالد، صيدح، روجر: المرجع السابق، ص 40.
47. نفس المرجع : ص 42.
48. ملخص تقرير بعثة اليونسكو: ص 1.
49. ليوكوك، رونالد، صيدح، روجر: المرجع السابق، ص 55.
50. فتاة الجزيرة، العدد 1438 الخميس 17 ربيع الأول 1980هـ الموافق 8 سبتمبر 1960م ص 4.
51. يا وزير، عبدالله عبد القادر العليمي المرجع السابق: ص 137.

العلاقات بين المملكة المتوكية اليمنية وبريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى حتى سنة 1925م



د. عبدالله سعيد الجعيدى*

د. ثابت صالح اليزيدي**

المقدمة

ظهرت مشكلة الحدود بين مناطق نفوذ البريطانيين والعثمانيين في اليمن بعد الاحتلال العثماني الثاني لليمن 1872م ، واستفحلت في بداية القرن الماضي، عندما تداخلت مناطق نفوذهما في شمالي اليمن وجنوبه. وبدأت مصالحهما في الاحتكاك قبل أن يظهر الإمام يحيى على المسرح السياسي . ولحسم النزاع بينهما تشكلت لجنة مشتركة بريطانية-عثمانية بين سنتي 1902-1904م قامت بتخطيط الحدود، وفي سنة 1913م تم الاتفاق بين الدولتين على ترسيم الحدود بين الشمال والجنوب اليمني. وتمت المصادقة عليها في لندن سنة 1914م وسميت بالمعاهدة البريطانية العثمانية⁽¹⁾ وعند قيام الحرب العالمية الأولى 1914-1918م كانت مشاكل الحدود قد سويت بين الدولتين، وأصبحت

* جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا- كلية الآداب - قسم التاريخ
** جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا- كلية الآداب - قسم التاريخ

المنطقة اليمنية خاضعة لنفوذ قوتين مختلفتين هما بريطانيا في جنوب اليمن ، واندولة العثمانية في شماله .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وانتهاء الحكم العثماني لليمن عاد النزاع إلى المنطقة مرة أخرى ، خاصة بعد تولي الإمام يحيى الحكم في شمالي اليمن بعد خروج العثمانيين منه . ولكن المشكلة مع هذه المتغيرات لم يكن أساسها التصادم بين المصالح ومناطق النفوذ بين الجانبين كما كان في السابق ، ولكنها أبعد من ذلك بكثير . لقد ظهر على السطح إن المحميات وعدن هي أساس النزاع بين الإمام وبريطانيا ، وحاول كل طرف تقديم ما لديه من حجج وبراهين لتدعيم موقفه فيما يدعي من حقوق ومطالب . وأدت إلى توتر العلاقات بين الإمام يحيى وبريطانيا ، بل كانت سببا في الكثير من النزاعات المسلحة بينهما . وهذا ما يجعلنا نطرح الكثير من التساؤلات منها: كيف أصبحت الحدود مشكلة بين الطرفين ؟ وما هي نظرة كل منهما لها؟ وهل المشكلة بالنسبة للإمام مجرد نزاع على الحدود فقط؟ وأخيرا ما هي وجهة النظر البريطانية تجاه هذه المشكلة وتداعياتها ؟ وكيف سعت إلى إيجاد مخرج لها؟

أولا: موقف الإمام يحيى من اتفاقية الحدود البريطانية العثمانية لليمن

رفض الإمام يحيى بعد الحرب الاعتراف بالحدود التي رسمتها معاهدة لندن 1914م . وبالتسوية التي تمت بين البريطانيين والعثمانيين لاقتسام مناطق النفوذ بينهما.(2) وكتب إلى السلطات البريطانية في عدن . أنه لم يعترف بالاحتلال العثماني لبلاده وبالتالي لايعترف ولن يلتزم بالمعاهدات التي عقدها مع البريطانيين . وأكد الإمام أن كل هذه الأقاليم التي اغتصبها البريطانيون والعثمانيون في اليمن هي ملك لأسلافه الذين كانوا يحكمونها قبل مجئ الأجانب إليها . وهو الوريث الشرعي لها ، وأن الاحتلال العثماني والبريطاني لقسم من مناطق اليمن يعد اغتصابا غير شرعي لهذه المناطق وأن الحدود التي تم تحطيطها بين طرفين مغتصبين لا يمكن الصلاحية القانونية . وأن أي اتفاق يتم بينهما لايلزم اليمن ، لأن الاغتصاب لا يترتب عليه أية حقوق بالنسبة

للمغتصب. وكان هذا الأساس التاريخي الذي استند إليه الإمام يحيى والحجة التي حاول أن يدعم بها مواقفه المطالبة بالمحميات (3).

أما الحكومة البريطانية فقد رفضت ادعاءات الإمام تلك . وكانت لها وجهة نظر مخالفة . وقد قدمت الحجج التي ترى أنها تدعم موقفها تجاه مطالب الإمام . حيث قالت: إن أملاك الإمام قبل القرن السابع عشر الميلادي كانت محصورة في صعدة وأن الأئمة الزيديين في القرنين السابع عشر والثامن عشر لم يستطيعوا تثبيت سلطتهم في جميع مناطق اليمن وأن سلطتهم كانت منتهية عندما ظهرت بريطانيا في المنطقة في سنة 1839م وقبل عودة العثمانيين إلى اليمن في سنة 1849م . وأخيراً كان البريطانيون يحتجون بأن المذهب الزيدي ليس منتشرًا في كل جهات اليمن وأن الزيديين - وهم أتباع المذهب الزيدي - فقط هم الذين يقبلون حكم الأئمة الزيديين . وأن ثمة مذاهب أخرى يتبع لها جزء كبير من اليمنيين ولا يرتضون الخضوع لحكم الأئمة الزيديين ، ولا يقبلون ذلك إلا كرها . ولعل رأي السير برنارد رايلي المقيم السياسي البريطاني في عدن (1931-1940م) يكمل وجهة النظر البريطانية تلك فهو يعتبر الإمام يحيى بصفته وريثًا للإمبراطورية العثمانية في اليمن ، عليه أن يلتزم بالاتفاق البريطاني العثماني بشأن تحديد حدود المحميات وذلك طبقاً للقانون الدولي (4) وقد عدّ البريطانيون الإمام يحيى الخصم السياسي ضد سعيهم لتثبيت سيطرتهم على المنطقة اليمنية لذلك استخدموا مختلف الوسائل لمنعه من تطبيق برنامجه السياسي القاضي بإقامة الدولة المركزية اليمنية. (5)

من العرض السريع السابق يتضح أن الاختلافات واضحة بين الجانبين حول قضية المحميات فالإمام لا يعترف بالحدود التي رسمتها معاهدة لندن البريطانية- العثمانية . أما الحكومة البريطانية رفضت الاعتراف للإمام بأي حقوق له في المحميات مهما كان نوعها . وبررت ذلك من خلال ردها السابق على مطالب الإمام . وإنها تستند على معاهدات الحماية التي وقعتها مع الأمراء والحكام والولاة التي توكل إليهم مهمة الدفاع عنهم وعن مناطقهم . فضلاً عن تمتعها بالقوة العسكرية ، وخاصة سلاح الطيران في دعم حججها وإذا أمعنا النظر إلى مواقف الطرفين من هذه القضية نجد أن بريطانيا

غير مستعدة أن تتنازل للإمام عن المحميات؛ لأن ذلك يتنافى مع السياسة البريطانية الاستعمارية ومخططاتها المرسومة في المنطقة. وحاولت صرف الإمام عن المطالبة بهذه المناطق - كما سنرى - وحرصت في الوقت نفسه على إيجاد منطقة صديقة خلف عدن خالية من أي نفوذ أجنبي وذلك لحماية عدن ولذلك حاولت أن تصور المشكلة مع الإمام على أنها نزاع على الحدود فقط حتى تقلل من أهميتها وهو ما نجحت فيه . وفي تقديرنا أن أهمية اتفاقيات الحماية لا تكمن فقط في إنها حققت لبريطانيا الحزام الآمن والدرع الواقي لأي تطورات أو أطماع داخلية أو خارجية بل منححتها الصفة القانونية للتفاوض بشأن حدودها (6) في حين كان الإمام ينظر إلى المشكلة من زاوية أخرى إذ يتهم بريطانيا باحتلال جزء من التراب اليمني. وهكذا ظلت المشكلة تتراوح في مكانها دون حل بين الجانبين. وبالتالي يصبح من السهولة فهم سبب سير الأحداث وتفاعلاتها على طول الحدود بين المملكة المتوكلية اليمنية ومحمية عدن وهذا ما سيحاول البحث تتبع جوانب منه .

ثانياً: السياسة البريطانية تجاه الإمام يحيى بين سنتي 1918-1919م

كانت بريطانيا قد توصلت مع الدولة العثمانية في سنة 1904م إلى تسوية مشاكل الحدود بينهما حول مناطق نفوذهما في شمالي اليمن وجنوبه كما ذكرنا (7) وظنت بريطانيا أنها نجحت بذلك في تأمين نفوذها ، وحماية وجودها من التهديدات الخارجية . ولكن التطورات التي مرت بها اليمن فيما بعد أدت إلى وصول الإمام يحيى إلى الحكم على حساب العثمانيين . وهو ما عُد في نظر البريطانيين تحول خطير ، ومصدر قلق وتهديد لهم ولمصالحهم في المنطقة . حيث أصبح الإمام على مقربة من حدودهم الجنوبية في عدن والمحميات . ولمنع هذا التهديد المحتمل من جانب الإمام قامت بريطانيا باتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية حدودها الجنوبية من هجمات قوات الإمام ، وإرغامه على الاعتراف بها خاصة وأن الحدود بين الجانبين متقاربة . وكانت بريطانيا ترغب في الإبقاء على حالة الهدوء والاستقرار في مناطق الحدود كما كان عليه الوضع

في السابق أثناء الحكم العثماني دون إثارة أية مشاكل أو تهديدات . ولتحقيق ذلك مارست أسلوب الضغط على الإمام لإجباره على القبول بالأمر الواقع دون أحداث تغيرات عليه من شأنه أن يضر بالمصالح والنفوذ البريطاني في المنطقة . فقامت القوات البريطانية بمهاجمة مدينة الحديدة واحتلالها عن طريق البحر وتعرضت المدينة للقصف بالقنابل من السفن الحربية البريطانية⁽⁸⁾ ولم تسلم من القصف موانئ اليمنية أخرى كالبحية والصليف والمخا ، وبرر البريطانيون هذا العدوان بتباطؤ العثمانيين في التسليم⁽⁹⁾ وكان البريطانيون قد تولوا نيابة عن الحلفاء مهمة إخراج القوات العثمانية من المناطق التي كانت تحت الحكم العثماني ومنها اليمن عند إعلان الهدنة بين الدولة العثمانية والحلفاء وكان خروج العثمانيين من اليمن يهم بريطانيا مباشرة حتى تطمئن على مستقبل عدن وتأمين حدود المحميات.⁽¹⁰⁾ ولكن المشكلة التي واجهتها بريطانيا بعد الحرب وبالتحديد منذ سنة 1919م هي كيفية التوصل إلى تسوية مع الإمام يحي الحاكم الجديد لليمن تحقق الأهداف البريطانية⁽¹¹⁾ كذلك فإن عملية الاحتلال تأتي في إطار الاستراتيجية التي وضعتها بريطانيا وشرعت في تطبيقها بعد الحرب مباشرة وأدت إلى تدهور العلاقات بينها وبين الإمام يحي فيما بعد.

وتطرق قسم من المؤرخين إلى الأهداف البريطانية من عملية احتلال الحديدة ، وعدوها جزءا من الخطة البريطانية للضغط على الإمام والمساومة بها مقابل الحصول منه على اعتراف بشرعية الوجود البريطاني في عدن والمحميات ، وتحديد الحدود بين محمية عدن والمملكة المتوكلية اليمنية . أو القبول باتفاقية الحدود البريطانية العثمانية أو جعلها قاعدة لتأسيس مستعمرة بريطانية تتصل برا بمستعمرة عدن ، فأخذت تستميل إليها زعماء القبائل اليمنية المجاورة تمهيدا لتحقيق هذا المشروع البريطاني ولكنه فشل⁽¹²⁾ ويرى قسم آخر أن بريطانيا كانت تسعى إلى وضع أقدامها في اليمن حتى تجعل الإمام أمام الأمر الواقع ثم تساومه على الحديدة فخططت لاحتلالها⁽¹³⁾ وهناك من يذكر أن الاحتلال لمعاوية الإمام على التزامه ببنود المعاهدة التي وقعها مع العثمانيين سنة 1911م قبل قيام الحرب العالمية الأولى وإجباره على إخلاء اليمن من الأتراك⁽¹⁴⁾ ومهما

تعددت الآراء وتباينت التفسيرات بشأن الأهداف البريطانية من وراء الاحتلال فإن المحصلة النهائية لها هو حماية عدن والمحميات من التهديدات التي قد تتعرض لها من قوات الإمام في ذلك الوقت بعد ان زال الحكم العثماني عن اليمن وانتزاع إقرارا منه بوجودها .

أبدى الإمام يحي امتعاضه الشديد لقيام بريطانيا باحتلال الحديدة . فهي جزء من ممتلكات الدولة العثمانية التي سلمت له من قبل محمود نديم قائد الجيش العثماني في اليمن ، ثم هي الميناء الرئيس المهم لمملكته على البحر الأحمر. وأرسل رسالة إلى ملك بريطانيا تناول فيها احتلال بريطانيا للحديدة وصور للملك البريطاني غضب أهل اليمن⁽¹⁵⁾ من ذلك وقد أضاف البريطانيون إلى منطقة نفوذهم في جنوب اليمن أرضا جديدة هي الحديدة واللحية فسلموا الأخيرة لحليفهم الإدريسي واحتفظوا بالأولى لبعض الوقت بين أيديهم' كانت ضربة كبيرة لطموحات الإمام التي خطط لها وسعى نحو تحقيقها أو كما قال المؤرخ سيد مصطفى سالم : "أنه صمم على أن يلعب الدور الذي رسمه لنفسه منذ أمد بعيد"⁽¹⁶⁾ فكتب الإمام إلى المعتمد البريطاني في عدن يحتج على عملية الاحتلال فرد عليه المعتمد قائلا: "إننا دخلنا الحديدة لنحفظ فيها النظام ، وسنعيدها قريبا إليكم "⁽¹⁷⁾ وهذا الوعد عدّه الإمام حجته السياسية في مسألة استعادة الحديدة فيما بعد⁽¹⁸⁾ وكان الرد البريطاني في نظر البعض نوعا من المراوغة ، إذ لم يكن غرضهم المحافظة على الأمن والنظام كما يدعون ولا إخراج العثمانيين فحسب ، بل إن احتلالهم للحديدة نتيجة خطة سياسية بعيدة المدى . فهم لا يرغبون في التوسع في شمال اليمن ولا يطمعون في توسيع ممتلكاتهم في جنوب اليمن أكثر من المحميات ولكنهم كانوا في الوقت نفسه لا يأمنون كثيرا الإمام ويهدفون إلى جعل الحديدة ورقة في أيديهم (كما أسلفنا) ويساومونه بها حتى يطمئنوا على مستقبل الوضع في شمال اليمن وعلى سير العلاقات معه باعتباره الحاكم الجديد لهذا الإقليم المجاور لهم . فهم يحرصون على سلامة وأمن حدود المحميات ومن ثم على الأمن والنظام في شمال اليمن نفسه ومن ثم فإن الحديدة من وجهة نظرهم وسيلة وليست غاية⁽¹⁹⁾

من العرض السابق يتضح أن بريطانيا أرادت تحقيق بعض أهدافها من خلال احتلال الحديد، وقد اتصفت السياسة البريطانية في هذه المدة بالتخبط والغموض وهذه وضعية أفرزتها التطورات المتلاحقة بعد الحرب العالمية وانتصارها فيها، ففي هذه الأثناء وجهت بريطانيا أنظارها إلى ناحية الشيخ سعيد في باب المنذب وخطت لإقامة دولة مستقلة تضم تعز والحجرية لتكون حاجزا بين قاعدة عدن والمملكة المتوكلية اليمنية الناشئة، ولكن هذا الأمر واجه الكثير من الصعوبات مما جعلها تغض النظر عنه. ثم وضعت ثلاثة بدائل مختلفة الأولى تدعو إلى إعطاء الإمام معظم المحميات في مقابل الحصول على امتيازات تجارية. والثانية تنص على وجوب اعترافه بخط الحدود لسنة 1904م الذي تم بينها وبين العثمانيين، أما الثالثة فتدعو إلى تجاهله وتدعيم سلطات السلاطين في المحميات (20)

وقد تدهورت العلاقات اليمنية البريطانية مع مواصلة احتلال القوات البريطانية لميناء الحديد وإمدادها قوات الإدريسي بالأسلحة والذخائر. وقد عبرت رسالة المقيم السياسي في عدن (استيوارت) إلى الإمام يحيى في 16 يناير 1919م عن مدى تردي العلاقات بين الطرفين فقد رفض استيوارت مقابلة مبعوثي الإمام الذين وصلوا من الحديد على دفتين بدعوى اتصال أحد أعضاء الوفد بقنصلية أجنبية (أميركا) وتسليمه رسالة من الإمام إلى القنصل. غير أن المقيم السياسي في عدن لجأ إلى سياسة العصا والجزرة في رسالته إلى الإمام فأبدى استعداد له لتلقي أي رسالة له من الإمام تبعث له عن طريق الحديد. (21)

ولمواجهة هذه السياسة البريطانية دعا الإمام في سنة 1919م مشايخ وأعيان البلاد للاجتماع بهم، وتنبأ أمامهم بالاحتلال البريطاني لليمن وطالبهم بالالتفاف حوله باسم التضامن والوحدة الإسلامية. (22) وفي ذلك إشارة منه للمجتمعين بالنوايا البريطانية السيئة التي تستهدف احتلال بلادهم والسيطرة عليها وضمها إلى الجزء الجنوبي من اليمن الخاضع لهم. وكان هدف الإمام من ذلك هو كسب الرأي العام إلى جانبه في مواجهة السياسة البريطانية من خلال دعوته مشايخ البلاد وشرح مغزى هذه السياسة

وفي ضوء ماتقدم نخلص إلى أن السياسة البريطانية بين سنتي 1918-1919م تهدف كما بيد وإلى ترتيب الأوضاع في المنطقة بعد خروج العثمانيين من اليمن وتسلم الإمام يحيى مقاليد الحكم فيها بما لا يضر بالوجود البريطاني في جنوب اليمن ولم يكن في نيتها احتلال شمالي اليمن بسبب وعورة الأرض ونقل القبائل هناك لهذا تأرجحت سياستها بين اللين والقوة⁽²³⁾.

ثالثاً: بعثة جيڪوب والعلاقات بين الإمام يحيى وبريطانيا 1919-1925م

أ) بعثة جيڪوب إلى صنعاء الدوافع والمعوقات:

أرسلت بريطانيا إلى صنعاء المساعد الأول للمقيم السياسي البريطاني في عدن هارولد جيڪوب على رأس بعثة سياسية بريطانية لمقابلة الإمام يحيى ، والتفاوض معه في بعض القضايا منها مستقبل اليمن بعد استسلام العثمانيين⁽²⁴⁾ والمساومة على إخلاء الحديد مقابل الاتفاق معه على حدود المحميات⁽²⁵⁾ فضلاً عن انسحاب قواته من الضالع وأطراف محمية عدن⁽²⁶⁾

ونقلت البعثة معها خطاب إلى الإمام من السلطان جورج الخامس⁽²⁷⁾ ويقول جيڪوب عن مهمته ما يأتي: "وكان هدفي مناقشة مستقبل البلاد مع الإمام بعد الاستسلام التركي، ولم يوجد مطلب أو اقتراح بصدد عقد معاهدة مع الإمام يحيى، وإنما كنا نرغب في الاطلاع على وجهات نظره، ومعرفة آرائه"⁽²⁸⁾

وقد ضمت البعثة إلى جانب جيڪوب مجموعة من المساعدين والخبراء هم: الرائد برنارد رايلي والنقيب رتشاردسون والنقيب بروك والسكرتير الهندي لجيڪوب، واحد أعضاء حزب الرابطة العربية بالقاهرة⁽²⁹⁾ ووصلت البعثة إلى الحديد في الثامن عشر من أغسطس 1919م ثم توجهت إلى باجل⁽³⁰⁾ فوصلت إليها في العشرين من أغسطس وقامت قبيلة القحري اليمنية باعتقال البعثة ومنعتها من الوصول إلى صنعاء⁽³¹⁾ بحجة عزم جيڪوب بتسليم البلاد للإمام⁽³²⁾

بذلت أطراف عديدة جهودا حثيثة لفك أسر البعثة ، وكتب الإمام إلى شيوخ قبيلة القحري يهددهم ويتوعدهم بالعقوبات الشديدة إذا لم يطلقوا سراح البعثة ويسمحوا لها بالوصول إليه بسلام . ووصف فعلهم بأنه انتهاك الحرمات (33) وبعث إليهم محمود نديم (34) مندوبا من قبله للتفاوض معهم ومعه مائة وثلاثون جنديا ومبلغا من المال قدر بأربعة آلاف ليرة عثمانية (35) ولكن محمود نديم كما أشارت بعض المصادر كان محل شك الإمام واتهم بالتآمر مع قبيلة القحري لمنع وصول البعثة إلى صنعاء (36) في حين تتحدث مصادر أخرى إن القبيلة قامت باعتقاله (37) ولكن جيڪوب تحدث عن الرجل وأثنى على جهوده في سبيل إطلاق سراح البعثة من خلال المساعي الحميدة التي قام بها لإقناع شيوخ قبيلة القحري ولكنه فشل (38)

وحاولت الحكومة البريطانية إطلاق سراح البعثة من الأسر وعرضت على قبيلة القحري خمسون ألفا من الجنيهات الإسترلينية مقابل ذلك ، ولكن شيوخ القبيلة رفضوا العرض وعدوا جيڪوب رئيس البعثة من جواسيس البريطانيين في بلادهم ، وأن بقاءهم في الأسر يحفظ لهم بلادهم (39) وقامت السلطات البريطانية في عدن بإرسال أحد موظفيها السياسيين إلى الحديدة للمهمة نفسها وزودته بمبالغ كبيرة لصرفها على القبائل المجاورة لقبيلة القحري لكسبها إلى جانبها حول قضية إطلاق سراح البعثة ، ولعزل القبيلة عن جيرانها فتضطر تحت الضغوط إلى إخلاء سبيل البعثة ، ولكن المحاولة فشلت بسبب موقف القبيلة الراض إطلاق سراح البعثة (40)

وفي الثلاثين من سبتمبر 1919م تسلم قائد سلاح الجو الملكي البريطاني في عدن طلبا بإرسال طائرات للتخليق فوق منطقة باجل . فأقلعت طائرتان "سوييد سنايب" قامتتا بالتخليق لاستطلاع مواقع البعثة ، وتحديدتها دون أن تلقي أي قنابل (41) وكان ذلك أول عملية يتم فيها استخدام الطيران الحربي البريطاني في المنطقة . وكان لظهور الطائرات أهمية واضحة وعاملا مضافا من العوامل المساعدة في فك أسر البعثة ، وبعد مضي حوالي أربعة أشهر تم إطلاق سراح البعثة في الثاني عشر من ديسمبر 1919م وعادت

أدراجها إلى الحديدية ثم إلى عدن دون أن تواصل رحلتها إلى صنعاء كما هو مخطط لها⁽⁴²⁾

حظيت البعثة ومحاولة زيارتها إلى صنعاء باهتمام المؤرخين وتناولوا أهدافها والغرض من اختيار طريق الحديدية -باجل صنعاء ورأوا فيها نوايا مبيتة ذات أهداف بعيدة⁽⁴³⁾ وقد أفصح جيكوب عن ذلك بوضوح عندما قال : " لقد نصحت باستخدام هذا الطريق ، وأوصيت باجتيازها لكي نقيس نفوذ الإمام ،مع أنه كان من السهل علينا أن نصعد إلى صنعاء عن طريق عدن حيث إننا نعرف الموظفين الرسميين والزعماء على طول تلك الطريق "⁽⁴⁴⁾

وإذا كانت البعثة عادت دون أن تصل إلى صنعاء ولكنها بالمقابل حققت جزءا كبيرا مما هدفت إليه .حتى أن جيكوب يشير إلى أن رحلته المضنية كانت مفيدة له ، ولاسيما عندما بذل نشاطا سريا لمعرفة مايدور حوله في أثناء الأسر⁽⁴⁵⁾ وقدم عند عودته تقريرا واقفا عن الأوضاع في اليمن أو في تهامة حيث تتصارع القوى المختلفة وتتنظر بترقب إلى موقف السلطات البريطانية .أما الإمام فكان الخاسر الوحيد فقد عول كثيرا على وصول البعثة إليه للتباحث معها في كثير من المسائل ومنها الحديدية المحتلة من قبل البريطانيين والتي وعدته بإعادتها إليه مما كان له الأثر السلبي على علاقاته مع بريطانيا في السنوات اللاحقة⁽⁴⁶⁾

ب) أثر فشل البعثة على العلاقات بين الإمام وبريطانيا 1920-1925م

فوت فشل البعثة البريطانية الفرصة لاتصال الإمام المباشر مع البريطانيين ، وعد الإمام ذلك انقلابا من جانب بريطانيا عليه⁽⁴⁷⁾ وولدت لديه الشكوك في نواياهم تجاهه ، خاصة وإنها أول محاولة بريطانية للتفاهم معه باعتباره الحاكم الجديد لليمن وكان الأجدر بها من وجهة نظره أن تصر على إتمام اللقاء معه بأي حال ، فكان لذلك أثره في تدهور العلاقات بين الطرفين .وتكونت لدى الإمام قناعات أن بريطانيا بدأت ترسم سياستها بما يتفق ومصالحها في جنوب اليمن ، دون مراعاة لرغباته وآماله في تلك المناطق⁽⁴⁸⁾

ويتضح من الوثائق البريطانية أن السياسة البريطانية كانت تحاول خداع الإمام بشأن الحديدية ، فقد نشط الضباط خلال عام 1920م فأعزوا إلى بعض أعيان الحديدية رفع الاسترحامات والاستعطافات بواسطة الحاكم السياسي في الحديدية إلى لجنة الأمم (عصبة الأمم) (49)

وكان رد الإمام مباشراً، إذ أمر قواته بالهجوم على المحميات سنة 1920م وعلق أمين الريحاني على هذه السياسة بقوله : " إن الإمام اقتدى بالبريطانيين أنفسهم فقد ضربهم في منطقة قريبة منهم ليخرجهم من بلاد لا يصل سيفه إليها" (50) أي ضربهم في محمياتهم حتى يضطروهم إلى الخروج من الحديدية أو تسليمها إليه . وتمكنت القوات من احتلال مناطق الضالع والشعيب والاجعود والقطيبي وبعض أجزاء من إمارات يافع العليا والعوائل والصبيحة وبلاد الأميري (51) ولكن البريطانيين ردوا على الهجوم بأن سلموا الحديدية للإدريسي في 31 يناير 1921م (52) . وفي روايات أخرى أن التسليم تم بعد أن فشلت بريطانيا في الحصول على ماكانت تخطط له من الإمام (53) ولأن الإدريسي كان حليفاً في الحرب حتى نهايتها ضد العثمانيين، فكافأته بريطانيا بالحديدية، لتتخلص من المشكلات العديدة التي واجهتها من قبل السكان. (54) . ثم أنها أرادت أن تكون الحديدية سبباً دائماً للعداء بين الأمام والإدريسي (55) ومهما تعددت الروايات حول قضية تسليم الحديدية للإدريسي فإن العملية جرت في إطار السياسة التي أعدتها بريطانيا تجاه الإمام يحي وسعت إلى تنفيذها للوصول إلى أهدافها .

واختلفت المصادر التاريخية بشأن توقيت تاريخ هجوم الإمام على المحميات ، وهل كان بعد أن سلم البريطانيون الحديدية للإدريسي أم بعد فشل بعثة جيكوب مباشرة؟ (56) وتحدث جيكوب وهو رئيس البعثة البريطانية حول هذه المسألة وأشار إلى أن الهجوم كان بسبب فشل البعثة في باجل وقال صراحة : " ولسوف يقال إن الإمام نفسه قد أثبت العدواة، وبرهن عليها بالعمل العدائي عندما عبر نوابه حدودنا القديمة ووصلوا إلى الضالع ، والحال أنه إنما فعل ذلك بعد ما لمح تغير في سياستنا نحوه عندما كانت بعثتي

في باجل....وأنا لا أدافع عن عمله في الضالع ولكن من السهل معرفة البواعث المحركة التي دفعته إلى ذلك» (57)

وهذا الوصف من قبل جيكوب اعترافا منه بأن ما قام به الإمام كان ردا طبيعيا تجاه المواقف البريطانية السابقة نحوه . وعملا مبررا. غير أن ما قاله بأن ذلك اعتداء على ممتلكات البريطانيين ليس صحيحا . وبالمحصلة فإنه مهما اختلفت الآراء حول تحديد تاريخ الهجوم ودوافعه ، إلا إننا نتفق جميعا بأن العمليات العسكرية التي جرت في المحميات كانت نتيجة للسياسة البريطانية المعادية للإمام سواء لفشل بعثة جيكوب أو تسليم الحديدة للإدريسي ، أو لأن البريطانيين غير مخلصين أو حتى مطمئنين له (58)

إن تسليم الحديدة للإدريسي لم يكن حادثا عرضيا بل تم التخطيط له في إطار السياسة البريطانية . وهو بلا شك قد أثار الفتن والاضطرابات وهذا أمر سهل لبريطانيا التدخل أكثر في المنطقة وتحقق أهدافها . ولم تكن الحديدة قضية الإمام الوحيدة مع الإدريسي ، بل باقي موائى تهامة الأخرى (59) فضلا عن رغبته في عسير نفسها وفي المحميات وعدن مما زاد الوضع تعقدا في المنطقة .ولكن بريطانيا ووقت بحزم أمام تطلعات الإمام في استعادة هذه المناطق وعدته عدوها،ومصدر تهديد لها، ووقفت إلى جانب الإدريسي مما أجد الصراع وأدى إلى ظهور جبهتين متنافستين الأولى تضم الإدريسي وبريطانيا والثانية يمثلها الإمام يحيى فخيمت على المنطقة أجواء الحرب .

لقد كان باستطاعة بريطانيا أن تسوي جميع مشاكلها مع الإمام في هذه المدة ولكنها اصطدمت بالموقف المتعنت الذي أبداه المقيم البريطاني في عدن تجاه أي حلول تطرح للمشكلة . ففي أثناء انعقاد مؤتمر خبراء الشرق الأوسط في القاهرة في مارس 1921م (60) طرح أعضاء المؤتمر فكرة الاعتراف بسلطة الإمام على المحميات حتى حدود سلطنة لحج فعارض المقيم السياسي البريطاني في عدن . ثم رأت الحكومة البريطانية في لندن أن من مصلحة بريطانيا الاعتراف بالإمام على حساب حكام المحميات غير الموثوق فيهم شريطة الموافقة على اعتبار لحج وعدن بريطانيتين .وأن تكون عدن المنفذ الاقتصادي لليمن، ولكن هذا المشروع تم تجميده (61) وهذه المقترحات

حظيت باهتمام قسم من الساسة البريطانيين ومنهم جيكوب الذي كان من مؤيدي وجهة النظر الداعية إلى التنازل للإمام عن المحميات والتخلي عن الأمراء والحكام فيها وفي هذا الصدد قال: " وإنني اعتقد بأنه ليس في استطاعة أي أحد أن يتهمنا عدلا بخيانة الأمانة إذا ما تركنا أولئك القوم الذين تحت حمايتنا ليذهبوا عائددين إلى الإمام مرة أخرى " ويضيف جيكوب إن المصالح البريطانية لن تصاب بالضرر وإنها ستصان عن طريق تقوية مركز بريطانيا في عدن ، والتخلي عن المناطق الداخلية. (62)

ظلت الأوضاع في المنطقة على حالها دون تسوية للمشكلة بين جميع الأطراف ثم توترت أكثر عندما عبرت بعض قوات الإمام الحدود في سنة 1921م واحتلت مناطق معادن والفرشة التابعة لإمارة الصبيحة .فاحتج البريطانيون على ذلك وقامت طائراتهم الحربية بإلقاء قنابلها على الجنود وقسم من القرى المجاورة للحدود ، فأصابتها بأضرار ، فانسحب على إثرها جنود الإمام من معادن والفرشة. (63)

وقام الإمام بتوزيع المنشورات على السلاطين والأمراء والحكام في المحميات ، والتي يؤكد فيها إن البلاد واحدة ، وشعبها واحد ويدين بدين واحد ويتكلم لغة واحدة . فاقبت دعوته تلك رواجاً في حضرموت وخاصة بين السادة العلويين بسبب الصراع الذي كان قائماً بينهم وبين الإرشاديين (64) وطالب في تلك المنشورات أيضاً بأرض أجداده دون أن يحددها بالضبط وطرح بعض الأفكار حول كيفية إدارة البلاد الواقعة جنوب إقليم اليمن بشرط أن لا تكون على حساب سيادته عليها . وأبدى استعداد لترك المنطقة الساحلية من لحد حتى المكلا للبريطانيين .وأما مناطق يافع والحوشب ، فقد قبل بقاءها تحت حكم أمرائها ، شريطة أن يحكموا بمقتضى الشريعة الإسلامية وبالنسبة للضالع وبقية الإمارات فأكد على ضرورة وضعها تحت حكمه المباشر ولكن الحكم فيها سيكون عن طريق المذهب الشافعي (65)

عارضت السلطات البريطانية في عدن أسلوب الإمام يحي في إرسال المنشورات ، وأظهرت توجسها من هذا النشاط الذي يقوم به . على الرغم من أن ما طرحه الإمام لا يختلف من حيث المضمون عن مقترحات مؤتمر القاهرة للخبراء ، ويعود سبب

معارضة بريطانيا ذلك للدور الذي كان يؤديه موظفوها في المستعمرات في صياغة السياسات التي تخص مستعمراتهم وكان موظفو عدن يعارضون مثل تلك السياسات، ويدعون إلى السيطرة الكاملة على المحميات (66)

بدأت الحكومة البريطانية تغير من سياستها تجاه الإمام بعد دخول قواته إلى بعض مناطق المحميات ، وردود الأفعال الغاضبة التي خلفتها في الدوائر السياسية البريطانية في لندن فقامت بتغيير المقيم السياسي في عدن ، ووجهت بتغيير السياسة البريطانية نحو الإمام . وأدى ذلك إلى استئناف المفاوضات بين الجانبين وتبادلوا الهدايا وعين القاضي عبدالله العرشي ممثلاً عن الإمام في عدن ومكث هناك عامين يحاول الوصول إلى اتفاق بين الإمام والبريطانيين ولكنه لم يوفق في جميع المفاوضات التي أجراها للعثور على حل يرضي الطرفين (67) وذلك بسبب بقاء الحديدية وموائئ تهامة الأخرى في يد الإدريسي فقد كانت عاملاً أساسياً في فشل مهمة العرشي (68) وكان الإمام تزعجه قوة الإدريسي وسيطرته ويريد استرداد الحديدية قبل كل شيء ، في حين كان البريطانيون يطالبونه بالخروج من المحميات (69)

وحاول أمين الريحاني الذي زار المنطقة في هذه الحقبة التوسط لحل المشكلات بين الأطراف كافة .فالتقى بالإمام يحيى في صنعاء والإدريسي في جيزان والمعتمد البريطاني في عدن .واقترح عليهم عقد مؤتمر في عدن أو الحديدية يحضره ممثلون عن الأطراف المتنازعة وكتب إلى الإمام يحثه على الموافقة على عقد المؤتمر وبيعت ممثلاً عنه إليه . وطلب أن تكون مطالبه مقتصرة على الحديدية فقط دون طرد الإدريسي من عسير كله . ولكن الإمام رفض هذه المقترحات ، وأصر على استعادة جميع البلاد التي تحت سيطرة الإدريسي الذي قال عنه إنه لا يتمتع بأي حقوق مشروعة في اليمن ، ومن ثم ليس من حقه التفاوض في شيء منها (70)

ثم أسأفت بريطانيا مساعيها لإيجاد حلول للمشاكل مع الإمام وعقد معاهدة جديدة معه وأوكلت المهمة إلى هارولد جاكوب الذي وصل إلى صنعاء في ديسمبر 1923م واقترح على الإمام عندما التقى به عقد معاهدة للصدقة تنظم العلاقات بين الدولتين

وتعيين ممثل دبلوماسي بريطاني مقيم في صنعاء ، ومد خط للسكة الحديد يربط بين عدن ولحج وصنعاء . ومنح بريطانيا امتيازات تجارية . وبالمقابل تعترف الحكومة البريطانية بسلطته على سلطنات لحج وحضرموت (71) وأجاب الإمام على جيكوب بأنه لن يبدأ في الشروع في أي مفاوضات قبل إعادة ميناء الحديدة إليه ، والموانئ اليمنية الأخرى المجاورة له لأنها جزء من مملكته ولن يكون هناك أي اتفاق قبل أن تعقد معاهدة بينه وبين الحكومة البريطانية وفي هذا الصدد قال الإمام يحي : " ...ومن المعلوم أن الدخول في هذه الأمور والنظر في المقبول منها والمرفوض يتوقف على إبرام المعاهدة وإلا كان ذلك داعياً للنزاع والدخول فيما لا تحمد عقباه" (72) لهذا فشلت مهمة جيكوب . واكتفى الإمام بإصدار بيان عبر فيه عن رغبته في إقامة علاقات ودية مع بريطانيا (73)

ويبدو أن الإمام يحي قد قبل بالحوار مع البريطانيين بوصفه وسيلة لتحقيق غاية وليس هدفاً استراتيجياً لبناء علاقات قوية مع بريطانيا. فسياسته الخارجية تقوم على عزل اليمن عن العالم الخارجي حتى أنه لا يسمح لأحد بدخول بلاده مهما كان مركزه إلا بإذن منه شخصياً (74) وفسرت هذه السياسة بأنها لحماية بلاده من الأطماع الأجنبية والمؤامرات الاستعمارية (75) فقد كانت غايته حينها استعادة الحديدة وغيرها من الموانئ الأخرى ثم أضاف إليها المطالبة بالمحميات الجنوبية. أما بريطانيا فكانت تهدف من خلال المفاوضات إلى عقد معاهدة مع الإمام حتى تبقى بعيداً عنها ، وعن عدن . وفي الوقت نفسه يكون صديقاً لها .

ظلت مواقف الأطراف المتنازعة على حالها دون تغيير بعد فشل جميع محاولات التسوية . وكان الحذر والترقب هو المخيم على الموقف بينهما . وبالتالي فإن الأوضاع القائمة على الأرض وما يخطط له كل طرف يمكن توضيحها على النحو الآتي : كان حاكم عسير حتى تلك اللحظة لا يزال يسيطر على ميناء الحديدة وبقية الموانئ الأخرى في تهامة . ويحاول بسط نفوذه بالكامل على هذه المنطقة عن طريق دعم البريطانيين له . أما الإمام يحي فإن قواته لا تزال تحتل بعض المحميات ويحاول في الوقت نفسه الضغط على السلطات البريطانية في عدن حتى تعترف بحقه التاريخي في المحميات التي

يعتبرها جزءاً من مملكته وإعادة الحديدية والموانئ الأخرى له من الإداريسي . أما البريطانيون فإنهم قلقون من بقاء قوات الإمام في المحميات ، واستمرار عبور قواته بين الحين والآخر. لهذا سعوا إلى الاحتفاظ بالمحميات وإبعاد خطر الإمام عنها ، والضغط عليه حتى يقبل بحدود 1904م.

هكذا كان المشهد السياسي في اليمن مع نهاية سنة 1923م مرشحاً لإفرازات جديدة في أي لحظة ، وهذا ما حصل بالفعل . فقد قامت قوات الإمام في سنة 1924م بالاستيلاء على الجزء الأعلى من سلطنة العواذل العليا⁽⁷⁶⁾ وهذه العمليات المتواصلة التي قام بها الإمام على مناطق المحميات أغضبت السلطات البريطانية في عدن ، وأضرت بسمعتها في المنطقة . فقامت بعض طائراتها الحربية من مطار عدن في 9 يوليو 1925م بمحاولة لإجبار قوات الإمام على الانسحاب من أراضي العواذل العليا. وفي أكتوبر من السنة نفسها استأنفت الطائرات البريطانية ضربها للقوات الأمامية لاستعادة ماتبقى من أراضي السلطنة العوذلية . وعند ذلك أوقف الإمام عملياته العسكرية في المحميات نتيجة لضغط الطائرات البريطانية واستمرار قصفها لمناطق الحدود .⁽⁷⁷⁾ ثم غيرت بريطانيا سياستها تجاه المحميات خشية ضياعها وانضمامها إلى المملكة المتوكلية اليمنية . فرفعت شعار " وحد تسد " بديلاً عن شعارها القديم " فرق تسد " وتجسد هذا الشعار في فكرة إنشاء اتحاد لإمارات الجنوب اليمني تابع لها . وقام المقيم السياسي البريطاني في عدن للترويج لهذه الفكرة في سنة 1925م ولكنها باءت بالفشل⁽⁷⁸⁾

وفي غضون ذلك حاولت بريطانيا الاستفادة من توقف العمليات العسكرية فسعت من أجل الاعتراف بشرعيتها من قبل الإمام يحيى في جنوب شبه الجزيرة العربية أملة حل هذه القضية قبل أن يبدأ مؤتمر (لوكارنا) أعماله الذي كان عليه أن يحدد مصير الولايات العربية التابعة سابقاً للإمبراطورية العثمانية . واستهدفت عدم إعطاء مبرر لمنافستها فرنسا وإيطاليا لتعزيز مواقفها ولهذا الغرض بعثت الإدارة البريطانية في عدن بممثلها إلى الإمام وكلفته بسحب القوات اليمنية في المناطق الخاضعة للسيطرة البريطانية في المحميات⁽⁷⁹⁾

وفي هذا الوقت قرر الإمام يحيى أن يستعيد ميناء الحديد من الإريسي بعد أن فشلت جهوده السابقة في استعادتها عن طريق بريطانيا. فاستغل الظروف الصعبة التي تعيشها الإمارة الإريسية والصراع الدائر بين أفراد الأسرة الإريسية الحاكمة وتمكن سنة 1925م من استعادة الحديد وبقية موانئ تهامة الأخرى من الإريسي⁽⁸⁰⁾ وأمن بذلك لمملكته الاتصال بالبحر الأحمر والسيطرة على الطرق التجارية التي تربط ميناء اللحية والحديدة بالعاصمة صنعاء. وساعده في تحقيق ذلك امتناع الحكومة البريطانية عن تقديم المساعدة للإريسي في هذه الحرب بحجة إنها من المشكلات الداخلية على الرغم من وجود معاهدة بينها وبين الأريسي⁽⁸¹⁾ وهذا ما يدعو إلى الاعتقاد بأن الموقف السلبي البريطاني كان مقصودا. لينصرف نظر الإمام عن المطالبة بالمحميات ومن ثم ينشغل عنهم ، فتبقى مصالحهم الحيوية والعسكرية والاستراتيجية والاقتصادية في مأمن منه ومن تهديداته .

وكانت جريدة المقطم المصرية قد نشرت على إحدى صفحاتها ردا لمسؤول بريطاني على طلب الإمام بإعادة ميناء الحديد إليه كشرط للاتفاق مع بريطانيا جاء فيه : "إنه لا قبل لهم بإرغام الحكومة الإريسية على إخلاء ميناء الحديد فعليه أن يتقدم لاحتلالها إذا كان ذلك في طاقته " ووعده بعدم المعارضة⁽⁸²⁾ وهكذا فإن محاولات بريطانيا إرغام الإمام يحيى على الاعتراف بسيادتها في المحميات مقابل تسليمه للحديدة لم تنته بنجاح واستعاد اليمانيون الحديد بقواتهم الذاتية .

ونرى في استعادة الإمام يحيى للحديدة نقطة تحول مهمة في تاريخ المملكة المتوكلية وعلاقتها مع بريطانيا من جهة وغيرها من الدول. فقد تمكن من الاتصال بالعالم الخارجي وأخذ يقيم علاقات مع بعض الدول الأوروبية ، وهو ما أزعج الحكومة البريطانية واتخذت إزاء ذلك سياسة أخرى تماشت مع المتغيرات الإقليمية والدولية .

الهوامش والمصادر

- 1) سيد مصطفى سالم، تكوين اليمن الحديث والإمام يحيى 1904-1948م، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ط2، دار القومية العربية للطباعة، القاهرة، 1971، ص231. شفيقة العراسي، السياسة البريطانية في مستعمرة عدن ومحيطاتها، 1937-1945م، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، 2004م، ص25
- 2) د. فاروق عثمان أبانزة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1987م، ص556
- 3) هارولد تجرامس، اليمن - الأئمة الحكام الثورات، ترجمة نجيب سعيد بلوزير، الكتاب السنوي لمجلس اليمن، مركز البحوث والدراسات اليمنية، جامعة عدن، 2007م، ص60-61. دلال بنت مخلد الحربي، علاقة سلطنة لحج ببريطانيا 1918-1959م الرياض 1997م، ص160
- 4) د. فاروق عثمان أبانزة، المرجع السابق، ص557
- 5) مجموعة من المؤلفين السوفيت، تاريخ اليمن المعاصر 1917-1982م ترجمة محمد علي البحر، المطبعة الفنية، القاهرة، 1991م ص11
- 6) شفيقة عبدالله العراسي، المرجع السابق، ص25
- 7) جاءت هذه التسوية بعد احتكاك وتصادم مصالحهما في المنطقة. وشكلت لجنة لهذا الغرض ضمت ممثلين عن الطرفين واستطاعت إتمام عملها وقدمت مقترحاتها بين سنتي 1902-1904م. ثم تمت المصادقة عليها في سنة 1914م. للمزيد انظر سلطان ناجي، التاريخ العسكري لليمن 1839-1967م، عدن، 1976م، ص35. احمد عطية المصري،، النجم الأحمر فوق اليمن، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2، لبنان، 1986م، ص52
- 8) تعرضت الحديدية لفصاف الأسطول البريطاني والحق الفصاف بها الخراب والتدمير وأدى إلى قتل وتشريد أعداد كبيرة من السكان. للمزيد ينظر: عبد الكريم بن احمد مطهر، سيرة الإمام محمد بن يحيى حميد الدين المسماة كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عيسى صالحية، الجزء الأول، دار البشير، عمان، 1997م، ص167. أمين الريحاني، ملوك العرب، ج1، ط3، مطابع صادر ريحاني، بيروت، 1951م، ص192
- 9) محمد يحيى الحداد، التاريخ العام لليمن، الجزء الخامس، ط1، منشورات المدينة، لبنان، 1986م، ص48-49. ومعروف أنه بعد هزيمة القوات العثمانية في الحرب العالمية الأولى، نصت المادة السادسة عشر من اتفاقية الهدنة على استسلام جميع الحاميات العثمانية في الحجاز وعسير واليمن وسوريا والعراق إلى أقرب قائد من قادة الحلفاء. ولكن العثمانيين لم يدعوا لذلك بحجة عدم استلام تعليمات من حكومتهم. فقامت بريطانيا باحتلال الحديدية. للمزيد انظر: جون بولدرى، العمليات البريطانية ضد اليمن أبان الحكم التركي 1914-1919م، ترجمة سيد مصطفى سالم، المطبعة الفنية، القاهرة، 1981م ص131-134
- 10) سيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص256. على الرغم من أن البريطانيين قد عززوا مركزهم في عدن إلا أن وضعهم في المناطق المحيطة بها لم يكن مستقرا رغم إبرام عدد من اتفاقيات الحماية مع حكام هذه المناطق قبل قيام الحرب العالمية الأولى. وكان الكاتب هنز قد أدرك مبكرا الحاجة إلى وجود منطقة عازلة بين عدن وشمال اليمن في المستقبل. ولتحقيق هذه الغاية عقدت مع حكام الجنوب اليمني سلسلة من اتفاقيات الحماية

- للمزيد ينظر : أريك ماترو، اليمن والغرب 1571-1962م، ترجمة عبدالله حسين العمري، ط2، دار الفكر، دمشق، 1987م، ص109-110
- (11) نفسه، ص110
- (12) محمد يحيى الحداد، المرجع السابق، ص40
- (13) سيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص238
- (14) عبد الكريم بن احمد مطهر، المرجع السابق، ص167، هانز هولفريتز، اليمن من الباب الخلفي، ترجمة خيرى حماد، ط3، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، 1985م، ص137.
- (15) عبد الكريم بن احمد مطهر، المرجع السابق، ص179. والنص الكامل للرسالة في هذا المرجع.
- (16) سيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص238
- (17) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص192-193
- (18) فتوح عبد المحسن الخنريشي، تاريخ العلاقات اليمنية السعودية 1926-1934م، ط1 ' منشورات ذات السلاسل،، الكويت، 1983م، ص25
- (19) سيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص259
- (20) سلطان ناجي، المرجع السابق، ص87
- Doreen Ingrams-LeilaIngrams , Records of Yemen 1798-1960,Volume6 1914-(21
1923, p381
- (22) د. دلال بنت مخلد الحربي، المصدر السابق، ص87
- (23) احمد عطية المصري، المرجع السابق، ص18
- (24) هارولد جيكونب، ملوك شبه الجزيرة العربية، ترجمة احمد المضواحي، مركز الدراسات والبحوث اليمني وصنعاء، دار العودة بيروت، ص261. احمد فضل العبدلي، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، حقهقه وضبط نصه وعلق عليه أبو حسان خالد أبا زيد الانرعي، مكتبة الجيل الجديد صنعاء 2004م، ص308
- (25) مجموعة من المؤلفين السوفيت، المرجع السابق، ص12
- (26) مجهول المؤلف، مستعمرة عدن وجاراتها التي تدعى بريطانيا حملتها، دم، 1949م ص211. احمد فضل العبدلي، المصدر السابق، ص308.
- (27) أمين الريحاني، المرجع السابق، ص195
- (28) هارولد جيكونب، المرجع السابق، ص261
- (29) صباح مهدي الأموي، التطورات السياسية في الجنوب اليمني 1918-1945م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد 1997م، ص71-72
- (30) باجل : بلدة واقعة بين الحديدية وصنعاء وهي على بعد 70 كيلومتر شمال الحديدية وهي الحد الفاصل بين الجبال وسهل تهامة
- (31) سيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص259
- (32) جيكونب، المصدر السابق، ص267. انجراس، المصدر السابق، ص60
- (33) جيكونب، ص276

- 34) كان محمود نديم وأبنا علي اليمن حتى رحيل العثمانيين عنها بعد الحرب العالمية الأولى إلا أنه فضل البقاء في اليمن مع بعض الموظفين العثمانيين ، وخدم في مملكة الإمام يحيى
- 35) أمين الريحاني، المصدر السابق، ص196
- 36) احمد فضل العبدلي ، المرجع السابق ،ص 269.
- 37) مجهول المؤلف ، المصدر السابق ، ص 211. احمد فضل العبدلي ، المرجع السابق ، ص 309
- 38) جيكوب ، المصدر السابق، ص 277
- 39) أمين الريحاني ، المصدر السابق، ص 196. جيكوب ، المرجع السابق ، ص 282
- 40) سيد مصطفى سالم ، المرجع السابق ،ص 264. جيكوب ، المرجع السابق ، ص 276
- 41) صباح مهدي الأموي ، المرجع السابق ،ص 73. اريك ماكر، المرجع السابق ، ص 114-115
- 42) سيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص 264. وكان إطلاق سراح البعثة قد تم بعد مفاوضات تمت بين شيوخ قبيلة الفحري ومدنود بريطاني قدم من عدن إلى الحديدة. وقبل البريطانيون شروط القبيلة مقابل إطلاق سراح البعثة وهي أن لا يكون للإمام سيطرة عليهم وعلى بلادهم وأن يكون السيد عبد القادر الاهدل منسحب المراوغة رنيسا عليهم وحكاما مستقلا على الحديدة وملحقاتها و ينظر أيضا : احمد فضل العبدلي ، المصدر السابق ص 269
- 43) صباح مهدي الأموي ، المصدر السابق ،ص 72. سيد مصطفى سالم ، المصدر السابق ، ص 247
- 44) جيكوب ، المصدر السابق ،ص 263
- 45) وحقيقة الأمر لم يكن جيكوب أسير ا في السجن بل كان طليفا في المدينة ينتقل فيها بحرية تحت حراسة أفراد قبيلة الفحري .وفي هذا الكتاب تناول جيكوب أمور كثيرة حول الأوضاع السياسية والاجتماعية والاختلافات المذهبية في اليمن وقضايا عديدة تناولها الكتاب ومعلومات الكتاب رغم فائدتها العلمية فأهميتها وأهدافها بالنسبة للبريطانيين هو المساعدة في رسم السياسة البريطانية تجاه الإمام يحيى
- 46) سيد مصطفى سالم ، المرجع السابق ، ص 263
- 47) أمين الريحاني ، المصدر السابق ، ص 197
- 48) د. دلال بنت مخلد الحربي ، المصدر السابق ، ص 165.
- 49) ينظر نص الوثيقة في : Doreen Ingrams-LeitaIngrams , op.cit.p479
- 50) أمين الريحاني ، المصدر السابق ،ص 197
- 51) سلطان ناجي ، المرجع السابق، ص 88. محمد يحيى الحداد ، المرجع السابق ،ص 78
- 52) عبد الكريم بن احمد مطهر ، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 118
- 53) محمد يحيى الحداد. المرجع السابق، ص 70
- 54) د. دلال بنت مخلد الحربي ، المرجع السابق ، ص 166
- 55) اليمن في الصحافة العربية في القرن العشرين 1895-1925م، المجلد الأول ، ، الأهرام، 1923/6/15م، ص 114. وقد قامت بريطانيا قبل تسليم الحديدة بإجراء استفتاء عام بين السكان ، ودعتهم إلى ترشيح الحكومة التي يرغبون في الانضمام إليها ، فطالبت الأغلبية منهم الرجوع إلى الحكم العثماني القديم وهناك من طالب بالانضمام إلى الحكومة المصرية، وكان الأهالي لا يرغبون بالانضمام إلى الإبريسي أو الإمام ولكن بريطانيا حسمت الأمر، وللمزيد ينظر: عبدالكريم بن احمد مطهر ، المرجع السابق ، الجزء الثاني، ص 321-337

- 56) للتفاصيل ينظر: محمد يحيى الحداد ، المرجع السابق ، 78. مجهول المؤلف، المصدر السابق، ص212. عبدالله عبد الكريم الجرافي، المقطف من تاريخ اليمن، ط2 ، مؤسسة دار الكتاب الحديث ، بيروت، 1984م، ص239
- 57) جيكوب ، المصدر السابق، ص333
- 58) سيد مصطفى سالم ، المرجع السابق، ص269-270
- 59) كان البريطانيون قد سلموا ميناء الصليف للإيريسمي ثم موأى اللحية والمخا وغيرها . اريك ماركرو، المصدر السابق ، ص113
- 60) انعقد هذا المؤتمر على اثر الأحداث التي شهدها العراق سنة 1920م فقد قامت فيها ثورة العشرين ضد الحكم البريطاني المباشر . وأدت إلى خسائر كبيرة بالبريطانيين . ولدت رأي عام في بريطانيا يطالب بتخفيض النفقات الخارجية . فاقترح وينستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية آنذاك على الحكومة البريطانية عقد مؤتمر للبحث في وضع الأقطار العربية ، واستحداث تدابير لمعالجته وحضر المؤتمر خبراء متخصصون في الشؤون العسكرية وموظفون استعماريون وغيرهم . للمزيد ينظر : جورج اتطونيوس، بقظة العرب ، دار العلم للملايين ، ط2، بيروت 1980م 429-433
- 61) سلطان ناجي، المرجع السابق، ص88
- 62) جيكوب ، المصدر السابق، ص323
- 63) احمد فضل العبدلي ، المرجع السابق، ص310. مجهول المؤلف ، المصدر السابق، 212
- 64) ظهرت الحركة الإرشادية في ادونيسيا سنة 1914م على اثر الانقسام الحاد في صفوف الحضارم في جزر الهند الشرقية لأسباب ناقشها الكثير من المؤرخين وللمزيد من تفاصيل الصراع ينظر: صلاح البكري ، تاريخ حضرموت السياسي، ج2، ط2 ، مطبعة مصطفى البابي ، القاهرة 1956م ص243-247
- 65) سلطان ناجي ، المرجع السابق، ص88
- 66) صباح مهدي الأموي، المرجع السابق ، ص79
- 67) عبد الكريم احمد مطهر، المرجع السابق ، الجزء الثاني، ص259 وينظر : ايمن في الصحافة العربية في القرن العشرين ، 1895-1925م المجلد الأول رقم (1) الأهرام 1924/2/2م ص121
- 68) اريك ماركرو، المرجع السابق ، ص116
- 69) سيد مصطفى سالم ، المرجع السابق، ص276
- 70) أمين الريحاني ، المصدر السابق ، ص205--206
- 71) اليمن في الصحافة العربية في القرن العشرين، الأهرام 1924/2/2م، ص121. اريك ماركرو، المصدر السابق، ص116
- 72) عبد الكريم بن احمد مطهر، المصدر السابق ، الجزء الثاني، ص447
- 73) اريك ماركرو ، المصدر السابق و ص117
- 74) احمد قائد الصايدي، العلاقات اليمنية الألمانية، دراسة وثائقية، ط1، منشورات الرابطة الثقافية، صنعاء ، 1992م، ص27
- 75) محمد يحيى الحداد ، المصدر السابق، ص107
- 76) مجموعة من المؤلفين السوفيت، المصدر السابق، ص18

- (77) د. دلال بنت مخند الحربي ، المصدر السابق ، ص 185
- (78) صادق عمر مكنون سياسة بريطانيا تجاه حضرموت ، 1914-1945م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، العراق ، 1990م ص 65
- (79) فاروق عثمان أباطة الحكم العثماني لليمن 1872-1918م دار العودة بيروت و 1979م ص 412
- (80) سيد مصطفى سالم ، المصدر السابق ، ص 280
- (81) كانت الحكومة البريطانية قد وقعت مع الإدريسي معاهدة في سنة 1917م سميت بمعاهدة الفرسان ، نسبة إلى جزر الفرسان الواقعة في شرق البحر الأحمر بالقرب من ساحل عسير .
- (82) صباح مهدي الأموي ، المصدر السابق ، ص 81 .

عوامل تغيير سياسات الأمن القومي الأمريكي وملامح تحولاتها



المقدمة:

د. عبدالكريم حميد بريهي*

اتخذت إدارة الرئيس جورج بوش في مدة رئاسته الأولى من أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001م قوة دفع أساسية لتطوير بعض المفاهيم والأفكار الخاصة بالأمن القومي الأمريكي ، كان لها تأثيرها في أنظمة عمل مختلف المؤسسات والأجهزة الأمريكية المعنية بالأمن القومي. وكانت إحدى نقاط الجدل المركزية ما أسمى بـ "عقيدة بوش" أو "مبدأ بوش"، الذي تأسس في جوهره على مفهوم "الحرب الإجهاضية". وقد تبع تلك التطورات تصاعد الأهمية النسبية لدور وزارة الدفاع على حساب وزارة الخارجية ، وتقديم القوة المسلحة على الدبلوماسية.

إلا أن السنة الأولى من إدارة بوش الثانية قد شهدت تراجعاً نسبياً في قوة اندفاع تلك الإدارة في تطبيق سياساتها السابقة (الحرب الإجهاضية ، العمل الأحادي) ، مما يدفع للتساؤل عن مدى استمرار سياسات الأمن القومي التي ميزت إدارة بوش الأولى، ومدى تأثير تلك السياسات على مفاهيم الأمن القومي الأمريكي في ظل الإدارة الثانية؟

* جامعة عدن - كلية التربية / صير - قسم الجغرافيا.

وعليه ، فإن الفكرة الرئيسية التي يطرحها البحث تستند على أن هناك تغيراً حقيقياً في سياسات الأمن القومي في مدة إدارة بوش الثانية ، وأن هذا التغير لا يعني تحولاً تاماً عن استراتيجية الأمن القومي خلال مرحلة الإدارة الأولى التي أعقبت أحداث 11 أيلول/سبتمبر ، بمعنى أن منظومة سياسات الأمن القومي لم تعد نسخة مطابقة لمنظومة سياسات الأمن القومي السابقة لأحداث 11 أيلول/سبتمبر ، كما أنها لم تظل رهينة الأفكار التي استحدثت بعد تلك الأحداث مباشرة.

وفي ضوء ذلك ، يمكن دراسة سياسات الأمن القومي الأمريكي خلال الفترة الثانية لإدارة بوش من خلال محورين أساسيين ، أولهما : العوامل الدافعة باتجاه التحول في سياسات الأمن القومي الأمريكي في ظل إدارة بوش الثانية ، وثانيهما: ملامح التحول في سياسات الأمن القومي الأمريكي خلال تلك الفترة.

أولاً : العوامل الدافعة باتجاه التحول في سياسات الأمن القومي الأمريكي

هناك مجموعة من العوامل والمستجدات المهمة التي شكلت محددات مهمة دفعت في اتجاه إدخال الكثير من التعديلات على سياسات الأمن القومي الأمريكي في الفترة الثانية لإدارة الرئيس جورج بوش، يمكن أن ندرج أبرز هذه العوامل على النحو الآتي:

1- التحولات في بيئة الأمن القومي الأمريكي :

مما لا شك فيه أن ظروف وتوقيت صناعة الاستراتيجية يؤثران في تركيبها ومكوناتها الداخلية ، ويتوافق ذلك بشكل كبير مع ما استقر عليه الأدب النظري بشأن بيئة صنع القرار في وقت الأزمة، فالاستراتيجية التي يتم صياغتها في أوقات الاستقرار تختلف عن الاستراتيجية التي يتم صياغتها في أجواء الأزمة، وتؤدي الأزمة أدواراً محددة في صياغة الاستراتيجية حيث يتم صياغتها في لحظات ضاغطة على صانع القرار، وتكون الاستراتيجية في هذه الحالة متأثرة بالأزمة الطارئة وما تفرضه من أفكار جديدة على عقل صانع القرار، فضلاً عن تأثرها بالمعتقدات السابقة لصانع القرار وما

تفرضه من قرارات نمطية جاهزة سلفاً، وبالحالة الداخلية التي تفرض ضغوطاً قد تؤدي إلى إغراق صانع القرار في أجواء الأزمة.⁽¹⁾

وعليه فإن الأزمة التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية في أعقاب أحداث 11 سبتمبر 2001م قد شكلت أحد عوامل التحول في سياسات الأمن القومي في الفترة الثانية لإدارة الرئيس بوش، حيث ركزت الوثائق الأمريكية المتعلقة بالأمن القومي على مفهوم الحرب على الإرهاب باعتباره المفهوم المركزي للأمن القومي الأمريكي⁽²⁾، ومن ثم اتسمت " استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية 2002م " بتوجه هجومي صارخ على الواقع الدولي.⁽³⁾

وقد لعبت المعتقدات السابقة لصناع القرار دوراً كبيراً في التحولات التي شهدتها سياسات الأمن القومي الأمريكي، فالكثير من تلك السياسات قد تأثرت بالأفكار الجاهزة للمحافظين الجدد الذين سيطروا على مواقع مهمة في إدارة الرئيس بوش.⁽⁴⁾ فتحالف اليمين الأمريكي والأصولية الإنجيلية الذي ساهم في انتخاب الرئيس بوش الابن عام 2000م والذي بدوره أحاط نفسه بعدد من أعلام التحالف المتشدد - قد اتخذ من أحداث 11 سبتمبر 2001 فرصة وذريعة لتكريس القرار السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية لصالح معتقداته ، وليتبنى سياسة دولية أحادية استباقية تخضع العالم لإرادة الأمريكية تحت مظلة الحرب على "الإرهاب".

أما بشأن تأثير الحالة الداخلية في صياغة سياسات الأمن القومي الأمريكي في إدارة بوش الأولى، فقد تم صياغتها في ظل حالة توافق عام وشبه إجماع ، وقد تجسد ذلك في إعطاء الضوء الأخضر لإدارة بوش في تنفيذ سياساتها والتي تمثلت بالكثير من الأحداث الدولية منها عدم الالتزام بالشرعية الدولية واحتلال العراق.

وهكذا نجد أن الفترة الأولى من إدارة الرئيس بوش قد اتسمت بقدر كبير من المفاجأة على أثر أحداث 11 سبتمبر 2001م ، وهو ما كشفت عنه الاستراتيجية الجديدة للأمن القومي الأمريكي وما تسرب من معلومات العسكريين الأمريكيين ، وما أفصح

عنه آراء وكتاب — أقطاب المحافظين الجدد — وكلها تحدثت عن الضربة العسكرية الاستباقية ، العدو المحتمل وتغيير العالم العربي من الداخل ، وإعادة رسم خريطة الأوضاع الإقليمية للشرق الأوسط ، وصولاً إلى اعتبار العراق بعد الاحتلال العسكري مجرد خطوة أولى لما بعدها ليكون حسب قول بوش — نموذجاً ملهماً يتكرر في المنطقة.⁽⁵⁾

أما الفترة الثانية من إدارة الرئيس بوش التي بدأت في عام 2004م ، فقد بدأت وسط بيئة أمنية تتسم بقدر من الاستقرار النسبي الناتج عن استيعاب صدمة سبتمبر ، وفي ظل أجواء مختلفة ، نتيجة لتطافر مجموعة من العوامل والمستجدات التي ألقت بظلالها على صياغة سياسات الأمن القومي الأمريكي في اتجاه إدخال الكثير من التعديلات المهمة، وكان من أبرز هذه العوامل والمستجدات الأفكار التي طرحها الحزب الديمقراطي ومرشحه (جون كيري) في انتخابات الرئاسة 2004م والتحولات في الرأي العام حول قضايا الأمن القومي، والأوضاع الضاغطة والخطيرة في العراق، فضلاً عن الأفكار الجديدة بشأن الأمن القومي وغيرها من العوامل.

2- الاستراتيجية البديلة التي أطلقها الديمقراطيون للأمن القومي :

طرح الديمقراطيون استراتيجية للأمن القومي مضادة لاستراتيجية الرئيس بوش لعام 2002م ، فتحت عنوان " الدولة التقدمية : استراتيجية ديمقراطية للأمن القومي " أكدت هذه الاستراتيجية على أن " الرئيس بوش في كثير من المجالات يقود الولايات المتحدة في الاتجاه الخطأ فيما يتعلق بالأمن القومي ، وأنه بالتركيز الشديد على القوة العسكرية ، فإن الإدارة تتخلى عن مسؤولياتها بتعميم استراتيجية سياسية واقتصادية فاعلة وبعيدة المدى لتغيير الأوضاع التي تنمو فيها الأصولية الإسلامية ، والتي تشكل مصادر محتملة لظهور تهديدات جديدة لأمننا القومي "⁽⁶⁾. ثم عرضت استراتيجية الديمقراطيين جوانب الفشل في استراتيجية بوش لعام 2002م ، شملت خمسة جوانب هي :⁽⁷⁾

- 1- التكاليف المرتفعة للعمل الانفرادي (The High costs of Unilateralism)
(الحرب في أفغانستان والعراق)
- 2- خطة طريق بدون نتائج واضحة
The Road Map to Now here
(الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي)
- 3- الاعتماد الزائد على القوة العسكرية
Over reliance on Military force
- 4- ضعف التركيز على قضية الانتشار النووي والأمن الداخلي

Weak focus on Proliferation , Home land security

- 5- القيادة المهتزة في الخارج
Faltering Leadership Abroad
- وقدم الديمقراطيون استراتيجية بديلة أطلقوا عليها "الدولة التقدمية" Progressive Internationalism شملت ست أولويات أساسية هي : دعم الديمقراطية في الخارج ، منع الإرهابيين والأنظمة الخطيرة من حيازة أسلحة التدمير الشامل، سد الفجوات في الدفاع عن الوطن، تطوير الجيش الأمريكي واستخدامه بفعالية أكثر، تقوية تحالفات أمريكا الاستراتيجية ، وأخيراً استعادة القيادة الاقتصادية العالمية.(8)

هذه الاستراتيجية الواسعة للأمن القومي والأكثر شمولاً من استراتيجية إدارة بوش، تنطلق من تصور أكثر تكاملاً للعلاقات الدولية، لا يختزل الأمن القومي من البعد العسكري – الأمن الضيق – وهذا الاختلاف فيما بين الاستراتيجيتين حول الدور العالمي للولايات المتحدة يعود بجذوره إلى الجدل بشأن "الانعزالية" و "التدخلية" ، وهو جدل له أديباته في الفكر السياسي الأمريكي.

ومن الواضح أن جانباً من تحولات سياسات الأمن القومي للرئيس بوش في الفترة الرئاسية الثانية يرجع إلى الكثير من مفاهيم الديمقراطيين خاصة فيما يتعلق بالعمل مع الحلفاء وتقوية التحالفات الاستراتيجية الخارجية، واللجوء إلى الأمم المتحدة مع عدم فقدان القدرة على القيام بالضربات الاستباقية ، والتركيز على الإرهاب النووي وأمن

الطاقة.⁽⁹⁾ ومن ثم تأخذ توجهات إدارة بوش الثانية بشأن الأمن القومي شكلاً متناوباً ووسطاً بين "استراتيجية الأمن القوي للولايات المتحدة 2002م" التي طرحتها إدارة بوش، واستراتيجية الحزب الديمقراطي الخاصة بمبادئ "الدولة التقدمية".

3- الجدل الأمريكي الداخلي حول الحرب في العراق :

تصاعد الجدل الأمريكي الداخلي حول احتلال العراق، وخاصةً بعد تفاقم الخسائر البشرية والمادية التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد عكس هذا الجدل الارتباط الوثيق بين نتائج الاحتلال واستراتيجية بوش للأمن القومي الأمريكي حيث شكلت أرض العراق والحرب الدائرة فيها أكبر تحد لتلك الاستراتيجية.

وفي هذا الإطار ومنذ وقت مبكر أطلقت بعض التقارير عبارة "المستنقع العراقي" داعية إلى وضع استراتيجيات للخروج من العراق ، ووجه تقرير صادر عن "مركز التقدم الأمريكي" انتقادات لاذعة لإدارة بوش فيما يتعلق بالعراق ، وقد أورد التقرير في حينه أنه رغم فقدان أكثر من (2000) جندي أمريكي وإنفاق أكثر من (200) بليون دولار ، فإن العراق أصبح ملجأً جديداً للإرهابيين حول العالم ، ويتجه إلى حافة الحرب الأهلية ، وعرض التقرير استجواباً فند من خلاله الافتراضات الرئيسة التي طرحتها إدارة بوش ودعا إلى "استراتيجية لإعادة الانتشار الاستراتيجي" - وليس الانسحاب - على نحو يدمج بين القوى العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية لجعل الشعب الأمريكي أكثر أمناً.⁽¹⁰⁾ لذلك بذلت الإدارة الأمريكية مساعي حثيثة "للخروج من المستنقع العراقي" ولاسيما وأنه لم يتبق سوى بضعة أشهر قبل مغادرتها البيت الأبيض ، ومن بين تلك المساعي عقدها اجتماعات عدة بهدف حشد الدعم لاستراتيجية بوش الجديدة في العراق التي أعلن عنها في ذلك الوقت ، كان الأول قد عقد في نيويورك على هامش اجتماعات الدورة (61) للجمعية العامة للأمم المتحدة في شهر سبتمبر 2006م ، ثم شهدت القاهرة الاجتماع الثاني في 3/10/2006م ، وثالث تلك الاجتماعات عقد في الكويت في 16/1/2007م ، ورابعها عقد في 31/7/2007م في مدينة شرم الشيخ المصرية بين

وزيرة الخارجية الأمريكية "كوند اليزا رايس" ووزير الدفاع "روبرت غيتس" وحضره من الجانب الآخر وزراء خارجية مجلس التعاون الخليجي بالإضافة إلى نظرائهم في كل من مصر والأردن، ومع أن تلك الاجتماعات قد واكبت العديد من الأحداث والتطورات ، إلا أن المأزق الأمريكي في العراق كان هو الدافع الرئيسي لعقدها⁽¹¹⁾، خاصة وأن عقدها قد تزامن مع التصاعد المستمر للخسائر الأمريكية ، إذ وصل عدد القتلى منذ الغزو وحتى يوم 2007/7/29م إلى (3648) جندياً ، فيما وصلت التكلفة المادية إلى نحو (450) بليون دولار ، فضلاً عن تزايد حدة المعارضة الديمقراطية لاستمرار الحرب والمطالبة بسحب القوات الأمريكية من العراق. وكان من بين الضغوط التي مارسوها موافقة مجلس النواب بأغلبية ساحقة يوم 2007/7/25م على مشروع قانون يقضي برفض إقامة أية قواعد عسكرية أمريكية دائمة في العراق.⁽¹²⁾

ويتوقع البعض أن الولايات المتحدة ستكون أمام التزام إقليمي طويل الأمد إزاء العراق والشرق الأوسط بأكمله ، خاصة وأن الرئيس بوش يصّر دائماً على وصف العراق بأنه "الجبهة المركزية" في الحرب على الإرهاب الشرق أوسطي، وكما كان من الضروري الدفاع عن الخطوط الأمامية في ألمانيا أثناء الحرب الباردة سوف يكون ضرورياً الدفاع عن الجبهة في الشرق الأوسط.⁽¹³⁾

ومع ذلك تجد هناك من يدافعون بشدة عن موقف بوش وينتقدون أولئك الذين يستحضرون دائماً تجربة فيتنام ، ومن أبرز هؤلاء (ملفين ليرد) وزير الدفاع الأسبق خلال فترة الرئيس نيكسون (1968 - 1972م) ، الذي انتقد بشدة - في مقال له في مجلس السياسة الخارجية (Foreign Affairs) - استخدام حرب فيتنام من قبل الانعزاليين لمنع أي دور خارجي للولايات المتحدة ، مؤكداً أن الحرب في العراق ليست فيتنام أخرى، وداعياً إلى رؤية الصورة الكبرى للأوضاع في المنطقة وليس العراق فقط، حيث تظل هناك - وفقاً لرؤيته - فرصة للقضاء على المتطرفين الإسلاميين وإعادة تشكيل المنطقة.⁽¹⁴⁾

وفي ضوء هذا الجدل الدائر في الولايات المتحدة الأمريكية ، ومن خلال استقراء ما ورد بـ "الاستراتيجية القومية للنصر في العراق" الصادرة عن مجلس الأمن القومي الأمريكي في نوفمبر 2005م ، يتضح أن تفكير إدارة بوش بشأن مستقبل الأوضاع في العراق يتسم بقدر من الضبابية ، فقد أكدت الاستراتيجية أن "النصر في العراق هو مصلحة أمريكية حيوية، باعتبار أن العراق أصبح الجبهة المركزية في الحرب على الإرهاب، وباعتبار أن مصير الشرق الأوسط الكبير معلق ، وأن ما يحدث في العراق سوف يؤثر على الشرق الأوسط لأجيال قادمة ، وأن التنازل للإرهابيين في أكثر المناطق إستراتيجية في العالم سوف يهدد الاقتصاد العالمي والأمن القومي الأمريكي لعقود مقبلة ". كما أكدت الاستراتيجية على "أن الفشل ليس خياراً، وأن إستراتيجية النصر مبنية على توافر الأوضاع والظروف Conditions Bases أي أن تحقيق النصر ليس له تاريخ محدد لأن كل حرب لا يتحقق الفوز فيها وفقاً لجدول زمني" مع التأكيد على "أن الوجود العسكري لن يكون استراتيجياً وإنما يتغير مع تغير الأوضاع".⁽¹⁵⁾

وهكذا نجد أن "استراتيجية النصر في العراق" لم تقدم جداول زمنية محددة لتحقيق النصر ، وهو ما يمثل أكثر النقاط عرضه للنقد ، بعد أن جعلت هذه الاستراتيجية نهايات المديات والأجال مفتوحة لا محددة ، فضلاً عن أنها قائمة بالأساس على معالجة أوضاع ونتائج خلفتها الحرب على العراق وليس معالجة الأخطاء التي خلفتها الحرب على الإرهاب، مما يعني أن الحرب في العراق فرضت أجندتها وظروفها على أجندة الحرب على الإرهاب. وبالتالي فأن الخروج من المأزق العراقي أصبح من الصعوبة بشكل لن يجد معه لجوء الإدارة الأمريكية إلى الحوار مع طهران أو في طلب العون من الأمم المتحدة وأصدقائها في المنطقة، فالإدارة أضحت تواجه مشكلة كبرى فلا الانسحاب المبكر وارد ولا الاستمرار إلى أجل غير مسمى وارد، وإن كل يوم يمر يعني اقتراب أكثر من الانتخابات وما يرافقها من ضغوط معنوية وسياسية على تلك الإدارة.

ومع ذلك نجد أن استراتيجية النصر تدلل على أمر رئيس هو أنه رغم كل الخسائر التي تعرضت لها الولايات المتحدة في العراق ورغم كل الانتقادات ، فإن الإدارة الأمريكية لا يمكنها الخروج من العراق لأسباب تتعلق بالمخاطر والتهديدات المحتملة، كما لا يمكنها تحمل تبعات عدم تحقيق النصر، وهذه هي أكبر التحديات التي تواجهها استراتيجية الأمن القومي الأمريكي لعام 2002م والقائمة على الحروب الإجهاضية الاستباقية ، حيث نال الالتزام العسكري الطويل إزاء العراق من قدرة المؤسسة العسكرية على التحرك في جهات أخرى ، مما مثل أحد العوامل الرئيسة التي قيدت سياسات الأمن القومي لإدارة بوش الثانية.

4. ضغط الرأي العام الأمريكي :

شهدت بيئة سياسات الأمن القومي خلال الفترة الثانية للرئيس بوش تحولات مهمة في اتجاهات الرأي العام الداخلي. وتشير الاتجاهات الجديدة إلى تحول ما في المجتمع الأمريكي عن أجندة الجمهوريين بشأن قضايا الأمن القومي وعقيدة بوش وبشكل يختلف عن حالة شبه الإجماع التي تشكلت خلف الرئيس بوش بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001م وبعيد الاحتلال السريع لأفغانستان والعراق.

وعلى الرغم من أن نتائج استطلاعات الرأي تتأرجح من توقيت لآخر ومن استطلاع لآخر، إلا أن الخط الرئيسي يؤكد تراجع الثقة بالرئيس بوش فيما يتعلق بالأمن القومي، وهو ما مثل بيئة مساعدة على التغيير في سياسات الأمن القومي.

فقد أظهرت استطلاعات الرأي تراجع التأييد لسياسات الرئيس بوش، إذ كشف استطلاع للرأي أجري في عام 2005م بمبادرة مشتركة بين "مركز التقدم الأمريكي" و "مؤسسة القرن" ، إن الأمريكيين لديهم قلق عميق حول الاتجاه الراهن في السياسة الخارجية لبلدهم. لقد أظهر الاستطلاع نتائج لافتة ، لعل أهمها هو رفض نسبة مهمة من الأمريكيين مبدأ بوش بشأن الحرب الاستباقية أو الإجهاضية ، وتفضيل الأغلبية الساحقة مبدأ التعاون مع العالم الخارجي، حتى لو تضمن ذلك حلاً وسطاً في الأجل القصير

بشأن المصالح الأمريكية، فقد عارض (58%) مبدأ الضربات الاستباقية ، بينما وافق عليها (34%) ، وعبر الباقون عن عدم معرفتهم الإيجابية الأنسب، وعارضها المعتدلون بنسبة (64%) ، بينما عارضها الليبراليون بشدة وبنسبة (74%) ، في حين أيدها المحافظون بنسبة قليلة (47%) مقابل (43%) معارضاً لها.

على النقيض من ذلك ، فإن الأغلبية الساحقة من الأمريكيين أيدت التعاون مع دول أخرى ، حتى لو كان الأمر ينطوي على حلول وسط بشأن المصالح الأمريكية في الأجل القصير ، ورأوا أن على الولايات المتحدة العمل في إطار المجتمع الدولي، فقد اختار المصوتون التعاون بنسبة (63%) بينما عارضها (31%) ، أما النسبة الباقية فقد عبروا عن عدم معرفتهم الإيجابية الأنسب ، وقد وصلت نسبة المؤيدين بين المعتدلين إلى (70%) ، و (76%) داخل الليبراليين ، وكان الانقسام واضحاً بين المحافظين ، حتى بلغت نسبة المؤيدين والمعارضين (46%) لكل منهما.⁽¹⁶⁾

ووفق استطلاع آخر أجراه مجلس شيكاغو للعلاقات الخارجية وبرنامج اتجاهات السياسة الدولية خلال الفترة (15 – 31 سبتمبر 2005م) على عينة من (808) أمريكياً، جاءت النتائج مناقضة تماماً لتوجهات السياسة الخارجية والأمن القومي لإدارة بوش في الفترة الأولى ، فقد انتهى الاستطلاع إلى النتائج التالية:⁽¹⁷⁾

- إن الأغلبية تعارض نشر الديمقراطية بالقوة العسكرية (رأى 66% أن أضرار تلك السياسات تفوق منافعها ، مقابل 21% رأوا العكس).
- إن أغلبية كبيرة تفضل العمل من خلال الأمم المتحدة لدعم الديمقراطية في العالم (وصلت النسبة إلى 73%).
- أكدت الأغلبية من الحزبين إن بناء الديمقراطية لم يكن سبباً كافياً للحرب في العراق وبنسبة (74%) ، وإن تجربة العراق جعلت الأمريكيين أقل تأييداً لاستخدام القوة العسكرية لفرض الديمقراطية.

إن استمرار تصاعد الفشل الأمريكي في العراق جعل الرأي العام الأمريكي يدرك مدى خطورة المشاكل التي تتعرض لها مصالح الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط، حيث أفاد استطلاع للرأي أجراه معهد "جالوب - بالتعاون مع صحيفة يو أس توداي" في 2007/7/10م أن نحو (60%) من الأمريكيين يعتقدون أن الإدارة الأمريكية قد ارتكبت خطأ بإرسال القوات إلى العراق ، وأن نحو (70%) منهم يفضلون سحب كل القوات بحلول إبريل 2008م. (18)

هذه الاستطلاعات تكشف عن توجهات مختلفة تماماً عن التوجهات التي كانت سائدة سابقاً التي شكلت بيئة صنع وثيقة "استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية 2002م" ، وتتناقض مع أطروحات إدارة بوش بشأن الأمن العالمي واستراتيجية الأمن القومي ونشر الديمقراطية. ولكن هذا لا يعني أن التحولات في سياسة الأمن القومي للإدارة الأمريكية الراهنة تخضع لاستطلاعات الرأي العام ، أو أن الإدارة تأخذ بهذه الاستطلاعات ، فهناك فارق كبير بين الجمهور والنخبة التي تحكم والتي يمكنها في حالة الانتصار إقناع الجمهور بتحمل الخسائر ، وكثير من هؤلاء المستطلعين يؤيدون إدارة بوش في أوقات الحرب. ولكن هذا لا يلغي أهمية الدور الذي تلعبه تلك الاستطلاعات في تخفيض السقف الذي يمكن للإدارة تجاوزه والوصول إليه فيما يتعلق بقضايا الأمن القومي ، ووضع القيود على أطروحات الإدارة خلال الفترة الراهنة.

5- الأفكار الجديدة التي قدمت للأمن القومي الأمريكي :

انتقدت الكثير من المراكز البحثية والكتابات السياسية المختلفة السياسات الأحادية لإدارة بوش ذات النزعة العسكرية ، وقدمت أفكاراً جديدة فيما يتعلق بالأمن القومي الأمريكي، يصعب القول أن هذه الإدارة لم تأخذ بالكثير منها. وجوهر هذه التقارير والأفكار الجديدة معارض للتوجه الأحادي العسكري للولايات المتحدة ، ومناقض للافتراضات التي انطلقت منها إدارة بوش والمحافظون الجدد في صناعة سياسات الأمن القومي.

وفي هذا الإطار ، طرحت دراسة صادرة عن مركز التقدم الأمريكي ما أسمي "باستراتيجية القوة المتكاملة" "Integrated Power" . وتعرف الدراسة "القوة المتكاملة" بأنها استراتيجية متعددة الجوانب ، تذهب إلى ما وراء مفاهيم الأمن القومي التقليدية حول القوة الناعمة أو الصلبة ، وتدمج الكثير من القوى المتنوعة للولايات المتحدة وتساعد على نشر القيم الأمريكية عبر العالم ، وتدعو الدراسة إلى إلغاء التقسيمات السائدة الزائفة ، وتطالب توحيد الأفكار والأنشطة المتباينة وتوحيد قوى العولمة ضد قوى التجزئة ، والعمل من خلال التحالفات الدولية وليس العمل العسكري الانفرادي، وتنفذ كل الافتراضات التي بنت عليها إدارة بوش استراتيجية الأمن القومي في الفترة الأولى ، وفي انتقادها لفكر المحافظين الجدد واستراتيجية 2002م ، تؤكد الدراسة إن واجب القادة الأمريكيين هو التقدم باستراتيجية للأمن القومي تقوم على أحكام واقعية وتعكس الحقائق المعقدة وليس رؤية مبسطة وساذجة ترى العالم على أنه أبيض وأسود. (19)

وعلى جانب آخر ، انتقد المنظر الأمريكي " جوزيف ناي Joseph S. Nye " صاحب نظرية "القوة المرنة" في العلاقات الدولية إفراط إدارة بوش في استخدام الأداة العسكرية بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001م ، كما حدث في الحرب الأمريكية على أفغانستان والعراق، بحيث اتخذ منحى القوة المرنة اتجاهاً إلى الأسفل ، مشيراً إلى أن الهيمنة العسكرية لم تعد ذات جدوى في عصر باتت فيه المعلومات متداولة والحرب مخصصة ، لا تقل فيها القوة المرنة أهمية عن القوة الصلبة ، إن لم تكن أكثر. وانتقد "ناي" السياسيين الأمريكيين (المحافظون الجدد) Neo – Conservative ، الذين قللوا من أهمية المؤسسات الدولية والقيم الأمريكية، باعتبارهما أداتين مرئيتين تمكنان الولايات المتحدة الأمريكية من تطوير استراتيجيتها الأمنية في العالم. (20) ومن ثم نصح الإدارة الأمريكية بمضاعفة جهودها الدبلوماسية، فكما سعت للوصول إلى أكبر قوة صلبة ، فهي مطالبة الآن ببذل كل ما في وسعها للوصول إلى أكبر قوة مرنة في

المستقبل ، مشيراً إلى أن سياسة الحرب التي تعتمد عليها القوة المرنة أرخص كثيراً من سياسة الإرغام التي تعتمد عليها القوة الصلبة ، وهذا الجذب يجب أن يقوم على المصادقية ، لا أن يكون مجرد دعاية فقط. (21)

ودعت دراسة صادرة عن مركز العلاقات الدولية إلى العودة إلى "سياسة حسن الجوار العالمي" التي وضعها الرئيسي الأمريكي الأسبق روزفلت (1933 - 1945م) ، التي تقوم على مبادئ حددتها الدراسة في: التوقف عن ممارسة الجوار السيئ ، وربط أجندة السياسة الخارجية بالمصالح الأمريكية ، والإيمان بأن مصالح أمريكا وأمنها القومي ووجودها مرتبط بمصالح وأمن ووجود الشعوب الأخرى، وقيام الولايات المتحدة - كدولة قائدة - ببناء شراكة وممارسة قيادة عالمية مسؤوله بدلاً من السعي إلى الهيمنة العالمية. (22)

مما تقدم نجد أن هناك مجموعة من العوامل والمستجدات المتفاعلة مع بعضها، قد ألقت بظلالها وأثرت بشكل كبير في اتجاه إدخال الكثير من التعديلات المهمة على سياسات الأمن القومي الأمريكي في ظل إدارة بوش الثانية. ويأتي في مقدمة هذه العوامل التحولات التي شهدتها بيئة صنع استراتيجية الأمن القومي الأمريكي التي استوعبت الظروف الضاغطة التي أحدثتها صدمة 11 أيلول/سبتمبر 2001م وما ترتب عليها من توجه هجومي صارخ على الواقع الدولي ، هذا التوجه الذي لاقى بدوره معارضة شديدة من قبل الحزب الديمقراطي الذي انتقد سياسات الرئيس بوش وطرح استراتيجية مضادة لاستراتيجيته ، وكان العامل الأكثر أهمية في التأثير على سياسات الأمن القومي الأمريكي وتغيرها هو تضاعد الجدل الأمريكي الداخلي حول الحرب في العراق وما ينتج عنها من خسائر بشرية ومادية كبيرة ، التي قامت أساساً على ذرائع كاذبة خدع بها الرأي العام الأمريكي ، الذي بدوره شكل عاملاً مهماً آخر أثر في التحولات التي شهدتها سياسات الأمن القومي بعد أن أظهرت استطلاعات الرأي عن تراجع كبير لشعبية بوش والتراجع عن التأييد الذي منح له في أعقاب أحداث سبتمبر،

وقد تفاعل ذلك مع عامل بروز أفكار جديدة قدمتها الكثير من مراكز البحث والدراسات التي انتقدت السياسات الأحادية لإدارة بوش ونزعتها العسكرية و دعت إلى تقديم استراتيجية للأمن القومي متكاملة وأكثر واقعية وتعتمد القوة المرنة بدلاً من القوة الصلبة وأخيراً العودة إلى سياسة حسن الجوار العالمي والتوقف عن ممارسة الجوار السيئ والإيمان بأن المصالح الأمريكية وأمنها القومي ووجودها مرتبط بمصالح وأمن وجود الشعوب الأخرى.

ثانياً : ملامح التحول في سياسات الأمن القومي الأمريكي :

يتناول هذا القسم من البحث تحولات سياسات الأمن القومي الأمريكي، وما أفرزته العوامل أنفة الذكر من إرهابات تحول في الفترة الثانية للرئيس بوش، مع التنويه إلى حقيقة مهمة ، وهي أن التحول في سياسات الأمن القومي لم يحدث على مستوى الخطاب السياسي بقدر حدوثه على مستوى السياسات المنفذة أو الأفكار الجديدة، فلم تصدر مبادئ تلغي المبادئ السابقة للأمن القومي التي طرحت في استراتيجية الأمن القومي 2002م أو التي طبقت في فترة بوش الأولى ، ولم تعترف الوثائق الرسمية المعلنة بفشلها ، ولكن التعبير الأكبر يكمن في اختفاء وتلاشي بعض المبادئ والملفات التي كان يجري التأكيد عليها خلال الفترة الأولى، كما يكمن في السياسات التي طبقت وتمثل تحولاً نسبياً في المبادئ.

ويمكننا أن نحدد أبرز ملامح التحول في سياسات الأمن القومي الأمريكي كما يلي:

1- الاتجاه إلى الواقعية :

انطلقت سياسات الأمن القومي في الفترة الأولى للرئيس بوش من رؤية إيديولوجية للواقع الدولي لا تأخذ في الاعتبار هذا الواقع كما هو ، وإنما الواقع المتصور أو المتخيل. وأكد المحافظون الجدد على أن الولايات المتحدة عليها أن تستخدم قوتها العسكرية القصوى لصالح وضوحها الأخلاقي "Moral Clarity". ومنذ قدوم إدارة

بوش انصرف الحديث في واشنطن من "التعاون الدولي" و "الالتزام البناء" و "المجتمع الدولي" إلى الحديث عن "تغيير النظام" و "الحرب الوقائية" و "تحالفات الراغبين" و "التفوق الأمريكي" ، وتم رفض وانتهاك واستبعاد الاتفاقيات والأعراف والمعاهدات الدولية على أساس أنها تقوض قوة الولايات المتحدة وتعرقل رسالتها".⁽²³⁾

ويرى البعض أن هذه الصورة الأحادية التي تمثل قراءة مستبدة للعقل بشأن الواقع الافتراضي تشهد تغيراً مع بدء الفترة الثانية لرئاسة بوش. ويتركز هذا التحول في التخلي عن منهج "تغيير العالم أخلاقياً" إلى الواقعية أو التعامل مع العالم كما هو، فقد تم استبدال "المحافظة الجديدة" (Neo-conservatism) بـ "الواقعية الجديدة" (Neo-realism) حتى داخل البيت الأبيض. ويرى هذا الرأي أن الرئيس بوش تراجع عن الراديكالية في السياسة الخارجية، وأن السياسة الخارجية في فترة بوش الثانية تبدو أكثر واقعية.⁽²⁴⁾ ويرجع البعض جذور هذه التحولات إلى ما قبل عامي 2004 و 2005م ، فقد أوعز عالم السياسة جوزيف ناي ذلك إلى انهيار التحالف داخل الإدارة بين ما أسماه المحافظين الجدد والجاكسونيين (أنصار الحرب) ، على أثر نتائج الحرب في العراق.⁽²⁵⁾ بينما لا يرى البعض الآخر أي تغيير نحو الواقعية ، ويؤكد أنه ليس هناك دليل على تغيير جوهرى في الاتجاه أو في محتوى السياسة الخارجية ، ويعتبر هؤلاء الفترة الراهنة "فترة راحة" من عناء "تطبيق عالم مثالي".⁽²⁶⁾

لكن من الناحية الموضوعية ، فإن التحول إلى الواقعية يحدث استجابة لردود الفعل القادمة من الواقع الحقيقي كرد فعل على تطبيق سياسات الواقع الافتراضي. فنتائج تطبيق القراءات الإيديولوجية والنظريات الأكاديمية في البيئات الإقليمية (العراق مثلاً) أحدثت صدى معاكساً يؤدي إلى إعادة صياغة القناعات والاستراتيجيات القائمة في عقل صانع القرار السياسي الأمريكي. وعلى سبيل المثال، فإن الأوضاع في العراق والخسائر التي يمنى بها الجيش الأمريكي أضافت تعديلات وقناعات جديدة عملت على تفكيك القراءة الإيديولوجية للواقع ، خاصة فيما يتعلق بفتح الجداول الزمنية والآماد والأجال

المطلوبة لفرض الاستقرار على نحو ما ورد بوثيقة "الاستراتيجية القومية للنصر في العراق". كما أن نتائج تطبيق سياسات الإصلاح السياسي ونشر الديمقراطية بالشرق الأوسط التي أثمرت عن فوز حركة حماس في الأراضي الفلسطينية وعن ثقل برلماني للإخوان المسلمين في مصر يؤدي إلى قناعات جديدة بخصوص أفكار نشر الديمقراطية. ولاشك في أن تعامل إدارة بوش الثانية مع فوز حركة حماس هو دليل على مثل هذا التغيير رغم ما يبطنه هذا التعامل من خفايا مستقبلية.

ففي البداية أعلنت اعتراضها على مشاركة الحركة في الانتخابات باعتبارها – وفقاً لها – حركة "إرهابية" ولكنها تعاملت مع الفوز الكاسح للحركة بواقعية وبدأت في طرح مطالب وشروط التعامل معها، مما يؤكد إمكان فتح الباب للحوار السياسي مع الحركة.

وهناك مثال آخر وهو تعامل الولايات المتحدة مع إيران ، وهو تعامل لم يخل في أحيان عديدة من واقعية كبيرة ، وكان مثيراً ما كشفه وزير الخارجية البريطاني (جاك سترو) من أن راييس فوضت أن ينقل للإيرانيين – في اجتماع بنيف في مايو/2005م تنازليين: الأول تعلق بتوقف الولايات المتحدة عن معارضة انضمام إيران إلى منظمة التجارة العالمية ، والثاني: استعدادها لاستئناف بيع قطع غيار الطائرات إلى طهران.⁽²⁷⁾ كما دفعت الفوضى المتفاقمة في العراق الإدارة الأمريكية إلى التحوار المباشر مع إيران لإيجاد أرضية مشتركة بين الطرفين هدفها المعلن دعم الاستقرار في العراق، أسفرت عن الاتفاق يوم 2007/7/24م عن تأسيس لجنة أمنية أمريكية – إيرانية مشتركة.

وهكذا ، فإن الواقع الإقليمي والدولي يولد قناعات جديدة تحدث ثغرات وفجوات في الاستراتيجية المغلقة التي تم إطلاقها في الفترة الأولى لرئاسة بوش. وأحد أهم التحولات في إطار الإيدولوجيا ما يمكن تسميته بـ "عبء الإستراتيجية" ، وتعني أن الاستراتيجية التي استندت إلى قراءات إيدولوجية في الفترة الأولى خلقت أعباء جديدة فرضت على الإدارة الأمريكية التعامل مع واقع جديد في الفترة الثانية. فكل طرح إيدولوجي ينتهي إلى الواقع الذي أنتجه ، وفي هذا السياق، فإن العراق تحديداً الذي

استند غزوه إلى قراءة إيديولوجية باعتباره سيكون حجر الدومينو للديمقراطية في الشرق الأوسط تحول إلى حجر دومينو للإرهاب ، وتعتبره إدارة بوش مركز الإرهاب العالمي على حد ما ذهب "الاستراتيجية القومية للنصر في العراق" ، مع ما يتطلبه ذلك من إدخال تغييرات على سياسات الأمن القومي. ومن ثم فرض الواقع الجديد على الاستراتيجية التعامل مع العراق كأرضية لمكافحة الإرهاب وليس كأنموذج للتطور الديمقراطي، كما أصبحت الولايات المتحدة الآن مسؤولة عن تجربتين هما أفغانستان والعراق وهو ما يفرض عليها التزامات عديدة. كل ذلك يدفع إلى تفكيك الإيديولوجيا التي وجهت سياسات الأمن القومي خلال الفترة الأولى إلى مجموعة جديدة من الوقائع التي تصبح منفصلة إلى حد كبير عن التصور الأولي للاستراتيجية. ولعل ذلك ما تدعمه تقارير البنثاغون الأخيرة التي تؤكد أن الاستراتيجية الدفاعية للجيش الأمريكي قائمة على أرضية من الحركة والتغيير وليس على الجمود على نحو ما تقرضه التحديات والتهديدات من الأنماط الجديدة غير التقليدية للأمن القومي.

وليس من المستبعد - في ضوء العلاقة الجدلية بين الاستراتيجية / الإيديولوجيا والواقع - أن تتحول هذه القناعة نفسها بشأن الطبيعة الديناميكية للاستراتيجية إلى إيديولوجيا جديدة ، وهنا تذوب المساحات بين الإيديولوجيا والواقع.

2. العودة إلى التحالفات والشرعية :

من أكثر الجوانب التي يمكن الحديث عن تراجعها في الفترة الثانية لرئاسة بوش هو العمل الأحادي أو الانفرادي ضد التهديدات والأخطار بغض النظر عن التحالفات التقليدية أو الشرعية الدولية. وكان الرئيس بوش واضحاً في خطابه عن حالة الاتحاد في عام 2002م حين أكد عزمه على العمل منفرداً أو مع حلف تقوده الولايات المتحدة عندما يمتنع المجتمع الدولي عن مواجهة تهديدات قائمة ، عندما قال : " لن أقف مكتوف الأيدي بينما يقترب الخطر أكثر وأكثر".⁽²⁸⁾ وقد اندفع الرئيس بوش إلى ذلك تحت تأثير قناعات راسخة في واشنطن لدى المحافظين الجدد الذين يعتقدون بأن الشرعية يجب أن تنتصر

بأثر رجعي بدلاً من أن تدفع بقرار من مجلس الأمن الدولي ، ويرون إن إدارة بوش تمارس دور "المهيمن الخير" ، الذي يقدم السلع العامة التي لا يستطيع تقديمها باقي المجتمع الدولي، وقد وجد هذا التفكير من يكرس له ويؤصله ، فوجد محللون يقولون إن الاستراتيجية (الأحادية) التي اتبعها بوش خلال ولايته الأولى تشكل عودة إلى المعيار ، بينما التعددية التي دشنها "روزفلت" تبدو بمثابة خروج على القاعدة.⁽²⁹⁾

وبذلك عرفت إدارة الرئيس بوش بأنها إدارة أحادية ، أي أن ما تقوله هو القول النهائي ولا يحتمل النقاش أو الرفض ، فهي لم تعد مضطرة لمناقشة قراراتها وسياساتها وتوجهاتها مع القوى الحليفة والصديقة ، بل هي التي تقرر وتنفذ ما تقرر بأقل قدر من التشاور أو الإجماع الدولي.

وهكذا اتخذت إدارة بوش قرار الحرب وذهبت لاحتلال العراق رغم معارضة المجتمع الدولي، وأصبح المنطق الأحادي هو أكثر ما ميز سياستها الجديدة ، إلا أن هذه الأحادية لم تمض بدون ثمن ، فقد جلبت للشعب الأمريكي الكثير من المتاعب وتحول الكثير من الأصدقاء إلى أعداء ، وتزايدت الصعوبات التي واجهتها على أرض الواقع ، فعلى الرغم من الاحتلال السريع للعراق، فإن التطورات في مرحلة ما بعد الاحتلال ، أظهرت عجز هذه الإدارة وعدم قدرتها على تحمل الخسائر البشرية والمادية والسياسية بصورة منفردة.⁽³⁰⁾

ولعل نقطة التغيير الرئيسة في فترة بوش الثانية هي العودة إلى التحالفات التقليدية المستقرة وإلى الشرعية الدولية ممثلة في الأمم المتحدة. فمنذ نهاية فترة ولايته الأولى في أواخر عام 2004م أخذ الرئيس بوش في إعادة تحالفات بلاده وعلاقاتها الدولية ، فأخذ يستقبل القادة الدوليين بانتظام باحثاً عن مشاركة دولية أكبر في إعادة إعمار العراق ، ودعا الأمم المتحدة للقيام بدور أكبر من الدور المفترض أن تقوم به. وقد لجأت الولايات المتحدة إلى الاتحاد الأوروبي في المفاوضات النووية مع إيران ، كما كانت إدارة بوش

حريصة على تأسيس المواجهة مع سوريا على قرارات مجلس الأمن والتنسيق مع فرنسا في هذا الشأن.

ويمثل هذا أمراً مغايراً لما كان عليه الحال في فترة بوش الأولى، فالرئيس الذي تحدى قواعد العلاقات الدولية، وتخلّى عن التحالفات التي وقّعها أسلافه، وتشكك في فائدة الأمم المتحدة والمؤسسات الدولية الأخرى، قام بزيارة أوروبا في عام 2005م أربع مرات ليذكر بأن: "العالم سوف يكون في حالة أفضل، وإن الولايات المتحدة سوف تكون في حالة أفضل، وأن أوروبا ستكون في حالة أفضل، عندما تعمل سوياً".⁽³¹⁾

إن سعي الإدارة الأمريكية لتوسيع دور الأمم المتحدة في العراق، قد تجسد بوضوح في الرؤية التي طرحها - زلماي خليل زاده - سفير الإدارة الأمريكية لدى الأمم المتحدة، التي أكد فيها إن بلاده تؤيد النزعة الجديدة التي أعلن عنها الأمين العام للأمم المتحدة (بان كي مون) لتقرير دور المنظمة بالعراق، والتي تضمنت توفير مزيد من الدعم السياسي والمالي واللوجستي والأمني للمنظمة لأداء دورها في هذا البلد من جانب الدول التي تربطها مصالح بالمنطقة من أجل تعزيز الاستقرار فيه.⁽³²⁾

ولاشك إن هذا المنهج ارتبط بفكر "كونداليزا رايس"، فمنذ الأيام الأولى لتتصيبها وزيرة للخارجية أكدت أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ في 18 يناير 2005م أن "تفاعلنا مع العالم يجب أن يقوم على أساس الحوار البناء، وأن وقت الدبلوماسية قد حان للمساعدة في خلق توازن قوي في العالم ينصب في النهاية لمصلحة الحرية".⁽³³⁾ وبدون شك، فإن ذلك لا يعني تخلي الإدارة الأمريكية عن عقيدة بوش بشأن الحرب الإجهاضية، فإذا تعارض العمل بفكرة الأحلاف المستقرة مع رؤية الإدارة لأخطار وتهديدات حالة وشيكة، فلن تفقد الإدارة القدرة على الفعل. وقد تتبع إدارة بوش تكتيكات أكثر ذكاء من خلال توريط الأوربيين معها في أحلاف وعمليات مستقبلية ذكية لا تسقط الأنظمة، ولكن تحاصرهما لإنهاكها داخلياً وإجبارها على تغيير سياساتها بما يخدم السياسات والمصالح الأمريكية في العالم.

3- نسبية تطبيق عقيدة بوش :

يمثل مبدأ "الحرب الاستباقية" أو "الإجهاضية" أو "الوقائية" أو ما أسمى اصطلاحاً بـ "عقيدة بوش" عماد إستراتيجية الأمن القومي لإدارة بوش في الفترة الأولى، وهو من أكثر المبادئ التي ثار بشأنها الجدل، وذلك لأن هذا المبدأ طرح خلال حربي أفغانستان والعراق. وقد تم شن الحربين كعمل أمريكي انفرادي، مما صيغ مبدأ بوش بطابع هجومي وبتفسير أحادي لمصادر التهديد. كما أن تجربة الاحتلال العسكري للدولتين مثلت عيباً على المبدأ، وربما هذا هو ما يدفع البعض لاعتبار مبدأ بوش قد تآكل أو تصدع أو مات⁽³⁴⁾، وربما يكون المقصود هنا هو صعوبة تكرار تجربة الاحتلال العسكري الانفرادي بشكل خاص. ويقدم البعض أسباباً عملية تجعل عقيدة بوش صعبة التطبيق، من ذلك التكاليف التي يتحملها الاقتصاد الأمريكي جراء تطبيق تلك العقيدة التي تتطلب التزاماً طويلاً المدى. ومنها أن العقيدة مكشوفة، فرغم تأسيسها على القدرة على الانتشار الضخم للقوات، فإن الجيش الأمريكي ليس كبيراً إلى الدرجة التي تمكن من احتلال بلد كبير، ومهاجمة بلد آخر في الوقت نفسه، وهو غير قادر أيضاً على القيام بالمهمة السابقة عبر فترة ممتدة، لذلك وبسبب احتلال العراق، فإن الولايات المتحدة لا يمكنها استخدام القوات البرية ضد إيران وكوريا الشمالية.⁽³⁵⁾

وفي هذا السياق، يؤكد فرانسيس فوكوياما (Francis Fukuyama) أن عقيدة بوش تبدو متناقضة في فترة ولايته الثانية، ومن غير المحتمل أن يبقى لها تأثير دائم على السياسة الخارجية الأمريكية في الإدارات المقبلة، سواء كانت جمهورية أم ديمقراطية. وأفضل طريقة لتقدير ما أن كانت عقيدة بوش ستطبق من جديد في المستقبل هو معرفة إلى أي حد ستكون الولايات المتحدة مستعدة للتدخل مرة أخرى بشكل انفرادي لإسقاط النظام في دولة مارقة تحوز السلاح النووي أو تسعى لحيازته؟ والإجابة تأتي من إدارة بوش نفسها، التي تخلفت بعيداً عن المواجهات العسكرية مع كل من كوريا الشمالية

وإيران لمصلحة مناهج متعددة الأطراف، مما يدل على أن عقيدة بوش لن تحيا في فترة بوش الثانية.⁽³⁶⁾

ومن الناحية الرسمية، لم يصدر عن إدارة بوش ما يلغي أو يبطل مبدأ "الإجهاض" أو "عقيدة بوش"، مما يعني أنها ستظل قائمة، ولكن ستكون هناك "نسبية" في تطبيقها، وهي تحتاج إلى حالات فجة أو صارخة أو حالات على درجة من الضعف تمثل إغراء لواشنطن. ولن تكون عقيدة مطلقة تجاه كل الأعداء والتهديدات، وسيكون هناك تطوير من داخل العقيدة. نزولاً على وقائع عالم متغير، كما ستتقلص النزعة للاحتلال العسكري لاعتبارات عملية خاصة وأن الأعداء التاليين ليسوا من الضعف الذي يمكن من تكرار تجربة العراق وأفغانستان، كما أنهم لا يتقدمون واحداً تلو الآخر بحسب جدول ورؤية الإدارة الأمريكية، وإنما بحسب أجندة ورؤية خاصة بهم، أي أن البيئات الإقليمية تسأتي بتغييرات تعيد ترتيب الأجندة الأمريكية، ففي الفترة الأخيرة، حينما تعرضت سوريا للضغط الشديد بعد تقرير ميليس، صعدت إيران لهجتها ودخلت إلى الواجهة من خلال تصريحات الرئيس الإيراني (محمود أحمددي نجاد) بشأن نقل إسرائيل إلى أوروبا وإنكار المحرقة مما دفع بالمسألة النووية الإيرانية للواجهة.⁽³⁷⁾

وفي الوقت الذي كانت فيه إدارة بوش تندفع نحو سوريا، اندفعت إيران نحو السباق، فكيف تستطيع الإدارة التعامل مع هدفين في الوقت نفسه، وضبط إيقاع الاستهداف وما هو تأثير الهدف اللاحق على استقرار الهدف الأول، أخذاً في الاعتبار ما يمكن أن يخلفه استهداف إيران على استقرار العراق، فالأهداف اللاحقة قد تؤدي إلى انهيار الأوضاع التي استقرت في هدف سابق، وأيضاً أخذاً في الاعتبار الحسابات الخاصة بدولة مثل إيران ذات المساحة التي تصل إلى أربع أضعاف مساحة العراق، وذات حجم سكان يصل عددهم إلى ثلاثة مرات حجم العراق وثاني أكبر دولة من حيث احتياطي النفط والغاز عالمياً⁽³⁸⁾، كل ذلك يضع قيوداً على "عقيدة بوش"، لذلك أكد البعض تقلص النزعة العسكرية الأحادية والاحتلال العسكري في ظل فترة بوش الثانية،

والسعي بدلاً من ذلك إلى عزل الدول والأنظمة وتغيير سلوكها على غرار ما حصل مع ليبيا. لكن ذلك لا يعني انتهاء عقيدة بوش وإنما قد تندفع الإدارة إلى مواجهات من نوع جديد في ظل ثورة التطوير والتحديث العسكري بوزارة الدفاع وفي ظل توقع أنماط جديدة من الحروب.

4- نسبية تطبيق مبدأ محاربة الطغيان :

كان من أهم ملامح سياسات الأمن القومي في الفترة الأولى للرئيس بوش ما طرحه حول مبادرة الشرق الأوسط الكبير الداعمة للإصلاح السياسي والديمقراطية في المنطقة، فقد شكلت أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001م عاملاً مساعداً لظهور حقبة جديدة من تشجيع الديمقراطية في الشرق الأوسط، فبعد شهرين من الهجمات، قالت "باولا دوبرانسكي" وكيلة وزارة الشؤون الخارجية أن تقدم حقوق الإنسان والديمقراطية هما وقود حربنا على الإرهاب⁽³⁹⁾. وفي مارس/آذار 2002م أعلن الرئيس بوش تقرير تحديات الألفية بوصف مبادرة جديدة للمساعدة في التنمية العالمية سيمنح بمقتضاها خمسة بلايين دولار سنوياً للدول التي تحكم بعدالة وتستثمر من أجل شعوبها وتشجع الإصلاح الاقتصادي.⁽⁴¹⁾ كما أن استراتيجية الأمن القومي الأمريكي لعام 2002م أكدت مجدداً على أهمية الديمقراطية لأهداف السياسة الخارجية الأمريكية، وأشارت الوثيقة الخاصة بهذه الاستراتيجية إلى أن استراتيجية الأمن القومي الأمريكي يجب أن تنظر إلى الخارج لاحتمالات توسيع رقعة الحرية، وأوضح التقرير أنه يجب على الولايات المتحدة أن تستغل مساعداتها الخارجية لتشجيع الحرية وتأييد من يناضلون من أجلها دون عنف، والتأكيد على أن الدول التي تتحرك صوب الديمقراطية سيتم مكافأتها مقابل الخطوات التي تتخذها⁽⁴²⁾.

وفي خطاب تنصيبه للفترة الثانية في يناير/كانون الثاني 2005م جدد بوش التزامه بدعم الحرية والديمقراطية ومحاربة "الطغيان"، وأكد في هذا السياق على العلاقة بين الحرية على الأرض الأمريكية والحرية في الخارج، وذهب إلى أن "بقاء حريتنا في

بلادنا يعتمد بشكل متزايد على نجاح الحرية في البلدان الأخرى.. لذلك فإن سياسة الولايات المتحدة هي السعي إلى دعم ونمو المؤسسات والحركات الديمقراطية في كل بلد وثقافة، بهدف نهائي هو إنهاء الطغيان في عالمنا⁽⁴²⁾.

إن تواصل حديث الإدارة الأمريكية عن دعم الحرية والديمقراطية ومحاربة الطغيان امتد منذ أحداث سبتمبر العنيفة والدامية، حيث أصبحت هذه الإدارة في مزاج انتقاصي ضد معظم دول الشرق الأوسط، فقد وصف الرئيس بوش كلاً من إيران والعراق بدول محور الشر، وأصبحت السعودية في التفكير الاستراتيجي الأمريكي الجديد دولة معادية وأكبر حاضن وممول للعنف والإرهاب الإسلامي في العالم⁽⁴³⁾.

كما أفصحت هذه الإدارة عن رؤية واضحة لحاضر الدول العربية ومستقبلها الذي يجب أن تكون عليه، هذه الرؤية تقوم على أفكار طرحتها (كونداليزا رايس) وألحقت عليها في كل محاضراتها وأحاديثها، وتدور حول وصف الدول العربية بأنها منبع الإرهاب الذي يتهدد أمريكا والعالم كله، ففي محاضرة ألقته في الجامعة الأمريكية في القاهرة في يونيو/حزيران 2005م قالت "لمدة ستين عاماً، فضلت الولايات المتحدة الاستقرار على حساب الديمقراطية في الشرق الأوسط، وانتهى بنا الأمر إلى أننا لم نحصل على أي منهما، الآن لدينا منهج وطريق مختلف"⁽⁴⁴⁾. وفي حديث آخر ألقته في جامعة بريستون في 30 سبتمبر/أيلول 2005م قالت "إذا كنتم تؤمنون مثلي ومثل الرئيس بوش بأن جذور وأسباب هجمات سبتمبر تكمن في أيديولوجية متطرفة متجذرة في الشرق الأوسط، فإن معنى هذا أن علينا أن نزيل هذه الأسباب من جذورها بتغيير هذه المنطقة جذرياً"⁽⁴⁵⁾.

إن رايس عندما تطرح أفكارها بهذا الموضوع، فهي بالطبع لا تعبر عن قناعاتها الشخصية فقط وإنما تعبر عن قناعات الإدارة الأمريكية بصفة عامة، وبالتالي فإن حديثها على هذا النحو عن أيديولوجية الشر والحقد فهي تدعو إلى العمل على استئصالها من جذورها، وبما أن النظم العربية حسب رؤيتها هي التي تحمي هذه الأيديولوجية فإنها لا

تستحق البقاء ويجب تغييرها أمريكياً، وهذا ما تحدثت عنه بوضوح في خطاب ألقته في معهد السياسة الخارجية (شاتام هارس) في بريطانيا في 31 مارس/آذار 2006م عندما قالت: " من يستطيع أن يدافع اليوم بصدق عن النزعة الاستبدادية العربية التي تثير حالة من اليأس الشديد تغذي أيديولوجية الحقد التي تدفع الناس إلى لف أجسادهم بالقذابل أو إلى مهاجمة مباني طائرات؟ إن الأنظمة الاستبدادية أغلقت لعقود الآفاق السياسية في دولها".⁽⁴⁶⁾ بل أن الرئيس بوش قد ربط أمن الولايات المتحدة المستقبلية بمحاربة الطغيان، قائلاً "أن أمن أمريكا المستقبلية يعتمد على إنهاء الطغيان"⁽⁴⁷⁾.

ولكن كما هو الحال مع مبدأ الحرب الاستباقية، فإن محاربة الطغيان سيظل مبدأ نسبياً غير مطلق، ذلك أن البيئات الإقليمية ونتائج التطبيقات المختلفة قد جاءت بنتائج ضد المصالح الأمريكية، فقد كشف عدد من الخبراء الذين شاركوا في جلسات الاستماع التي عقدتها لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي يوم الأول من شباط/فبراير 2005م عن توجهات مضادة لتوجهات إدارة الرئيس بوش، وأكدت في توصياتها بخصوص وضع (استراتيجيات لإعادة تشكيل السياسة الأمريكية في العراق والشرق الأوسط) على ضرورة تغيير سياسات هذه الإدارة وابتعادها عن الحديث عن الإصلاح السياسي والديمقراطية في الشرق الأوسط، وقد كان من بين المتحدثين (انتوني كوردسمان) الذي أشار إلى أن "وضع استراتيجية يعني أنه يتوجب علينا أن نعيد تقدير، ونعيد بناء موقفنا برمته في الشرق الأوسط وجنوب غرب آسيا، وأن نعيد هيكلة سياستنا الأمنية ومركزنا الإقليميين في منطقة تضم نحو ستين بالمائة من احتياطات النفط المؤكد"⁽⁴⁸⁾، وأضاف "سيكون مفيداً لنا بدرجة هائلة إذا ما استطاعت حكومتنا الإدارة والكونغرس، أن تكون أبعد حذراً بكثير بشأن الحديث عن إصلاح سياسي وديمقراطي بأساليب يستخدمها أعداؤنا ليقولوا إننا نسعى لإسقاط حكومات في المنطقة وفرض زعماء نريدهم نحن"⁽⁴⁹⁾.

وعليه فقد فرضت هذه الآراء وغيرها الكثير على إدارة الرئيس بوش قناعات جديدة تصب في اتجاه تقليل النتائج السلبية لتطبيقات مبدأ محاربة الطغيان والأضرار التي لحقت بالمصالح الأمريكية من جرائه ويبدو صحيحاً ما رآه البعض من خضوع التطور الديمقراطي في المنطقة للعبة الضغط المتبادل بين الحكومات العربية والولايات المتحدة⁽⁵⁰⁾، وبهذا المعنى سنظل السياسة الأمريكية ساعية بحذر إلى دعم الإصلاحات السياسية وتقليص وضعية الأوتوقراطية والطغيان وعلى وفق حسابات تأخذ بنظر الاعتبار عدم إلحاق الضرر بمصالحها الحيوية.

خاتمة:

يتضح مما سبق أن أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001م والحرب على الإرهاب قد أحدثت ثورة في التفكير حول منظومة سياسات الأمن القومي الأمريكي، وولدت نظريات جديدة، واستحدثت أجهزة جديدة وأنماطاً جديدة في العمل وفي علاقات القوى بين الأجهزة.

وفي الوقت الذي تأثرت فيه الاستراتيجية وقامت كرد فعل على الإرهاب، إلا أنها حين تعرضت للواقع نزلت على الكثير من مقتضياته الداخلية والدولية، إذ تعرضت هذه الاستراتيجية للتفسير والإضافة والتأويل طبقاً للمتغيرات الجديدة، واتسمت في بعض جوانبها بقدر من الثبات وفي بعضها الآخر بقدر من الديناميكية. وإن هناك جانباً كبيراً مما يتسم بالديناميكية في مفهوم الأمن القومي قد تعرض للتغيير على أثر الاحتلال غير الشرعي للعراق وتصاعد الخسائر العسكرية والاقتصادية الأمريكية. إلا أنه لا يمكن القول بأن التحولات التي تشهدها استراتيجية إدارة بوش بشأن الأمن القومي في الفترة الثانية تخرج على الاستراتيجية التي وضعت بعد 11 أيلول/سبتمبر، وإن كانت تمثل تغييراً في الاستراتيجيات المرحلية والخطط الموضوعة لتنفيذ الاستراتيجية الأكبر.

كما يلاحظ أنه سيكون هناك قدر من الازدواجية بين تبني مبادئ الفترة الأولى ومستجدات الفترة الثانية، فبينما تتطور وزارة الدفاع على أسس وعقائد الفترة الأولى،

فإن وزارة الخارجية تطبق مفاهيمها الجديدة. وفي الفترة الثانية تراجع نفوذ العسكريين في القرار السياسي، بينما كان قد تم عسكرة القرار السياسي في الفترة الأولى بالنظر إلى العلاقة الخاصة لوزير الدفاع رامسفيلد بالرئيس بوش، وبالنظر إلى ظروف الحرب على الإرهاب، أما في الفترة الثانية فأن الفكر العسكري يتطور في إطار نظرية الاستباق بينما التفكير السياسي لوزارة الخارجية يتطور لمصلحة العودة إلى قواعد وأنماط العلاقات الدولية المستقرة كما تعكسها المنظمات الدولية وعلاقات الأحلاف.

وأخيراً، يمكن تصور أنه في الأمد القصير سوف تتبنى الإدارة سياسات بين الاستمرارية والتغيير، أي أن الإدارة لن تتخلى عن السياسات والمفاهيم التي طرحتها بعد 11 أيلول/سبتمبر وحرب العراق بخصوص الحروب الاستباقية ومبادرة الإصلاح السياسي والديمقراطية مع استمرار تفوق - وليس انفراد - الدور الأمريكي في صياغة القرارات الدولية.

ويمكن طرح ثلاثة احتمالات للتغيير في سياسات الأمن القومي ما بعد إدارة الرئيس

بوش:

(1) في حالة سيطرة المحافظين من الحزب الجمهوري، سيكون هناك احتمال كبير للاستمرارية في سياسات الأمن القومي الأمريكي، وسيستمر التأكيد القواعد نفسها التي تبنتها إدارة بوش، وهي التفكير في إطار سياسات ما بعد 11 أيلول/سبتمبر، والتغيير ضمن الثورة التي أحدثتها فيما يتعلق بمفاهيم العلاقات الدولية والأمن القومي.

(2) في حالة عودة الديمقراطيين، سيكون هناك احتمال كبير للتغيير، وستكون هناك فرصة أوسع للاستفادة من أفكار ما قبل 11 سبتمبر/أيلول في العلاقات الدولية والأمن القومي، لكن القواعد التي تبنتها إدارة بوش لن تغيب، وهي القواعد التي فرضت نفسها على العقل الأمريكي وفكر الأجهزة ومؤسسات الأمن القومي.

3) الاحتمال الثالث أن تسعى إدارة بوش إلى توريث القادمين الجدد في حرب جديدة في فترتها الأخيرة والتعمق أكثر في مسلسل حرب الإرهاب، وذلك من أجل تكريس حالة أمنية ومزاجية يتمكن من خلالها الحزب الجمهوري من البقاء في الحكم، أو أن تحمل المصادفات عملاً إرهابياً جديداً يعيد إحياء أطروحات المحافظين الجدد بشكلها الذي فرض عقب 11 أيلول/سبتمبر مباشرة. ولن تكون نتائج الوضع في العراق بعيدة عن الحسابات في هذه الاحتمالات الثلاثة.

هوامش البحث ومراجعته

- 1- كاظم هاشم نعمه، الوجيز في الاستراتيجية، شركة أباد للطباعة الفنية، بغداد، 1988م، ص220.
- 2- ينظر النص الكامل "لاستراتيجية الأمن القومي الأمريكي لعام 2002"، في: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، التقرير الاستراتيجي العربي، القاهرة، 2002م، في :
"http://www.ahram.org. eg/ acpss/"
- 3- المصدر نفسه.
- 4- شيرين حامد فهمي، توجهات إدارة بوش الثانية.. أخطار وأوهام، شؤون سياسية، موقع إسلام أون لاين، نت، في 2005/2/2م ، ص 2.
- "Islamon / in E. net"
- 5- عاطف الغمري، صناعة الأزمات في العالم العربي، الخليج الإماراتية ، 8/8/2007م في:
"http://www.alkhaleg.co.ae/"
- 6- Melvyn P. Leffler, Think Again: Bush's Foreign Policy, Foreign Policy, September/October 2004, p. 2.
- 7- Ibid, P. 4.
- 8- جوزيف إس. ناي، بعد 11 سبتمبر... أمريكا فقدت قوتها المرنة، قراءة: شيرين حامد فهمي، شؤون سياسية، موقع إسلام أون لاين. نت ، في 2005/9/10م ، ص 3.
- "Islam on Line. Net"
- 9- ينظر: برينو نرتريه، أربعة أعوام لتغيير العالم: إستراتيجية بوش 2005 – 2008 ، ترجمة قاسم المقداد، مجلة الفكر السياسي، العدد (21) ، السنة (8)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، شتاء، 2005 ، ص8.
- "http://www.awu-dam.org / Politic/21/Fkr 21-015.htm"
- 10- David Aaron (Editor), Three years After: Next steps in the war on Terror, RAND'S Publication Data base, July 2005, P.5
- 11- مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية ، اجتماع 6 + 2 + 1 رؤية حول التوقيت والأهداف بين العرب وأمريكا فسي :
"http://www.ahbar alkhalceej.com"
- 12- المصدر نفسه
- 13- Thomas Donnelly, The Military we Need, The Defense Requirements of the Bush Doctrine, The American Enterprise Institute Washington, D.C, 2005 , pp. 44-45.

14- ينظر: Kathleen J. McInnis, Extended Deterrence: The U.S. Credibility Gap in the Middle East, The Washington Quarterly, Vol. 28, No. 3, Summer 2005, p. 3.

15- John Lewis Gaddis, Grand strategy in the second term, Foreign Affairs, vol. 84, No. 1, 2005, p. 5.

16- American Attitudes toward National Security, Foreign Policy, and the war on terror, the security and peace Institute & The Marttila Communications Group, 2005. "http://www.SecurityPeace.org".

17- Kathleen J. McInnis, Op. cit, p. 6.

18- مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية ، المصدر السابق .

19- John Lewis Gaddis, op. cit, p. 8.

20- Joseph S. Nye, US power and strategy after Iraq, Foreign Affairs, vol. 82, NO. 4, July – August 2003, p. 9.

21- جوزيف إس. ناي ، المصدر السابق، ص 5 .

22- كريم القاضي، عودة مفهوم القوة الرخوة إلى السياسة الأمريكية، ملف الأهرام الاستراتيجي، العدد (124) ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، 2005، ص 2 .

(http://www.ahram.org. eg/acpss/)

23- محمود حيدر، المباتي المعرفية السياسية للمحافظين الأمريكيين الجدد : فلسفة التدمير الخلاق ، مجلة الفكر السياسي، العدد 17 ، السنة 5 ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، خريف 2002، ص 12 .

24- مارنا كرينشو ، أمريكا والإرهاب ... ستون عاماً في الفشل ، ترجمة شبرين حامد فهمي ، شؤون سياسية، موقع إسلام أون لاين. نت في 28/7/2005م ، ص 3 .

"Islam on line. Net".

25- جوزيف إس. ناي ، المصدر السابق، ص 7 .

26- شبرين حامد فهمي، توجهات إدارة بوش الثانية .. أخطار وأوهام ، مصدر سابق، ص 4 .

27- James Phillips, John C. Hulsman and James Jay Carafano, Countering Iran's Nuclear Challenge, The Heritage Foundation, Policy Research and , Analysis, 2005, p. 7.

28- Robin Wright, "Iraq Occupation Erodes Bush Doctrin, Washington post staff writer, 28 June 2004, p. 3.

"http://www. Washington Post. com / wp_dyn/ A10539 _ 2004 June 28 " .

29- لمزيد من التفاصيل : ينظر: برينو ترترية ، أربعة أعوام لتغيير العالم، مصدر سابق، ص 7 .

30- عبد الخالق عبدالله ، الولايات المتحدة ومعضلة الأمن في الخليج العربي، المستقبل العربي، العدد 299 ، بيروت 2004 ، ص 20 .

31- David Aaron, op. cit, p.10

32- مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية ، المصدر السابق .

33- مارنا كرينشو، المصدر السابق، ص 7 .

34- انظر آراء نخبة من الأكاديميين والباحثين ، في : مراكز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، "الشرق الأوسط في إستراتيجية إدارة جورج بوش"، في: التقرير الإستراتيجي العربي 2004-2005م، القاهرة 2005م، ص 6-8 .

"<http://www.ahram.org.eg/acpss/>"

35- John Lewis Gaddis, op. cit. p. 3.

36- Francis Fu kuyama, "The Bush Doctrine, Before and After , Financial time, 11 October 2005, p. 3.

"http://www.Sais_Jhu-edu/insider/Pdf/2005-articles/fukuyama-ft-101/105-pdf".

37- أحمد إبراهيم محمود ، تخصيب اليورانيوم ... قفزة للمجهول في الأزمة الإيرانية، ملف الأهرام الإستراتيجي ، العدد (137) ، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة 2006 ، ص4 . وينظر كذلك :

Paul Rogers. Iran: Consequences of a war, Exford Research Group , February 2006. p. 6.

38- Conn Hallinan, who's Next – Iran & Syria ?, Foreign Policy in Focus, International Relations Center, 3 November 2005, p. 9.

"<http://www.Fpif.org/Fpifxti/2920>".

39- Jennifer L. Windsor, Promating Democratization can combat Terrorism , The Washington Quarterly, vol. 26, No. 3. Summer 2003, P. 4.

40- Steven Radelet, Think Again : U.S. Foreign Aids, Foreign Policy , February 2005, p. 2.

41- Jennifer L. Windsor , op. cit. p. 6.

42- محمد جمال عرفة ، شرق أوسط منزوع الديمقراطية ومجرد من المقاومة ، شؤون سياسية ، موقع إسلام أون لاين . نت ، في 23 يوليو 2006م، ص3-4 .. "Islam on line . Net"

43- عبدالخالق عبدالله ، المصدر السابق، ص13.

44- السيد زهره، راييس مهروسة بحطم تدمير الدول العربية، أخبار الخليج البحرينية، 2006/7/30م.

"<http://www.Akhbar.Alkhaieej.Com>"

45- المصدر نفسه.

46- المصدر نفسه.

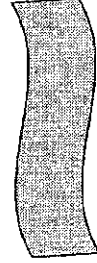
47- محمد جمال عرفة ، المصدر السابق، ص403 .

48- التتوني كوردسمان ، نحو إستراتيجية أمريكية فعالة في العراق، المستقبل العربي، العدد (313) ، بيروت 2005 ، ص34-35 .

49- المصدر نفسه.

50- أحمد عطا ، فرنسا شريك أساس في الشرق الأوسط الجديد ، شؤون سياسية ، موقع إسلام أون لاين ، نت ، في 2006/8/8م، ص5 .

بيئة الجزر اليمنية وفرص الاستثمار



د. أحمد عبد الله أحمد حمادي*

المقدمة

تمتلك الجمهورية اليمنية ساحلاً بحرياً ممتداً من ميدى في البحر الأحمر إلى المكلا على البحر العربي، وبطول يبلغ 2500 كم مربع. وقد أدى هذا الامتداد البحري إلى امتلاك اليمن لمجموعة كبيرة من الجزر المنتشرة على امتداد البحرين: الأحمر والعربي. شكل (1) ويبلغ عدد الجزر اليمنية 182 جزيرة موزعة على ثلاثة قطاعات رئيسية هي: البحر الأحمر، وخليج عدن، والبحر العربي. شكل (2) ويصل عدد الجزر في قطاع البحر الأحمر إلى 150 جزيرة، موزعة على أربعة قطاعات رئيسية هي: قطاع ميدى ويضم (52) جزيرة، وقطاع اللحية ويضم (48) جزيرة، وقطاع كمران ويضم (17) جزيرة، وقطاع حنيش وزقر ويضم (33) جزيرة. بينما يضم قطاع خليج عدن (21) جزيرة، أما عدد جزر البحر العربي فيبلغ (11) جزيرة، مقسمة إلى قطاعين: الأول قطاع بئر علي "شبو" ويشمل (4) جزر، والثاني قطاع أرخبيل سقطرى ويشمل (7) جزر.

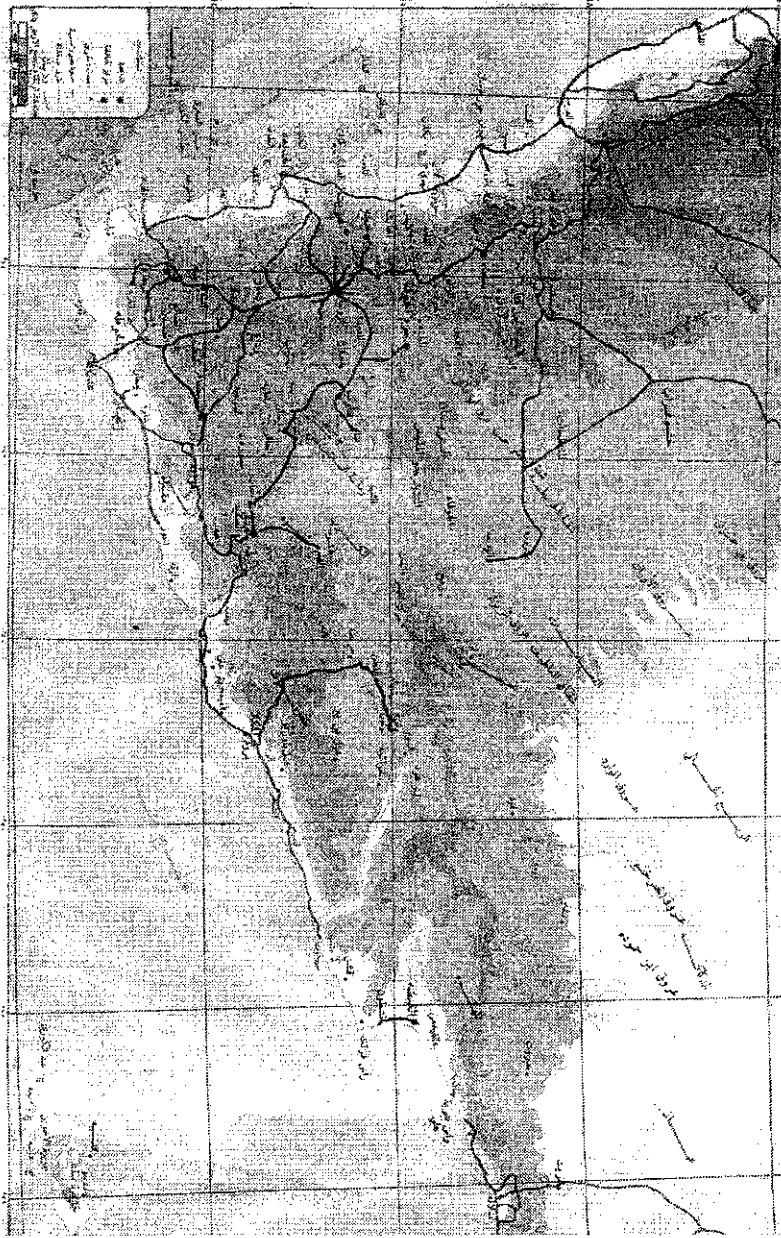
* كلية علوم البحار والبيئة

جيولوجيا الجزر اليمنية

يختلف تكوين الجزر اليمنية من مجموعة لأخرى وهذا ما أكدته الدراسات الجيولوجية للجزر اليمنية فبعض الجزر اليمنية خصوصا التي تقع في البحر الأحمر فالبعض منها عبارة عن جزر مرجانية تكونت نتيجة لنمو الشعاب المرجانية خصوصا وأن الشواطئ اليمنية التي تقع في البحر الأحمر تمتاز بكثرة الشعاب المرجانية ، كذلك هناك مجموعة من الجزر تكونت نتيجة لرواسب المتبخرات في البحر الأحمر التي هي الأساس في تكوين القباب الملحية التي تعد إحدى المكونات الأساسية لتراكيب الجزر الواقعة في البحر الأحمر، حيث دلت الدراسات أن القباب الملحية ظلت لمدة طويلة في ارتفاع مستمر مما أدى إلى وجود أعداد كبيرة من الجزر مختلفة المساحات .

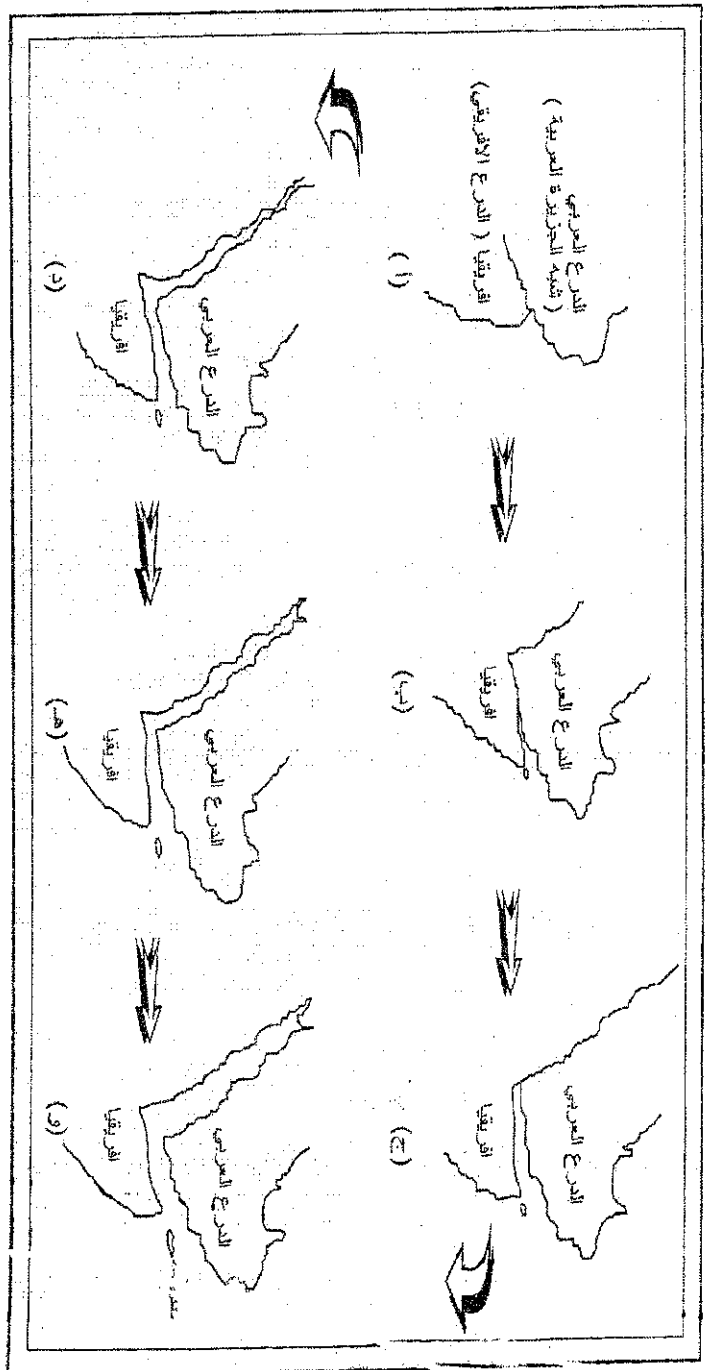
أما الجزر الواقعة في خليج البحر الأحمر والبحر العربي المنتشرة من باب المنذب في محافظة عدن إلى رأس شارما في محافظة حضرموت فهي ذات أصل بركاني ، أي أن تكوينها يعود للأنشطة البركانية .

أما أرخبيل سقطرى فأن معظم الدراسات الجيولوجية أكدت أن جزءاً من الساحل الجنوبي لليمن وتحديدًا الساحل الجنوبي عند رأس نومس في خليج كوريا بوريا انفصلت عنه أثناء تكون خليج عدن ، فتنوع الصخور في جزيرة سقطرى ما بين صخور نارية (الجرانيت) والمتحولة (الشست والنايس) والصخور الرسوبية (الحجر الجيري) والرواسب الرملية والطينية في شكل (3) .



شكل (2) خارطة توضح موقع الجزيرة اليمنية بالنسبة لليمن

شكل (3) : مراحل انفصال القرن الأفريقي عن الدرع العربي وتكون منطقة الدرعية.



المصدر : صلاح الخرباش والانتصاري ، جغولوجية اليمن ، مركز صابدي للدراسات والنشر ، صنعاء ، 1996 ، ص 97.

سكان الجزر

برغم العدد الكبير من الجزر إلا أن معظم هذه الجزر غير مأهولة بالسكان. وتعزو الدراسات الميدانية أسباب ذلك إلى صغر هذه الجزر من حيث المساحة في البعض، وعدم توفر متطلبات الحياة في البعض الآخر. ومن إجمالي 182 جزيرة فإن عدد الجزر المأهولة بالسكان، التي تتوفر فيها مقومات الحياة 6 جزر فقط هي: جزيرة سقطرى، وجزيرة عبدالكوري، وجزيرة ميون، وجزيرة، كمران، وجزيرة الفشت، وجزيرة بكلان؛ فيما يبلغ عدد الجزر غير المأهولة بالسكان (176) جزيرة، إلا أن هذه الجزر تتواجد فيها تجمعات سكانية غير مقيمة طوال العام، مثل جزيرة ظهرة بكلان، وأرخيبيل زقر وحنيش. ويبلغ عدد سكان الجزر اليمنية (140.000) نسمة، يقطن نحو (85.7) منهم في أرخبيل سقطرى؛ حيث يبلغ عدد السكان في الأرخبيل (120.000) نسمة فيما تبلغ نسبة سكان الجزر في قطاع البحر الأحمر (12.2)% وبعدهد سكان يصل إلى (17000) نسمة فيما يصل عدد سكان الجزر في قطاع خليج عدن إلى (3000) نسمة، بنسبة (2.1)% من إجمالي عدد سكان الجزر اليمنية.

المناخ في الجزر اليمنية :

يرتبط مناخ الجزر بمناخ مناطق بحارها الواقعة فيها وتتأثر بمجموعة عوامله الطبيعية فمناخ الجزر بصورة عامة حار صيفاً - معتدل شتاء .
درجة الحرارة:

تصل درجة الحرارة

38-40 درجة مئوية بالنسبة لجزر البحر الأحمر

27.5-36.5 درجة مئوية بالنسبة لجزر البحر العربي وخليج عدن

الرطوبة النسبية

50-75 بالنسبة لجزر البحر الأحمر

37-62 بالنسبة لجزر البحر العربي وخليج عدن

الرياح

تهب الرياح الموسمية على جزر البحر الأحمر

رياح شمالية غربية صيفاً

رياح جنوبية شرقية شتاء

تهب الرياح الموسمية على جزر البحر العربي وخليج عدن

رياح جنوبية غربية صيفاً / فبراير / أغسطس

رياح شمالية شرقية / سبتمبر / فبراير

الأمطار

جزر البحر العربي وخليج عدن متذبذبة بمتوسط مئوي 50 ملم

جزر البحر الأحمر متذبذبة بمتوسط مئوي 50 ملم

جزيرة كمران

تقع جزيرة كمران قبالة الشاطئ الغربي للصليف بمسافة 6كم، تبلغ مساحتها 610 كم²

، وهي بمثابة حزام أمني لميناء الصليف ونقطة شحن النفط القادم من حقول صافر، وكذا

أمن دخول وخروج السفن الاستراتيجية.. وتأتي أهميتها كونها تشرف على خطوط

الملاحة الدولية المارة من جهتها الغربية، حيث كان البريطانيون قد استخدموها لهذا

الغرض فيما

مضى.. وتعد كمران لؤلؤة جزر البحر الأحمر بلا منازع، ويطلق عليها (سقطرى البحر

الأحمر)! جزيرة سياحية جميلة تمتاز ببراء وتنوع حيوي، وشواطئ رائعة ومواقع مثيرة

للاهتمام تجعلها من إحدى أكثر المناطق جذباً للسياح.

المتنوعات الطبيعية للسياحة في جزيرة كمران

- لكمران طبيعة رائعة، وطقس جميل على مدار العام.. والجزيرة كما لو كانت

هضبة من صخور مرجانية تبدو واضحة في معظم شواطئها الشرقية، ويبدو

جلياً النحت البحري الذي أحدثته الأمواج هنا على مر العصور تاركاً أشكالاً

رائعة في التشكيلات الصخرية هنا وهناك.. وتحيط بالجزيرة شواطئ جميلة من جميع الجهات تتنوع ما بين رملية وصخرية.

- الجزيرة تتوسطها منخفضات واسعة صالحة للزراعة في معظمها، في حالة هطول أمطار أو توفر مياه عذبة، وبخاصة جنوب الجزيرة، وفي نصف الجزيرة الشمالي الأرض مسطحة تنتهي بواشطئ رملية ناعمة، كما تغطي أشجار «الجنذل» أو ما يعرف بأشجار المانجروف الساحلي مساحات واسعة من شمال وشمال شرق الجزيرة تبلغ مساحتها بين 25 - 30 كيلو متراً مربعاً، وهي ملاذ للغزلان التي يتناقص أعدادها باستمرار نتيجة الصيد، وتعتبر المنطقة موائل للعديد من الطيور المستوطنة والمهاجرة، إلى جانب أن المكان بيئة ملائمة لتكاثر أسماك الجمبري وعدد من الأسماك والأحياء المائية الأخرى والمكان مرشح لإعلانه محمية طبيعية.. إذ تتوفر مقومات البحث العلمي في التنوع البيولوجي من نباتي وحيواني وتكثر فيه الأعشاب البحرية والإسفنج وقنفاذ البحر ومناطق تعشيش السلاحف، ناهيك عن غابات من الشعاب المرجانية التي تحيط بالمكان ممتدة على معظم الشواطئ الشرقية والغربية للجزيرة تشكل مواقع مثالية (عالمية) للغوص.. زد على ذلك مجموعة الجزر الواقعة ضمن أرخبيل كمران عند شواطئها الغربية والجنوبية التي تتوفر فيها مواقع غوص عدة على أعماق مختلفة لهواة ومحترفي الغوص وسط الشعاب المرجانية الكثيفة والرائعة حول تلك الجزر- يوجد في الجزيرة ثلاثة تجمعات سكانية، فإلى جانب مدينة كمران العاصمة هناك قرية «مكرم» عند منتصف الساحل الغربي وتبعد 8كم عن مدينة كمران، وهي قرية شاطئية جميلة وموقع لتجمع الصيادين في الجزيرة.. وفي أقصى الجنوب تقع قرية «اليمن» بمسافة 10كم من مدينة كمران.. أما عند نهاية الجنوب الغربي للجزيرة والمسماة بالفرة أو «الفرغ» فيوجد واحد من أجمل المواقع الشاطئية في الجزيرة.. المكان عبارة عن واحة خضراء من أشجار الدوم الكثيفة والنخيل الممتدة حتى الشاطئ والمكان من المواقع

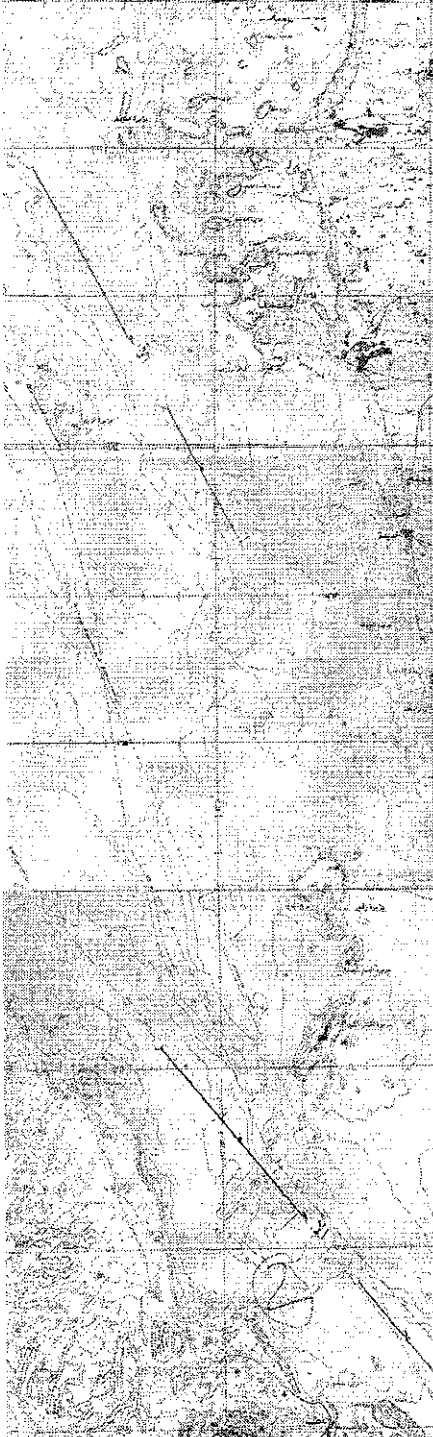
الرائعة الصالحة لإقامة العديد من المنشآت السياحية للسياحة والاستجمام، وممارسة مختلف أنواع الرياضات المائية.. شاطئ رملي بمياهه الصافية الزرقاء ومناظر خلابة بمحاذاة الشاطئ تجبرك على استنفاد ما جلبته معك من أفلام تصوير! وفي هذا المكان بالذات يمكن تسجيل أجمل لحظات غروب الشمس. - أما كمران المدينة فتعتبر بحق درة الجزيرة ومتحفاً مفتوحاً يجمع كل مفردات المنتج السياحي (البيئي والثقافي) الذي يبحث عنه الزائر والسائح والباحث والمستثمر، والمدينة هي أول ما يصادفه الزائر إلى الجزيرة عبر القارب القادم من رصيف الصليف على البر الرئيسي وخلال دقائق.. ومن على رصيف القوارب في المدينة فإن أول ما يظالعه مباني المدينة التي هي شبيهة بمبيلاتنا في المدن الساحلية بسهل تهامة، كما يمكنك مشاهدة جامع كمران الأثري وقلعتها التاريخية القديمة المعانقة للبحر.. أما من جهة الشرق فالمباني تأخذ طابعاً مختلفاً وهي من مخلفات المستعمر البريطاني ومنها استراحة الملكة اليزابيث ومقر الحاكم العسكري البريطاني وتكنات الجنود والضباط ومحطة تحليل المياه.. كما يوجد قبالة الرصيف مباشرة مبنى قديم لووكالة تجارية أقامها الهولنديون.. وهناك بقايا لأرصفة وجسور صغيرة. - إلى الغرب من مدينة كمران توجد واحة خضراء لأشجار مثمرة وغيرها والمكان مجرى واد يسمى «حديقة باريس» يبدأ في الأعلى بسد قديم لتجميع مياه الأمطار ويليه عدد من الآبار الصخرية التي تمتلئ بالماء المتدفق من السد في حال امتلائه من مياه الأمطار. ويبدو أنها أقيمت فيما مضى لمواجهة الشحة في المياه العذبة بالجزيرة.. وفي ضواحي المدينة شمالاً هناك بقايا المطار الذي دمره البريطانيون عند رحيلهم ويمكن إعادة تأهيله ليخدم حركة النقل من وإلى الجزيرة.. أما في الضاحية الجنوبية للمدينة فهناك المقبرة الملكية ومعلم آخر رائع يسمى الحديقة الملكية، حيث كان يفر إلى هنا الجنود البريطانيون من مختلف مستعمرات الكومنولث لقضاء إجازاتهم.. والمكان يمكن إعادة تأهيله والاعتناء بأشجار النخيل والدوم التي تزينه وكذا المرافق الملحقة بالحديقة واستغلال المكان بما يخدم البنية التحتية للسياحة في الجزيرة

الفرص الاستثمارية المتاحة لجزيرة كمران

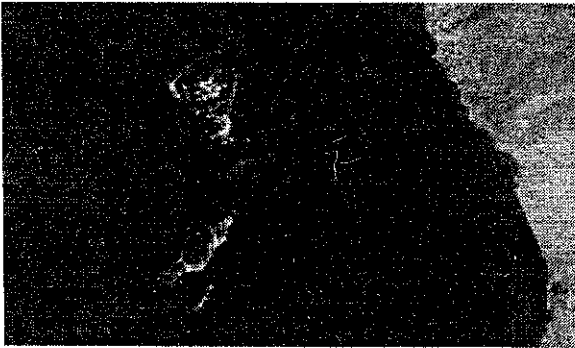
- يؤكد خبراء وباحثون في مجال التنمية السياحية في بلادنا ومعهم أجنب إن ظروف إقامة مشروعات سياحية في الجزر اليمنية مشجعة للغاية، كما أن رأس الأموال اللازمة للاستثمارات في هذه الجزر ليست بكبيرة، وباعتقاد هؤلاء الخبراء فإنه في حالة إعداد (البنية التحتية) وفتح المجال للاستثمارات السياحية بأنواعها المختلفة فإن رؤوس أموال محلية وأجنبية ستضخ في هذا النوع من الاستثمار بدون تردد.

- وفي كمران تتعدد الفرص الاستثمارية وفي مقدمتها الاستثمارات في الجانب السياحي والسياحة البيئية خصوصاً، وبالقدر نفسه الاستثمار في مشاريع السياحة الشاطئية (البحرية) التي تتنوع بين السياحة والاستجمام والرياضات المائية وسياحة الغوص.. فضلاً عن السياحة الثقافية .. أما الاستثمار في الإنتاج السمكي فإن المنطقة تزخر شواطئها بالعديد من الأسماك والأحياء البحرية وأسماك الزينة، وجميعها متوفرة بكميات تجارية يمكن تسويقها محلياً وخارجياً.

- مما يدعو إلى الإعجاب بكمران قيام أحد



المستثمرين المحليين بإنشاء قرية سياحية في واحد من أجمل المواقع في الجزيرة عند رصيف (المنجرة) إلى الشمال من شاطئ مدينة كمران، وتضم القرية الواقعة على مكان مرتفع من الشاطئ الصخري مطعماً حديثاً بكافة المرافق التابعة له، ومن هنا يمكن مشاهدة الشعاب الملونة وأسماك الزينة بالعين المجردة على عمق بضعة أمتار فقط. كما تضم القرية السياحية عدداً من الشاليهات الإيوائية والحمامات وكبائن الاستحمام. والقرية مجهزة بمحطة للطاقة الكهربائية ومحطة لتحلية المياه .. أما على الشاطئ الرملي التابع للقرية المخصص للسياحة فيوجد مبنى عبارة عن نواة لناد للغوص مجهز بمعدات وملابس للتدريب على الغوص وينظم رحلات غوص للمحترفين من الأجانب في شواطئ الجزيرة وكافة جزر الأرخبيل. هذا المشروع السياحي نموذج يحتذى بهذا لو كانت هناك مبادرات أخرى لمستثمرين محليين و أجانب لإقامة العديد من الاستثمارات فوق الجزيرة التي تستوعب شواطئها العشرات من هكذا مشاريع. - وبعد .. هذه هي كمران كما شاهدنا خلال التجوال لأسبوع في ربوعها وشواطئها.. إلا إن ما أوردنا هنا ليس كل شيء وليس كافياً لتكتمل الصورة، إذ أن السماع بالشيء أو حتى القراءة عنه ليس كرويته ومشاهدته وملاسته والاستمتاع به ففي كمران أيا تكن وجهتك، فالشواطئ المشمسة أو الجزر المرجانية الغنية بالحياة البحرية تتنوع والمواقع تصاهي بعضها وتجعلك في حيرة من اختيارك، فأينما يمتد فإن كمران تأسرك بجمال شواطئها ومياهها



الزرقاء وشعابها المرجانية .. وحتى في غروب شمسها الرائع لشواطئ ساحرة يمكنك الاستمتاع بجمالها ومناظرها الخلابة أكنت راحلاً في رحلات السفاري، أو مبحراً بالقارب على امتداد هذه الشواطئ.. فمن بين

أكثر من 150 جزيرة يمنية قبالة الشواطئ اليمنية على البحر الأحمر تظل كمران الجزيرة (السند ريبلا) والجزيرة الأروع بلا منازع!

• أرخبيل حنيش

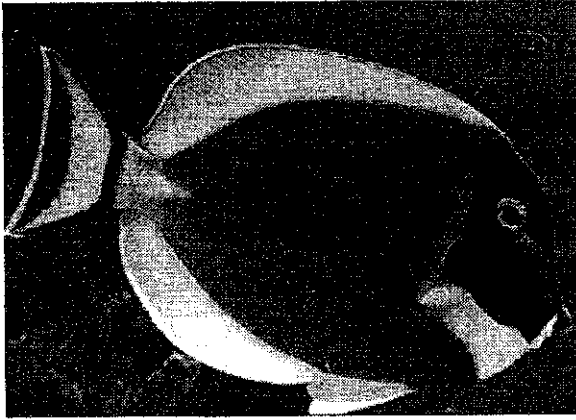
فردوس البحر الأحمر (أرخبيل حنيش)

الموقع

تقع جزر أرخبيل حنيش جنوب البحر الأحمر في المياه الإقليمية للجمهورية اليمنية وتحديداً غرب شواطئ ساحل مدينة الخوخة الشهيرة سياحياً، وتبعد عن الساحل اليمني بمسافة تتراوح بين 18-28 ميلاً بحرياً، ومدينة الخوخة تقع على بعد 130 كم جنوب مدينة الحديدة، وعلى بعد 40 كم شمال مدينة المخا.

يضم أرخبيل حنيش عدة جزر أشهرها: جزيرة حنيش الكبرى، وجزيرة حنيش الصغرى، وجزيرة زقر وجزيرة أخرى صغيرة.

جزيرة حنيش الكبرى



تقع جنوب جزيرة حنيش الصغرى وتبعد عنها بمسافة (3.5) ميلاً بحرياً على خط عرض 13.44° درجة شمال خط الاستواء وخط طول 42.54° درجة شرق خط جرينتش، وتبعد عن الخوخة بحوالي (26) ميلاً بحرياً غرباً، كما تبعد الجزيرة عن الساحل اليمني بحوالي (26) ميلاً بحرياً، وتبلغ

مساحتها (65) كم² وتتكون الجزيرة من مرتفعات جبلية صخرية في معظم المساحة، وتقع بعض المنخفضات في عدة أماكن من الجزيرة وأعلى مرتفع في الجزيرة يصل إلى حوالي (430) متراً، وفيها محطة كبيرة لتحلية المياه ومولدات كهربائية كما يوجد فيها فانار ملاحى في الطرف الشمالي للجزيرة.

جزيرة حنيش الصغرى

تقع جنوب جزيرة زقر على بعد (10) أميال بحرية شمال شرق جزيرة حنيش الكبرى، وتبلغ مساحتها حوالي (9) كم²، وتبعد عنها مسافة (2) ميلاً بحرياً، وتبعد عن الخوخة بمسافة (26) ميلاً بحرياً شمال غرب، وعن الساحل اليمني مسافة (20.5) ميلاً بحرياً. ويتواجد الصيادون اليمنيون في جزر أرخبيل حنيش الذين يأتون من الساحل اليمني القريب ويقطنون هذه الجزر لعدة أشهر في فصل الصيف، كما يحتمون بجوارها من الرياح الموسمية في فصل الشتاء.

جزيرة جبل زقر : تقع جنوب غرب جزيرة أبو علي وتبعد عنها مسافة (2.5) ميلاً بحرياً، عند خط عرض 1400° درجة شمال خط الاستواء وخط طول 45.42° درجة شرق جرينتش، وتبعد عن الساحل اليمني مسافة (33) كم، وتبلغ مساحتها حوالي (120) كم.

جزيرة سيول حنيش



تقع جنوب جزيرة حنيش الكبرى وتبعد عنها مسافة (2.7) ميلاً بحرياً، وتبعد عن الساحل اليمني مسافة (30) ميلاً بحرياً، وتبلغ مساحتها حوالي (3) كم².

كما يضم أرخبيل حنيش جزراً أخرى مثل:

(جزيرة هايكوك) التبن (الصخر، المستديرة، هايكوك) التبن (الجنوبية الغربية، هايكوك) التبن (الوسطى، هايكوك) التبن (الشمالية الغربية، القمتين، المستديرة، الشمال المستديرة، كوين) الركنية (مشجرة، الدرايل، المنخفضة، اللسان، الغربية، القرش، جزيرة أبو علي، المرتفعة العادية).

الإمكانات السياحية لجزر أرخبيل حنيش: تعتبر جزر أرخبيل حنيش من أجمل المناطق البحرية للغوص ومؤهلة لاجتذاب السياح لجمال الطبيعة البحرية تحت سطح البحر، وجمال الشعاب المرجانية الموجودة، ولوفرة وتنوع الأسماك فيها، وبما فيها أسماك الزينة، بما يرشحها مستقبلاً لتصبح من المناطق المرغوبة للسياحة، وهذا باعتراف الكثير من السياح هواة الغوص الذين بدؤوا بالتوافد إلى جزر أرخبيل حنيش بشكل أفواج متلاحقة وهم من جنسيات أوروبية مختلفة... الخ.

الإمكانات الطبيعية لجزر أرخبيل حنيش

تتوفر المقومات الطبيعية لجزر أرخبيل حنيش في المرتفعات الجبلية والشواطئ الرملية الناعمة والأحياء المائية كأسماك الزينة والشعاب المرجانية التي تتواجد على أعماق تتراوح ما بين (38-140) قدم، وكلها مميزات سياحية هامة تسمح بتنوع المنتج السياحي ما بين سياحة ترفيهية والمتمثلة في سياحة الشواطئ الرملية والسياحة الجبلية وكذا سياحة الغوص وخاصة الشعاب المرجانية وأسماك الزينة، علاوة على توفر العناصر والخصائص الطبيعية والبيئية.

طبيعة شواطئ جزر أرخبيل حنيش

شواطئ سياحية جميلة تكسوها الرمال البيضاء الناعمة، وتعد من أجمل الشواطئ اليمينية.

المناخ في جزر أرخبيل حنيش

يكاد يكون مناخ البحر الأحمر متشابهاً طيلة العام غير أنه في منتصف أكتوبر وحتى إبريل يبرد نسبياً.

- الإشعاع الشمسي المستمر: تزيد كثافته على 500 وات/م معظم أيام السنة.
- درجة الحرارة: ترتفع درجة حرارة سطح مياه البحر الأحمر كلما اتجهنا جنوباً حيث تصل ما بين (30°-38°) في فصل الصيف أما في الأعماق فإن درجة الحرارة تتراوح ما بين (56°-61°) درجة مئوية.
- الرطوبة النسبية: تصل إلى (60%) .

- متوسط الأمطار: تعتبر الأمطار بصفة عامة قليلة تصل إلى (100-200) مم فقط على مدار العام.

- شدة الرياح وسرعتها: تسود منطقة البحر الأحمر رياح جنوبية غربية وفي يناير- إبريل فيأتي الموسم الشمالي الشرقي فتهب الرياح في اتجاه الجنوب الغربي، وفي مايو- سبتمبر الموسم الجنوبي الغربي فتهب الرياح الشمالية الشرقية في اتجاه تيارات المياه.

فرص الاستثمار السياحي في جزر أرخبيل حنيش:

تتنوع بين:

- إقامة المنتجعات السياحية الشاطئية.

- إنشاء مشروعات الخدمات السياحية التي منها مراكز الغوص وإنشاء مراكز سياحة السفاري الجبلية.

حوافز الاستثمار: تتمتع المشروعات السياحية التي لا يقل تصنيفها عن مستوى ثلاثة نجوم بمجموعة من الحوافز والإعفاءات والتسهيلات منها:

- يحق للمستثمر تحويل أمواله أو صافي الأرباح الناتجة عن استثماراته أو أي عوائد مستحقة عنها إلى الخارج بأي عمله قابلة للتحويل.

تعفى الموجودات الثابتة المستوردة لإقامة أو توسيع أو تطوير المشروع عن كافة الرسوم الضريبية والجمركية أياً كان نوعها.تعفى المشروعات من ضرائب الأرباح لمدة سبع سنوات، كما تعفى توسيعات المشاريع أو تطويرها من ضرائب الأرباح لمدة سبع سنوات أولى، ويمكن أن تزداد مدة الإعفاء لسنتين إضافيتين.

جزيرة سقطرى

تعتبر جزيرة سقطرى من أكبر الجزر اليمنية إذ تبلغ مساحتها 3594 كم²، وهي إدارياً تتبع محافظة حضرموت حيث تتحصر بين دائرتي عرض 18 12° و 42 12° شمالاً وخطي طول 19 53° و 23 54° شرقاً، ويحدها من الشمال والشرق والغرب البحر العربي ومن الجنوب المحيط الهندي خار طه (4)

جيولوجيا جزيرة سقطرى

لقد أثبتت الدراسات والخرائط الجيولوجيا أن جزيرة سقطرى كانت جزءاً من شبة الجزيرة العربية (الساحل الجنوبي عند رأس نومس في خليج كوريا بوريا) شكل () وقد انفصلت عنها أثناء تكوين خليج عدن وانفصال منطقة القرن الإفريقي عن الدرغ العربي في عصر المايوسين وبداية البلاوسين

أنواع الصخور وصفاتها في جزيرة سقطرى

تتميز منطقة الدراسة بوجود مجموعة من الصخور التي تتباين في النوع والعمر والصفة والتوزيع ، حيث تسود الصخور النارية ، بلوتونية وبركانية التي تشمل بشكل أساسي صخور الجرانيت والجايرو مع تداخلات من الصخور المتحولة وتشمل صخور الناييس والثست ، وهي تعود إلى الزمن ما قبل الكامبري ويصل سمكها في بعض المناطق إلى 600 متر ، وهي تظهر في قلب سلسلة جبال حجير في الطرف الشمالي كما تظهر في الجزء الغربي من الجزيرة وبالذات منطقة قلنسية وشعاب .

وتعد مجموعة الصخور الجيرية من الصخور السائدة في جزيرة سقطرى التي تغطي أكثر من 50% من مساحتها ويرجع تكوينها إلى العصر الكريتاس القديم والأوسط وتنتشر الكهوف الشقوق والحفر السائدة في الجزيرة .

وكذلك يسود الجزيرة الصخور الهشة التي تشمل على المكثلات الصخرية والصخور الطينية والمارل والرمال وهي تعود إلى عصر الباليوسين حيث تتواجد في عدة أماكن أهمها الهضبة الوسطى وفي بطون الأودية وفي سهلي نوجد وموري .

التشوهات البنيوية

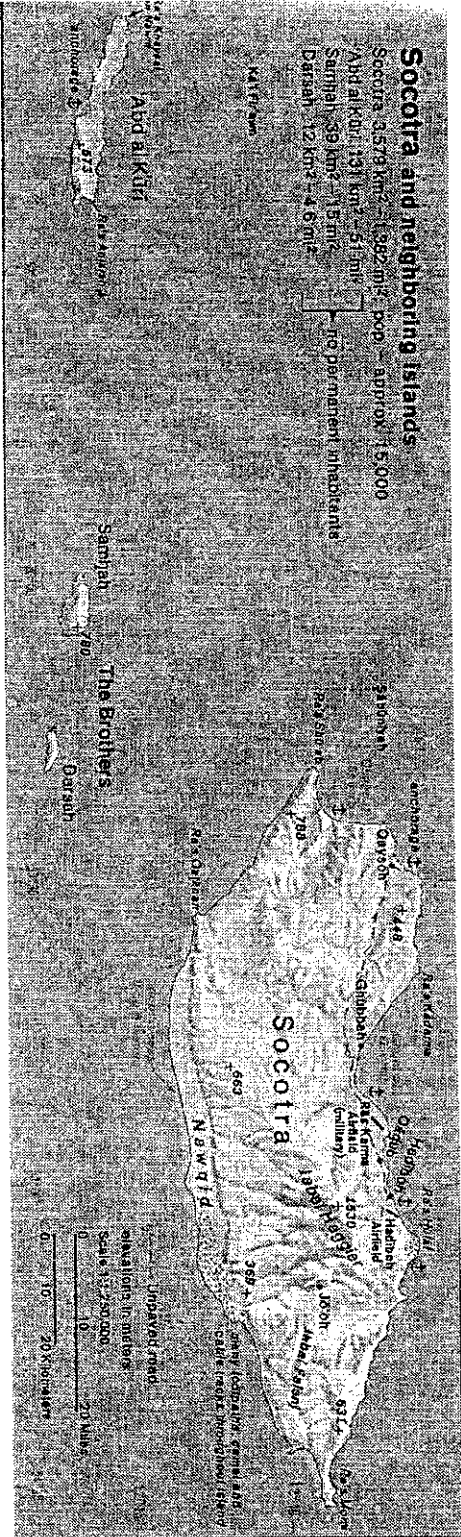
لقد تعرضت جزيرة سقطرى لتشوهات بنيوية فتكون أثرها عدة صدوع إقليمية وتعرضت الصخور إلى درجات متفاوتة من التحول أدت إلى نشوء صدوع وطيات ، مما أدت هذه الأحداث إلى صعود الصهيرة إذ تداخلت الصخور الجرانيتية مع الصخور الرسوبية القديمة مكونة قواطع عمودية من الصخور النارية فنتج عنها مجموعة من الطيات المحدبة والمقعرة تزداد تشوهاً كلما اتجهنا نحو الشمال أي نحو سلسلة جبال

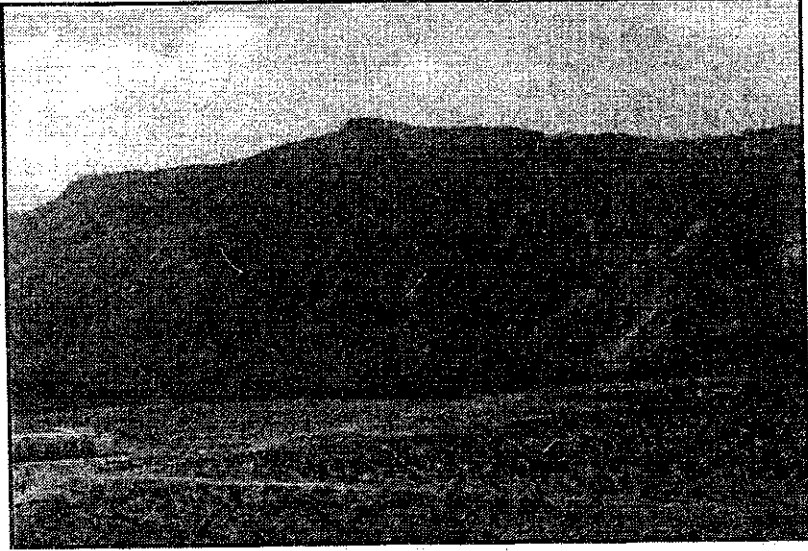
حجر. من جهة أخرى تظهر في غرب الجزيرة سلسلتان جبليتان هما سلسلة شعاب وقلنسية هما أيضاً تأثرتا بنظام الصدوع .

وقد شكلت الطيات المحدبة مجموعة من السلاسل والقمم الجبلية أهمها سلسلة جبال حجر، جبال قلنسية ، جبال شعاب ، جبل دقام وغيرها ، و يصل ارتفاع بعضها 1600 متر.

وقد عكست هذه الوضعية البنيوية تأثيرها الواضح في اتجاه مسارات الشبكة المائية حيث جاءت متكيفة مع اتجاه محاور الطيات وتتعامد خطوط التصريف مع هذه المحاور.

شكل (4) خارطة توضح أرخبيل سقطرى





صورة (٢) التقطت بتاريخ ١٧ / ١٠ / ٢٠٠٠م جنوب مدينة حديبو
يظهر فيها جبل حجر



صورة (٣) التقطت بتاريخ ٢٦ / ١٠ / ٢٠٠٠م في الطريق الممتد من حديبو الى نوجد
يظهر فيها سلسلة جبال حجر

شكل (6)



مرئية فضائية لعزيرة سقطرى للقمر الصناعي (البيانات الإلكترونية المتعدد الاطراف)

الجمهورية اليمنية ، الهيئة العامة للمساحة : صنعاء ، ١٩٩٥ .

المناخ في جزيرة سقطرى

يسود جزيرة سقطرى مناخ مداري وذلك بسبب موقعها المداري حيث تمتاز بارتفاع درجة الحرارة معظم أشهر السنة حيث تلاحظ أن المعدل السنوي لدرجة الحرارة 29°م ويعتبر فصل الصيف أعلى الفصول حرارة حيث بلغ المعدل 31°م بينما بلغ معدل حرارة الشتاء إلى 26°م بينما بلغ المدى الحراري السنوي إلى 6°م وهو قليل بسبب تأثير المسطحات المائية .

أما الأمطار في جزيرة سقطرى فأنها تمتاز بتباينها من مكان لآخر طبقاً لعامل الارتفاع، حيث بلغت كمية الأمطار في النطاق الجبلي إلى 890 ملم/ السنة ، بينما بلغت في القطاع الهضبي إلى 302 ملم/ السنة في حين بلغت كمية الأمطار في النطاق السهلي إلى 195 ملم/ السنة ، أما الرطوبة النسبية فهي عالية حيث لا تقل عن 70% .
ولتحديد السمات المناخية لجزيرة سقطرى تم تطبيق معادلة ذي مارون حيث قسمت الجزيرة إلى ثلاثة أقاليم مناخية جدول (1)

جدول (1) الأقاليم المناخية في جزيرة سقطرى

الإقليم	المحطة	مترتبة الجفاف	المناخ السائد
السهلي	موري	3.8	جاف
الجبلي	حجهر	32	رطب جداً
الهضبة	الهضبة	9	شبه جاف

المصدر : عمل الباحث اعتماداً على البيانات المأخوذة من الهيئة العامة للطيران المدني والأرصاد الجوية ، إدارة المناخ ، بيانات غير منشورة للفترة من 1979-1999م.

وعلى ضوء الجدول السابق يمكن تقسيم جزيرة سقطرى إلى الأقاليم المناخية التالية :-
مناخ جاف

هذا المناخ يتمثل في الأجزاء الساحلية المتمثلة بمحطة موري الواقعة على ارتفاع 43 متر فوق مستوى سطح البحر ، حيث وصل معيار دي مارتون للجفاف فيها إلى (3.8) إذ سجلت المحطة أدنى القيم المطرية (195ملم)

مناخ شبة جاف : - يتمثل هذا المناخ في الهضبة الشرقية الغربية والتي تشغل جزءاً كبيراً من المنطقة ، ويتراوح ارتفاعها بين (500 إلى 1200 متر فوق مستوى البحر) إذ وصلت قرينة الجفاف حسب معيار دي مارتون إلى (9) في حين بلغت القيم المطرية إلى (375ملم) سنوياً .

مناخ رطب: هذا المناخ يتمثل في سلسلة جبال حجر الواقعة على ارتفاع 1500 متر فوق مستوى سطح البحر و سجلت أعلى القيم المطرية (890ملم) إذ وصلت مرتبة الجفاف حسب معيار ذي مارتون (32) .

الأودية في جزيرة سقطرى

تختلف كمية الأمطار من إقليم لآخر في جزيرة سقطرى ويعتبر الإقليم الجبلي أكثر الأقاليم مطراً حيث بلغت كميته السنوية في الإقليم الجبلي (890 ملم) سنوياً يليه الإقليم الهضبي (300ملم / السنة) والإقليم السهلي (195 ملم/ السنة) الأمر الذي انعكس ارتفاع معدل الجريان السطحي وازدياد عدد الأودية في الجزيرة حيث بلغت عدد الأودية إلى (64 وادي) جدول () ومعظم هذه الأودية قصيرة وذلك تقصر المسافة بين المنبع والمصب ، وقسمت إلى مجموعة من الأحواض بلغ عددها 33 حوضاً خارطة () ، وقسمت هذه الأحواض إلى أحواض كاملة وغير كاملة وذلك بناءً على الرتب، حيث اعتبرت الأحواض التي بلغت عدد الرتب فيها أربع فما فوق أحواض كاملة ، بينما الأحواض التي بلغت فيها عدد الرتب أقل من أربع أحواضاً غير كاملة .

السياحة في الجزر اليمنية

اليمن تختزل على رقعتها الجغرافية البحرية منتجاً بيئياً سياحياً عملاقاً فريداً يضم كنوزاً بحرية متميزة الخصائص ، ومميزات سياحية نادرة من نباتات وأحياء بحرية وشعاب مرجانية ذات أشكال وألوان خلابة ومبهرة ظلت ولسنوات في الظل على الرغم من أنها تعد من وجهة نظر مسوقها في البورصة السياحية العالمية أحد أنواع مكونات مناطق تسويق هذا الجذب في العالم إلا أن إسهام السياحة العالمية إلى بلادنا لا تتعدى الواحد في المليون من إجمالي السياحة العالمية (73 ألف سائح عام 2000م بعائد قدرة 75 مليون دولار) هذه المساهمة المتواضعة تشير إلى أن النشاط السياحي الحقيقي في اليمن لم يبدأ بعد لعدد من الأسباب المادية والموضوعية ، منها اعتماد السياحة الثقافية فقط مع غياب كامل لتنشيط وتنمية السياحة الثقافية فقط مع غياب كامل لتنشيط وتنمية السياحة الترفيهية والبيئية .

إلا أنه في السنوات القليلة الماضية اتجهت أنظار المهتمين بالسياحة البحرية والغوص إلى جزر بلادنا إذ تلقت بلادنا بهذا الخصوص الكثير من الطلبات الاستثمارية العديدة للاستثمار في جزرها ، كما شهدت توافد الكثير من الطلبات لتنظيم وتسيير الرحلات للمجاميع والأفواج السياحية من وإلى الجزر أو في بيئتها شجع ذلك الآتي :

1. التطورات والتغيرات الإيجابية التي شهدتها بلادنا في جميع المجالات .
2. تفرد جزرنا بالمغريات وعناصر الجذب التي تجمع بين العناصر الطبيعية والعناصر الثقافية والتاريخية نظرا لازدهار موانئها القديمة التي لعبت دور المنظم والترانزيت وحلقة الوصل لتجارة العالم القديم
3. قلة تدهور العناصر البيئية الجاذبة في معظم الجزر الصالحة لممارسة هذا النشاط المزعوم في العالم والتي بقدرتها إشباع حاجة ورغبة الهواة لسياحة الغوص بأنواعها وأشكالها وأغراضها المختلفة .

4. تطور وتزايد حجم الطلب العالمي عليها والحاجة إلى مناطق وجزر غوص جديدة وأكثر جاذبية .

5. العوامل الاقتصادية وتقدم العلم الكبير في تكنولوجيا النقل والمواصلات

وتطوير معدات ووسائل ممارسة رياضة الهوايات البحرية المختلفة تحت الماء بصورة آمنة .

وهذه العوامل وغيرها قد جعلت من البحار والجزر اليمينية هدفا ومقصدا للسياحة الدولية كما أنها ستمثل مركزا متاحا لتطوير وإنعاش السياحة الداخلية وتنمية وتطوير الجزر ومن ثم أصبح من الضروري التعامل مع هذه المتغيرات بوضع السياسات والخطط الهادفة للاستغلال الأمثل لهذه الطبيعة المنفردة التي تزخر بها جزر المنطقة وحمايتها كونها أحد أهم عناصر الاستثمارات لتنميتها وتطويرها .

وباعتقادنا نحن أنه وبعد إنشاء الهيئة العامة لتنمية وتطوير الجزر اليمينية بأن بمقدورها خوض غمار التجربة الجدية كمرحلة من مراحل بدء تنمية سياحية حقيقية وتنمية وتطوير سليمة للجزر اخذين بعين الاعتبار المحافظة على بيئتها التي تضاهي بيئة جزر بعض الدول التي حققت قفزة كبيرة في تسويق منتوجها البحري السياحي عالميا على الرغم من محدوديته وقابليته كمنتوج سياحي بيئي مناس .

وأن الهيئة لكي تصل إلى تحقيق أهدافها عليها التوجه إلى :

1. توجيه الاستثمارات نحو هذه المجالات الهامة والتشجيع عليها لتنمية الجزر

وربطها بخطة التنمية الشاملة .

2. العمل على دفع الاستثمارات من جزر مختارة إلى جزر بحرية جديدة تقود

وتطور مساهمة السياحة في التنمية والتطور للجزر باعتباره نموذجا جديداً

للاستثمارات السياحية والبحرية قوامها المحطات والمنتجعات السياحية

البحرية .

وباعتبار الدولة لوحدها لا تستطيع وليس لها القدرة على توفير المال اللازم لتطوير

وتنمية العمل الجديد وبشكل سريع نظرا لالتزاماتها تجاه أولويات التنمية الأخرى وهذا

يجعل عمل الهيئة أكثر صعوبة نظرا للمتطلبات المالية الكبيرة التي تتطلبها الهيئة ففي هذه المرحلة على الرغم من استعدادها الجدي إلا أنها لا تستطيع لوحدها إنجاز المهام تلك دون مشاركة وتعاون و اتفاق وتنسيق مع كافة الجهود الأخرى الممثلة بأهل المهنة وكذا القطاعين العام والخاص والجهات الأخرى ذات العلاقة .

إلا أن الإمكانيات المالية تتطلب إنفاقها في مجال تنمية وتطوير الجزر يمكن للهيئة السعي للحصول عليها من خلال عنصرين اثنين

1. الدعم الحكومي كاستثمار ملزم من قبلها لإيصال الخدمات الأساسية والمساعدة إلى مواقعها والترويج والإعلام لمناطقها وفتح الطريق أمام الاستثمارات الدولية إليها باعتبار استثمار الدولة هنا يعد أحد الأسس المشوقة لطريق المستثمرين إلى مناطقها .

2. إنشاء صندوق دعم تنموي كونه سيكون دعما للقدرة التنافسية السياحية اليمنية ، إذ تعد السياحة بحكم مردوداتها وحيويتها الكبيرة من أهم القطاعات الصناعية والاقتصادية الأخرى في تنمية وتطوير الجزر إذا قدم الدعم المالي المناسب .

إن المهام والأهداف المرسومة أمام الهيئة لتحقيقها أحلام كبيرة والطريق للوصول إلى تحقيق تلك الأحلام بحاجة إلى تضافر الجهود و توحيد الرؤى لغرض الوقوف عند كيفية بدء العمل لتحقيق الهدف المنشود الذي يعد أحدها عن السياحة .

إن الاتجاه القائم والمستقبلي للهيئة هو التوجه نحو إبراز مقومات ما تكتنفه الجزر من مواقع غوص جذابة جديدة ، باعتبار ذلك أحد أهم وسائل الجذب الاستثماري والسياحي إليها معتمدة على نتائج مسح وتحقيق علمي رشيد يقود بدوره إلى تنمية سياحية حقيقية وتنمية وتطوير سليمة للجزر وبيئة مستدامة للتنمية .

الخصائص والمميزات الرئيسية للمقومات السياحية المتاحة للجزر اليمنية

يتميز موقع الجزر في كونها تقع في مياه بحرين مختلفين في الخصائص و المميزات كما تختلف الجزر ذاتها في الحجم والشكل والمساحة والخصائص المميزات .. إذ لا يمكن فصل خصائص الجزر عن خصائص البحار التي تقع فيها بل أن التداخلات الطبيعية بين الجزر والبحار تزيد من أهمية مقومات الجزر السياحية المقترحة بصورة أكثر وبكل المقاييس .

والجزر الممسوحة بعضها صغيرة والبعض الآخر متوسطة أما الكبيرة منها فمأهولة مثل ميون وكمران وهي مثار اهتمام لما بها من تنوع ملحوظ من خلال دراسات الطبغرافيا والنباتات ، كما أن بعض من هذه الجزر نظرا لموقعها تلقى من وقت لآخر اهتماما كبيرا نظرا لذلك الموقع وطبيعتها بالنسبة للقوى الخارجية والإقليمية وهي بهذه الوظيفة تعد من أكثر الجزر العربية أهمية .

فكما تعد الجزر والبحار موردا اقتصاديا ومصدرا للثروات السمكية والمعدنية لسكان الدول التي تملكها ، فإن اليمن بجزرها وبحارها تعد ذات خصوصية متميزة نجملها بما يلي :

تاريخياً

شكلت الجزر مركزا هاما للملاحة والتجارة العالمية وما يرتبط بها من أهمية سياسية وعسكرية واقتصادية وعلمية ، فإن الأهمية الحاضرة والمستقبلية مؤمل عليها أن تكون مراكز للسياحة العالمية لتشكل أحد أسباب عوامل الحماية المدنية والسيادة الوطنية على الجزر والمياه الإقليمية بالإضافة إلى أنها ستشكل أحد أهم روافد التنمية والدخل الوطني أيضا وتحسين معيشة سكانها المحليين وتحد من هجرتهم ، هذا إذا ما أحسن توظيف واستثمار مواردها الاقتصادية والسياحية التي تمتلكها هذه الجزر خاصة وأن السياحة أصبحت ضرورة إنسانية لعامة الناس ونشاطا اقتصاديا كبيرا وصناعة العصر والمستقبل.

فالجزر المسووحة تحمل إلى جانب أهميتها الاستراتيجية أهمية اقتصادية أي تتميز بخصائص للتنمية السياحية النوعية .

حيث يعول على منتوجها البيئي الطبيعي اجتذاب العدد الكبير من السياح من سوق السفريات والسياحة العالمية لممارسة رياضة الغوص والجولات المشوقة لقضاء الإجازات وكذا إمكانياتها الكبيرة في اجتذاب الاستثمارات السياحية الضخمة إليها التي ستكون لها التأثير الكبير على عملية تنمية السياحة البحرية والغوص من جانب وعلى تنمية وتطوير الجزر من جانب آخر .

أهم الخصائص والمقومات السياحية

المقومات الجغرافية

الموقع :

يعد اختلاف مواقعها وتراميتها على امتداد شواطئ مياه البحر الأحمر ، وخليج عدن والبحر العربي أحد مكونات عناصر الجذب السياحي المغربي عليها ، إذ يضيف ذلك عليها ميزة إضافية أخرى تضاف إلى الخصوصات السياحية الأخرى التي تتميز بها . حيث يمكن اختلافها في المواقع ، إمكانية استغلالها سياحيا صيفا وشتاء فأثناء هبوب الرياح الشمالية يمكن الغوص في البحر الأحمر وجزره وعلى الأخص في الأشهر 4-9 من العام وفي البحر الأحمر وخليج عدن يمكن الغوص فيها أثناء هبوب الرياح الجنوبية وعلى الأخص في الأشهر من 11-4 من العام التالي .

التضاريس

تختلف تضاريسها من حيث مساحتها وطبيعتها الجغرافيا وتشكيلاتها الجبلية ، منها ما هي سهلية رملية منبسطة ، مثل جزيرة العاشق الصغير - غراب - ظهرة بكلان . ومنها ما هي ذات مرتفعات ومنخفضات مثل جزيرة غراب - والطواق

- ومنها ما هي جبلية ذات تعرجات وأشكال غير منتظمة في تشكيلاتها كجزيرة كمران -
 بکلان - تکفاش - جبل عزیز .ومنها ما هي مسکونة مثل کمران - میون - بکلان -
 الفشت . ومنها ما هي غير مسکونة مثل المورک - جبل عزیز - الصخاء .
- الخصائص السياحية :**

تتميز بالعديد من المميزات السياحية المتمثلة في :
 اختلاف مواقعها لوقوعها في بيئات بحرية مختلفة .
 امتلاكها لتنوع حيوي بيئي سياحي نادر
 امتلاكها أكثر من 2400 نوع من الشعاب المرجانية
 امتلاكها أكثر من 700 نوع من أسماك الزينة
 امتلاكها أكثر من 113 نوعا من أنواع النباتات البحرية النادرة (في خليج عدن)
 الكثير من الأسماك والأحياء المائية العديدة والكبيرة والنادرة مثل السلاحف
 الخضراء - أسماك القرش الكبيرة والدلافين - والمانجروف البني
 امتلاكها الكثير من المميزات المشوقة لسياحة الغوص والصيد والرحلات ومراقبة
 الطيور والسلاحف
 اختلاف مواسم الرياح الموسمية
 مناخ استوائي ملائم وبيئة بحرية خلابة ذات جذب سياحي مطلوب
 شواطئ رملية ذهبية خلابة ذات درجة عالية من الجمال والصفاء
 وجود الكثير من الآثار والمزارات والكهوف
 تعدد شواطئ للاستجمام والإشطاء والاصطياف والاستمتاع وسياحة البيئة
 كثيرة وكثيرة هي الخصائص السياحية التي تملكها تلك الجزر

المقومات الطبيعية

تنوع حيوي كبير
 مناخ استوائي ملائم

نباتات وأحياء بحرية نادرة
 أسماك متعددة ذات أنواع وأشكال مختلفة
 طيور وسلاحف نادرة
 شعاب مرجانية زاهية
 بيئة مائية غير ملوثة
 مياه صافية ودافئة
 شواطئ رملية ذهبية
 كهوف ومغارات عديدة
 غابات نباتية (المانجروف)
 مقومات المحميات البحرية

المتتملة بالمحميات المقترحة التالية :

محمية كمران الشمالية (غابات الشورى) والغزلان
 محمية كمران التحت مائية (الشعاب المرجانية)
 محمية ميدي
 محمية خور اللحية
 المحمية العلمية المقترحة (محمية بين الظهائر) على مقربة من جزيرة بكلان
 والنفت
 محمية حنيش
 مناطق تعشيش السلاحف (جزيرة جبل عزيز - عقبان الكبرى)
 محميات الطيور
 محمية الصخا (أسماك القرش)
 مقومات المطارات - الموانئ - الفنارات
 مطار كمران

المطار المقترح (بكلان)

ميناء كمران

مرفأ بكلان

مطار ميون

ميناء ميون

فنارات الجزر

الخصائص الاقتصادية

تعتبر مخزنا للثروة السمكية الاقتصادية أكثر من (ألف ومائتي نوع) وأسماك

الشعاب المرجانية وأسماك الزينة

تعتبر مخزنا طبييا علميا (ألفين وأربعمائة نوع من الشعاب المرجانية) تدخل في

أكثر من ثلاثة آلاف نوع من أنواع العلاجات الطبية

إمكانيات ثرواتها الغازية والمعدنية المستقبلية الواعدة (المعادن الحارة)

أهميتها التجارية والخدمات والمراقبة

النشاطات السياحية المقترحة في الجزر

- ممارسة رياضة سياحة الغوص على اختلاف أنواعها والمتمثل في :

سياحة البحث عن الآثار في الأعماق

سياحة البحث عن مكنوزات تاريخية في الأعماق ، نقود ومجوهرات

سياحة البحث عن اللؤلؤ والأحجار الكريمة

سياحة البحث عن الأعشاب الطبية البحرية

البحث عن المتعة والاطلاع على الشعاب المرجانية والأسماك المزركشة

غوص محاذاة الجبال والكهوف والمغارات البحرية

غوص التصوير تحت مائي وتصوير الفيديو

غوص انتشار حطام السفن

غوص مصارعة الأسماك

- غوص الصيد العميق
رياضة الغوص الليلي وغوص المغامرات
رياضة الغوص الملاحي ... الخ
سياحة التزحلق على المياه ورمال الشواطئ
مسابقة اليخوت والقوارب والتجديف
الرحلات البحرية - السفاري واليومية
السباحة الطويلة
مراقبة الطيور المهاجرة والمستوطنة
مراقبة السلاحف والدلافين
سياحة الاستجمام والاسترخاء والإستناء والاصطياف
سياحة بحر وشمس
سياحة الرحلات للصيد والغوص على المراكب .. الخ
الغوص لغرض السياحة للهواة
الغوص لغرض الدراسة والبحث العلمي
الغوص لغرض التعليم والتأهيل

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

1. سعيد عبده جبلي ، الحياة النباتية في جزيرة سقطرى ، مطبوعات جامعة عدن ، اليمن ، 1995م
2. لقمان حمزه ، تاريخ الجزر اليمنية ، مطبعة يوسف و فليب الجمل،بيروت 1972م .
3. يوف زاجر وآخرون ، الحفاظ والاستخدام المستديم للتنوع الحيوي في أرخبيل سقطرى ، ترجمة د. سليم المغربي و رفع الله الحاج ، البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة (سقطرى ، اليمن، 1999)
4. عبدالملك الفهيدى ، الجزر اليمنية ، الجزر اليمنية والمقومات السياحية ، تقرير ، فبراير 2004
5. جمال قاسم الشخصي ، كمران سندريلا الجزر اليمنية ، تقرير 2005م
6. خليل ناشر ، التخطيط العمراني لجزر البحر الأحمر وخليج عدن والبحر العربي ، دراسة مقدمة للهيئة العامة لتنمية وتطوير الجزر اليمنية ، 2004م
7. حسان الطاهش ، المخطط العام والاستخدام الأفضل للأرض ، دراسة أولية عن السياحة البحرية في الجزر المستهدفة في البحر الأحمر وخليج عدن والبحر العربي ، اليمن 2005 م
8. محمد علي فحطان ، دراسة أولية اقتصادية للتنمية وتطوير الجزر اليمنية ، تقرير مقدم للهيئة العامة لتنمية وتطوير الجزر اليمنية في ضوء الزيارات الميدانية لبعض الجزر اليمنية الواقعة في البحر الأحمر وخليج عدن والبحر العربي ، اليمن ، يوليو 2003م .

ثانياً : الأبحاث والرسائل الجامعية

1. احمد عبد الله حمادي ، جيومورفولوجية الساحل الغربي للجمهورية اليمنية باستخدام بيانات الاستشعار عن بعد ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، 1999م
2. احمد عبد الله حمادي ، دور العمليات الجيومورفولوجية في تشكيل المظهر الأرضي لجزيرة سقطرى ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، 2002م
3. عبد الحكيم محمد يوسف، بعض الظواهر الجوية المؤثرة في تشكيل مناخ اليمن ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، 2002م .
4. فهمي علي سعيد ، المناخ في اليمن ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الجغرافيا ، 1998م

ثالثاً : المؤتمرات العلمية والندوات

1. الندوة الدولية العلمية الأولى حول جزيرة سقطرى الحاضر والمستقبل ، جامعة عدن ، دار الجامعة للطباعة والنشر ، الجزء الأول ، الثاني ، الثالث ، 1999م .
2. الندوة الدولية العلمية الثانية حول الجزر اليمنية وجزيرة سقطرى الحاضر والمستقبل ، جامعة عدن ، دار الجامعة للطباعة والنشر ، الجزء الأول ، الثاني ، 2003م .
3. المؤتمر العلمي الأول حول فرص الاستثمار في الجزر اليمنية ، الهيئة العامة لتنمية الجزر اليمنية ، الجزء الأول ، الثاني ، صنعاء ، 2004م .

رابعاً : المصادر الأجنبية

1. Bishaff, J.L, Red Sea geothermal brine deposits : Their mineralogy , Chemistry , and genesis , Degens, E.T. and Ross , D.A. edied , Horbrines and recent heavy metals in the red Sea : New York , Springen – Verlag , 1969.
2. Beydoun , Z.,and Bicham , H. , the Geology of Socotra Island , Gulf of Aden , Q.Jour.Geol . Sciol . Soc, London , V. 125, 1970 .
3. Red Sea and Gulf of Aden pilot , Eleventh edition the Hydrographer of the NAVY, London 1967 .

حاجات الإنسان من المنظور النفسي والإسلامي



د. علي الطيارق *

مقدمة

منذ أن أطلق ماسلو (Maslow, 1970) نظريته في الدافعية والدراسات تتوالى حول مفاهيم هرمية الحاجات وربطها بجوانب مختلفة من حياة الأفراد وخاصة الدينية منها والنفسية. فقد قام "ماسلو" بتوزيع الحاجات إلى خمس مجموعات تأخذ شكل هرم، متدرجة بقوتها من قاعدة الهرم إلى قمته، بحيث تحتل الحاجات الفسيولوجية والطعام والشراب والنوم والجنس والبعد عن الألم والإخراج.... قاعدة الهرم يليها حاجات الأمن والطمأنينة، ثم الحاجة إلى الحب والانتماء والحاجة إلى تقدير الذات ، وفي قمة الهرم الحاجة إلى تحقيق الذات. وبهذا الترتيب الهرمي للحاجات افترض "ماسلو" أن الحاجات تتفاوت من حيث قوتها وأهميتها، فالحاجات الفسيولوجية هي الأقوى والأكثر إلحاحاً من أجل الإشباع، تليها حاجات الأمن والطمأنينة (الشرعه، 1998، ص3).

وعليه فقد اهتم هذا المنظور بالبعد الفسيولوجي والنفسي والاجتماعي ولعله المنظور الوحيد الذي اهتم بالجانب الروحي ويتحدث عن اضطرابات الروح "Soul sickness". فالصفة الأساسية للإنسانية هي احترام الإنسان كلياً مع التأكيد على حاجاته لتحقيق ذاته (جايد، 1998، ص36 ، ورد في جباري، 2003، ص110).

وبوجه عام فإن علم النفس الإنساني ينظر إلى الكائن البشري على أنه طيب بطبيعته، وعقلاني، واجتماعي، وطبقاً لهذه الفلسفة فإن الدافعية الأساسية في الحياة البشرية تتمثل بدافع التحرك نحو تحقيق الذات واستثمار الفرد لقدراته أما السلوك الشاذ فإنه ينتج من حجز أو إعاقة التقدم نحو تحقيق الذات، سواء بسبب عدم التطابق بين خبرات الفرد وصورة الذات (نظرية روجرز) أو سبب فشل الفرد في إشباع حاجاته الأساسية (نظرية ماسلو) Maslow. (صالح، الطارق، 1998، ص212).

أما نظرة الإسلام للطبيعة البشرية فإنها نظرة مزدوجة حيث الإرادة الحرة للإنسان بقدرته على السلوك والتصرف بشكل معاكس لحاجاته، ولذلك لا يمكننا اعتبار تسلسل الحاجات عند (Maslow) تفسيراً مطلقاً للسلوك الإنساني، وفي الإسلام لم ترتب الحاجات بتسلسل هرمي حسب أهميتها مبتدئة من الحاجات السفلى وصعوداً إلى الحاجات العليا فترتيب الحاجات في تسلسل هرمي يتناقض مع حرية الإرادة للإنسان، فقد يختار المسلم الملتزم أن يموت جوعاً في سبيل تحقيق هدف إرضاء الله، كذلك هناك عدد من الأفراد مستعدون لأن يقاسوا الجوع والعطش بل حتى الموت من أجل قيم كان قد وضعها "ماسلوا" في مكان من الهرم يشير إلى أنها أقل إمكانية بالمقارنة مع الحاجات الفسيولوجية، بمعنى أنه يوجد بين الناس من هو قادر على أن يصوم حتى الموت أو يحرق نفسه عازفاً عن حاجاته الفسجية والذنيوية من أجل قيمة اجتماعية أو إنسانية أو دينية (صالح، 1998، ص123). وكما ورد في الأثر أنه في إحدى الغزوات الإسلامية مات كثير من الصحابة عطشاً وهم ينزفون من جروحهم حيث كل واحد كان يقول لعل أخي أحوج مني في شرب الماء وفي نهاية الأمر وجد السقاي أنهم ماتوا جميعاً بسبب هذا الإيثار مبتغين مرضاة الله سبحانه وتعالى. وعليه وكما يقول "نصير" يعتبر تدرج النفس البشرية هو المحدد الأساسي لاختيار الإنسان لسلوك معين وليس تدرج الحاجات (نصير، 1987، ص144).

ونخلص من ذلك إلى أن الإسلام أكد على الحاجات الفسيولوجية للإنسان وإلى حاجات الأمن وحاجات العلاقات الاجتماعية وإلى الحاجات الأخرى كاحترام وتحقيق الذات التي ذكرها (Maslow) وصنفها في هرم يدعى هرم ماسلو (Maslow) للحاجات.

وقبل أن نستعرض هرمية ماسلو للحاجات بمستوياتها المختلفة وبما تحويه من مضامين نعرض مجموعة من المنظرين وآرائهم حول ما يتعلق بالحاجات الإنسانية أو كما يسميها البعض منهم (غرائز) أو دوافع إنسانية.

أولاً: نظرية وليام جيمس:

أكد على أن للإنسان من الغرائز أكثر مما لدى الحيوانات الثديية فقد ذكر حوالي (46) غريزة تمتد من غريزة الرضاع حتى تبلغ غريزة المحبة الأبوية، ولقد أجمل في قائمته هذه بعض الحركات الانعكاسية أو الأنشطة التي تدخل في عداد الأفعال الانعكاسية، كالعطاس والتشمم، والسعال، والتناؤب وسواها، كذلك استعمل لفظي نزوع وميل واعتبارهما مرادفين لكلمة الغريزة، على أن المهم في هذا الشأن هو أن جيمس قد تعرض إلى ما أسماه بالغرائز الأساسية التي تعد أهم وأبرز الميول التي تؤلف محور سلوك الإنسان وهو بهذا يتصف وينفرد لكنه جعلها خاضعة لتوجيه العقل (الجسماني، 1994، ص250).

ثانياً: نظرية ثورنडाيك:

لقد أورد مجموعة من الغرائز المبنية على أساس سلوكي وقد ضمن قائمته المطولة (42) غريزة تتراوح بين غريزة الانتباه، كما يظن وغريزة الخضوع، وبين غريزة النشاط العقلي. ويضاف إلى هذه الغرائز غريزة النشاط الجسمي والغرائز الاجتماعية وقد اعتبر الغريزة أساساً للطبيعة الإنسانية.

ثالثاً: نظرية كرياتريك:

صنف الغرائز إلى مجاميع هي:

1- غرائز المحافظة على الذات ومنها:

- أ. غريزة الطعام أو التغذية أو الاغتذاء.
- ب. غريزة التخوف.
- ج. غريزة المقاتلة أو المخاصمة.

2- غرائز الأبوية ، أو الأبوية ومنها:

- أ. غريزة الإنشاد أو الغناء.
- ب. غريزة الجنس.
- ج. غريزة بناء الأعشاش عند الطيور.

3- غريزة الانتماء الاجتماعي ومنها:

- أ. الانتماء إلى الجماعة أو المجتمع.
- ب. التعاون من أجل الصالح العام والدفاع عن النفس والوطن.
- ج. البحث عن المؤانسة.
- د. التماس الاعتراف بالذات من لدن الجماعة.

4- غرائز التكيف ومنها:

- أ- الميل إلى الغريزة التي تؤدي إلى الحركة التلقائية.
- ب- غريزة الطاقة العصبية في أداء حركات بتكرار لأنها مألوفة.
- ج- غريزة التقليد والمحاكاة.
- د- غريزة اللعب.
- هـ- غريزة حب الاستطلاع.

5- الغرائز التنظيمية ومنها:

- أ- الميل أو الغريزة الأخلاقية للإمتثال للقانون والنظام.
- ب- الميل إلى الدين أو الغريزة الدينية واعتراف الفرد بقوة عليا سامية.

غرائز منفردة وأحاسيس شتى، ومنها:

- ج- الغريزة التي تؤدي إلى تجمع أشياء والتمتع بامتلاكها.
- د- غريزة البناء.
- هـ- غريزة الهدم.
- و- غريزة التعبير وما يصاحبها من شعور باللذة.

رابعاً: نظرية مارشال :

أوضح بنظريته المسماة المنظومة الكبرى من الغرائز في ثلاث مجموعات مقررة ومحتمة بثلاث غايات بيولوجية مختلفة وهي:—

- 1- مجموعة الغرائز التي تمكن الجنس الذي ينتمي إليه الفرد من الاستمرار والبقاء.
- 2- مجموعة الغرائز التي تتيح استمرارية الحياة الفردية والذاتية.
- 3- الغرائز التي تؤدي إلى التماسك الاجتماعي وهو التمسك الذي يسهم فيه الفرد، ويمثل أعلى وأرقى الدرجات في عمليات التطور.

خامساً: نظرية ماكدوجال:

لعل تصنيف ماكدوجال للدوافع والحاجات يُعد أكثر المحاولات الأخرى وضوحاً وأبرزها تحديداً فهو قد حدد مسمياته من الغرائز والدوافع تحت الفئات الآتية:

1- غرائز رئيسة، وتشمل:

- أ- غريزة الهرب.
- ب- غريزة التقزز.
- ج- غريزة حب الاستطلاع.
- د- غريزة تأكيد الذات.
- هـ- غريزة الأبوة.
- و- غريزة الجنس.

2- غرائز ليست بذات معالم محددة بوضوح وتتضمن:

أ- غريزة التكاثر.

ب- التجمع.

ج- غريزة الاكتساب.

د- غريزة البناء.

3- غرائز صغرى، وهذه تضم (13) غريزة منها:

أ- غريزة الرضاع.

ب- غريزة الصراخ أو البكاء.

ج- غريزة الحبو.

د- غريزة المشي.

هـ- غريزة الانكماش.

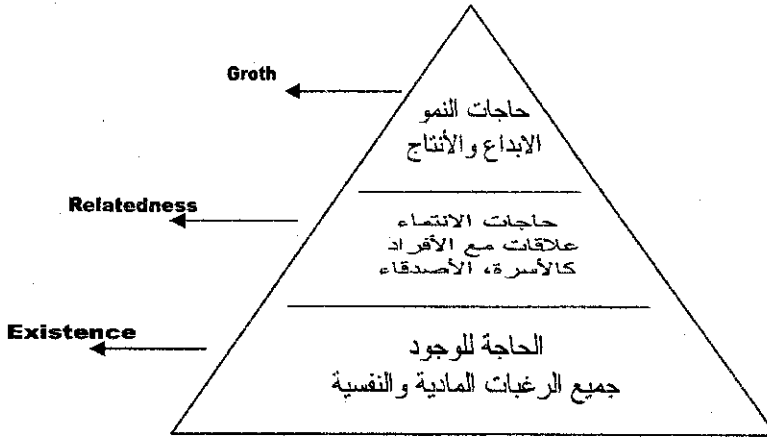
و- غريزة الرمش أو طرفة العين... الخ.

بيد أن تصنيف الغرائز من جانب ماكدوجال قد طورها فيما بعد ووصفها تحت عنوان رئيسي أسماه الميول الطبيعية أو النزعات أو النزوع عليه فإن تلك النزعات الفطرية تؤلف أساس الحياة العقلية لنا، وإنها تكون القوى الدافعة، وهي الطاقات الهورمية المعبرة عن نفسها في جميع فعالياتنا ونشاطاتنا، ابتداءً من أبسطها وانتهاءً بأعقدها (الجماني، 1994م، ص276).

سادساً: نظرية الحاجات لـ كلبتون الدرفير:-

افترض وجود ثلاث مجموعات من الحاجات الإنسانية : الحاجة للوجود (Existence) والحاجة للانتماء (Relatedness) والحاجة للنمو (Groth) تتضمن حاجات الوجود جميع أشكال الرغبات المادية والنفسية مثل الطعام والماء والراتب والظروف الجيدة للعمل وغيره، أما حاجات الانتماء فتتضمن العلاقات مع الأفراد

كالأسرة والمشرفين والمرؤوسين والأصدقاء والأعداء، أما حاجات النمو فتشتمل على الحاجات التي تدفع الإنسان ليكون مبدعاً ومنتجاً ومن الجدير ملاحظته أن مصطلح (ERG) هو مأخوذ من الحروف الأولى للأصناف الثلاثة للحاجات. ويمكن توضيح ذلك بالهرم الآتي:



سابعاً: نظرية فرويد:-

اعتقد فرويد صاحب مدرسة التحليل النفسي المشهور في علم النفس، أن الدافع الجنسي، فقط دون غيره هو الدافع الوحيد المحرك لجميع أنواع السلوك البسيطة والمركبة للإنسان، ثم عدل وجهة نظره في أواخر حياته، فقال بأن هناك دافعين هما "الدافع الجنسي" وأسماه دافع الحياة، و "دافع العدوان" وأسماه دافع الموت، وكل واحد من هذين الدافعين - من وجهة نظره - يعمل ضد الآخر.

ثامناً: نظرية أدلر:-

وهو أحد أبرز أصحاب منظري علم النفس الفردي للإنسان، فقد اعتقد بأن دافع الشعور بالنقص للإنسان هو دافع الكفاح من أجل التفوق والكمال، النابع أصلاً من دافع مختزل آخر هو دافع الشعور بالنقص. (التميمي، 2002، ص233)

نبذة عن ماسلو Maslow وعن نظريته في السلم الهرمي للحاجات:

يعد إيراهام ماسلو Maslow من أبرز علماء النفس الإنساني وأحد الرواد الأوائل العاملين في حقل الدافعية والحاجات الإنسانية وصاحب أشهر نظرية في الحاجات التي فاقت في شعبيتها وشهرتها الكثير من النظريات مثل نظرية "الدرفر" ونظرية "مواري" ونظرية "ماكيلاند" ونظرية "ماكنوجال" وغيرها من النظريات التي تهدف إلى تحقيق هدفين:

فهي تصنف الحاجات الأساسية في سلسلة من ناحية. وتربط هذه الحاجات بالسلوك العام للفرد من ناحية ثانية، ويرى بأن الإنسان يولد ولديه خمسة أنظمة من الحاجات مرتبة بشكل هرمي تبدأ من الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمن، وحاجات الحب، والاحترام، وتنتهي بحاجات تحقيق الذات (الطارق 1998م، ص104).

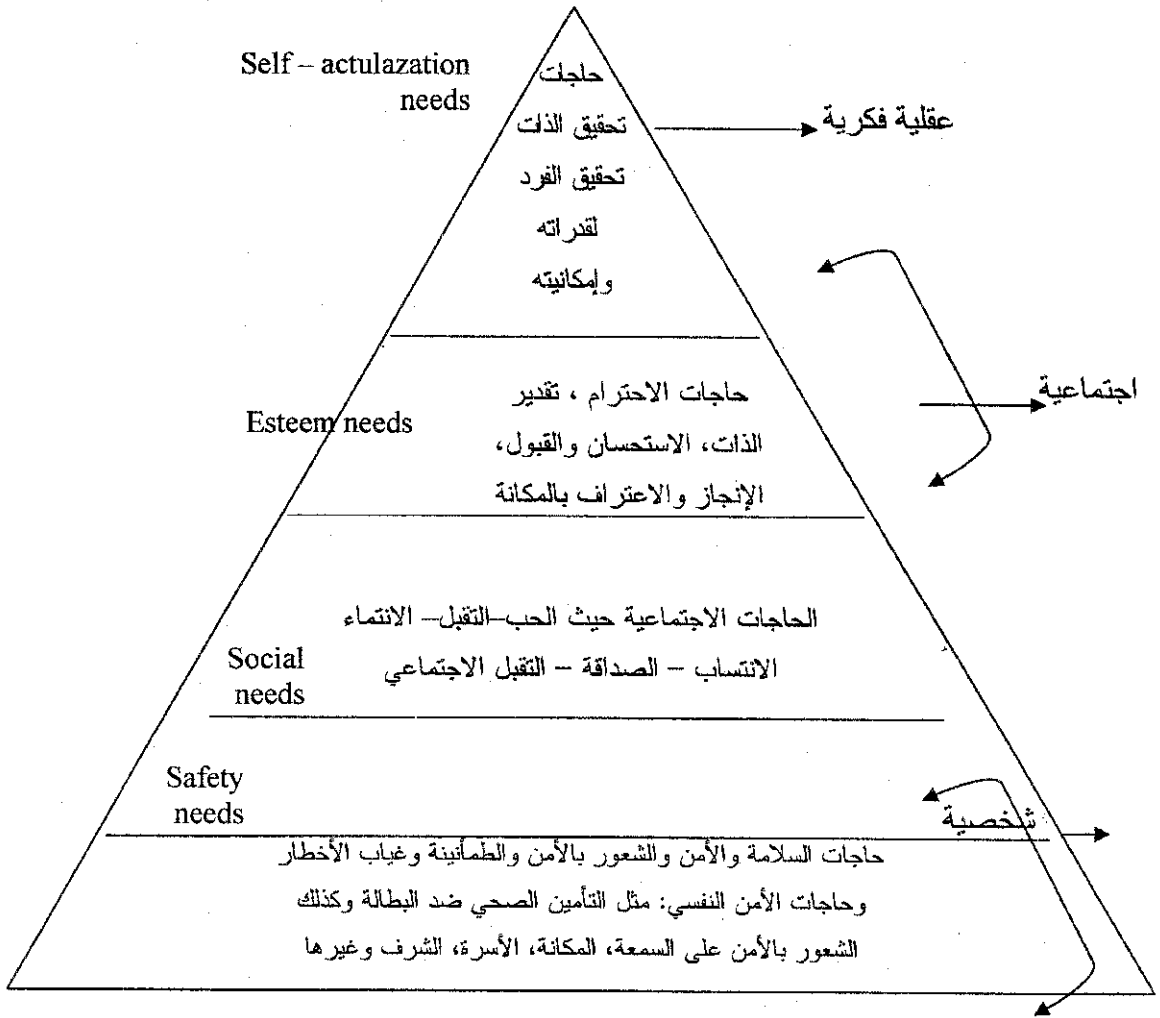
وتقوم على أساس الحاجات Needs فقد اقترح قائمة بعدة حاجات يراها فطرية غريزية الأصل *instinctional* (جلال، 1985، ص415).

إن هذه الحاجات التي تثير سلوك كل فرد وتوجهه يرثها الفرد عند الولادة لكن السلوك الذي يستخدمه لإشباع الحاجات ليس فطرياً ولكنه تعلم وهو عرضة لأن يتباين باتساع بين فرد وآخر. (شلتز، 1983، ص289)

وتتميز نظريته بما يسمى بـ(هرمية الحاجات Hierarchy of needs) ويتمثل في ترتيب الحاجات تبعاً لأهميتها، فتلك التي توجد في أسفل الهرم يجب أن تشبع قبل أن تتمكن من الحاجات الأعلى من الإشباع. (ويتيج، 1977، ص132)

ويؤكد ماسلو Maslow في نظريته على حقيقة أن هناك عدداً من الحاجات المتباينة وتؤدي دوراً هاماً وأساسياً في دافعية الإنسان وأنه من الممكن تصنيف هذه الدوافع على شكل هرم إلى خمسة مستويات وتتكون قاعدة الهرم من الدوافع الأدنى والأساسية وتتضمن قمة الهرم من الدوافع الأعلى والأرقى وهو على النحو التالي:

"هرم ماسلو للحاجات"



Physiological needs

الحاجات البيولوجية - الفسيولوجية

الجوع - البعد عن الألم - العطش - النوم - الهواء - الجنس

المستوى الأول : الحاجات الفسيولوجية:

يرى ماسلو Maslow أن البشر يظلون طوال حياتهم حيوانات طالبة (wanting animals) فعندما تتحقق مجموعة من الحاجات تحل محلها مجموعة أخرى جديدة، فنحن نشق طريقنا خلال الأنظمة المختلفة بنفس الترتيب المشار إليه، حيث نبدأ بالحاجات الفسيولوجية أي الحاجة للطعام، الماء، الجنس، النوم، الهواء، وتلك الحاجات تمثل متطلبات البقاء على قيد الحياة وهي أكثر مجموعات الحاجات قوة أو إنها تفرض وجودها أكثر من باقي الحاجات، حيث يجب إشباعها بدرجة ما قبل أن تتبعث الحاجات الأخرى، وإذا بقيت حاجة واحدة منها من دون إشباع فإنها قد تسود وتسيطر على الحاجات المتبقية، ويعلق "ماسلو" على ذلك بكلماته (بالنسبة لإنسان جائع بصورة مزمنة ومفرطة تتحدد المدينة الفاضلة عنده على أنها مكان يوجد فيه قدرٌ وافرٌ من الطعام، وبالنسبة لهذا الإنسان فإن " الحرية والحب والشعور بالانتماء للمجتمع والاحترام والفلسفة قد تستبعد على أساس أنها صنوف من الكماليات والبهجة عديمة الفائدة لأنها تفشل في ملء المعدة). (دافيدوف، 1988، ص441)

عليه يمكن حصر أبرز هذه الحاجات بالحاجة إلى الغذاء، الماء، والنوم، والراحة، والجنس، والهواء، والحرارة، والسكن، والملبس.

وهذه الحاجات تعد المحور الرئيس الذي تنطلق منه نظرية ماسلو Maslow في الدافعية حيث إن إشباع هذه الحاجات يعتبر ضرورياً للحفاظ على بقاء الفرد وكذلك للحفاظ على نوعه، وأن هذه الحاجات فطرية عامة يشترك فيها جميع الأفراد بغض النظر عن اختلاف بيئاتهم وأجناسهم وأعمارهم وثقافتهم، لأنها حاجات عضوية مرتبطة بشروط تتعلق بجسم الكائن الحي والحفاظ على توازنه.

حيث إن لجسم الإنسان وسائل تسعى للمحافظة على التوازن الفسيولوجي الداخلي كلما حدث اختلال في ذلك التوازن من جراء حاجة خلايا الجسم إلى بعض المواد مثل الماء، الملح، السكر، الدهون، البروتين، الأوكسجين، الهرمونات، الفيتامينات التي تساعد

على تحقيق تكامل تلك الخلايا لتقوم بدورها في الحفاظ على استمرار الفرد في الحياة والحفاظ على نوعه.

فعندما يحدث ذلك النقص في تلك المواد تحدث حالات من التوتر داخل الجسم تؤدي به إلى القيام بعدد من الأفعال والنشاطات اللازمة لمواجهة ذلك النقص. وعليه فإن الدوافع المتعلقة بالحاجات الفسيولوجية هي أحد مكونات وسائل الجسم التي تستثيرها التوترات التي تحدث داخله فتصدر عن الفرد أنماط معينة في السلوك باتجاه البحث عن تلك المواد الناقصة للحصول عليها في سبيل استعادة توازنه الفسيولوجي الداخلي.

إن الحاجات العضوية (الفسيولوجية) تعد أكثر الحاجات الإنسانية إلحاحاً وقوة إلى الإشباع أي أنها تحتل المرتبة الأولى في سلم الحاجات فعندما يحرم الفرد من جميع الأشياء وتكون كل حاجاته غير مشبعة أي يكون مفتقداً إلى الطعام، الماء، الملابس، الأمن، الحق، التقدير الاجتماعي، تحقيق الذات، فستتجه عند ذلك جميع دوافعه باتجاه إشباع حاجاته الفسيولوجية فيما تصبح حاجاته مؤجلة أو ذات مرتبة ثانوية، وبالتالي فستختفي بصورة مؤقتة كل دوافعه الموجهة لإشباع تلك الحاجات باستثناء الدوافع المتعلقة بالحاجات الفسيولوجية فالشخص الجائع لدرجة كبيرة مثلاً ستتجه كل دوافعه للبحث عن الطعام والحصول عليه وحالما تشبع تلك الحاجات ستختفي وينعدم تأثيرها على السلوك وبالمقابل ستظهر بعد ذلك حاجات ورغبات أخرى ستحتل المرتبة الأولى في سلم الحاجات ولكنها ستكون أقل قوة وإلحاح إلى الإشباع مما كانت عليه الحاجات العضوية.

وهكذا فإن الفرد كلما تسنى له إشباع حاجة معينة من حاجاته فإنها ستهمل وتختفي وتظهر غيرها من حاجاته الأخرى.

المستوى الثاني : حاجات الأمان:

إن الحاجات الفسيولوجية إذا ما أشبعت نسبياً فإنها تضعف وهذا يهيئ لظهور حاجات الأمان (الحماية والسلامة) وتشمل هذه الحاجات التخلص من الألم وعدم الراحة والتهديد والمؤثرات المزعجة. (جلال، 1985، ص415)

وكذلك تمثل حاجات الفرد إلى الأمان ضد الخطر، التهديد، الحرمان، السلام، الاطمئنان، الاستقرار، حاجاته إلى ضمانات ضد المرض والشيخوخة والعجز أو التهديد من قبل مصدر معين تصبح هذه الحاجات مهمة عقب إشباع الحاجات العضوية فتكون هي المحدد المثير والمسبب لسلوك الفرد والمنظم والموجه الوحيد له.

إذ يصبح كل مما حوله لا يرقى إلى مصاف الحاجة إلى الأمان، ولكن ما يطمئن إلى أنه حقق إشباعها لأمنه الجسمي (الفسيولوجي والاقتصادي والاجتماعي) ستقتد تلك الحاجات أهميتها ودورها كمحدد رئيسي في إثارة دوافع الفرد التي تحرك سلوكه وتصرفاته كما تشمل حاجات الأمان الحاجة إلى الشعور بالعدل والمساواة في الحقوق والواجبات والحاجة إلى سكن آمن، ووطن آمن..

المستوى الثالث : الحاجات الاجتماعية الحب والانتماء:

وعندما نشبع الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمان والسلامة تظهر حاجات الانتماء والحب، فهو يرى أننا جميعاً نشعر بالرغبة في أن نكون مقبولين من الآخرين، ويتحقق ذلك بطرائق مختلفة، فبعضنا يشبعها عن طريق الأصدقاء وبعضنا يشبعها عن طريق العائلة، والبعض الآخر يشبعها من خلال منظمات اجتماعية، أما في غياب وجود مثل هذه الخلاقات فإن الفرد يشعر بالعزلة والوحدة (صالح، 1998، ص113).

ويعتقد - ماسلو - أن الحاجة للانتماء يصعب إرضاؤها في مجتمع يتغير بشكل مضطرب، وقليل جداً من الناس من يستقر في المكان نفسه ويحتفظ بالأصدقاء أنفسهم طوال حياته أو حتى الإبقاء على الأصدقاء أنفسهم لفترة زمنية لا تتجاوز بضعة سنوات. (شلتز، 1983، ص294).

ولذلك فإن اضطراب العلاقات مع الأصدقاء وبين الناس عموماً ينتج عنه شعور الفرد بالاغتراب. (صالح، 1998، ص113)
 إن إشباع حاجة الفرد للانتماء والحب هو أساس للإحساس بالاحترام والتقدير وبدون إشباع هذه الحاجة فإن احترام الذات يكون عبارة عن وهم أو خداع كبير.
 (ingersoll 1989,P.56)

أما الحاجات الاجتماعية أو حاجات الانتماء فتشتمل على التعاون، القبول، الصداقة، الشعور الجماعي وكذلك تمثل الحاجة للعطف، للانتماء والحب. فالفرد يكون بحاجة إلى تكوين علاقات محبة وتعاطف ومودة مع أعضاء أسرته، جيرانه، العاملين معه، وكذلك بحاجة إلى تكوين صداقات مع عدد من الأشخاص سواء في محله، مدرسته أو مكان عمله. لأنه بدون إشباع تلك الحاجات سيشعر بالعزلة والانطواء التي تنعكس آثارها على نمط سلوكه وتصرفاته لذلك نرى الفرد يسعى إلى تكوين تلك الصداقات وخلق علاقات المحبة والعطف والتعاون مع الأشخاص الذين يتوافق وينسجم معهم في ميوله ورغباته واهتماماته واتجاهاته، علماً بأن حاجات الحب والمودة هي ليست من حاجات الجنس أو مرادفة لها فالأولى تعتبر من الحاجات السيكلوجية في حين تعتبر الثانية من الحاجات الفسيولوجية.

كما أن الفرد بحاجة إلى القبول الاجتماعي له لذلك فهو يرغب بالحصول على عضوية عدد من الجماعات والتنظيمات المتواجدة في محيطه شعوراً منه أن تلك الجماعات ستساعده على إشباع الكثير من حاجاته.

لذلك نرى الفرد يستجيب لأهداف وقيم ومعايير الجماعات التي يسعى للانتماء إليها لأنه يخاف رفضها له عندما لا يستطيع أن يتوافق مع أهدافها وخصائصها وميولها واتجاهاتها فيكون عند ذلك مضطراً، إما إلى تعديل سلوكه واتجاهاته بالشكل الذي يحقق الملاءمة والانسجام مع قيم وتقاليد ومعايير الجماعة أو أن يبحث عن جماعات أخرى تقرر قبوله واحتضانه.

وتختلف حاجات الأفراد إلى الانتماء في درجة قوتها باختلاف مستوى ثقافة الفرد والوسط الذي ترعرع فيه والبيئة المحيطة به ويرى بعض العلماء أن مصدر حاجات الحب والانتماء هو الغريزة الاجتماعية فالإنسان كائن اجتماعي بالفطرة لأنه ولد وترعرع في وسط الجماعة أي أنه يميل إلى الاختلاط وتكوين العلاقات الاجتماعية والتعاون مع الآخرين، وبالتالي فإن الدوافع التي تحركه باتجاه إشباع تلك الحاجات إنما يريد من ورائها إشباع (جوعه الاجتماعي).

المستوى الرابع : حاجات احترام الذات – حاجات الثقة:

عندما يشعر الأفراد أنهم محبوبون ويمتلكون شعوراً بالانتماء، تنشأ عندهم الحاجة للاحترام فهم يحتاجون الاحترام من أنفسهم على شكل الشعور بقيمة الذات ومن الآخرين على شكل منزلة ونجاح اجتماعي وشهرة وما إلى ذلك، فهناك إذن نوعان من حاجات الاحترام وهي احترام الذات والاحترام الذي يمنحه الآخرون.

كذلك تشمل الحاجة إلى المكانة والثقة بالنفس والحصول على الراتب والتفضيل والاعتراف وكذلك الحاجة للشعور الشخصي بالإنجاز أو الثقة بالنفس وكذلك الحاجة للتمييز والاحترام من قبل الآخرين.

تمثل هذه الحاجات رغبة الفرد في احترام الذات أو النفس واحترام الآخرين له وكذلك رغبته في احترامه للآخرين أيضاً.. (Maslow, 1943, P.378)

إن هذه الحاجات تظهر رغبة الفرد في الشعور بأهميته وقيمه للآخرين ومن ثم اعتراف الآخرين بتلك الأهمية والقيمة بحيث يروونه كذلك، ويقرون له بذلك فيمنحونه الاحترام والتقدير، ولكن لا بد أن يستند ذلك الاحترام والتقدير على القدرات الفعلية والحقيقية التي يمتلكها الشخص والتي تعكس إمكاناته وقدراته على الإنجاز والعمل.

إن هذه الحاجات يمكن أن تصنف إلى نوعين، ويشتمل النوع الأول على: حاجات الفرد إلى احترام الذات، الثقة بالنفس، الشعور بالكفاءة الشخصية، الشعور بأنه شخصية فذة وفريدة وامتلاك القوة، الحرية والاستقلال.

ويتضمن النوع الثاني: حاجات الفرد في الحصول على المركز أو الهيبة، الاعتبار والسمعة الطيبة رغبة منه في كسب احترام وتقدير الآخرين لذاته واعترافهم بذلك فالفرد يرغب في الوصول إلى مكانة عالية في البناء الاجتماعي ويعتبر قبول أعضاء الجماعة لعضوية الفرد بمثابة منحه ووضعه في مركز معين وهناك من الأفراد من يرغب بالحفاظ على مركزه نفسه الذي هو فيه.

وهناك آخرون يطمحون في الوصول إلى مركز أعلى وأن للمركز درجات متفاوتة من المكانة والهيبة بغض النظر عن مكان أو مستوى ذلك المركز، فهناك مراكز ذات هيبة عالية وهناك مراكز تنسم بهيبة أقل.

وهذا مرتبط بقدرات ومؤهلات الشخص الذي يشغل المركز على الإنجاز والعمل، فالشخص الذي يشغل مركزاً عالياً قد يحصل على تقدير وهيبة الآخرين واحترامهم وإذا كان يمتلك المؤهلات والقدرات التي تجعله كفواً في عمله ومقتدرًا على تنفيذ ما يفرضه مركزه من متطلبات وقد يفقد تلك الهيبة والاحترام لعدم كفاءته وإخفاقه في عمله، وبالمقابل فقد يكون هناك فرد ذو مركز وظيفي منخفض داخل الجماعة أو المنظمة، إلا أنه يحظى بتقدير وهيبة واحترام أقرانه وزملائه تمييزاً لجهوده وكفاءته لذلك يسعى الفرد إلى تحقيق مكانة مرموقة أو هيبة عالية مقترنة باحتلال مركز قيادي داخل الجماعة أو المنظمة لأن ذلك سيعطيه الهيبة العالية والقوة التي يحاول بها إشباع حاجاته في السيطرة على الغير وذلك كفيلاً بأن يجعله في موقع تسلط عليه الأضواء والانتباه والاهتمام من قبل أعضاء الجماعة.

المستوى الخامس : حاجات تحقيق الذات:

وهي الحاجات التي يحقق الفرد كل ما يصبو إليه من تنمية ذاتية والإفصاح عن شخصيته وتوكيدها بتحقيق ما لديه من إمكانيات وأن يبدي ما لديه من آراء أو أن يقوم بأعمال نافعة وذات قيمة للآخرين ويرغب في تحقيق ما في مخيلته وأن يصبح ما يتمناه لنفسه وذلك من خلال أداء العمل الذي يتوافق مع قدراته ومؤهلاته وميوله واتجاهاته

واستعداداته فالفرد يرغب في تأدية الأعمال التي يحبها وترضي رغباته وطموحاته وتحديه وإبداعه وتحقق بالتالي إشباعاً داخلياً لمكوناته. (Maslow, 1943, P.379)

وتحقيق الذات هو الهدف النهائي، حيث يعرفه ماسلو بقوله " بأنها عملية تحقيق مستمرة للقدرات والإمكانيات والمواهب وإنها المعرفة المكتملة والقبول التام للطبيعة الأساسية للفرد وهي اتجاه الشخص الذي يتعاطم باستمرار نحو وحدته وتكامله. (الطارق، 1998، ص215)

ويخلص (شلتز) بقوله أنها المرحلة الأخيرة للشخص من تحقيق جميع إمكانياته وقابلياته، وهي تحقيق الذات (Self- Actualization) أي أن الشخص يجب أن يصبح أو يكون ما هو عليه بحكم ما له أن يكون. (شلتز، 1983، ص294)

وعليه فإن هذه الحاجات تمثل أعلى الحاجات الإنسانية التي يسعى الفرد إلى إشباعها ويعتبر عمل الفرد هو المجال الأساس لتحقيق ذلك، فإن كان ذلك العمل لا يوفر أجواء ملائمة لتحقيق ذات الفرد فهذا من شأنه أن يخلق توترات نفسية حادة للفرد تمارس عليه ضغطاً مستمراً قد يؤدي به إلى الإحباط لذلك يستلزم وضع الفرد في المكان أو العمل الذي يتناسب مع ميوله واستعداداته ومؤهلاته وتخصصه العلمي أو الفني أو المهني ويجدر الإشارة إلى أن ماسلو Maslow يعتقد بأن الحاجة إلى تحقيق الذات هي الحاجة الوحيدة التي لا يمكن أن تصل إلى الإشباع التام إلى نهاية الحياة.

وهكذا نجد أن ماسلو يرى أن من بين أهم مبادئ سيكولوجية النماء هو أن تحقيق الذات يتم من خلال إشباع حاجات الإنسان لا من خلال إحباطها (جبر، 1998، ص109)

ويخلص التميمي بقوله "بأن الدوافع، تشكل قوى محركة لجميع الكائنات الحية وفي مقدمتها الإنسان، فهي محركة لسلوك البشر في كل زمان ومكان، وفي جميع المجتمعات رؤساء ومرؤوسين، ذكوراً وإناثاً، عمالاً وفلاحين، أميين ومتعلمين، فقراء وأثرياء، ضعفاء، وأقوياء... وغير ذلك". (التميمي، 2002، ص246)

كما نستخلص أيضاً أن أفضل فهم لشخصية أي إنسان، وأفضل فهم لسلوكياته، في جميع مواقف الحياة، ينبغي أن يقوم على فهم عملي دقيق للدوافع (القوى) الداخلية

(النفسية والجسمية) المؤثرة في مجمل مكونات شخصيته والمحركة لجميع سلوكياته البسيطة والمركبة.

ومن هنا تمس الحاجة إلى دراسة دوافع وحاجات مختلف الأفراد في مواقف حياتهم الأسرية والدراسية والمهنية والاجتماعية والوطنية والإنسانية.

عليه يمكن إجمال خصائص الأشخاص المحققين لذواتهم على النحو الآتي:

- 1- الإدراك العالي للحقيقة، سواء فيما يتعلق بأنفسهم أو الآخرين.
- 2- التقبل الموضوعي لأنفسهم والآخرين والبيئة التي يعيشون فيها.
- 3- التلقائية والبساطة والبعد عن الرياء الاجتماعي.
- 4- التركيز على المشكلات أكثر من التركيز على الذات، واستثمار طاقاتهم في العمل المنتج.
- 5- الاهتمام الاجتماعي الذي يأخذ شكل اهتمام الأخ الأكبر نحو الآخرين والعاطفة الإنسانية نحو البشرية بشكل عام.
- 6- العلاقات الاجتماعية، حيث تتميز علاقات المحققين لذواتهم بأصدقائهم بكونها متينة وعميقة.
- 7- الإبداعية، حيث يعبرون عن أفكارهم بأصالة وجدنية.
- 8- التركيب الشخصي الديمقراطي، حيث يتميزون بالتسامح والتقبل والرغبة في التعلم من الآخرين ونبذ التعصب .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الخصائص كلها أو بعضها تقابلها خصائص الإنسان الذي تحكمه النفس المطمئنة كما سيأتي لاحقاً.
القرآن وتسلسل الحاجات:

في القرآن الكريم يعد تدرج النفس البشرية هو المحدد الأساسي لاختيار الإنسان لسلوك معين وليس تدرج الحاجات، حيث يحدد مستوى النفس البشرية الحاجات التي يجب أن تشبع ومن ثم تحفز الإنسان (نصير، 1987م، ص144).

وقد بين القرآن الكريم ستة مستويات للنفس البشرية، ولكل مستوى نفسي حاجات يجب إشباعها، وقد يتصف الإنسان الذي تحكمه إحدى هذه الأنفس بعدة خصائص وسوف نقتصر على أربعة مستويات للنفس البشرية لوضوح خصائص الإنسان الذي تحكمه هذه الأنفس وكما يأتي:

1- النفس الأمارة:-

قال تعالى ﴿ وما ابرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربي ﴾ (سورة يوسف، آية 53).

ومن خصائص الإنسان الذي تحكمه هذه النفس ما يلي:

- 1- اتصاله بالله سبحانه وتعالى ضعيف أو مفقود.
- 2- يتميز بالعدوانية لإشباع الغرائز بغض النظر عن التكاليف.
- 3- لا يشبع رغباته إلا بالاعتداء على حاجات الآخرين.
- 4- يميل إلى الشر دائماً ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾.
- 5- حماية نفسه عن طريق جمع الثروة والاهتمام بالأمور المادية (نصير، 1987، ص144).
- 6- يحب التوسع وليس هنالك حدود أو مقيدات على سلوكه.
- 7- قلة الشعور بالأمن والاطمئنان ضعيف جداً.
- 8- تغليب الحاجات الفسيولوجية والبيولوجية من طعام، ولبس وماء حيث تكون هذه الحاجات أكثر الحاجات أولوية لإشباع هذه النفس وهي بهذا المعنى تماثل "الهو ID" في التحليل النفسي، فإذا كانت جامحة لا يستطيع "الأنا" ترويضها فإنها تقضي بصاحبها إلى التهلكة، وإن كانت "الأنا" أقوى منها فإنها تمكن صاحبها من أن يعيش متوافقاً مع الآخرين، (صالح، الطارق، 1998، ص242) وعليه فتراكم الآثام نتيجة للاستجابة لدوافع أو نوازع النفس الأمارة يعني الانحدار بالذات إلى مستويات دونية، مما يولد لديه شعوراً بالذنب وعذاب الضمير والقلق وانتفاء الإحساس بالأمن.

2- النفس السؤلة:-

قال تعالى: ﴿ وكذلك سولت لي نفسي ﴾ (طه:96)
 قال تعالى: ﴿ قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل ﴾ (يوسف:83)
 قال تعالى: ﴿ قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان ﴾ (يوسف:18)
 ومن خصائص الإنسان الذي تحكمه هذه النفس مايلي:-

1. الانحراف عن جادة الصواب.
2. تحيد بصاحبها عن الأعراف والأخلاق الاجتماعية والقوانين الوضعية.
3. تزيغ القلب صوب الظلال والغواية.
4. الابتعاد عن جادة الحق وطريق الهداية.
5. يميل إلى الانحراف السلوكي، وبذلك تكون بلغة التحليل النفسي تلك الشخصية التي يكون فيها الهو (ID) هو القوي المسيطر على باقي مكونات الشخصية.

3- النفس اللوامة:

قال تعالى: ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ (1) ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ (القيامة، 1، 2).
 من خصائص الإنسان الذي تحكمه هذه النفس مايلي:-

- 1- إنسان مدرك ومستبصر لكل ما يدور حوله من خير أو شر وفي يقظة دائمة لكل الاحتمالات.
- 2- يسعى إلى تعديل سلوكه ما أمكن بطلب العون من الله سبحانه وتعالى بالعفو والمغفرة. (yusuf, 1977, p.1649).
- 3- يميل إلى البعد الروحي بعد صراع مع البعد المادي.
- 4- صاحب ضمير حي ويقدم نوعاً من الرقابة الذاتية على أعماله.
- 5- يميل دائماً إلى مراقبة ذاته لأن في النفس اللوامة دوافع الخير والشر معاً.
- 6- يعتبر الإنسان الذي تحكمه هذه النفس في المستوى الثاني للتسلسل الهرمي للنفس. (نصير، 1987، ص144).

4- النفس الموسوسة:-

قال تعالى: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾ (ق:16).

ومن خصائص الإنسان الذي تحكمه هذه النفس ما يلي:-

- 1- فقد الثقة بالنفس أي يكون الإنسان الذي تحكمه هذه النفس فاقد الثقة بنفسه.
- 2- فقد الثقة بقيمة الحياة نتيجة لضعف إيمانه بنفسه.
- 3- فقد القيمة الاجتماعية والخروج عن المؤلف. (صالح، الطارق، 1998، ص243)
- 4- شخصية وسواسية يترتب على ذلك أن يصبح عصاباً استحوادياً أو قهرياً يستولي على حياة الفرد. (سيد قطب: ص496، ورد في عشوي، 1997م)
- 5- العجز عن إدارة شؤون حياته وعدم القيام بمسئوليته الشخصية والأسرية والاجتماعية والوظيفية.
- 6- يعد الإنسان الذي تحكمه هذه النفس من المستوى الرابع للتسلسل الهرمي للنفس. على أية حال إن الشخص الذي تحكمه هذه النفس يكون تقديره لذاته ضعيف وواطي قد يكون عرضة للاضطرابات النفسية والعقلية والسلوكية.

5- النفس المطمئنة:-

قال تعالى: ﴿ يأيها النفس المطمئنة ﴾ (الفجر:27)

ومن خصائص الإنسان الذي تحكمه هذه النفس ما يأتي:

- 1- يتصف بذات حية يقضة على الدوام وبقوة فعالة.
- 2- طمأنينية تتمثل في سكون القلب الذي يعني عدم اضطرابه.
- 3- الشعور بالرضى التام والسلام الكامل.
- 4- الميل إلى الأفعال الروحية التي تحقق الراحة والسرور.
- 5- يعتبر الإنسان الذي تحكمه هذه النفس في المستوى الخامس للتسلسل الهرمي للنفس.

ويمكن إجمال ما سبق ذكره في الهرم الآتي:

هرم مستوى النفس البشرية

5- النفس المطمئنة:-

- ومن خصائص الإنسان الذي تحكمه هذه النفس ما يلي:
1. يتصف بذات حية يقضه على الدوام وبقوة فعالة.
 2. طمأنينية تتمثل في سكون القلب الذي يعني عدم اضطرابه.
 3. الشعور بالرضى التام والسلام الكامل.
 4. الميل إلى الأفعال الروحية التي تحقق الراحة والسرور.
 5. يعتبر الإنسان الذي تحكمه هذه النفس في المستوى الخامس للتسلسل الهرمي للنفس.

4- النفس الموسوسة:-

- ومن خصائص الإنسان الذي تحكمه هذه النفس ما يلي:-
1. فقد الثقة بالنفس أي يكون الإنسان الذي تحكمه فاقد الثقة بنفسه.
 2. فقد الثقة بقيمة الحياة نتيجة لضعف إيمانه بنفسه.
 3. فقد القيمة الاجتماعية والخروج عن المألوف.
 4. شخصية وسواسية يترتب على ذلك أن يصبح عصاباً استحوذت عليه أو قهرياً يستولي على حياة الفرد.
 5. العجز عن إدارة شؤون حياته وعدم القيام بمسئوليته الشخصية والأسرية والاجتماعية والوظيفية.
 6. يعد الإنسان الذي تحكمه هذه النفس من المستوى الرابع للتسلسل الهرمي للنفس وعلى أية حال إن الشخص الذي تحكمه هذه النفس يكون تقديره لذاته ضعيفاً وواظناً قد يكون عرضة للاضطرابات النفسية والعقلية والسلوكية.

3- النفس اللوامة:

- ومن خصائص الإنسان الذي تحكمه هذه النفس مايلي:-
1. إنسان مدرك ومستبصر لكل ما يدور حوله من خير أو شر وفي يقظه دائمة لكل الاحتمالات.
 2. يسعى إلى تعديل سلوكه ما أمكن بطلب العون من الله سبحانه وتعالى بالعتو والمغفرة.
 3. يميل إلى البعد الروحي بعد صراع مع البعد المادي.
 4. صاحب ضمير حي ويقدم نوعاً من الرقابة الذاتية على أعماله.
 5. يميل دائماً إلى مراقبة ذاته لأن في النفس اللوامة دوافع الخير والشر معاً.
 6. يعد الإنسان الذي تحكمه هذه النفس في المستوى الثاني للتسلسل الهرمي للنفس

2- النفس السوءة:

- ومن خصائص الإنسان الذي تحكمه هذه النفس مايلي:-
1. الانحراف عن جادة الصواب.
 2. تحيد بصاحبها عن الأعراف والأخلاق الاجتماعية والقوانين الوضعية.
 3. تزيغ القلب صوب الظلال والغواية.
 4. الابتعاد عن جادة الحق وطريق الهداية.
 5. يميل إلى الانحراف السلوكي، وبذلك تكون بلغة التحليل النفسي تلك الشخصية التي يكون فيها الهو (ID) هو القوي المسيطر على باقي مكونات الشخصية.

1- النفس الأمارة:-

- ومن خصائص الإنسان الذي تحكمه هذه النفس ما يلي:
- 1- اتصاله بالله سبحانه وتعالى ضعيف أو مفقود. 2- يتميز بالعدوانية لإشباع الغرائز بغض النظر عن التكاليف.
 - 3- لا يشبع رغباته إلا بالاعتداء على حاجات الآخرين. 4- يميل إلى الشر دائماً (إن النفس لأماراة بالسوء).
 - 5- حماية نفسه عن طريق جمع الثروة والاهتمام بالأمور المادية. 6- يحب التوسع وليس هناك حدود أو مقيدات على سلوكه.
 - 7- قلة الشعور بالأمن والاطمئنان ضعيف جداً. 8- تغليب الحاجات الفسيولوجية والبيولوجية من طعام، ولبس وماء

وعليه فقد اهتم الله سبحانه وتعالى من قبل خلق الإنسان بتهيئة الظروف المناسبة والملائمة التي سيعيش الإنسان بواسطتها، فقد هيا الله الأرض وأعدّها للإنسان ثم استوى على السماء كما هو مذكور في الآية التالية قال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [البقرة:29].

وعندما خلق الله آدم خلق منه زوجته حواء لكي يكون هناك توالد وتكاثر في الدنيا وأيضاً لا بد من توفير السكن لهما والمأكل والمشرب فأمر الله تعالى آدم عليه السلام بأن يسكن هو زوجته حواء قال تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) [البقرة:35].

وهكذا نجد أن معظم الآيات التي تحدثت عن خلق آدم كانت تؤكد على أهمية الحاجات الضرورية والأساسية مثل الأكل والشرب والجنس وكذلك حاجة الأمن والاستقرار والسكن.

وعندما نزل آدم وزوجته إلى الأرض ذكر الله تعالى أنها مستقر لهما ومتاع إلى حين وإلى وقت معلوم قال تعالى: (قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) [الأعراف:24].

فقد ذكر الاستقرار فيها والمتاع وهو من الأولويات والضروريات لاستمرار الإنسان وهناك آيات كثيرة تتحدث عن النعم التي أوجدها الله لعباده.

وذكر الله تعالى جميع الحاجات الضرورية والأساسية التي يحتاج الإنسان إليها ابتداءً من الحاجات الأولية الفسيولوجية صعوداً إلى حاجات تحقيق الذات التي ذكرها ماسلو Maslow في نظريته وفي هرمه. فقد ذكرها القرآن مرتبة وأكد على كل حاجة من هذه الحاجات في جميع حياة الإنسان وفي مختلف المجالات.

ونبدأ بعرض الآيات التي تؤكد على حاجات الإنسان إلى الأكل والشرب والتي ذكرت في القرآن الكريم. و عرضها ماسلو Maslow في قاعدة هرمه.

المستوى الأول: الحاجات البيولوجية شراب - طعام - نوم - جنس:

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ) [النحل:10]. وهذه الآية تؤكد على أهمية الماء بالنسبة للإنسان والحيوان والنبات وهو أساس لوجود الطعام.

قال تعالى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَنْبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَتَخْلًا * وَحَدَائِقَ غَلْبًا * وَقَاكِهَةً * وَأَبًا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) [عبس:24-31]. إن هذه الآية تؤكد على أن الإنسان والحيوان في مقام واحد بالنسبة للحاجات الأساسية والأولية فمثلاً مثل أنعامنا.

قال تعالى: (إِلْيَافٍ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصِّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) [قريش:1-4] هذه السورة تؤكد على أهمية الطعام قبل الأمن الذي لا يتوفر إلا إذا توفر الطعام، حتى أن الله سبحانه وتعالى قد شرع للجائع الذي لا يجد طعاماً أكل لحم الخنزير أو الميتة لأنه في هذه الحالة مضطر لكي يحافظ على بقاء حياته من غير أن يضر.

قال تعالى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لغيرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [الأنعام:145]. فكما سبق في الآية من تحريم للميتة ولحم الخنزير وبأن من يتناولها فاسق لأنه قد أكل طعاماً محرماً ولكن الله قد رخص للمضطر وليس لكل شخص بل للمضطر الجائع الذي يكاد يغمى عليه أو يقع أو يهلك فليس عليه حرج أن يأكل مما حرم الله مقدار قوته وليس كما يأكل الطعام المعتاد إلا أن هناك تصريحاً واضحاً في القرآن الكريم لأهمية الحاجات الأساسية والأولية، وكذلك بالنسبة إلى الجنس فقد ذكر القرآن الكريم هذه الحاجة الأساسية التي

بواسطتها يضمن بقاء النوع الإنساني و هي من الحاجات الأساسية لاستمرار الحياة ولكنه وضع لها الضوابط.

فقال تعالى: (وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ) [النساء:25].

وقال تعالى: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [النور:32]. وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أن الإنسان المسلم باستطاعته أن ينكح ما طاب من النساء لما في هذا الأمر من أهمية وكونه من الحاجات الأساسية وحاجت البقاء.

قال تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَثَلَىٰ تِلْكَ وَأُولَآئِكَ يَرْجُونَ أَلَّا تَعْدُوا) [النساء:3].

المستوى الثاني: الحاجة إلى الأمن والشعور بالطمأنينة وغياب الأخطار:

وقد أكد على الحاجة إلى الأمن والحاجة إلى شعور بالطمأنينة وغياب الأخطار وذلك في نهي عن الاعتداء.

قال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [البقرة:190]

وقال تعالى: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) [المائدة:78].

وقال تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [المائدة:2].

وقال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد:28]. هنا القلب يعني عدم اضطرابه وعدم قلقه ومنه الأثر لمعرفة الصدق طمأنينته والكذب رييته.

الطمأنينة عند ابن قيّم الجوزية درجات:

- 1- طمأنينة القلب بذكر الله طمأنينة الخائف إلى الرجاء.
- 2- طمأنينة الروح من القصد إلى الكشف، وهو ما يطلق عليه في علم النفس حب الاستطلاع ليزول الشك والعجب.
- 3- طمأنينة النفس إلى الأمن وهو ما أكد عليه ماسلو Maslow وجعل الحاجة إلى الأمن والطمأنينة تأتي بالمرتبة الثانية بعد الحاجات الفسيولوجية حاجات البقاء كطعام وماء.

نخلص من ذلك إلى أن النفس المطمئنة تماثل الشخصية السوية في علم النفس. (صالح والطارق، 1998، ص240).

المستوى الثالث: الحاجات إلى تكوين العلاقات الاجتماعية حسب التقبل. الانتماء الانتساب:

بالإضافة إلى ما تقدم فإن الإنسان كائن اجتماعي، وقد حرص الإسلام على تنظيم علاقة الفرد بالآخرين، فدعاه إلى تحمل مسؤولياته الاجتماعية، واحترام إرادة الجماعة والالتزام بما اتفقت عليه، ومشاركتها آمالها وأفراحها وأنراحها. إن في قول الرسول الكريم (ص): "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" القول الفصل في طبيعة العلاقة التي ينبغي أن تربط الفرد بالآخر. العلاقة القائمة على المحبة والتكامل والتضامن (عودة، ومرسي، 1986، ص20).

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) (* يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات: 12، 13].

وهي تتمثل في حاجات الحب، الانتماء، التقبل، الانتساب، فكما جاء في الآية هناك ترتيب أولويات، هناك حاجة قبل حاجة تهيئة الله للأرض بما فيها، ثم خلق الإنسان ذكر وأنثى حيث يتحقق التوالد والتكاثر وإشباع غريزة الجنس لدى الإنسان حتى يكون المجتمع أو التجمع السكاني الذي يتعدد عدة شعوب وقبائل حيث يشعر الفرد بانتمائه إلى مجتمع بعينه فتكون هناك علاقات اجتماعية وتعارف بين هذه القبائل بالتالي احترام وتقدير كل شعب للشعب الآخر وكل إنسان للآخر حتى يصل هذا الشعب إلى تحقيق الذات المتمثل بالتقوى.

قال تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) حيث تشير الآية الأخيرة إلى عدم وجود فوارق وفواصل بين الناس فكلهم عند الله سواء فالكريم والصالح بينهم عند الله ليس بالشكل أو اللون أو اللغة ولكنه بالدين والتقوى والصلاح.

قال تعالى: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ) [آل عمران: 28]. وهذه الآية تشير إلى الانتماء فيجب على المؤمن أن يكون انتماؤه إلى جماعة المؤمنين، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيُؤَدُّونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا) [النساء: 144].

المستوى الرابع: الحاجات للاحترام والاستحسان والقبول - الإنجاز - الاعتراف بالمكانة:

وكذلك حاجات الاحترام من الاستحسان والقبول والإنجاز والاعتراف بالمكانة

ويكون الاحترام والاستحسان بين الناس من خلال التعاون والإنجاز.

قال تعالى: (وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [الأنعام: 135]. وهذه الآية تدل على أن النجاح في العمل هو ما يؤدي إلى الاعتراف بالمكانة.

المستوى الخامس: حاجات تحقيق الذات لفرد لقراراته وإمكانياته:

قال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) [النازعات: 40-41]. وهذه الآية تحدثنا عن المؤمنين الذين اتخذوا قراراتهم ونهوا أنفسهم عن اللهو ففازوا بالجنة.

قال تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [البقرة: 44].

قال تعالى: (كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [البقرة: 73].

قال تعالى: (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [البقرة: 242].

قال تعالى: (الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) [آل عمران: 17].

قال تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) [ص: 29].

قال تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ) [ص: 43].

الألباب هنا بمعنى العقل. وهذه الآيات تدل على أن الإنسان يستطيع أن يحقق ذاته ويتخذ قراراته وإمكانيته بواسطة استخدامه لعقله الذي ميزه الله عن سائر المخلوقات الأخرى.

ومن خلال ما ذكر سابقاً من آيات قرآنية كان ينبغي أن أصمم هرماً مقابلاً لهرم حاجات ماسلو وهو على النحو الآتي:-

إن الإنسان المسلم لا يصل إلى الجنة التي تمثل تحقيق ذاته أو الوصول إلى تحقيق ذاته إلا إذا عمل أعمالاً في المراحل التي قبلها من صدق وأمانة ومعاهدة النفس شريطة أن يتوفر لهذا الإنسان الغذاء والشراب وكذلك النوم والزواج والأمن والسلامة أي أن هؤلاء قبل السابق ثم الأعمال التي توصله إلى تقدير واحترام ذاته وبالتالي تحقيق الذات

الحاجة إلى تحقيق الذات
(فأما من استغنى وصدق بالحسنى فمنسيهه لليسرى) وقال تعالى :
(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى)

ملاحظة : إذا اتصف الإنسان بالصدق والأمانة والإخلاص والتعاون كسب احترام وتقدير الآخرين وبالتالي يصل إلى تقدير واحترام ذاته وتقدير واحترام الآخرين

الحاجة إلى تقدير واحترام أو تقدير الذات. قال تعالى :
(إن أكرمكم عند الله أتقاكم). قال تعالى :
(والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون وأنتن بهم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون).
قال تعالى : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) سورة البروج آية 11.

الحاجات الاجتماعية

تمثل العلاقات الاجتماعية وحسب الآخرين والتعاون وغيرها قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان). قال تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) صدق الله العظيم آية رقم 12 سورة الحجرات ، وقال (ص) (المرء مرآة أخيه) وقال (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) وقال: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) صدق رسول الله

الحاجة إلى السكن والسلامة والاطمئنان

قال تعالى : (ولئن كننا الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف) سورة إبراهيم. قال تعالى: (وإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً) إبراهيم آية 35 قال تعالى: (الذين أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) آية 4 سورة قريش

الحاجات البيولوجية الأساسية

قال تعالى : (ألم نجعل الأرض مهاداً والجبيل أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً) وقال تعالى (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) (والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام) (ومن كل خلقنا زوجين لعلكم تذكرون). أكل ، شرب ، نوم ، جنس متمثل بالزواج

هرم ماسلو Maslow والسنة النبوية:

وكما اهتم القرآن الكريم بالحاجات الأساسية والأولية اللازمة لحياة ووجود الإنسان فقد أهتم السنة النبوية بذلك من خلال بعض التعاليم والوصايا والأحكام التي تشرع وتحلل وتحرم وفقاً لكتاب الله فلن نجد القارئ في السنة ما يحل حراماً في القرآن فالسنة النبوية هي منبثقة من كلام الله عز وجل فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. وفي ذلك يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) [من كان لنا عاملاً ولم يكن له سكن فليتخذ مسكناً ومن لم يكن له زوج فليتخذ زوجاً ومن لم يجد له خادماً فليتخذ خادماً ومن لم يجد دابة فليتخذ دابة ومن اتخذ غير ذلك فهو غالٍ أو سارق] (رواه أبو داوود، رقم 2945، ج3، ص134).

وهذا الحديث وما يحتويه في مضامينه قد سبق هرمية ماسلو للحاجات بما يزيد على 1400 عام. حيث الاهتمام بإشباع حاجات الأفراد وفق تسلسل هرمي منطقي من حيث المأكل والمشرب والملبس والدواء والمسكن والزواج والخدمة والمواصلات وقد ذهب الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى أبعد من ذلك مؤكداً على الاعتدال في كل الحاجات ونبيها فيما يلي:

أولاً: الاعتدال في الحاجات الفسيولوجية:-

شجع الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الاعتدال حين قال: (المعدة بيت الداء والحمية أصل كل دواء) وقال أيضاً: (حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن أبى فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه).

ثانياً: الاعتدال في الحاجات الروحية:

حيث قال (صلى الله عليه وسلم): (لا رهبانية في الإسلام).

ثالثاً: الاعتدال في الحاجات الفكرية والعقلية:

حيث قال (صل الله عليه وسلم) (ساعة وساعة) أو بمعنى آخر (ساعة لربك وساعة لقلبك) أو كما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم)..

أما الحاجات الجنسية: فقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يحث الشباب على الزواج لما فيه من فوائد للمجتمع عموماً فهو يحمي المجتمع من انتشار الفاحشة، فالزواج هو إشباع أو وسيلة إشباع شرعية لرغبة الجنس فلم يهملها الإسلام حتى في وقت الحروب حيث شرع زواج المتعة للضرورة فقط شأنه شأن أكل لحم الميتة ولحم الخنزير عند الضرورة القصوى.

فقد جعل الإسلام الزواج طهارة للفرد من الوقوع في الأخطاء والمعاصي.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) صدق رسول الله. (سابق، بدون، ص13).

وفيما يخص تشريع زواج المتعة للضرورة القصوى فقد روي عن سيرة الجهني أنه غزا مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في فتح مكة فأذن لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في متعة النساء وكذلك في غزوة خيبر) وقد روي عن أحد الصحابة وهو ابن عباس حيث سار في إحدى المعارك على نهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) في إباحة المتعة بالنساء عند الضرورة والحاجة ولم ييحبها مطلقاً حيث اعتبرها من المحرمات التي تحل عند الضرورة مثل أكل لحم الميتة والخنزير. (سابق، بدون، ص25).

وهناك أحاديث عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) تؤكد على الأكل والشرب منها: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما أكل أحد طعام قط خيراً من أن يأكل من عمل يده). وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (لأبي ذر الغفاري - يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعهد جيرانك) صدق رسول الله.

وأكد الرسول على أهمية الحاجات الأساسية والضرورية للإنسان فلا يصلي الإنسان مثلاً وهو جائع جداً يتضور جوعاً أو يلهث عطشاً فالأحرى به أن يأكل ويشرب ثم يقبل

على الصلاة ففي رمضان يفطر الإنسان بماء وتمر أو حليب ثم يصلي ولم يحدث أن يصلي الإنسان المغرب مثلاً وهو لم يفطر بعد.

أما في صلاة العصر والظهر فالإنسان في حالة جهاد للنفس متبعاً أمر الله، وقد أكد الرسول على أهمية الرفق بالحيوان حتى في هذه الحاجات في الأكل والشرب لأن الإنسان يشبه الحيوان إذا جاع جداً أو عطش جداً.

وفي مجال حاجات السلامة والأمان فقد أكد الرسول (صلى الله عليه وسلم) على توفر حاجات السلامة والأمان في عدة مواضع وأحكام منها الحج فإذا لم يأمن الحاج على نفسه من الطريق وحسّ بخطر واقع الحدوث له وهو في طريقه إلى الحج فإنه يسقط عنه شرط من شروط الاستطاعة، وكذلك في الزواج فالذي يطلب الزواج ينبغي أن يكون له دخل ولو بسيط يؤمن له وللمن سيتزوجها عيشاً ومسكناً آمناً ولو بسيطاً فتزوجوا فقراء يغنيكم الله.

فهذا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه تزوج فاطمة الزهراء ومهرها درع قديمة وكان معه منزل بسيط يوجد فيه أثاث بسيط ومحدود جداً أي ما يساعد على العيش، وإن كان الرجل لا يجد ما ينفق به على المرأة التي سيتزوجها فليجتهد حتى يوفر ذلك ولو الشيء اليسير، فمن أهم شروط الزواج الستر في منزل أو حتى خيمة.

أما بالنسبة لحاجات العلاقات الاجتماعية فقد جاء الإسلام ليجمع القلب إلى القلب ويضم الصف إلى الصف مستهدفاً إقامة كيان واحد متقياً عوامل الفرقة والضعف والتشتت ليكون هذا الكيان الموحد قادراً على تحقيق الغايات السامية والمقاصد النبيلة والأهداف الواضحة التي جاءت بها رسالته العظمى وأن أول هذه الروابط هو رباط الإيمان قال تعالى: (إنما المؤمنون إخوة) وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) (المسلم أخو المسلم) (والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً).

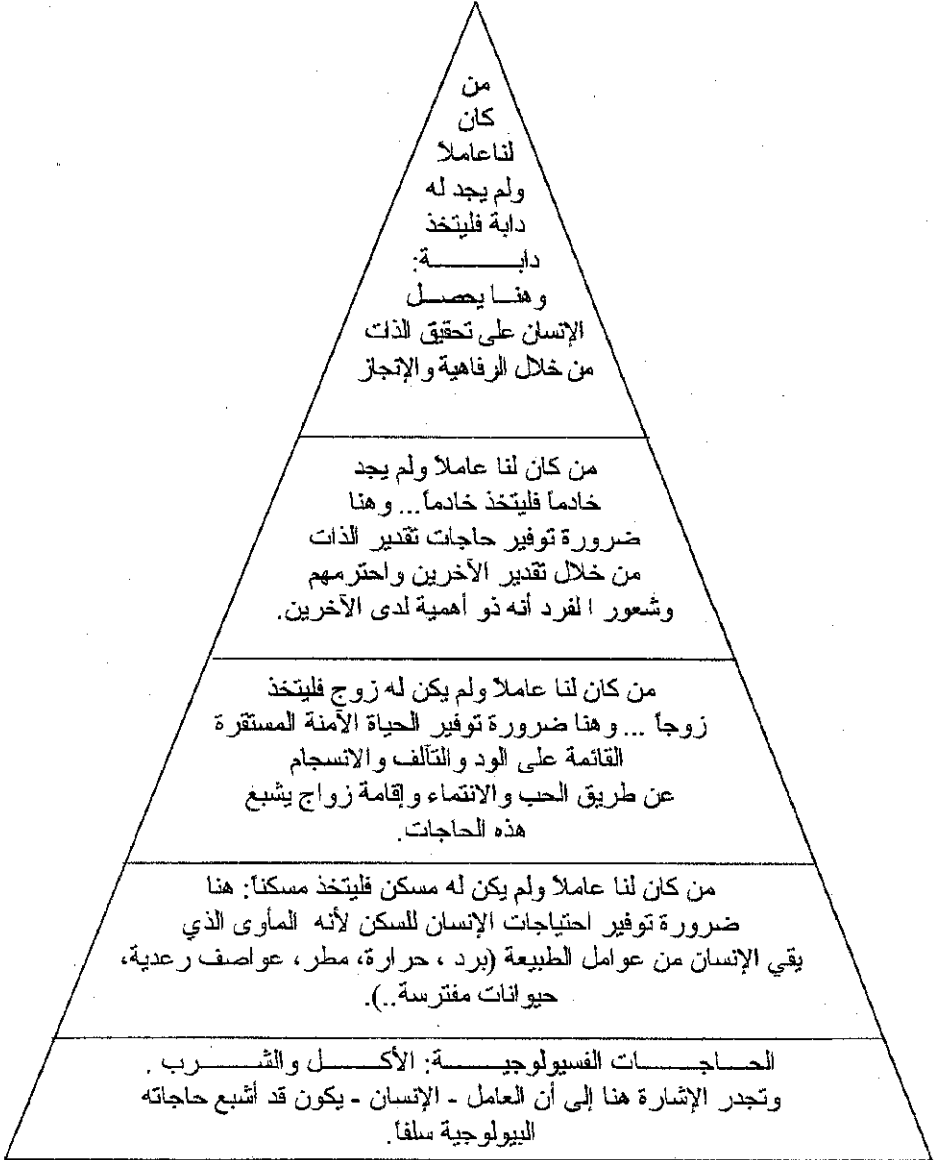
وعبادات الإسلام كلها لا تؤدي إلا في جماعة، فصلاة الجماعة تكون أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، والزكاة معاملة بين الأغنياء والفقراء، والصيام

مشاركة جماعية ومساواة في الجوع في فترة معينة من الوقت، والحج ملتقى عام للمسلمين جميعاً كل عام.

ولقد كان الرسول (ص) يحرص على أن يجتمع المسلمون حتى في المظهر الشكلي فقد رآهم يوماً وقد جلسوا متفرقين فقال لهم (اجتمعوا) فاجتمعوا فلو بسط عليهم ثوباً لوسعهم. فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر). (سابق، مج2، بدون ص9).

ومما يؤكد تكريم الإسلام للإنسان واحترمه، إن الله سبحانه وتعالى خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له، وسخر له ما في السماوات والأرض، وجعله سيداً على كوكبه، واستخلفه فيه.

ولذلك فقد كفل له حق الحياة وصيانة المال والحرية وحق المأوى وحق الرأي، إن الإنسان إذا التزم بجميع التعاليم بعد توفر الحاجات الأساسية من صدق وأمانة وعهود ورحمة وإنفاق وصدقة مما رزقه الله واحترام حقوق الآخرين وقيل كل ذلك. إذا التزم بالإيمان والاستقامة وأدى فرائضه بأكمل وجه سيصل حتماً إلى مرحلة تقدير الذات والثقة بنفسه وبالآخرين وعندها سيصل إلى مرحلة تحقيق الذات. ومن خلال ما ذكر سابقاً من احاديث نبوية كان ينبغي أن أصمم هرمًا مقابلًا لهرم حاجات ماسلو Maslow وهو على النحو التالي:



هرمية احتياجات - العامل - الإنسان
طبقاً لحديث الرسول (ص) آنفاً

وجه المقارنة بين القرآن الكريم والسنة وهرم ماسلو Maslow:

- 1- اهتم القرآن الكريم في جميع الأحوال في الدنيا وفي الآخرة بأولوية الحاجات الأساسية الأولية مثل الأكل والشرب والنوم والجنس والراحة والأمن واعتبرها حاجات مماثلة لحاجات الحيوان أي أن الإنسان مثل الحيوان في إشباعه لهذه الحاجات، قل تعالى (متاعاً لكم ولأنعامكم) صدق الله العظيم.
- 2- ميز القرآن الكريم الإنسان حيث جعله في المستويات العليا لأنه يتميز بالعقل والتدبر حيث تنسب العلاقات الاجتماعية والحاجات الاجتماعية التي توصل إلى تقدير واحترام الآخرين وبالتالي إلى تحقيق الذات تنسب إلى الإنسان وليس إلى الحيوان، قال تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان وفضلناه على كثير ممن خلقنا تفضيلاً).
- 3- إن اهتمام الرسول (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين بحاجات المستويات الثلاثة الأخيرة لم يكن إلا بعد توفير الحاجات الأساسية ولم يتم التشريع والأحكام والحكم بين الناس إلا بعد توفر الحاجات الأساسية والضرورية وكان ذلك من بعد الهجرة إلى المدينة.
- 4- إن مستويات هرم ماسلو Maslow وردت في القرآن الكريم قد تكون متجمعة أو متفرقة أو مستوى قبل مستوى أو اقتراب حاجة بوجود حاجة أخرى مثل اقتران الجوع بالخوف أو الأمان من الخوف كما في سورة قريش، المهم في الموضوع أنها جاءت بعد تهيئة الأرض للسكن من قبل الإنسان.
- 5- بما أن الحاجات العليا أو المستويات العليا في هرم ماسلو Maslow حاجات عقلية، فالقرآن الكريم أوضح أن الذي يصل إليها لا يصل إلا بالعقل والتدبر وهو ما يوجد لدى الإنسان.
- 6- إن جميع حاجات هرم ماسلو Maslow تسمى نعم في القرآن الكريم ونعم متدرجة وجب على الإنسان التدبر والتفكير فيها ومن ثم الشكر عليها بالحمد والثناء الدائم.

7- باعتبار ماسلو Maslow بشر فإنه لم يدرس جميع حاجات الإنسان بالتفصيل ولكن الله سبحانه وتعالى قد شمل الإنسان بالعناية والرعاية حتى قبل خلقه وذلك بإعداد الأرض لاستقباله عليها واستخلافه فيها فإله قد فصل كل حاجة وجزءها بشكل كبير وشامل حيث أكد الله سبحانه على الحلال في هذه الحاجات إلا إذا اضطر الإنسان أي أن الاضطرار ليس مطلق.

النتائج:

- 1- إن حاجات المستويين الأول والثاني هي الحاجات البيولوجية أو الفسيولوجية، وحاجات السلامة والأمن هي حاجات شخصية يمكن الشعور بها بسهولة وحاجات المستويين الثالث والرابع حاجات التقدير الاجتماعي وحاجة تقدير الذات هي حاجات اجتماعية، وأن الحاجة إلى تحقيق الذات هي الحاجة العقلية المعرفية الوجدانية.
- 2- إن حاجات المستويات الثلاثة الأخيرة والتقدير الاجتماعي، تقدير الذات تحقيق الذات، لا تظهر إلا متأخرة في سلم النشوء والتطور ولا تظهر في طفولة الفرد بل في بلوغه ورشده كما لا تظهر في المجتمعات البدائية لأن هذه غالباً تهتم بالحاجات الفسيولوجية وأن المجتمعات المتقدمة والراقية تظهر لديها حاجات المستويات العليا.
- 3- تشترك سائر الحيوانات مع الإنسان في الحاجات الفسيولوجية، وحاجات الأمن الجسمي، وبعض حاجات الأمن النفسي، وأن الإنسان يختلف عن الحيوان في أغلب حاجات الأمن النفسي وحاجات تقدير الذات، وتحقيق الذات.
- 4- إن الحاجات الدنيا في قاعدة الهرم ضرورية لبقاء الكائن الحي (الفرد) وفقدانها يعني فناءه حتماً أما الحاجات العليا فهي حاجات مطلوبة لتحقيق سعادته فحسب وضعف أو عدم إشباعها غالباً ما يؤدي إلى اعتلال الصحة النفسية والجسمية.
- 5- الحاجات الدنيا يمكن أن يشعر بها الفرد ويميزها بصورة واضحة لأن كل واحد منها تتعلق بعضو من أعضائه أما الحاجات العليا فغالباً ما تتداخل وتلتحم بحيث

يصعب في أغلب الأحيان أن يعرف ماذا يريد على وجه التحديد وهذا يبدو واضحاً في المستويات الثلاثة العليا حيث إن الفصل بينهما مسألة فيها نوع من الصعوبة.

6- فشل الإنسان في إشباع حاجاته العليا غالباً ما يؤدي إلى نكوصه ورجوعه إلى وراء لإشباع حاجاته الدنيا.

7- إن إرضاء أي فرد لحاجاته العليا يأتي بعد إرضائه لحاجاته الدنيا لأن الحاجات الدنيا أشد طلباً وإلحاحاً من غيرها.

8- ومما سبق لا يطلب أو يحلم أي شخص بالشهرة والنجومية أو التميز والتفرد بالحاجات العليا وهو يتضور جوعاً أو يتلوى برداً أو يكتوي حرارة فذلك مستحيل.

9- إثبات أن القرآن الكريم والسنة الشريفة قد سبقنا ماسلو Maslow في ذكره لما يعرف بهرم ماسلو Maslow ويمكن أن نقول ثبوت أحقية القرآن الكريم والسنة الشريفة في الاهتمام لما يعرف بهرم ماسلو Maslow.

10- التفصيل المنظم - في القرآن الكريم- والواضح لكل حاجة من الحاجات أو لكل نعمة من النعم على خلاف ما يذكره ماسلو Maslow في هرمه.

11- اهتمام القرآن والسنة بالإنسان اهتماماً شاملاً وكبيراً في جميع الحاجات وتميزه عن الحيوان في الحاجات العليا.

المراجع والمصادر:

- 1- القرآن الكريم
- 2- التميمي، عبد الجليل مرئضى مصطفى (2002) علم النفس الصناعي والتنظيمي مكتبة دار الأفاق للنشر والتوزيع ، صنعاء اليمن.
- 3- الجزائري، أبي بكر جابر (بدون) أيسر التفسير لكلام الطي القدير - المجلد الأول.
- 4- الجسماني، عبده علي (1994)، علم النفس الغرضي، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى - بيروت.
- 5- الجسماني، عبده علي، (1996) علو النفس القرآني والتهديب الوجداني، الدار العربية للعلوم، الجزء الأول الطبعة الأولى بيروت، لبنان.
- 6- جباري، بلقيس محمد (2003)، التوافق الزواجي وعلاقته بأساليب المعاملة الودية والصحة النفسية للأبناء، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة صنعاء، اليمن.
- 7- جبر، أحمد فهيم (1998)، علم النفس الإنساني والتربية في ميزان الإسلام، مجلة جامعة النجاح للأبحاث "العلوم الإنسانية" ، العدد (12).
- 8- دافيقوف، لندال (1988)، مدخل علم النفس، ترجمة سيد طوباب وآخرون، ط3، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 9- زهران، حامد عبد السلام، () علم النفس الاجتماعي.
- 10- سيد ، سابق، (بدون) فقه السنة المجلد
- 11- شلتز، داون (1983)، نظريات الشخصية، ترجمة حمدلي الكربولي وعبدالرحمن القيسي، جامعة بغداد.
- 12- الشرعه، حسين سالم (1998)، الأمن النفسي وعلاقته بوضوح الهوية المهنية ، كلية التربية، جامعة قطر (نودة: علم النفس وآفاق التنمية في دول مجلس التعاون الخليجي).
- 13- صالح فاسم حسن (1998) الشخصية بين التنظير والقياس، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء ، اليمن.
- 14- صالح، فاسم حسين و الطارق، علي سعيد أحمد (1998)، الاضطرابات النفسية والعقلية والسلوكية، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء - اليمن.
- 15- صالح فاسم حسن (1998) الشخصية بين التنظير والقياس، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء ، اليمن.
- 16- الطارق، علي سعيد أحمد (1997)، أساليب السلوك القيادي لدى كبار موظفي الدولة باليمن وعلاقتها بالصحة النفسية لمؤسسه أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد - العراق.
- 17- الطارق، علي سعيد أحمد (1998) سيكولوجية الإدارة والاتصال - مركز عبادي للدراسات والنشر - صنعاء.
- 18- الطارق، علي سعيد أحمد (2005) نصوص نفسية، إنجليزية مع تفسيرها باللغة العربية، مركز عزيز للطباعة - صنعاء.
- 19- عشوي، مصطفى، (1997) الانسان المتكامل في القرآن الكريم، بحث منشور في المؤتمر الدولي للعلاج والإرشاد النفسي من منظور إسلامي، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا-كوالامبور.
- 20- عودة، محمد، ومرسي كمال (1986)، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- 21- فرجيور رونالدي (بدون) علم النفس الصناعي والتنظيمي - ترجمة فارس حلمي.
- 22- معتز سيد عبد الله (1990) الدافعية، في : عبد الحلیم محمود السيد وآخرون، علم النفس العام، القاهرة ، مكتبة غريب - القاهرة.
- 23- نعيم ، نصير (1987)، القيادة في الإدارة العربية وموقعها من النظريات المعاصرة والتراث العربي والإسلامي.

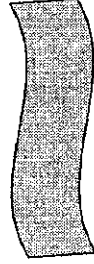
- 24- نجاتي محمد عثمان (1993) الدراسات النفسانية عند العلماء المسلمين، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة.
- 25- ويتنج، أرنوف (1977): ملخصات شوم: نظريات ومسائل في مقدمة في علم النفس، ترجمة د. عادل عز الدين الأشول، دار ماكجر وهيل للنشر، القاهرة.
- 26- حديث شريف رواه أبو داود تحت باب "في أرزاق العمال" برقم (2945) ج3، ص134.
- 27- Abdullah Ali Alakayleh. Public Admiustrative Theory in the context of an Islamic state, A Dissertation presented to the Faculty of the graduate school, university of southeren California, march 1982, P. 215.
- 28- Abraham M. Maslow (1943) "A Theory of human motivation" Psychology Review, 50.
- 29- Mc Doygall, WM, (1943) An Introducation to social Psychology, london, 25th ed P.43.
- 30- Ingersoll, G.M. (1989) Abdolescents . 2nd edition, new jersey, prentic – Hall, Inc.

معوقات البحوث الميدانية في جامعة تازة

بحث سوسولوجي ميداني للمعوقات من وجهة نظر

أعضاء هيئة التدريس

(الجزء الأول)



د. عبدالرزاق محمود الهيتي *

مقدمة

بالرغم من انعقاد الكثير من المؤتمرات والندوات العلمية وإجراء الكثير من الدراسات التي اهتمت بمعوقات البحث العلمي بشكل عام، سواء منها ما أجري على المجتمع العربي عامة، أو تلك التي أجريت على المجتمع اليمني خاصة (2)، بالرغم من ذلك إلا أن هناك نقصاً وقصوراً كبيراً في الدراسات التي اهتمت بالتحديد بموضوع المعوقات التي تقف في وجه تنفيذ وإجراء البحوث الميدانية، وبالرغم من اشتراك البحوث العلمية النظرية مع البحوث الميدانية في الكثير من الخصائص والأسس والمعوقات، إلا أن البحوث الميدانية التي يجريها الباحثون والمتخصصون في مجالات علمية متعددة تواجه بعض المعوقات التي تواجهها وحدها دون البحوث العلمية النظرية مثل الواقع الاجتماعي على سبيل المثال، لذلك فإن دراسة المعوقات التي تقف في طريق البحوث الميدانية بخاصة في مجال جمع المعلومات والبيانات الميدانية، وتشخيص هذه

* جامعة تازة - كلية الآداب - قسم علم الاجتماع

المعوقات بشكل علمي وواقعي وتحديدها والتعرف على مدى انتشارها في المجتمع، وتأثيرها على مسيرة البحوث والدراسات العلمية الميدانية التي تحتاجها الدول النامية بشكل أساسي وكبير في خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية، فضلاً عن محاولة تقديم الحلول والمقترحات والتوصيات، كل ذلك يعد من الأهمية بمكان في محاولة لتفعيل وتطوير دور البحث الميداني، وتعزيز لمكانة الأستاذ الجامعي والباحث الأكاديمي في تحقيق أهداف الجامعة في مجال البحث العلمي وخدمة المجتمع، التي تعد من بين أهم أهداف الجامعة في العصر الراهن، وعدم اقتصار وظائف الجامعة على تدريس وتخريج أعداد من الكوادر الوطنية في المجالات العلمية المتعددة.

وتتبع أهمية البحوث الميدانية من كونها قادرة على تشخيص الواقع الاجتماعي بشكل دقيق إذا ما توفرت لها المستلزمات العلمية والإمكانيات المالية وطرق ووسائل جمع البيانات الدقيقة وغير ذلك من الضروريات لمثل هذه الدراسات، وبالتالي ستؤدي دورها في استقرار ومعرفة الواقع الاجتماعي، مما يساهم في توفير القاعدة الأساسية لعملية التخطيط للتنمية الاجتماعية والاقتصادية، وبالرغم من الدور الذي تلعبه البحوث النظرية في هذا المجال بخاصة في الدول النامية، إلا أن البحوث والدراسات الميدانية ربما تكون الحاجة لها في هذه الدول أكبر بسبب النقص في البيانات والمعلومات عن العديد من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية... الخ في المجتمعات النامية. وعليه يجب أن تضطلع الجامعات والهيئات التدريسية فيها بدور كبير في تقصي ودراسة الواقع الاجتماعي، وبسبب العديد من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، يبدو أن هذه المهمة تواجه العديد من العقبات والمعوقات، التي تساهم بنسبة أو بأخرى بإعاقة تحقيق هذه الهدف الأساس والمهم للجامعات في الدول النامية. وبسبب أوضاع وظروف الدول النامية واليمن بضمنها حيث تعاني العديد منها من ارتفاع معدلات الأمية، وتدني مستوى الوعي الاجتماعي بأهمية البحث العلمي، وتزايد الضغوط والمشاكل الأسرية والاجتماعية الذي يعانيه الكادر البحثي في الجامعات، وانتشار بعض القيم والعادات الاجتماعية السلبية التي تعيق جمع البيانات والمعلومات وبالتالي تعيق إجراء البحوث

والدراسات الواقعية والميدانية، فضلاً عن نقص الإمكانيات والموارد المادية منها والبشرية وتدني الدعم الذي يجب أن يتوفر سواء من المؤسسات الحكومية أو المؤسسات الخاصة، يضاف إليها العديد من المشكلات الإدارية كانتشار المحسوبية والرشوة والتعقيدات الروتينية والبيروقراطية، والنقص الكبير في المجالات أو المؤتمرات والندوات العلمية التي يمكن أن تساهم في نشر هذه البحوث والدراسات، كما يلعب تدني الإعداد ونقص المهارات والكفاءات العلمية والفنية في الجامعات المسؤولة عن القيام بمثل هذه الدراسات، كل ذلك يضاف إليها العديد من المشكلات والمعوقات، يمكن أن تشكل عقبات تحد وتعيق إجراء البحوث الميدانية وبالتالي تعيق الجامعة من لعب دورها المطلوب منها.

بناء على ما تقدم تُجري العديد من الجامعات والمؤسسات العلمية والبحثية في اليمن المؤتمرات والندوات العلمية في سبيل دراسة مثل هذه العقبات ومعالجتها والتخلص منها، من أجل تطوير أداء الأستاذ الجامعي وتفعيله وعدم اقتصره على التدريس، إنما ينبغي أن يتجاوز ذلك إلى المساهمة في إجراء البحث العلمي وخدمة المجتمع، وكل ذلك سيساهم في تطوير قدرة الجامعة على لعب دورها المطلوب منها وتحقيق الأهداف المرسومة لها في عملية التنمية وتطوير المجتمع اليمني.

المحور الأول:- الإطار المنهجي والنظري

أولاً:- أهمية البحث وأهدافه.

تؤكد الكثير من الدراسات والبحوث على أهمية ودور البحث العلمي في عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات النامية، وتسعى الدول النامية جاهدة في سبيل توظيف البحث العلمي في خدمة طموحاتها وأهدافها في التقدم والتطور، ولكن المشكلة أن البحث العلمي يعاني من وجود الكثير من العقبات والمعوقات مما يحد من قدرته على أن يؤدي دوره المنشود، وقد أقيمت الكثير من الندوات والمؤتمرات العلمية لمناقشة هذه العقبات والمعوقات وقد طرح في هذه المناسبات العلمية العديد من الدراسات

والبحوث العلمية النظرية منها والميدانية، في محاولة منها لإلقاء الضوء على هذه المعوقات وتشخيصها واقتراح الحلول لها للتخلص من دورها السلبي، ولتفعيل دور البحث العلمي في المجتمعات النامية، ولكن ما يلاحظ على هذه المؤتمرات والندوات العلمية التي عقدت والبحوث والدراسات التي نوقشت فيها أو نشرت في العديد من المجالات العلمية وفي مناسبات أخرى متعددة أنها لم تتعرض لموضوع العقبات المتعددة التي تقف في وجه إجراء وتنفيذ البحوث والدراسات الميدانية، وبمعنى آخر أن موضوع العقبات التي تعيق البحوث الميدانية لم تأخذ نصيبها من الاهتمام في الدراسة والتحليل، وبالرغم من كون الكثير من العقبات التي تقف في وجه البحث العلمي، هي نفسها التي تقف بوجه البحوث الميدانية إلا أننا نجد أن هناك العديد من العقبات التي تقف في وجه البحوث الميدانية حصراً دون أن يكون لها ذكر أو اهتمام مناسب عندما يتم مناقشة معوقات البحث العلمي بشكل عام، لذلك ينبغي هذا البحث لموضوع طالما أخذ حيزاً محدوداً من الاهتمام والتحليل يتمثل بالعقبات الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والعلمية والفنية التي تمثل حجر عثرة في طريق إجراء البحوث الميدانية تحديداً.

لذلك تتبع أهمية هذا البحث من كونه يناقش هذا الموضوع في محاولة منه لإلقاء الضوء على هذه العقبات وتشخيصها ووصفها وتحليلها واقتراح أفضل الحلول والمعالجات لها للتخلص منها، وتفعيل دور البحوث الميدانية في مجتمعاتنا النامية، التي هي بأمر الحاجة لمثل هذه الدراسات المرتبطة بالواقع التي تساهم في تشخيص واقعي وميداني لكل الظواهر والمشكلات التي تحد من قدرة هذه الدول على النهوض والتقدم، ومع الإيمان بأهمية الدراسات والبحوث العلمية النظرية منها والميدانية في الدول النامية إلا أننا نجد أن الحاجة ربما تكون أكثر لإجراء البحوث الميدانية في المجتمعات النامية لتوظيفها في عملية التخطيط للتنمية الاجتماعية والاقتصادية، وهذا ما يزيد من أهمية هذا البحث، كونه يمثل خطوة في سبيل تفعيل دور البحوث الميدانية في عملية التنمية والتقدم في المجتمع اليمني، من خلال تشخيص أهم العقبات التي تقف في طريق هذه البحوث وتشخيصها من خلال الواقع الفعلي والميداني.

لذلك يمكن القول إن هذا البحث يمثل أهمية كبيرة للجامعات ومراكز البحث في المجتمع اليمني وللعديد من الجهات ذات العلاقة بعملية البحث العلمي وتحديداً منه الميداني، طالما وأنه يسعى لهدف تذليل العقبات والصعوبات التي تقف أمام تنفيذ البحوث العلمية الميدانية، كما أن لهذا البحث أهمية كبيرة بالنسبة للقائمين على مثل هذه البحوث وهم الأكاديميون والباحثون ومساعدوهم في مجالات علمية متعددة، الذين يتطلعون للقيام بدراساتهم وبحوثهم بكل سهولة ويسر دون التعرض للعقبات والصعوبات. لذلك تمثلت أهداف هذا البحث بما يأتي:

- 1- تحديد أهم العقبات الاجتماعية التي تقف في وجه البحوث الميدانية في جامعة تعز.
- 2- تحديد أهم العقبات الاقتصادية التي تقف في وجه البحوث الميدانية في جامعة تعز.
- 3- تحديد أهم العقبات الإدارية التي تقف في وجه البحوث الميدانية في جامعة تعز.
- 4- تحديد أهم العقبات العلمية التي تقف في وجه البحوث الميدانية في جامعة تعز.
- 5- تحديد أهم العقبات الفنية التي تقف في وجه البحوث الميدانية في جامعة تعز.
- 6- تحديد أهم التوصيات لمعالجة هذه المعوقات وتذليلها والتخلص منها.

ثانياً:- إشكالية البحث.

تمحورت إشكالية البحث حول تساؤل رئيسي هو:

(ما المعوقات التي تقف في وجه إجراء وتنفيذ البحوث الميدانية في جامعة تعز؟!)

وبسبب تشعب الموضوع إلى مجالات متعددة، وبغرض تسهيل مهمة الباحث فقد لجأ إلى تفكيك هذه الإشكالية إلى تساؤلات فرعية تتناول كل واحدة منها جانباً من جوانب الموضوع وكما يأتي:

1. ما المعوقات الاجتماعية التي تقف في وجه تنفيذ البحوث الميدانية في جامعة تعز؟
2. ما المعوقات الاقتصادية التي تقف في وجه تنفيذ البحوث الميدانية في جامعة تعز؟
3. ما المعوقات الإدارية التي تقف في وجه تنفيذ البحوث الميدانية في جامعة تعز؟

4. ما المعوقات العلمية التي تقف في وجه تنفيذ البحوث الميدانية في جامعة تعز؟
5. ما المعوقات الفنية التي تقف في وجه تنفيذ البحوث الميدانية في جامعة تعز؟

ثالثاً: فرضيات البحث.

يسعى البحث لاختبار الفرضية الأساس المتمثلة بما يأتي:

(قد تساهم بعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والعلمية والفنية في إعاقة إنجاز وتنفيذ البحوث الميدانية في جامعة تعز).
وبسبب تشعب هذه العوامل إلى مجالات متعددة، ولغرض تسهيل مهمة البحث والدراسة والتحليل، فقد لجأ الباحث إلى تجزئة هذه الفرضية الأساس إلى عدة فرضيات فرعية تتمثل فيما يأتي:-

1. قد تساهم بعض المتغيرات الاجتماعية في إعاقة تنفيذ البحوث الميدانية في جامعة تعز.
2. قد تساهم بعض المتغيرات الاقتصادية في إعاقة تنفيذ البحوث الميدانية في جامعة تعز.
3. قد تساهم بعض المتغيرات الإدارية في إعاقة تنفيذ البحوث الميدانية في جامعة تعز.
4. قد تساهم بعض المتغيرات العلمية في إعاقة تنفيذ البحوث الميدانية في جامعة تعز.
5. قد تساهم بعض المتغيرات الفنية في إعاقة تنفيذ البحوث الميدانية في جامعة تعز.

رابعاً: منهج البحث وأدوات جمع البيانات.

بغرض تنفيذ هذا البحث فقد تم الاستعانة بعدد من المناهج المستخدمة في علم الاجتماع، حيث ينتمي هذا البحث إلى البحوث الوصفية التي تعتمد على منهج المسح الاجتماعي، بحكم كون هذا المنهج يسعى لجمع البيانات والحقائق من الناس في بيئة

معينة، حول ظاهرة أو مشكلة ما، فقد استعان الباحث بالاستبيان الذي عن طريقه تم جمع البيانات اللازمة لهذا البحث للتأكد من الواقع الاجتماعي، وللإجابة على تساؤلات البحث، وأجرى الباحث مسحاً شاملاً لجميع أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة تعز ممن يهتمون ويجرون البحوث الميدانية أو التطبيقية بحكم التخصص (دون الذين لا يقومون بها مثل أقسام اللغة العربية والانجليزية والفرنسية والتاريخ والرياضيات والحاسبات مثلاً).

وهذا يعني أن الباحث استفاد من المنهج الوصفي، حيث إن هذا المنهج يقوم على رصد ومتابعة ظاهرة أو حدث معين بطريقة كمية أو نوعية في فترة زمنية معينة أو عدة فترات، من أجل التعرف على الظاهرة أو الحدث من حيث المحتوى والمضمون والوصول إلى نتائج وتعميمات تساعد في فهم الواقع وتطويره⁽²⁾.

لذلك اهتم البحث بالكشف عن معوقات البحوث الميدانية ومدى انتشار هذه المعوقات، وعلاقتها ببعضها البعض، وانعكاساتها على قدرة ورغبة الأكاديميين والباحثين ومساعدتهم في القيام بالبحوث الميدانية، فضلاً عن إعاقة الجامعة من تحقيق أهم هدفين من أهدافها، وهي خدمة المجتمع من ناحية ودعم البحث العلمي من خلال ما تلعبه هذه المعوقات من دور سلبي في هذا المجال.

كما استطاع الباحث توظيف المنهج الإحصائي من خلال استخدام الأرقام والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات والمعاملات الإحصائية المتعددة في تحليل بيانات البحث الميدانية والتوصل إلى إجابات لتساؤلات البحث واختبار لفرضياته التي طرحها في البداية.

أما أدوات جمع البيانات المستخدمة في هذا البحث فقد تمثلت في استمارة الاستبيان التي أعدت بعناية وأعطيت لعدد من الأساتذة والخبراء في قسم علم الاجتماع وقسم علم النفس في كلية الآداب/جامعة تعز لتحكيمها وبعد الأخذ بملاحظاتهم حول الأسئلة الموجودة في الاستبيان، قام الباحث بتوزيع (15) نسخة من الاستبيان بمثابة اختبار أولي، وبعد استرجاعها من المبحوثين وجد الباحث ضرورة تعديل بعض الأسئلة، لتكون أكثر وضوحاً، وقد تضمن الاستبيان مقدمة تعريفية ومجموعة من الأسئلة تتوزع على

عدد من المحاور، فالمحور الأول يتعلق بخصائص المبحوثين وتضمن (15) سؤالاً، والثاني بالمعوقات الاجتماعية وتضمن (13) سؤالاً، والثالث بالمعوقات الاقتصادية وتضمن (13) سؤالاً، والرابع بالمعوقات الإدارية وتضمن (11) سؤالاً، والخامس بالمعوقات العلمية والفنية وتضمن (13) سؤالاً. كما استطاع الباحث توظيف الملاحظة (مكملة للاستبيان) كوسيلة من وسائل جمع البيانات، من خلال ما كان يلاحظه على المبحوثين أثناء الإجابة على أسئلة الاستبيان، أو من خلال ملاحظته لواقع البحوث الميدانية والعقبات التي تعترض سبيلها بحكم عمله وإجرائه أكثر من بحث ميداني، وإشرافه على العديد من بحوث التخرج.

خامساً: مجتمع البحث

لأن البحث اعتمد منهج المسح الشامل، فقد أجري البحث على جميع أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة تعز من الكادر الوطني والوافدين⁽³⁾، وتم اختيارهم وفق معيار إجراء البحوث الميدانية أو التطبيقية، إذ كما هو معروف أن هناك بعض التخصصات التي لا تهتم بإجراء البحوث الميدانية مثل أقسام اللغة العربية واللغة الانجليزية واللغة الفرنسية والتاريخ... إلخ، لذا تم استبعاد كل أعضاء هيئة التدريس في هذه الأقسام من الدراسة، عليه يمكن القول أن البحث اهتم بإجراء مسح شامل لكافة أعضاء الهيئة التدريسية بالجامعة، باستثناء الأقسام التي لا يقوم أعضاء هيئة التدريس فيها بإجراء البحوث الميدانية، فضلاً عن بعض الأساتذة الذين رفضوا الإجابة على الاستبيان.

سادساً: الإطار النظري

يقصد عادة بالإطار النظري ذلك التوجه النظري الذي يستخدمه الباحث دليلاً للعمل وموجهاً يخدم البحث ويوجهه نحو الهدف المطلوب، فالإطار النظري عبارة عن نظرية ما أو تيار أو اتجاه نظري يفسر به ظاهرة أو مشكلة اجتماعية، كما أنه يشكل دعامة نظرية يركز عليها الباحث لتحليل هذه الظاهرة أو المؤسسة أو تلك⁽⁴⁾.

ولأن الجامعة تعد من بين أهم المؤسسات التي تهتم بالبحث العلمي عامة وبالبحوث الميدانية خاصة، لما تمتلكه من مقومات تساعدها على القيام بذلك، فهي المؤسسة التي

تمتلك مراكز البحوث والهيئات العلمية والكادر العلمي القادر على القيام بمثل هذه الدراسات، كما أنها تمتلك الموازنات الخاصة المرصودة لهذا الغرض، فضلاً عن امتلاكها للمكتبات والمختبرات والمعامل التي يمكن أن تكون خير عون للقيام بالبحوث الميدانية، ولكن يقف في وجه هذا الهدف الكبير العديد من المعوقات، منها ما يخص الجامعة ومنها ما يخص الدارسين ومنها ما يخص الإمكانيات العلمية والمادية أو المجتمع نفسه، ومنها ما يخص الإدارات الأخرى في المؤسسات الاقتصادية أو المؤسسات الاجتماعية الأخرى، لذلك نجد أن أعضاء الهيئة التدريسية الذين يجرون هذه البحوث يشكون منها، وهذا يشير إلى أن هناك خللاً في الوظيفة التي تقوم بها الجامعة في مجال البحث العلمي⁽⁵⁾.

وبالرغم من عدم اتفاقنا مع النظرية البنائية الوظيفية في بعض التفاصيل البعيدة عن موضوع بحثنا إلا أننا نجدها مناسبة كإطار نظري صالح لتبنيه في هذا البحث، حيث يجمع أصحاب هذه الاتجاهات النظرية - رغم الاختلافات الفرعية بينهم - أن البناء الاجتماعي هو الكل الذي يتألف من أجزاء وأنساق اجتماعية إنما يستمر في البقاء طالما وأن كل نسق من مكوناته الفرعية يعمل من أجل هذا الكل، بمعنى آخر فإن كل نسق من الأنساق الاجتماعية يساهم بشكل أو بآخر في استمرار النسق الأعم والأشمل، وإنه إذا ما حصل خلل أو قصور في أي من هذه الأنساق الفرعية إنما سينعكس سلباً على باقي الأنساق الاجتماعية الأخرى وبالتالي على استقرار البناء الاجتماعي بكامله، فبقاء البناء الاجتماعي واستمراره يتوقف على بقاء الأنساق الاجتماعية الفرعية واستمرارها بالعمل بشكل مناسب وسليم⁽⁶⁾.

إن اختيارنا لهذه النظرية كإطار نظري في هذا البحث نابع من إيماننا بأن أهمية البحث العلمي تتزايد يوماً بعد يوم، والجامعة بما تقوم به من وظائف من بينها دعم البحث العلمي النظري منه والميداني، إنما تمثل نسقاً متكاملاً مع الأنساق الأخرى في المجتمع، في سبيل تحقيق التنمية والتقدم الاقتصادي والاجتماعي، وأن هذه الوظيفة فيما لو أصابها خلل ما، إنما سينعكس ذلك بشكل سلبي على باقي أنساق المجتمع الأخرى،

كما أنه في الوقت نفسه لو حدث تغيير إيجابي فيها كونها مؤسسة أكاديمية تهتم بالبحث العلمي، إنما سيشكل ذلك فرصة هامة في سبيل خدمة وتعزيز وظائف أنساق وأنظمة المجتمع الأخرى، وبشكل يعزز حركة التنمية والتطور في المجتمع ككل.
سابعاً: حدود البحث.

دأبت البحوث والدراسات الاجتماعية على تحديد مجالاتها المتعددة لكي يكون معلوماً كل الجوانب والحدود التي تشملها، وقد تمثلت حدود هذا البحث بما يأتي:-
1- الحدود الزمانية: تمثلت الحدود الزمانية للبحث بالمدة الزمنية للنزول الميداني، حيث تم البدء بتوزيع استمارة الاستبيان بتاريخ 20/ 5/ 2007م واکتملت عملية توزيع الاستبيان واسترجاعه من المبحوثين بتاريخ 30/ 6/ 2007م.
2- الحدود المكانية: تمثلت الحدود المكانية للبحث بجامعة تعز، حيث شمل كافة كليات جامعة تعز دون غيرها من الجامعات والكليات الأخرى.
3- الحدود البشرية: شمل البحث جميع أعضاء هيئة التدريس العاملين في الكليات التابعة لجامعة تعز تحديداً منهم من يعمل في الأقسام العلمية التي تهتم بالبحوث الميدانية من حملة الدكتوراه والماجستير.

ثامناً: صعوبات البحث.

تعاني معظم البحوث الميدانية من بعض العقبات والصعوبات، وهذا ما دفعنا للقيام بهذا البحث، ومثل غيره من الباحثين فقد واجه الباحث العديد من هذه الصعوبات تمثلت في ما يأتي:

1- عدم تعاون بعض المبحوثين، من خلال تأخير الإجابة على الاستبيان أو إهماله أو إضاعته أو إتلاف بعض أوراق الاستبيان أو عدم الإجابة على بعض الأسئلة أو رفض الإجابة على الاستبيان بكامله من قبل البعض، رغم إدراكهم لأهمية البحث الميداني، وخاصة وأنهم الفئة التي تمارس البحث العلمي والدراسات الميدانية، وكل ذلك ساهم في تأخير إنجاز البحث لوقت أطول من المقرر له، كما أنه زاد من كلفة

طبع الاستبيان بسبب ضياع العديد من الاستبيانات الموزعة لنسبة كبيرة من الأساتذة تقدر بأكثر من (40%) من أفراد المجتمع المدروس، الأمر الذي تطلب إعادة طبع نسخ جديدة من الاستبيان وإعادة توزيعها عليهم.

2- كثرة الأعباء التدريسية والإدارية للباحث مما أخرج إكمال البحث الميداني وتطلب وقتاً أطول من المقرر له.

3- عدم توفر الدعم المادي. مما تسبب في عدم قدرة الباحث على الاستعانة بمساعدين للباحث، فضلاً عن ارتفاع الكلفة المادية التي تحملها الباحث من أجل إكمال الدراسة.

4- عدم دقة الإحصائيات المتوفرة للقيام بعملية الحصر الشامل، مما أضطر الباحث الاعتماد على عمادات الكليات لتحديد أعضاء الهيئة التدريسية من الموجودين فعلياً لإجراء المسح وتوزيع الاستبيان لهم.

المحور الثاني: تحديد المفاهيم والدراسات السابقة

أولاً: تحديد المفاهيم:

1. الموقوفات.

وردت كلمة عوق في لسان العرب بمعنى رجل عوق لا خير عنده، والجمع أعواق ورجل عوق جبان، وعاقه عن الشيء يعوقه عوقاً صرفه وحبسه، ومنه التعويق والاعتياق وذلك إذا أراد أمراً صرفه عنه صارف، وأصل عاق عوق ثم نقل من فعل إلى فعل ثم قلبت الواو في فعلت ألفاً فصارت عاقت فالتقى ساكنان العين المعتلة المقلوبة ألفاً ولام الفعل فحذفت العين لالتقاءهما فصارت التقدير عقت ثم نقلت الضمة إلى الفاء لأن أصله قبل القلب فعلت فصارت عقت، (...) ونقول عاقني عن الوجه الذي أردت عائق وعاقنتي العوائق الواحدة عاققة، قال ويجوز عاقني وعقاني بمعنى واحد والتعويق تربيث الناس عن الخير وعوقه وتعوقه (..) واعتاقه كله صرفه وحبسه (..) وكذلك عيق وقيل عيق إتباع لضيق يقال عوق لوق وضيق ليق عيق ورجل عوق تعتاقه الأمور عن حاجته (7).

ويقصد بالمعوقات العوامل التي تؤدي إلى الانحراف عن النموذج المثالي للموضوع المدروس (إنجاز البحوث الميدانية) و تحول دون تحقيق الأهداف التي يسعى إليها، فالمعوقات تعني اتجاهاً سلوكياً سلبياً (8).

أما مفهوم المعوقات في هذا البحث فيقصد بها كل العقبات والمنغصات المقصودة أو غير المقصودة التي تقف في وجه إجراء البحوث الميدانية، فتعيق جمع البيانات الميدانية، مما يتسبب في فشل أو تأخير إنجازها.

2. البحث.

وردت كلمة بحث في لسان العرب بمعنى طلب الشيء في التراب، بحثه يبحثه بحثاً وابتحثه، وفي المثل كالباحث عن الشفرة، وفي آخر كباحثه، والبحث أن تسأل عن شيء وتستخبر، وبحث عن الخبر وبحثه يبحثه بحثاً سأل، وكذلك استبحته واستبحث عنه (...). استبحنت وابتحنت وبتحنت عن الشيء بمعنى واحد أي فتشت عنه، واستوضح عن الأمر بحث (...). استوضحت الشيء واستشرفته واستكشفته وذلك إذا وضعت يدك على عينيك في الشمس تنظر هل تراه. من كل ذلك نستطيع القول أن كلمة بحث تعني في اللغة طلب الشيء أو السؤال والتفتيش عنه والاستيضاح والاستشراف عنه (9).

أما مفهوم (العلم) فيعرفه (كونانت Conant) بأنه "سلسلة من تصورات ذهنية ومشروعات تصورية مترابطة متواصلة، هي نتاج لعمليتي الملاحظة والتجريب" وهي نظرة لا تختلف عما يراه (كيرلنجر Kerlinger) الذي يرى أن العلم يعرف بوظيفته الأساسية المتمثلة في التوصل إلى التعميمات بصورة قوانين أو نظريات تنبثق عنها أهداف فرعية تتلخص في وصف الظواهر وتفسيرها وضبط المتغيرات للتوصل إلى علاقات محددة بينها ثم التنبؤ بالظواهر والأحداث بدرجة مقبولة من الدقة (10).

أما مفهوم البحث العلمي فقد وردت الكثير من التعريفات له، تبعاً لما يحمله كل عالم وباحث ودارس، من أهداف أو تخصص وما يعتمد منه من مناهج، ورغم ذلك فإن الجميع يتفق على أن البحث العلمي هو عبارة عن دراسة وتمحيص لمشكلة ما محاولة لإيجاد

الحلول لها ومعالجتها من خلال استخدام المنهجية والقواعد العلمية المتبعة في كل علم وتخصص.

ويعرف عبدالرحمن بدوي البحث العلمي بأنه "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقائق في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة، تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته؛ حتى يصل إلى نتيجة معلومة أسبابها، وما يناسبها من حلول وذلك بطريقة محايدة غير متحيزة للمشكلة" (11).

ويعرف بأنه " عملية فكرية منظمة يقوم بها شخص يسمى (الباحث) من أجل تقصي الحقائق في شأن مسألة أو مشكلة معينة تسمى (موضوع البحث) بإتباع طريقة علمية منظمة تسمى (منهج البحث)؛ بغية الوصول إلى حلول ملائمة للعلاج أو إلى نتائج صالحة للتعميم على المشكلات المماثلة تسمى (نتائج البحث)" (12).

ويعرف البحث العلمي بأنه: " وسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول إلى حل لمشكلة محددة، وذلك عن طريق الاستقصاء الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلة التي يمكن التحقق منها، والتي تتصل بهذه المشكلة المحددة " (13).

من التعاريف السابقة يمكن القول إن البحث العلمي هو " عبارة عن طريقة أو منهج يتبع المعايير والقواعد العلمية من أجل دراسة وتحليل موضوع أو مشكلة ما وتحديد أبعادها وأسبابها وآثارها ونتائجها ثم اقتراح الحلول والمعالجات المناسبة لها".

ويصنف المهتمون بالبحث أنواع البحوث إلى بحوث أساسية نظرية، وبحوث عملية تطبيقية، كما يمكن تقسيم أنواع البحوث من حيث منهجيتها وطريقتها إلى بحوث وثائقية (مكتبية) وبحوث تجريبية، وبحوث ميدانية، وهي التي تنفذ عن طريق جمع المعلومات من مواقع المؤسسات والوحدات الإدارية والتجمعات البشرية المعنية بالدراسة، ويكون جمع المعلومات بشكل مباشر من هذه الجهات عن طريق الاستبيان أو المقابلة أو الملاحظة أو أية وسيلة مناسبة أخرى وهناك عدد من المناهج المتبعة لهذا النوع:

- البحوث التي تتبع المنهج المسحي .
- البحوث التي تتبع منهج دراسة الحالة .

• البحوث الوصفية الأخرى (14).

وينظر إلى البحث الميداني على أنه جزء من البحث الإيميريقي وأحد جوانبه، وهو يعتمد على الدراسة الحقلية بالنزول إلى الميدان وجمع البيانات منه (15). عليه يمكن القول إن البحوث الميدانية تهتم بالأساس بجمع البيانات والمعلومات اللازمة بواسطة أدوات ووسائل متعددة لوصف وتحليل مشكلة ما، وفهم أبعادها والعوامل المتسببة بها والآثار المترتبة عليها ووضع الحلول لها، وفي كل الأحوال فإن هذه البحوث تتبع منهاجاً واحداً هو منهج البحث العلمي (16)، كما يجب التنبيه إلى أنه من الصعب الفصل بين البحوث النظرية والبحوث التطبيقية، وذلك للعلاقة التكاملية بينهما، فالبحوث التطبيقية غالباً ما تعتمد في بناء فرضياتها أو تساؤلاتها على الأطر النظرية المتوافرة في الأدبيات المنشورة في التخصص، كما أن البحوث النظرية في الوقت نفسه تستفيد بشكل مباشر أو غير مباشر من نتائج الدراسات التطبيقية، من خلال إعادة النظر في منطلقاتها النظرية لتكييفها مع الواقع (17).

عليه يمكن القول إن البحوث الميدانية هي تلك البحوث والدراسات التي تعتمد الميدان أساساً لجمع بياناتها وتحليلها من أجل إزالة الغموض والإبهام عن مشكلة أو مسألة ما وتحديد عواملها ومدى انتشارها وتأثيراتها السلبية والإيجابية والخروج بمعالجات مناسبة لتجاوزها.

ثانياً: الدراسات السابقة:

1- دراسة الدكتور داؤد الحدابي - البحث العلمي ومشكلاته في اليمن (18). شملت الدراسة (110) باحثين من أعضاء هيئة التدريس ومساعديهم بجامعة صنعاء في كلياتها المختلفة، والباحثين في مركز البحوث في العلوم التطبيقية والإنسانية، وهدفت للتعرف على معوقات البحث العلمي في الجمهورية اليمنية، من وجهة نظر الباحثين في مؤسسات التعليم العالي ومراكز البحث العلمي، وتوصلت الدراسة إلى تحديد أهم هذه المعوقات والمتمثلة في ما يأتي:

- 1- ضعف توافر التمويل اللازم لإجراء البحوث العلمية، وتدني مشاركة مؤسسات القطاع الخاص، وعدم مشاركة قطاعي العمل والإنتاج في مشاريع البحث العلمي. وعدم تمتع مراكز البحوث العلمية بشكل عام بموازنات مستقلة وواضحة.
- 2- قلة الحوافز المعنوية والمادية للباحث، واستخدام مخصصات البحث العلمي وإنفاقها في أمور إدارية وترفيهية، وقلة الجوائز الممنوحة للباحثين اعترافاً بجهودهم الإبداعية.
- 3- غياب السياسات والتشريعات للبحث العلمي وعدم توافر معايير لجودة البحث العلمي ويُعد الباحثين عن متخذي القرار وهذا بدوره يؤدي إلى عدم اعتبار البحث العملي ذا أولوية في البلاد.
- 4- ضآلة الاستفادة من نتائج البحوث العلمية.
- 5- بُعد الباحث عن متخذي القرار.
- 6- غياب التواصل والتنسيق مع مؤسسات البحث العلمي في العالم، وتدني مستوى مواكبة مراكز البحوث العلمية للتطورات المتسارعة، وتدني كفاية المعامل المتخصصة والأجهزة المتقدمة في مراكز البحوث العلمية.
- 7- قلة المؤتمرات والندوات العلمية التي يشارك فيها الباحثون.
- 8- تدني مستوى التوسع في برامج الدراسات العليا وربطها بمخطط التنمية.
- 9- قلة توافر البيانات الدقيقة المطلوبة من المراجع والدوريات، وقلة توافر مصادر بحثية كافية لأغراض البحث.
- 10- قلة الاستفادة من تجارب البحث العلمية في البلدان المتقدمة، وتدني استخدام التكنولوجيا في البحث العلمي ونقص الخدمات الحاسوبية التي تسهم في تكوينه.
- 11- تأخر المحكمين في تقويم البحوث واعتماد بحوث علمية لا تقدم جديداً وليس لها تطبيقات علمية في المجتمع، والتعقيدات الروتينية في المعاملات الإدارية.
- 12- ضعف التواصل والتنسيق بين مؤسسات ومراكز البحث العلمي مع بعضها.

- 13- عدم احتساب العمل البحثي جزءاً من نصاب عضو هيئة التدريس في المؤسسات التعليمية. وانشغال الباحثين بأعمال إدارية وتدرسية.
- 14- نقص عدد المساعدين والاختصاصيين والفنيين (فئة مساعدي باحثين)، وازدياد هجرة أصحاب الكفاءات البحثية.
- 15- تدني إدراك المجتمع لأهمية البحث العلمي، وعدم توافر المناخ العلمي المشجع للبحث العلمي، وتدني تقدير مؤسسات المجتمع الخاص والعام لنتائج البحوث.
- 16- قلة البحوث المشتركة وتدني روح الفريق في تنفيذ البحوث العلمية.
- 17- ضعف في الترجمات من اللغات الأخرى للعربية.
- 18- تدني الثقة بنتائج البحوث المحلية، ونقص في المجالات العلمية المحكمة المتخصصة باللغة العربية، وقلة فرص نشر البحوث العلمية.
- 19- قلة توافر البرامج التدريبية للباحثين والفنيين، وضعف إتقان الباحثين للغات الأجنبية، وتدني مستوى كفاءة الخبرات الفنية المساعدة (الفنيين) وكذا النقص في الكفاءات البحثية اللازمة للنهوض بالبحث العلمي كماً ونوعاً.
- 20- ضعف إتقان الباحثين للمهارات الحاسوبية، وضعف في المهارات البحثية لدى بعض الباحثين، وكثرة المشاغل للباحثين في الأعمال الخاصة خارج المؤسسات البحثية.
- 21- التقاعس والفتور بعد الترقية الأخيرة للباحثين، وتدني مستوى الدافعية لدى عضو هيئة التدريس في إجراء البحوث العلمية.
- وخلصت الدراسة إلى أن تمويل البحث العلمي يعد من أهم وأكثر المعوقات تأثيراً على البحث العلمي، مشيرة إلى أن هذه المعوقات بارزة في عدم تفعيل دور القطاع الخاص في تمويل البحث العلمي.

2- دراسة د. نزار الرواس "البحث العلمي واقعه وتطويره" (19)

أجريت هذه الدراسة في العراق في عام 1988م، وقد استخدمت أسلوب البحث المسحي الميداني، حيث تم تطبيق الاستبيان على عينة مكونة من (500) عضو هيئة

تدريس وباحث موزعين على الجامعات العراقية كافة ومجلس البحث العلمي، من ذوي التخصصات الطبية والهندسية والعلوم البحتة. وكانت تهدف إلى تحديد واقع البحث العلمي، وما هي المشكلات والمعوقات التي تواجهه في الجامعات العراقية بخاصة في مجال توافر مستلزمات البحث من مواد وأجهزة ومنشآت مخبرية والدعم المالي والتسهيلات الرسمية وتوافر الكادر المساعد... الخ، وتحديد سبل تطوير هذا الواقع بما يكفل فاعليته في عملية التنمية، وقد توصلت إلى جملة من النتائج في هذا المجال تمثلت فيما يأتي:

1- كثرة الأعباء والواجبات التدريسية والإدارية غير البحثية التي يقوم بها عضو هيئة التدريس، وعدم توفر الفرص لتطوير إمكانيات الباحث لمواكبة الانفجار المعرفي والتقني.

2- ضعف الفرص لحضور عضو هيئة التدريس والباحث المؤتمرات العلمية العالمية المتخصصة.

3- قلة الكوادر الفنية الواسطة اللازمة لإنجاز البحث العلمي، وقلة الكوادر الفنية وضعف كفاءتها في صيانة الأجهزة والمعدات المستخدمة في البحوث، وصعوبة توافر المواد والأجهزة والمستلزمات (أو عدم صلاحيتها) المطلوبة لإنجاز البحوث العلمية.

4- صعوبة استيراد الأدوات والأجهزة اللازمة للبحث العلمي.

5- قلة توفر المراجع والدوريات والمجلات العلمية المتخصصة.

6- صعوبة وطول فترة عملية نشر البحوث العلمية.

7- عدم توفر الدعم المالي لإنجاز البحوث العلمية وتغطية نفقاتها.

8- عدم تجاوب أو توجه المؤسسات الصناعية إلى الجامعات لإنجاز البحوث وحل المشكلات التي تواجههم.

9- ضعف الدعم المالي والتشجيع من قبل الجهات والمؤسسات المستفيدة من البحوث العلمية وتطبيقاتها.

10- ضعف الحوافز والرواتب لعضو هيئة التدريس والباحث الضرورية لحياة كريمة من جهة وصفاء ذهنه واندفاعه للبحث العلمي من جهة ثانية.

3- دراسة د. خليل إبراهيم السعادات "معوقات البحث التربوي" (20).

قدمت هذه الدراسة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وقد اعتمدت أسلوب البحث النظري وليس الميداني، وذكرت الدراسة أربع صعوبات ومعوقات للبحث التربوي وهي:

أولاً: افتقاره إلى سياسة واستراتيجية توجهاته، مستشهدة بذلك برأي عدد من الدراسات التي أشارت إلى انعدام سياسة واضحة المعالم للبحث التربوي على المستوى العربي يمكن أن تستند إليها المراكز البحثية والجامعات لتحديد محاور البحوث وتنفيذها وإلى عدم وجود استراتيجيات تضبط الأولويات بالرجوع إلى طلبات المجتمع واحتياجاته ومتطلبات خطط التنمية. كذلك من صعوبات ومعوقات البحث التربوي العربي افتقاره لسياسة تنيره وانخفاض نسبة البحوث التطبيقية في الدوريات وارتفاع نسبة البحوث الوصفية والتاريخية.

ثانياً: افتقاره للأصالة والإبداع حيث تقر عدد من الدراسات ضعف الأصالة والإبداع في البحوث التربوية على مستوى الأقطار العربية وإن كان ذلك بنسب متفاوتة وتتمثل هذه الظاهرة في أن البحوث المنجزة عبارة عن تكرار لأبحاث الغير مع إدخال بعض التعديلات الطفيفة عليها ولا توجد بها إضافات حقيقية للمعرفة في مجالات تخصصها، والكثير فيها يمس موضوعات تربوية هامشية من مثل الاتجاهات أو تصديق المقاييس أو وصف بعض الظواهر، والكثير من هذه الأبحاث هو من النوع الوصفي ولذلك تستخدم الأساليب الإحصائية المبسطة. وقد يرجع ضعف الأصالة والإبداع إلى عدة عوامل من أهمها عدم ارتباط البحث التربوي الارتباط الوثيق بالواقع الثقافي والاجتماعي ويذكر كثير من الكتاب أن البحث التربوي في العالم النامي مغرب عن ثقافته الوطنية، والحل الجذري لهذه المشكلة لن يكون إلا باستجابة علماء التربية العرب الملحة لأوطانهم وعدم التبعية للغرب التي يتسم بها البحث التربوي العربي حيث إن كثيراً من رسائل الماجستير

والدكتوراه ليست في جوهرها إلا محض استعادة لبحوث أجنبية أو محض تطبيق لأدوات بحث غربية على عينات من العرب وعدم التعامل مع البحث التربوي باعتباره فرعاً معرفياً يمتلك فكره الخاص ويحمل دينامية نموه وتطوره وتاريخه الخاص وفلسفته وسوسيولوجيته ومدارسه ومناهجه وأزماته.

ثالثاً: مأخذ في مستوى منهجية البحث حيث إن المآخذ والأخطاء في منهجية البحث التربوي ليست ظاهرة في الوطن العربي فحسب بل هي ظاهرة شائعة أيضاً في البلدان الغربية فقد ذكر بعض الكتاب الأجانب وجود أخطاء في بناء البحوث التربوية وفي تنفيذها وفي اعتبار البيانات اللازمة لإجراء المقارنات، والمشكلات الفنية في تصاميم البحوث التربوية هي مشكلات عامة موجودة على مستوى عالمي ولكنها متأصلة في العالم العربي الإسلامي. ويعاني البحث العلمي التربوي في العالم العربي من تناقضات كثيرة وكبيرة ولعل أهمها التناقض الصارخ بين جوهر البحث التربوي بما هو تلاحم وتكامل بين أفعال الشك والتساؤل والملاحظة والافتراض والمتابعة والتصنيف والمقارنة والتشخيص والتحقق والاستنتاج والاستقراء والتحليل والتركيب والتقويم من جهة وبين إجراءات البحث التربوي بما هو تقليد أعمى لنموذج جامد من الإجراءات المتكررة من جهة أخرى. ومنهجية البحث التربوي العربي والبحوث بصفة عامة تتعرض لعدة نقائص من أهمها أنها غير مرتبطة بمدرسة فكرية معينة وينقصها العمق، والإجراءات البحثية غير دقيقة تماماً ولذلك فإن نتائجها غير موثوقة بدرجة كافية والكثير من هذه الأبحاث يعجز أصحابها عن إعطاء تفسير كامل لنتائجها أو استخلاص المؤشرات الهامة منها ولذلك تظل أهميتها متدنية ومحدودة.

رابعاً: معوقات ذات علاقة بالظروف العامة للبحث التربوي العربي حيث يعاني البحث التربوي من ظروف منها النقص الحاصل في عدد الباحثين وإن اختلف ذلك من بلد لآخر ومن مركز بحث لآخر وقد ترجع هذه الظاهرة إلى محدودية نسب الباحثين في البحث العلمي على مستوى الوطن العربي.. وضعف الميزانيات المخصصة للبحث التربوي وندرة مشاركة القطاع الخاص في التمويل ومحدودية الخدمات المكتبية التي

تعود لعدم قدرة المكتبات على متابعة الإصدارات الحديثة نظراً لارتفاع تكلفتها وعدم وجود فهرس بعنوانين المجلات التربوية العربية، وصعوبة الحصول على البيانات البحثية وعدم وجود قواعد للمعلومات أو ندرتها وقلّة البحوث الجماعية وضعف الاستخدام الميداني لنتائج البحوث التربوية.

وخلصت الدراسة إلى أن البحث التربوي في الوطن العربي يتعرض لعدة معوقات تمثل تحديات يتعين حلها على أن هذه الصعوبات والمعوقات تختلف من حيث طبيعتها ومن حيث حدتها من مؤسسة إلى أخرى ومن بلد لآخر. ويوجد من المراكز والمؤسسات البحثية ماله إمكانات مادية وعلمية وبشرية لا تتوفر في مراكز أو مؤسسات أخرى وهو وضع يطرح قضية التكامل والتنسيق بين المؤسسات البحثية في البلد وعلى مستوى الدول العربية حيث إن اعتماد التكامل والتنسيق يمكن أن يحد من المعوقات أو من بعضها.

4- دراسة د. عبدالله شمت المجيدل "دراسة مقارنة لمعوقات البحث العلمي في مؤسسات التعليم العالي الحكومية والخاصة: دراسة ميدانية في جامعة ظفار/عمان (21)"

هدفت الدراسة إلى تقصي المعوقات التي تواجه أعضاء الهيئة التدريسية في مؤسسات التعليم العالي الحكومية والخاصة، وتحول دون إنجازهم لأبحاث علمية وانخرطهم بالبحث العلمي، وسبل التغلب على هذه المعوقات وتذليلها. وقد اعتمد الباحث على استبانة مبدئية استطلاعية، رصد من خلالها أهم المعوقات التي تواجه أعضاء الهيئة التدريسية في ميدان البحث العلمي، وتحديد محاورها، ومن ثم صنفت المعوقات إلى المحاور التالية: المعوقات المادية، والمعوقات الإدارية، والمعوقات الذاتية. وقد قام الباحث بخطوات تحكيم الاستبانة وإجراءات الصدق والثبات، وشرع في تطبيقها. أما عينة البحث فقد كانت شاملة لجميع أعضاء الهيئة التدريسية في كلية التربية بصلالة، وأعضاء الهيئة التدريسية في الكلية التقنية، وأعضاء الهيئة التدريسية

في جامعة ظفار/ عُمان. وتمثلت حدود البحث بالمعوقات التي تواجه أعضاء الهيئة التدريسية في مؤسسات التعليم العالي الحكومية والخاصة في مجال البحث العلمي، وشكلت المؤسسات المذكورة في ظفار الإطار المكاني لإجراء البحث، في حين شكل العام الأكاديمي (2004-2005م) الإطار الزمني للبحث. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن، في محاولته للتصدي للأسئلة البحثية التي كان من أهمها:

- 1- ما معوقات البحث العلمي في مؤسسات التعليم العالي الحكومية والخاصة.
- 2- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط إجابات أفراد العينة عند مستوى الدلالة 0.05 عن بنود الاستبانة، تعود للمتغيرات التالية: الجنس (ذكور وإناث) والاختصاص (علمي، أدبي) وسنوات الخبرة (خمس سنوات وما فوق، دون خمس سنوات)؟.

استخدم الباحث البرنامج الإحصائي (SPSS) في تحليل المعطيات، كما استند إلى إطار نظري موثق، حيث اطلع على ما أنجز من أبحاث ودراسات تناولت البحث العلمي وما توصل إليه الباحثون من نتائج وموقع الدراسة الحالية من تلك الدراسات. وبعد تحليل المعطيات والمعالجات الإحصائية واستخراج الدلالات توصل الباحث إلى عدد من النتائج، من أهمها:

- 1- المعوقات الإدارية كانت أشد وطأة على أعضاء الهيئة التدريسية في جميع المؤسسات الحكومية والخاصة في مجال البحث العلمي.
- 2- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث فيما يتعلق بمعاناتهم من معوقات البحث العلمي، كما لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تتعلق بالتخصص، في حين ظهرت فروق دالة تتعلق بسنوات الخبرة لصالح الأقل خبرة لجهة شدة معاناتهم من المعوقات.

كما خلاص الباحث إلى عدد من التوصيات المنبثقة من نتائج البحث، من أهمها:

1- البحث العلمي ضرورة وأولوية وطنية وقومية وأخلاقية وإنسانية تقتضي الإسراع بتأسيس هيئة وطنية للبحث العلمي، تخرجه من الروتين الإداري والمالي المعقد، وتضع برامجه وخطط تنفيذ مشروعاته وتنسيق أولوياته، ومراميل التنفيذ، والتقويم، من خلال إدارات فرعية في المؤسسات البحثية والأكاديمية، تتبع مباشرة للهيئة الوطنية للبحث العلمي.

2- رصد الموازنات المالية اللازمة للبحث العلمي، وتحريرها من الإجراءات الروتينية المبالغ في إجراءات ضبطها، وترسيخ النظرة إلى الإنفاق على البحث العلمي بأنه ليس هدراً للأموال، بل هو أكثر أنواع الاستثمار ربحاً.

3- تأمين مستلزمات البحث العلمي، من مراكز بحثية متخصصة، وكتب ومراجع، ومواد، ومخابر، وفنيين، وغيرها من المستلزمات.

4- العمل بنظام التفرغ للبحث العلمي لأعضاء الهيئة التدريسية، المعمول به في جامعات العالم، وهو ما يتيح لأعضاء الهيئة التدريسية وللباحثين فرصة التفاعل مع المؤسسات البحثية والجامعية، ويعزز انطلاقتهم للبحث، ويغني خبراتهم، ويطلعهم على آفاق بحثية جديدة.

5- دراسة الدكتور نبيل شواقفة وآخرون " البحث العلمي في مؤسسات التعليم العالي " (22).

هدفت هذه الدراسة إلى تقييم واقع البحث العلمي ومخرجاته في مؤسسات التعليم العالي الأردنية لتحديد أهم المعوقات والوقوف على أهم التوجهات المستقبلية التي من شأنها تهيئة بيئة مناسبة للبحث والتطوير خلال السنوات الخمس القادمة. وكان أسلوب البحث نظرياً وليس ميدانياً، وقد تضمنت هذه الدراسة أربعة فصول سنتطرق لها باختصار، وسنتوسع في تناول الفصل الثالث لأنه تناول معوقات البحث العلمي التي هي صلب اهتمام البحث، مع الإقرار بأهمية الفصول الأخرى في الدراسة. يبحث الفصل الأول في إعطاء نبذة مختصرة عن الواقع الحالي للبحث العلمي على المستوى العالمي

والاستثمار فيه كأداة اقتصادية أساسية، ثم يعرض العناصر الأساسية لتوفر بيئة مناسبة للبحث والتطوير. ويبحث الفصل الثاني في بعض الإحصاءات الحقيقية حول واقع البحث ومخرجاته في أمثلة من مؤسسات التعليم العالي الرسمية والخاصة، أما الفصل الثالث فيبحث في معوقات البحث العلمي في هذه المؤسسات وآليات التغلب عليها ويبحث الفصل الرابع والأخير التوجهات المستقبلية لتطوير البحث العلمي في مؤسسات التعليم العالي للفترة 2005 - 2010م. وفي الفصل الثالث الخاص بمعوقات البحث العلمي في الأردن قسمت الدراسة المعوقات كما يأتي:

1) معوقات تربوية ثقافية منهجية.

وقصدت الدراسة بهذا العائق ما يتعلق بتربية النشء على أساليب البحث العلمي منذ نعومة أظفارهم ومن بداية التحاقهم بالتعليم العام، من خلال مناهج وطرق تدريس ووسائل تعليمية تركز على حل المشكلات والاستقصاء وحب الاستطلاع وتفادي التركيز الزائد على الجانب المعرفي، وتلقي المعلومات والتلقين والحفظ والتقويم الاسترجاعي، كما اعتبرت الدراسة أن من أهم معوقات البحث العلمي المرتبطة بالتربية والثقافة، تعزيز ثقافة العمل الفردي الذاتي والأنانية الزائدة بل والنجسية أحياناً في إجراء البحوث ونشرها. وتؤدي مثل هذه الثقافة التربوية إلى تدني مستوى البحوث المنشورة ومحدودية تنوعها وتطبيقاتها.

2) معوقات مرتبطة بالتشريعات والسياسات.

في هذه الفقرة لخصت الدراسة بعض المعوقات في مجال التنسيق والتعاون بين مؤسسات التعليم العالي وبين مراكز البحث المختلفة الذي لم يكن في المستوى المطلوب، والتشريعات والتعليمات الخاصة بالبحث العلمي المتعلقة بنظام اللوازم لما يتضمنه من إجراءات بيروقراطية روتينية، وتعليمات ترقيات أعضاء هيئة التدريس التي تشجع على الفردية في القيام بالأبحاث، بدلاً من تكوين فرق عمل تشمل طلبة الدراسات العليا وأعضاء هيئة التدريس والباحثين، وعدم تفعيل نظام هيئة الباحثين وتعزيز تعيين العدد

من الباحثين الأكفاء وفق هذا النظام للعمل على مشاريع بحث محددة وفق البرامج والخطط الوطنية المطلوبة من كل جامعة ومركز بحثي القيام به.

(3) معوقات تتعلق بالإدارة العليا للبحث العلمي.

أن التنسيق بين بعض إدارات البحث العلمي لا يرقى إلى مستوى التخطيط الوطني المشترك لإدارة البحث العلمي، وتوزيع الإنفاق وفق سياسة واستراتيجية تضمن رقي البحث العلمي، وتفعيله من خلال عدة برامج وأولويات تحدد دورياً وتوزع على مراكز البحوث والفرق البحثية المختلفة وفق آلية مدروسة جيداً.

(4) معوقات تتعلق بتمويل البحث العلمي.

وفي هذا المجال تطرقت الدراسة لدور التمويل المنخفض باعتباره أحد أهم معوقات البحث العلمي التي تحدد نوعية البحوث التي يمكن إجراؤها ومستواها. وعدم تأسيس "صندوق لدعم البحث العلمي" يمول من أرباح الشركات الكبيرة والوقفات والمنح المحلية والعربية والأجنبية. ومن المعوقات المتعلقة بالتمويل ما يتعلق بالمبالغ المخصصة لتمويل طلبة الدراسات العليا أثناء دراستهم وتمويل كوادر الباحثين حديثي التخرج بعد الدكتوراه.

(5) معوقات متعلقة في الكوادر البشرية.

في هذا المجال ناقشت الدراسة اهتمام العديد من الطلبة بالالتحاق بالدراسات العليا للحصول على شهادات تحسن من وضعهم المعيشي أكثر من اهتمامهم بالبحث العلمي والتدريب ليصبحوا علماء وباحثين أكفاء، كما تطرقت إلى زيادة الأعباء التدريسية لأعضاء هيئات التدريس في الجامعات، مما أدى إلى عزوف أعضاء الهيئة التدريسية عن البحث العلمي، والانشغال في العمل التدريسي الإضافي، واستغلال أعضاء هيئة التدريس لسنة التفرغ العلمي في التدريس الجامعي، لتوفير دخل إضافي لهم بدلاً من قضاء تلك السنة في القيام ببحوث جديدة، أو تحسين القدرات البحثية لهم في مؤسسات

التعليم العالي البحثية المتخصصة. كما أن أسس اختيار الكوادر التي تتحمل مسؤولية مراكز البحث العلمي والتطوير لا تعتمد أحياناً معايير الكفاءة والقدرة والخبرة مما يؤثر سلباً على البحث العلمي والتطوير في خطط المراكز. فضلاً عن قلة تنبسي الموهوبين والتميزين من خريجي الجامعات في بعثات علمية لرفد الكوادر البشرية البحثية وتطويرها من خلال خطط طويلة المدى ومستدامة. وهجرة الباحثين الأكفاء إلى الدول المتقدمة صناعياً لتوفر ظروف حياتية وبحثية أفضل هناك.

6) معوقات تتعلق بالاتصال والتواصل.

وفي هذا المجال تناولت الدراسة بعض المعوقات منها، قلة التعاون بين الباحثين المتخصصين والمراكز البحثية، وقلة التعاون بين باحثي القطاع الخاص وباحثي الجامعات، وعدم توفر قاعدة بيانات شاملة لكل من يعمل بالبحوث العلمية على مستوى البلد، وقلة مشاركة الباحثين من مؤسسات التعليم العالي في المؤتمرات الإقليمية والعالمية نتيجة لعدم توفر الدعم المالي الكافي، وقلة عدد الجمعيات العلمية المهنية المتخصصة على مستوى الأردن، وعدم تفعيل الاتفاقيات الثقافية المعقودة بين الجامعات الأردنية والجامعات العربية والأجنبية فيما يتعلق بتبادل الباحثين وطلبة الدراسات العليا.

وتطرق الفصل الرابع للتوجهات المستقبلية للبحث العلمي والتطوير في المملكة الأردنية، حيث تطرقت الدراسة لموضوع القوى البشرية، والتمويل، والتشريعات والسياسات، والبنية التحتية. حيث جاء هذا الفصل بمثابة مقترحات يفترض الأخذ بها فيما لو أرادت الجهات المسؤولة عن البحث العلمي تفعيله وتطويره.

6-دراسة د. منصور عوض القحطاني" تمويل البحث العلمي في الجامعات السعودية وسبل تنميته" (23).

وهي دراسة ميدانية قام بها الدكتور منصور عوض صالح القحطاني لحساب جامعة أم القرى في مكة المكرمة، تتعلق الدراسة بـ "تمويل البحث العلمي في الجامعات السعودية وسبل تنميته" وهدفت إلى التعرف على:-

- 1- واقع تمويل البحث العلمي، في الجامعات السعودية.
 - 2- سبل تنمية الموارد المالية الحكومية وغير الحكومية للبحث العلمي في الجامعات السعودية.
 - 3- الفروق ذات الدلالة الإحصائية - إن وجدت - بين إجابات أفراد مجتمع الدراسة فيما يتعلق بسبل تنمية الموارد المالية وفقاً لمتغيرات الدراسة "الجامعة، الوظيفة الحالية، المرتبة العلمية، سنوات الخبرة".
- وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي، أما مجتمع الدراسة فكان من أعضاء هيئة التدريس السعوديين الذكور المسؤولين عن البحث العلمي في الجامعات السعودية الذين هم على رأس العمل خلال الفصل الدراسي الثاني 1421/1422هـ - والبالغ عددهم 133 فرداً. أما أداة جميع البيانات فقد استخدم الباحث الاستبيان، حيث صممها بطريقة تجعلها كفوءة لجمع المعلومات الميدانية، وقد تعامل الباحث مع البيانات بالطرق العلمية في تحليل تلك البيانات.
- أما أهم نتائج الدراسة فكانت تمثل واقع تمويل البحث العلمي حيث خلص الباحث إلى صفات لعل من أبرزها:-

- 1- ضعف مساهمة القطاع الخاص في تمويل البحث العلمي.
 - 2- ضعف الاعتمادات المالية المخصصة للبحث العلمي.
 - 3- ضعف قناعة قطاعات المجتمع بأهمية البحث العلمي.
 - 4- ضعف الإمكانيات المتوفرة للبحوث العلمية.
 - 5- قلة المعلومات المتبادلة بين مراكز البحوث الجامعية وقطاعات المجتمع.
- كما خلص الباحث إلى عدة توصيات لعل من أهمها:
- 1- العمل على تفعيل دور الحكومة في تعزيز مصادر تمويل البحث العلمي، الجامعي، وتنميته.
 - 2- العمل على تعزيز دور الجامعات في تنمية الموارد المالية للبحوث العلمية واستثمارها.

- 3- العمل على إنشاء صندوق للبحث العلمي تحت مظلة وزارة التعليم العالي.
4- العمل على تبني أسلوب الجامعة المنتجة والرائدة وتفعيله على مستوى الجامعات السعودية.

ومن هذه الدراسات يمكن استنتاج ما يأتي:-

- 1- إن بعض هذه البحوث قصرت عملها على الجانب النظري فقط دون إجراء بحث ميداني عن الموضوع، ولو أنها فعلت ذلك لكانت تمثل أهمية كبيرة في هذا المجال، لأنها من خلال استقراء الواقع وتحليل البيانات الميدانية ستكون النتائج أقرب إلى الدقة والموضوعية، و يمكن أن تساهم في توفير معالجات مؤثرة وفعالة في الحد من مثل هذه المعوقات. إلا أن ذلك لا يقلل من قيمة هذه البحوث العلمية، مع ذلك فإن بعضها الآخر كان بحوثاً ميدانية واقعية.
- 2- اهتمت بعض هذه البحوث بتصنيف معوقات البحث العلمي بشكل عام، ولم تخصص لمعوقات البحث الميداني فقط، وهذا ربما أعطاها شمولية أكثر من ناحية، ولكنها أثرت على تحديدها للمعوقات الخاصة بالبحوث الميدانية من ناحية أخرى، ومن هنا يمكن القول إن هذه البحوث كانت مفيدة بالنسبة لبحثنا الذي نحن بصدد إنجازه، من ناحية أشارته لمعوقات البحث العلمي بشكل عام، هذه المعوقات التي تعد مشتركة أحياناً في تفاصيل كثيرة مع معوقات البحوث الميدانية.
- 3- إن أغلب هذه البحوث حصرت اهتمامها على معوقات وواقع البحث العلمي داخل أسوار الجامعة، فقط دون الخوض في تأثير المعوقات الاجتماعية الأخرى التي تتسبب بها مؤسسات المجتمع المتعددة الواقعة خارج الجامعة.
- 4- أغلب هذه الدراسات اهتمت ببعض المعوقات وليست جميعها، بمعنى أنها لم تتطرق لجميع هذه المعوقات، وربما يعود ذلك لتشعب هذه المعوقات وامتدادها لمجالات متعددة مما يتطلب إجراء العديد من الدراسات المستفيضة عن هذا الموضوع، بل ربما يتطلب إقامة مؤتمرات وندوات علمية تعالج كل مجالات هذه المعوقات، بحيث

يغطي كل محور من محاور هذه المؤتمرات مجالاً معيناً منها، كما حصل في العديد من المؤتمرات العلمية التي خصصت لهذا الغرض.

5- من خلال استعراض الدراسات السابقة، يمكن القول إن جميعها، وبرغم اختلاف أساليبها ومناهجها وتخصصها وأهدافها، فإنها جميعاً قد توصلت إلى جملة من النتائج الهامة في مجال معوقات البحث العلمي بشكل عام، وبضمنها البحوث الميدانية. وبحسب هذه الدراسات يمكن تلخيص أهم هذه المعوقات كما يأتي:

• **معوقات اجتماعية:** إذ يلعب ارتفاع معدلات الأمية وتدني مستوى الوعي الاجتماعي بأهمية البحث العلمي، وزيادة المشاغل المتعددة التي تنقل كاهل عضو هيئة التدريس، دوراً هاماً بإعاقة تنفيذ وأجراء البحوث العلمية.

• **معوقات اقتصادية:** حيث تشير أغلب هذه البحوث إلى تدني حجم الدعم والتمويل المالي للبحوث العلمية، وتدني المكافآت التشجيعية، وتحمل الباحث هذه التكاليف. ونقص الأجهزة والمعدات والمواد والبنية التحتية لعملية البحث العلمي.

• **معوقات إدارية:** تشير أغلب هذه الدراسات إلى دور المعوقات الإدارية من تعقيدات روتينية ومتطلبات إدارية للحصول على الموافقات لإجراء البحوث أو تركيز اللوائح على النصاب الأسبوعي لعضو هيئة التدريس، وعدم احتساب البحث العلمي جزءاً من هذا النصاب، والتأخير الذي يتعرض له نشر البحوث العلمية في المجلات المحكمة، ونقص المشاركات لعضو هيئة التدريس في المؤتمرات العلمية... الخ.

• **معوقات علمية:** تشير أغلب هذه البحوث إلى دور النقص الحاصل في تأهيل وإعداد الكادر البحثي المتخصص، والكادر الواسطي من فنيين ومساعدين واختصاصيين، الذين من الممكن أن يخففوا العبء عن أعضاء هيئة التدريس في إنجاز بعض فقرات البحث العلمي.

• **معوقات فنية:** تؤكد أغلب هذه الدراسات على وجود معوقات فنية تتمثل في النقص الكبير في الدورات الخاصة باستخدام التكنولوجيا الحديثة في البحث العلمي، وعلم إجادة الكثير من الباحثين للغة الإنجليزية أو اللغات الأجنبية الأخرى، ونقص

الدورات التدريبية لمواجهة الانفجار المعلوماتي في مجال العلوم المختلفة والبحث العلمي.

المصادر

- (1) للمزيد من الاطلاع يمكن الرجوع إلى الندوات التي عقدت في الجامعات اليمنية حول هذا الموضوع وكما مبين في أدناه:-
 - 1- الندوة العلمية حول واقع البحث العلمي في جامعة عدن والجامعات اليمنية الأخرى - الواقع وآفاق المستقبل، المنعقدة في عدن بتاريخ 4-6 ديسمبر 1999م، دار جامعة عدن، 1999م .
 - 2- وقائع وأدبيات ندوة البحث العلمي ومشكلاته في الجمهورية اليمنية المنعقدة في صنعاء 27/2/2006م..غير منشورة.
- (2) د/ربحي مصطفى عليان، د/ عثمان محمد غنيم، أساليب البحث العلمي .. الأسس النظرية والتطبيق العملي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2004م، ص 43.
- (3) ورد في إحصائية حصل عليها الباحث من مكتب نائب رئيس الجامعة للشنون الأكاديمية أن إجمالي عدد أعضاء هيئة التدريس في كافة كليات ومراكز الجامعة هو (539) عضواً، منهم (360) مدرساً ومعيداً، وهي إحصائية قد تكون غير حديثة.
- (4) د/ إحسان محمد الحسن، د/ عبدالمنعم الحسني، طرق البحث الاجتماعي، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 1981م، ص 64.
- (5) د/سامي سلطي عريفج ، الجامعة والبحث العلمي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، 2001م ، ص ص 31-40.
- (6) د. عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981م، ص ص 149- 184.
- (7) ابن منظور، لسان العرب، المجلد العاشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1995م، ص 333، ص 280.
- (8) د/أحمد مصطفى خاطر، تنمية المجتمعات المحلية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2005م. ص 167.
- (9) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، المصدر السابق نفسه، ص 115.
- (10) د/ ربحي مصطفى عليان، د/ عثمان محمد غنيم، أساليب البحث العلمي، مصدر سابق، ص ص 13-14.
- (11) عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، دار النهضة، القاهرة 1968م، ص 4.
- (12) <http://www.ghamid.net/vb/showthread.php?t=12932>
- (13) المصدر السابق.
- (14) <http://www.alazhar.edu.ps/staff/Skills.doc31>
- (15) د/أحمد مصطفى خاطر وآخرون، البحث الاجتماعي في محيط الخدمة الاجتماعية، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2001م، ص 48.

قراءة معاصرة في نص تراثي الحوار في حكايات " كليلة ودمنة "



أ. د. صبري مسعود*

أتيح لحكايات " كليلة ودمنة " أن تصاغ صياغة فصيحة ميزتها عن حكايات " ألف ليلة وليلة " وسواها ، إذ صاغها عبد الله بن المقفع الذي مارس الكتابة الفنية وبرع فيها ، وكان محط أنظار الفصحاء في عصره خلال النصف الأول من القرن الثاني الهجري ، ومهما قيل عن أصلها الهندي وترجمتها إلى الفارسية فإن طابع الثقافة العربية بين فيها ، بل إن الأصل الهندي قد ضاع ، وظلت هذه الصياغة هي المعول عليها في العودة إلى هذا الأثر التراثي النفيس (1) .

ولأن ابن المقفع أفاد من علوم عصره وأخباره ، وطبيعة لغته في نقل هذا الأثر مما كان له انعكاس على " كليلة ودمنة " بطريقة وبأخرى ، لذلك فقد انتصهرت تلك الحكايات في بوتقة موهبته الفذة ، فجاءت قوية التأثير من خلال رموزها ودلالاتها ، وهو ما كان يعيه ابن المقفع وبنص عليه ، بل إن اختياره لهذا النص دون سواه ، ونقله بأسلوبه المؤثر يعطي دلالة على أن ابن المقفع كان يريد أن يقول شيئاً لم يستطع التصريح به في عصره ، فأورده على هذا النحو الرامز، ودليلنا على هذا أن ابن المقفع يوصي قارئ هذا الكتاب بأن : (يديم النظر فيه ويلتمس جواهر معانيه ، ولا يظن أن مغزاه إنما هو

* جامعة دمار - كلية الآداب - قسم اللغة العربية

الإخبار عن حيلة بهيمتين ، أو محاورة سبع لثور ، فينصرف بذلك عن الغرض المقصود) . (2) ويفصل ابن المقفع في موضع آخر موضعاً هدفه من كتابه ، ومن خلال الباب الذي أضافه تحت عنوان (غرض الكتاب) يورد فيه إنما قصد به مستوى يستمتع به (أهل الهزل من الشبان فيستميل به قلوبهم .. والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الألوان والأصباغ ليكون أنسا لقلوب الملوك .. و الثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذها الملوك والسوقة فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام .. والغرض الرابع وهو الأقصى وذلك يخص الفيلسوف أعني الوقوف على أسرار معاني الكتاب الباطنة) (3) ولم يخب ظن ابن المقفع في كتابه الذي لم تذبل نضارته بمرور الأيام بل احتفت به الأجيال ، لأنه مما يشع بإيحاءات شتى ، وفي شعب متنوعة ، منها ما يفيد الامتاع والاستئناس ، وهو هدف مهم من أهداف الأدب والفن ، ومنها ما يعلم ويربي وهو الهدف المهم الآخر على أن لا يأتي ذلك التعليم وتلك التربية على نحو مباشر بل تمتزجان بالامتاع ، وتلتحمان معه فلا يمكن الفصل بينهما بأي شكل من الأشكال .

ويبدو أن صياغة هذا الأثر على يد ابن المقفع قد أثارت رد فعل قوياً في الأدب العربي القديم (ذلك أن عبد الله بن الأهواني قد كلف بأن يترجمه مرة ثانية) ثم صاغه نظماً - في نحو أربعة عشر ألف بيت - أبان بن عبد المجيد بن لاحق أيضاً ، وحاكاه في ذلك شعراء آخرون ومنهم علي بن داوود ، وبشر بن المعتمر ، وأبو المكارم أسعد بن خاطر ، ولم يصلنا من هذه الآثار الأدبية إلا نحو سبعين بيتاً من نظم أبان بن عبد المجيد ، نقلها الصولي في كتابه : (الأوراق) . (4)

لقد لاقت حكايات " كليلة ودمنة " هوى في النفوس في حينها ذلك أنها تعبير عن حاجة المجتمع للنقد الاجتماعي والسياسي ، ولم تكن ثمة وسيلة لمثل هذا النقد إلا ما يبي لسان الحيوان ، كما عبر أحد الباحثين (5) فضلاً عن أن لحكايات الحيوان جذوراً ممتدة في الأدب العربي جعلته يحتضن حكايات " كليلة ودمنة " فلا ينكرها أو يرفضها بل أن (ألكسندر كراب) يجعل الشرق العربي أصلاً لحكايات الحيوان ، وقد انتقلت إلى الهند

والإغريق فيما بعد (6) . والحوار أداة فنية مشتركة تخص كل فنون القص ، و قلما يستغني فن قصصي عن الحوار ، وهو في أبسط تعريفاته حديث متبادل بين شخصيتين أو أكثر (7) . وربما يكون الحوار حديثاً منفرداً مع الذات فيدعى (المونولوج) (8) . ولا يظهر الحوار في فنون القص على مستوى واحد ، بل إنه يأخذ شكل الفن الذي يأتي من خلاله ، و يكتسب خصوصية مستمدة من طبيعة الفن الإبداعي ولذلك فإن الحوار في الفن المسرحي يتسم بسمات لا نجدها في الفن الروائي أو فن القصة القصيرة ، ناهيك عن الفنون الجديدة التي تطلبتها وسائط الإعلام العملاقة ، كـ (التلفاز) ، و السينما والإذاعة . والحوار في هذه الفنون عامة يتصف بقدر من الاتساق والمهارة ، لأنه حصيلة التطور الدائب لهذه الفنون فالحوار في أنماط القص المعاصرة ، يشتمل على نسب موزونة من الإيقاع والاتزان ، وأن صوته ووقوعه في النفوس لهما أثر بالغ في تقويم العمل الفني (9) .

فإذا عكسنا ذلك على حكايات " كليلة ودمنة " فإننا نجد حواراً ذا خصوصية مستمدة من طبيعة الحكايات ، وظرفها التاريخي والحضاري ، لذلك فإن أية موازنة بين فنون القص المعاصرة وحكايات " كليلة ودمنة " تبدو قاصرة نظراً لاختلاف السياقات الزمانية والمكانية ، ومع ذلك لا نعدم خطوطاً عامة مشتركة يلتقي فيها الحوار في الحكايات بالحوار في فنون القص المعاصرة . وتقف هذه الدراسة عند الحوار في " كليلة ودمنة " لأنه من أبرز الأدوات الفنية في هذا النص التراثي ، ذلك أن فكرة هذا الأثر قائمة على الحوار بين الفيلسوف (بيدبا) والملك (دبشليم) وكل الكتاب عبارة عن حوار متصل بين الشخصيتين ، فالحوار ينطوي على الحكاية الرئيسية التي انتظمت الكتاب ، والتي تقوم على عزم الفيلسوف على التصدي للحاكم الظالم ووعظه، وجلبه إلى طريق الرشاد، وكيف أن الفيلسوف الصابر واجه حماقات (دبشليم) ومزاجه المتقلب ، حتى نجح في هدفه النبيل . وحتى الاستهلال الشيقة للكتاب التي وردت على شكل حكاية منفصلة في (باب برز وبه الطبيب) فإنها جاءت على شكل حوار ذاتي وبضمير

المتكلم ، وعلى لسان الطبيب (برز ويه) الذي يسرد على القارئ حكاية نسخه الكتاب من خزانة أحد ملوك الهند .

لقد احتضن الحوار عناصر الحكاية وأدواتها الفنية ، لاسيما الحدث الذي اتخذ أكثر من شكل ، فالشكل الأول الذي يظهر لأول وهلة هو الذي يشبه عناقيد من الحكايات المرتبطة ببعضها ، عن طريق ما يدعوه علماء النفس بـ (تداعي الأفكار الحر) ويعرف بأنه (توارد الأفكار أو الخواطر أو الكلمات على الذهن بصورة حرة) (10) . وهو ما دُعي عند العرب الأقدمين بالاستطراد وهو يعني من حيث اللغة التتابع (11) بيد أنه عند الجاحظ يعني (الانتقال من موضوع إلى آخر لكي لا يمل القارئ أو السامع) (12) . إن الحوار في " كليلة ودمنة " يقود إلى حكايات كثيرة متنوعة ، ويبدو عدد العناقيد بقدر عدد أبواب الكتاب.

وبهدف توضيح هذه الفكرة نذكر أن (باب الفحص عن أمر دمنة) الذي يأتي بعد الشروع بحكاية ((كليلة ودمنة)) التي استأثرت بعنوان الكتاب تضمن مجموعة من الحكايات التي ترتبط ببعضها بخيط التداعي الحر ، وعلى النحو الذي نراه في حوار دمنة مع الأسد ، وقد كان يقال : (عن الذي يعمل بالشبهة لا يتند عندها ولا يثبت فيها، يكون قد صدق ما ينبغي ان يشك فيه وكذب ما ينبغي أن يصدقه فيكون أمره كأمر المرأة التي بذلت نفسها لعبدها حتى فضحها ، قال الأسد : وكيف كان ذلك ؟ قال دمنة : كان بأرض ..) (13) ويمضي دمنة في سرد حكايته التي تعزز فكرة مهد بها للحكاية ومثل ذلك يقال عن الحكاية الثانية التي ترد على نحو ما وردت سابقتها : (واعلموا أن من قال ما لم ير ، وادعى علم ما لم يعلم أصابه ما أصاب الطبيب الجاهل المتكلف فقال له القاضي : وكيف كان ذلك ؟ قال دمنة : زعموا أنه كان في مدينة ...) (14) ، ويسرد دمنة الحكاية من خلال حوارها مع الأسد وبقية الحيوانات . وينطبق ما ذكرناه على الحكاية الثالثة : (وقد قال رجل مرة لامرأته : احفظي نفسك ثم اطعني على غيرك ، ودعي الناس وأصلحي عيوبك التي أنت بها أعرف وذلك مثلك . فقال سيد الخنازير لدمنة : وكيف كان ذلك ؟ قال دمنة : زعموا أنه كانت مدينة ...) (15) وفي الحكاية

الرابعة التي تأتي في إطار حوار دمنة مع القاضي وبقية الحيوانات : (وإياكم أن يصيبكم ما أصاب القائل بما لا يعلم وما لم يحط به خبرا فقال عظيم الجنود للقاضي : وكيف كان ذلك فقال دمنة : زعموا أنه كان ...)⁽¹⁶⁾ وترتبط كل أحداث الحكايات التي شكلت أبواب الكتاب بالطريقة نفسها .

وإذا تطلعتنا إلى أحداث الحكايات الواردة من خلال الحوار من زاوية أخرى رأينا أنها تتخذ شكل دوائر متعددة فثمة دائرة كبيرة تشكل عنوان الباب وهي تنطوي على دوائر أصغر في إطار الدائرة الكبيرة بمعنى أن الحدث يبدأ من نقطة ما ، ثم يعود إلى النقطة ذاتها مشكلاً ما يشبه الدائرة . يبدأ الكتاب على النحو التالي (قال دبشليم ملك الهند لبيديا رأس فلاسته : اضرب لي مثل الرجلين المتحابين يقطع بينهما الكذوب الخؤون ، ويحملهما على العداوة والشنآن ، قال بيدبا الفيلسوف : إذا ابتلى الرجلان المتحابان بأن يدخل بينهما الخؤون الكذوب تقاطعا وتدبرا وفسد ما بينهما من المودة ، ومن أمثال ذلك أنه كان بأرض (دستابند) تاجر مكثر وكان له بنون)⁽¹⁷⁾ ، ويبدأ بيدبا بأن يسرد حكاية التاجر وبنيه مع الملك . وفي إطار أحداث الحكاية الرئيسة تتشعب حكاية ثالثة من حكاية الرجل الهارب من الموت ، التي ترد في سياق أحداث الحكاية الثانية⁽¹⁸⁾ فهي إذن الدائرة الأصغر التي ترد داخل دائرة أكبر منها ، وهي بدورها تكون في إطار الدائرة الأكبر التي تستوعب حكاية كليلة ودمنة ، والتي استأثرت ببابين في الكتاب ، ولا تخرج بقية أبواب الكتاب على هذه الطريقة في إيراد أحداث الحكاية . إن هذه الطريقة في إيراد أحداث الحكايات بعدها الدكتور محمد غنيمي هلال سمة من السمات الفنية للحكاية الهندية ، ويطلق عليها اسم تداخل الحكايات (فكل حكاية رئيسة تحوي حكايات فرعية ، وكل واحدة من الحكايات الفرعية قد تحتوي على حكاية أو أكثر متداخلة فيها كذلك)⁽¹⁹⁾ . ويبدو أن هذه الوسيلة في هذه الحكايات قد اقترنت بالحكاية الهندية فالباحث الألماني (دير لاين) يورد ما أورده الدكتور هلال ، ويضيف إليه أن (هذه الطريقة في عرض الحكايات عرفها الأدب المصري القديم أيضاً وهي تقوم على إدخال عدد وفير من الحكايات في إطار الحكاية الواحدة)⁽²⁰⁾ .

وكما أن الحوار يحتضن الأحداث في هذا الكتاب ، فإنه يرد فيعطينا انطباعاً عن طبيعة الشخصيات الواردة في حكايات ((كليلة ودمنة)) وهي وظيفة مهمة من وظائف الحوار في الفنون القصصية قاطبة ، فالحوار المفصي إلى رسم الشخصيات يبدو في التشخيص الاستعاري الذي أضفى على الحيوان سمات الإنسان ولوازمه ، نلمس فيها ذلك من خلال تلك الأجمة التي جاءت في حكاية كليلة ودمنة ، والتي كان فيها أسد يقال له (بنكلة ، وكان ملك تلك الناحية ومعه سباع كثيرة من الذئاب وبنات آوى والثعالب وغير ذلك .. وكان فيما معه ابنا آوى ، يقال لأحدهما كليلة وللآخر دمنة وكانا ذوي دهاء وأدب) (21) . ومن الواضح إن هذه المجموعة من الحيوانات إنما هي صورة لمجتمع إنساني مصغر ، لم يشأ الكتاب أن يصرح بأنه مجتمع الإنسان لا الحيوان ، فما الأسد العظيم في تلك الغابة إلا الحاكم أو الملك ، وربما رمز الكتاب إلى دور الأبناء من خلال كليلة ودمنة ، فدمنة داهية أديب ، كما يوصف وقد اتصل بملك الغابة وتقرب إليه ، وبهره بمنطقه وحكاياته وأمثاله ، لذلك تتكرر المواقف التي يعجب فيها الأسد بدمنة قبل أن يكتشف خداعه .

وثمة ما يغرنا بأن نقول بوجود مستويين للحوار أحدهما حوار الرعية عامة والأدباء منهم خاصة ، وهو يتمثل بحوار دمنة وحكمه ، وحوار الثور وسواه من الحيوانات ، والمستوى الآخر هو حوار الأسد أو الملك الذي يكشف عن القوة والسيطرة، ألا ترى أن ملك الغابة حين يتحدث فإنه يقول ما يعبر عن سلطته واقتداره (قال الأسد لجلسائه : إنه ينبغي للسلطان أن لا يلج في تضييع حق ذي الفضل والمروءة، ولا وضع منزلته وأن يستدرك ما فاتته من ذلك) (22) في حين أن دمنة يمهد للقاءه مع الملك في هذا الحوار : (لم أزل بباب الملك مرابطاً رجاء أن يحضر أمر أعين الملك فيه برأيي ونفسي فإن باب الملك تكثر فيه الأمور التي احتيج فيها إلى من لا نباهة له ، وربما كان صغير المنزل فيكون عنده منفعة بقدره ، فإن العود المطروح في الأرض ربما انتفع به الإنسان في حك أذنه) (23) ولا نطمح في أن نجد خصوصية في لغة كل من المستويين

المذكورين وفي أسلوب التعبير عنهما وعلى النحو الذي نجده في أنماط القصص المعاصرة إذ إن لهذه الحكايات سياقها الحضاري الخاص بها ، كما أسلفنا .

إن تشخيص الحيوانات وإسباغ السمات الإنسانية عليها يجعلنا نقرر أن ثمة استعارة كبيرة تنتظم معظم حكايات كليلة ودمنة ، وهي الحكايات التي اتخذت من الحيوانات أبطالاً وشخصيات لها ، بحيث يمكن القول بأن الحيوانات (مستعار له) وأن الإنسان (مستعار منه) ، ومن الواضح إن الإنسان هو الهدف من هذه الاستعارة ، وليس الحيوان إلا قناعاً استثمره الكتاب كي يعبر من خلاله بحرية عن أمور قد لا يستطيع التصريح بها إن لم يلجأ إلى مثل هذه الوسيلة الفنية الرامزة .

ويكاد التشبيه يبرز في معظم الحكايات الواردة تعبيراً عن عنصر الشخصية وتعزيراً له ، وهو يرد من خلال الحوار ، وعن طريق أدواتها ، وأهمها (الكاف) و (مثل) ، ولكي يوضح بيدبا الفيلسوف للملك ديشليم حال الرجل الذي يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه فانه يسرد حكاية كاملة هي حكاية الحمامة والثعلب ومالك الحزين (قال الفيلسوف إن مثل ذلك مثل الحمامة والثعلب ومالك الحزين قال الملك : وما مثلهم؟ قال الفيلسوف : زعموا أن حمامة ...) (24) . وبذلك يكون الرجل الذي يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه (مشبهاً) وتكون الحكاية كلها (مشبهاً به) . وهنا يصعب أن نحدد وجه الشبه بكلمة واحدة وإنما يمكن القول بأنه تعبير عن الإنسان الذي يجيد الوعظ ولا يتعظ . لذا فوجه الشبه في صورته هذه يستتبط من متعدد كما يعبر البلاغيون وهو أقرب إلى التشبيه التمثيلي (25) .

وثمة من التشبيهات المتقنة ما يحفر له مكاناً في الذاكرة ، بحيث يصعب نسيانه، ومن ذلك قوله على لسان الطبيب برزويه : (فالتمست للإنسان مثلاً فإذا مثله رجل الجأء الخوف إلى بئر تدلى فيها ، وتعلق بغصنين نابتين على شفيرها فوقع رجلاه على شيء فنظر فإذا هو بأربع أفاع قد أطلعن رؤوسهن من أجرحهن . ونظر إلى أسفلها فإذا هو بتنين فاغر فاه نحوه . ورفع بصره إلى الغصنين فإذا في أصولهما جردان أبيض وأسود يقرضانهما دائبين لا يفتران . فبينما هو على ذلك يهتم بالحياة لنفسه إذ نظر فإذا

قريب منه كواراة نحل فيها شيء من عسل فتطعم منه واشتغل بحلاوته عن التفكير في أمره (26) ، إن في هذا التشبيه أكثر من أصرة تربطه بحال الإنسان وهو يواصل حياته متناسياً مصيره ، وما يؤول إليه . ويتولى برز ويه مهمة عقد التشبيهات بين حال الإنسان والصورة التي رسمها إذ يقول : (فشبهت البئر بالدنيا المملوءة آفات وشروراً ومخاوف ومتالف . وشبهت الحيات الأربع بالأخلاق الأربعة التي هي في بدن الإنسان ... وشبهت الغصنين بالحياة وشبهت الجردين بالليل والنهار ، وقرضهما دأبهما في إنفاد الأجل . وشبهت التتين بالموت الذي لا بد منه . وشبهت بالعسل هذه الحلاوة القليلة التي يصيبها الإنسان فتشغله عن نفسه) (27) . إن هذا التشبيه المركب يستثمر جملة حواس ، وأولها حاسة البصر التي تبدو من خلال الفأرين الأبيض والأسود ، تليها حاسة اللمس المستوحاة من ملمس الأفاعي الأربع ، وحاسة السمع المستنتجة من أصوات قرض الجردين الدائبين ، وحاسة الذوق المستنتجة من حلاوة العسل ، إشارة إلى غنى هذا التشبيه وقوة تأثيره النابعة من توغله داخل حواس الإنسان ومن إحاطته بظروفه ومصيره .

ويتجلى تضاد موح بين الشخصيات يرد من خلال الحوار ، وهو تضاد قد يفضي إلى صراع ينتهي بانتصار أحد الطرفين ، أو أنه تضاداً من نوع آخر ، إذ لا يؤدي إلى هزيمة أحد الطرفين ، بل إلى توافقهما واتساقهما . وهذا ما نجده في ذلك التضاد بين بيدبا الفيلسوف الذي يمثل الرعية ونخبة المفكرين ، ومنهم خاصة ، وبين دبشليم الذي يمثل الملك أو الحاكم فهو تضاد ينتهي بالانسجام ولكن هذا لا يطرده تماماً فالتضاد بين كليلة الذي يجسد الحكمة والوفاء وبين دمنة الذي يمثل الحمق والغدر ينتهي بنهاية دمنة ومثله ذلك التضاد بين الأسد ودمنة . وتزخر الحكايات بالتضاد من النمطين كليهما .

وثمة تضاد من نمط ثالث يكون داخل الشخصية الواحدة فهذا مالك الحزين ينطوي على تضاد في داخل ذاته ، يبدو من خلال نجاحه في أن ينصح سواه ، وفشله في أن ينصح نفسه وقد لقي حقه بسبب ذلك (28) . بل إن التضاد يحيط بالإنسان من كل جانب ، فضلاً عن أنه ينبع من داخله ، فالأبيض والأسود ضدان يرمزان إلى اتساق

الليل والنهار المعبرين عن استمرار هذه الحياة وتواصلها ، وما حلوة العسل إلا التقيض
للسم الزعاف المرتبط بحضور الأفعى وأنياب التنين المشرعة لالتهامه ، ومثلما تتضاداً
الطعوم ما بين حلوة العسل ومرارة السّم فإن التضاد يكون على صعيد الأصوات التي
تحيط به ، فهو يسمع قرص الجرذين للغصنين اللذين يتعلق بهما وهو صوت موح
بالموت والنهاية الوشيكة ، ولكنه في الوقت نفسه ينجذب إلى الأصوات المنبعثة من
خلايا النحل الزاخرة بالحركة المعبرة عن ساعات الهناء القصيرة في هذه الحياة . وأما
مشاعره وإحساساته فهي أخلاط شتى من المتضادات فهو يرغب في هذه الحياة ،
ويرهبها في الوقت نفسه ، وقد يذمها إحساساً منه بقصرها وفنائها. وتتبع من هذا التضاد
فروع أخرى تشير إلى تناقض حياة الإنسان أحياناً ، واشتمالها على الخير والشر وما
يتفرع منهما من حق وباطل ، وجمال وقبح ووفاء وغدر .

ويحتضن الحوار الأمثال المركزة ، والحكم الدالة ، مما يدفعنا إلى أن نقول بأن
ثمة رؤية للإنسان وطبيعته وقيوده النابعة من غرائزه وأهوائه ومطامعه ، وهناك تكرار
لفكرة تغير أحوال الحياة وتقلبها (فلما فكرت في أمر الدنيا وأن هذا الإنسان هو أشرف
الخلق فيها وأفضله ، ثم هو على منزلته لا يتقلب إلا في شر ولا يوصف إلا به ، علمت
أنه ليس من أحد له أدنى عقل يفهم هذا ثم لا يحتاط لنفسه ، ولا يعمل لنجاتها ، و يلتمس
الخلاص لها إلا وهو ضعيف الرأي ، قليل المعرفة بما عليه وله . ونظرت فإذا هو لا
يمنعه من ذلك إلا لذة حقيرة يسيرة من المشرب والمطعم والشم والنظر والسمع واللمس ،
لعله يصيب منه طفيفاً لا يوصف ، سريع انقطاعه ، وامتحاقه وزواله) (29) .

ونلمس فكراً قديماً يؤمن بالقضاء والقدر المكتوبين على الإنسان وذلك من خلال
حوار الملك في حكاية الملك والطير قَبْرَه . قال الملك : قد علمت أنه لا يستطيع أحد
لأحد ضرراً ولا نفعاً وأنه لا شيء من الأشياء صغيراً ولا كبيراً يصيب أحداً إلا بقدر
مقدور . وكما أن خلق ما يخلق وولادة ما يولد وبقاء ما يبقى ليس إلى الخلاق منه
شيء ، كذلك فناء ما يفنى وهلاك ما يهلك (30) . وتتكرر هذه المفاهيم عن الحياة
الدنيا والإنسان في غضون الكتاب وبين طياته .

وينطوي الكتاب على قيمة تربوية تبرز في تلك العظات التي يوجهها للرعية والرعاة على حد سواء فالملوك (يحتاجون إلى النظر في وجوه شتى فإذا أثروا النظر في بعض تلك الوجوه على بعض لم يأمنوا خطأ البصر وزلل الرأي) (31) .

وينطلق هذا النص التراثي من فهم لطبيعة الإنسان المتغيرة المتقلبة ، فالمودة والعداوة لا تدمان (وكثير من المودة يتحول بغضا وكثير من البغض يتحول محبة ومودة عن حوادث العلل والأمور . وذو الرأي والعقل يهين لكل ما حدث من ذلك رأيا .. فلا يمنع ذا العقل عداوة كانت في نفسه لعدوه من مقاربتة والتماس ما عنده إذا طمع منه في دفع مخوف ويعمل الرأي في إحداث المواصلات والموادعة ومن أبصر الرأي في ذلك فأخذ فيه بالحزم ظفر بحاجته) (32) ويزخر الكتاب بعشرات الحكم القيمة ، والأفكار السديدة ذات الأسلوب المركز الرصين ، وجميل حوار الفيلسوف مع الملك إذ يقول له : (إنه لا يقدم لي طلب ما يضر الناس ويسوؤهم إلا أهل الجهالة والسفه ، وسوء النظر في عواقب الأمور في الدنيا والآخرة ، وقلة العلم بما يدخل عليهم في ذلك من حلول النعمة ، ويلزمهم من تبعة ما اكتسبوا مما لا يحيط به القول . فإن سلم بعضهم من بعض لمنية عرضت قبل نزول وبال ما صنعوا ، اعتبر بهم الآخرون بما ينقطع فيه الكلام والوصف من الشدة وعظم الهول ، وربما اتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المكروه من غيره ، فارتدع من أن يبتلي أحداً بمثل ذلك من الظلم والعدوان ، ورجا نفع ما كف عنه في الآخرة) (33) .

ونفحات الدين الإسلامي الحنيف بينة في هذا النص وذلك من خلال ورود الآخرة التي يثاب فيها الإنسان الصالح ويعاقب فيها المسيء ، وبذلك يعود الاتزان إلى الحياة والمجتمع ، فضلا عن أن الإنسان المؤمن يحرص على أن ينفع الناس لا أن يضرهم . وهذا يعني ضمناً أن صياغة ابن المقفع لهذا الأثر التراثي قد تركت بصمات أصابعه ونبرات معتقده ، التي نسمعها في هذا النص وسواه .

ويصدر الكتاب معظم الحكايات الواردة فيه بقوله : (زعموا أن) (34) ، وهو

احتراز بارع يوجي بحذر الكتاب من القطع والحسم إذ إن الحقائق في هذه الحياة نسبية

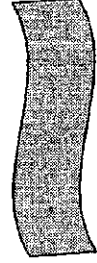
وهي تصح إلى حد ما بيد أنها لا يمكن أن تكون مطلقة في جميع الأحوال والظروف ولا سيما تلك الحقائق التي لها صلة بالإنسان وسجاياه وأفكاره).

الهوامش

- 1- " عبد الله بن المقفع كلية ودمنة " تحقيق : الشيخ إلياس خليل زخريا ، دار الأندلس ، بيروت 1964، ص 22 . وقد ورد هذا الرأي في مقدمة د . عبد الوهاب عزام لتسخته التي اعتمدها هذا الكتاب وكان د . عزام قد اعتمد على مخطوطة (مكتبة أيا صوفيا في اسطنبول) وقد كتبت عام 618 ولم يكف المحقق إلياس خليل بهذه النسخة بل اعتمد معها النسخ التالية : نسخة الأب لويس شيخو اليسوعي ، سوق الغرب المكتوبة 739 هـ ومخطوطة نوري الكيلاني (حماه) المكتوبة عام 1200 هـ ، نسخة الشيخ خليل اليازجي المعروفة بنسخة مكتبة صادر في بيروت ، نسخة أحمد حسن طيارة المعروفة بنسخة المكتبة الأهلية في بيروت عن نسخة الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي المكتوبة عام 1086 هـ .
- 2- نفسه ، ص 94 .
- 3- نفسه ، ص 95 .
- 4- د. محمد غنيمي هلال ، " الأدب المقارن " ، دار العودة ، ط 3 ، بيروت 1981 ، ص 184 - 185 .
- 5- د. داود سلوم ، كتاب " قصص الحيوان في الأدب العربي القديم " ، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1979 ص 161 .
- 6- ألكسندر هجرتي كراب " علم الفلكلور " ، دار الكاتب العربي ، القاهرة 1967، ص 113 .
- 7- ينظر د. إبراهيم حمادة " معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية " دار الشعب ، القاهرة 1971، ص 134 . وينظر كذلك : مجدي وهبة " معجم مصطلحات الأدب " ، مكتبة لبنان ، بيروت 1974، ص 110 .
- 8- ينظر : مجدي وهبة " معجم مصطلحات الأدب " ص 329 .
- 9- د . طه عبد الفتاح مقلد " الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون " ، مكتبة الشباب ، القاهرة 1975، ص 345 .
- 10- د. فخر عافل " معجم علم النفس " دار العلم للملايين . ط 2 بيروت 1977 . ص 46 .
- 11- ابن منظور " لسان العرب " نسخة مصورة عن طبعة بولاق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة (د . ت) ، مادة (ط ر د) .
- 12- د . أحمد مطلوب " معجم المصطلحات البلاغية وتطورها " ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد 1983 ، ج 1 ، ص 130 .
- 13- " كلية ودمنة " ، ص 188 .
- 14- " كلية ودمنة " ، ص 196 - 197 .
- 15- نفسه ، ص 199 .
- 16- نفسه ، ص 203 - 204 .
- 17- نفسه ، ص 126 .

- 18- نفسه، ص 128 .
- 19- د . محمد غنيمي هلال ، ص 183 .
- 20- فرد ريش فون دير لاين " الحكاية الخرافية " ترجمة د . نبيلة إبراهيم ، دار القلم ، بيروت 1973 ، ص 191 .
- 21- ينظر : بيرسي لوبوك ، " صنعة الرواية " ، ترجمة : عبد الستار جواد ، الدار الوطنية ، بغداد 1981 ، ص 234 .
- 22- "كليلة ودمنة" ، ص 129.
- 23- نفسه ، ص 140 .
- 24- نفسه ، ص 135 .
- 25- نفسه ، ص 359 .
- 26- د. أحمد مطلوب " فنون بلاغية " دار البحوث العلمية ، الكويت 1975 ، ص 51 .
- 27- و 28- "كليلة ودمنة" ، ص 123 - 124 .
- 28- نفسه ، ص 359 .
- 29- نفسه ، ص 123 .
- 30- نفسه ، ص 320 .
- 31- نفسه ، ص 331 .
- 32- نفسه ، ص 309 .
- 33- نفسه ، ص 352 .

فن الكتابة والتأليف عند العرب (من عصر النقش إلى عصر الطباعة)



د. عبدالعزیز الحاج مصطفى (*)

المقدمة :

مرت الكتابة عند العرب بمراحل مختلفة ، اتخذت شكلاً متدرجاً ، بدأت أولياته مع النقش العربي الذي يعود تاريخ بعضه إلى سنة 250م. (1) وبعضه الآخر إلى سنة 568م. وخلال هذه الفترة كان النقش بعامة يخضع لسنن التطور التي تحكم حياة العرب ويرتقي مع الفصحى ارتقاء دلت عليه طبيعة النقوش التي عثر عليها .

ثم ما يكاد نجم الإسلام يبرز حتى تتشط الكتابة نشاطاً لم تكن شهادته من قبل ، ويقبل المسلمون على الكتابة إقبالاً أدى فيما بعد إلى التدوين وإلى الحركة العلمية التي تمخضت عن الازدهار العلمي الذي شهده القرنان الثاني والثالث الهجريان ، ومن ثم إلى الدخول في عالم التأليف المنهجي والموسوعي الذي خلف لنا هذا الكم الهائل من المؤلفات المخطوطة ، التي يرقد كثير منها على رفوف المكتبات داخل الوطن العربي وخارجه .

(*) جامعة نمار - كلية التربية - قسم اللغة العربية.

وقد أدت النتيجة - لاسيما بعد ظهور الطباعة - إلى التفات الباحثين من عرب ومستشرقين إلى المخطوط وإلى الانكباب عليه دراسة وتمحيصاً ، وإعادة نظر . وذلك فيما عرف ولا يزال يعرف باسم (التحقيق) .

وهذه المسيرة العلمية التي حددنا بداياتها بظهور النقش ونهاياتها بظهور الطباعة، هي التي ستكون مدار بحثنا وهي التي تتمثل في المراحل التالية :

- 1- مرحلة ما قبل الإسلام .
- 2- مرحلة صدر الإسلام .
- 3- مرحلة الكتابة وفن التأليف إلى منتصف القرن الرابع الهجري .
- 4- مرحلة التأليف الموسوعي من (350- 1215 هـ) ، وهي نهاية العصور الوسيطة.
- 5- مرحلة الطباعة ، التي بدأت مع بداية العصر الحديث .

أولاً - مرحلة ما قبل الإسلام :

يجمع الباحثون حول أولية الخط العربي حيث يرون أن الكنعانيين⁽²⁾ الذين نزحوا من شبه جزيرة العرب أوائل الألف الثاني قبل الميلاد ((واستقروا في فلسطين ، أول من استعمل الحروف الهجائية في الكتابة ، وهي الحروف التي اكتشفت في شبه جزيرة سيناء ، ويعود تاريخها إلى سنة 1850 قبل الميلاد ومن الكنعانيين انتقلت إلى الفينيقيين الذين نقلوها بدورهم بين سنة 85-750 قبل الميلاد إلى الإغريقية واللاتينية))⁽³⁾ وهذا يدل على أنها كانت الأبجدية الأم لكل الأبجديات التي ظهرت لاحقاً في العالم .

أما ما يقال عن الكتابة العربية في هذه المرحلة فقد كانت في مستوى ضعيف جداً لأسباب وسمات وملاحح يذكر منها :

(1) غلبة الأمية وانتشارها في شبه الجزيرة العربية بالكامل . وهذا يؤيد صحته قول الله سبحانه : ((هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين))⁽⁴⁾ .

(ب) عدم وجود كتاب ما بين أيدي العرب مهما كان نوعه ؛ نسجوه من بنات أفكارهم أو ترجموه عن غيرهم . وهذا يؤيده بدائية الكتابة التي كانوا عليها . وغلبة الأمية التي كانت سائدة في أوساطهم. وقد ((كان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التوسط لمكان العرب من البدلوة وبعدهم عن الصنائع))⁽⁵⁾ .

(ج) انقطاع الأفق الحضاري الذي كان عليه العرب في جنوبي شبه الجزيرة العربية بعد أن أخذوا إلى أمية. يقول ابن خلدون ((وقد كان الخط العربي بالغاً مبالغه من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة، لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحميري ، وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نساء التبابعة في العصبية والمجددين لمك العرب . ولم يكن الخط عندهم من الإجادة كما كان عند التبابعة ، لقصور ما بين الدولتين ، وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ، ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش))⁽⁶⁾ .

(د) اقتصار الكتابة عند العرب على النقوش التي قلما خلت منها منطقة من بلاد العرب . التي كانت موزعة بين شمالي شبه الجزيرة العربية وجنوبيها ، التي يذكر منها))⁽⁷⁾ .

1- نقش كتاب أم الجمال الأول :

عثر على هذا النقش الحجري في أم الجمال الواقعة جنوبي حرّان . وهي من أعمال شرقي الأردن ، وقد كتب بالخط النبطي .⁽⁸⁾ المتأخر حوالي سنة 250 م. ويعود هذا النقش إلى قبر فهر بن سلمى مربي خزيمة ملك تنوخ الذي عاصر الملكة زنوبيا وقد كانت هلكته على أيديها⁽⁹⁾ .

2- نقش كتاب النمارة (حوران) :

أقدم نقش ، دون سنة 223 نبطي (329 م) . اكتشفه العالم (دوسو) في موقع النمارة من أعمال حرّان⁽¹⁰⁾ في سوريا . ويعتقد ستاركي أن هذه الكتابة نبطية بلغة عربية قريية من لهجة قریش وهي شاهدة قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب .

3- نقش كتابة أم الجمال الثاني :

عثر عليه في موقع كنيسة تدعى الكنيسة المزدوجة ، درسها لينمان وقدر تاريخها القرن السادس الميلادي ، ومع ذلك فإن الأثر النبطي فيها واسع جداً وغير مؤرخ ويضم العبارة التالية : (إله غفر لأثيم بن عبيدة كاتب العبيد أعلى بني عمري ينم عنه من) .

4- نقش كتابة أسيس . بادية حوران :

نسبة إلى جبل يقع على بعد (105) كم جنوبي شرقي دمشق عثرت عليه بعثة ألمانية للتحري عن الآثار في سورية ، في حزيران سنة 1965م ويضم النقش نصاً عربياً من أربعة أسطر ، وتعتبر هذه الكتابة التي ترجع إلى عام 528م أكثر الكتابات العربية الأولى تكاملاً ومع ذلك فهي مؤرخة بالنبطي .

5- نقش زيد :

سمي بهذا الاسم نسبة للموقع الذي عثر عليه ، والذي يقع بين قنسرين ونهر الفرات جنوبي شرقي حلب .. وجد هذا النقش على قطعة كبيرة من الحجر كانت تعلق في الأصل واجهة كنيسة (مارسركيس) وقد كتب بثلاث لغات متباينة ليس للعربية فيها إلا نصيب ضئيل . فالغالبية كانت باللغة اليونانية ثم باللغة السريانية ، والعربية فيه سطر واحد فقط .

إن النقش مؤرخ في سنة 512م وهذا السطر مثبت ضمن النص اليوناني وهو كتابة عربية ذات سمات و ملامح نبطية .

6- نقش (كتابة) حران :

كتابة حران منقوشة على حجر فوق باب كنيسة أيضاً باللغتين اليونانية والعربية ، ويعتبر أول نص جاهلي عربي كامل في كل كلماته ، ومن الواضح أنه قريب إلى حد ما من الخطوط العربية في القرن الأول الهجري ، يرجع تاريخه إلى سنة 463 نبطي 568م ويتضمن : (أنا شرحيل بن ظلمو بنيت ذا المرطول سنة 463 بعد مفسد — خبير — بعم .

7- نقش كتابته معبد رم (شرقي العقبة):

عثر عليه سافيناك وروسفيلد وهو أقرب إلى العربية .. لذلك رجح العلماء بأن الخط العربي نشأ ونما بين عهد نقش النمارة وبين عهد نقش زبد أي : في القرن الرابع أو الخامس للميلاد .

ويمكن أن يضاف إلى هذه النقوش عددا من النقوش الثمودية واللحيانية العربية الطابع التي كتبت بالخط المعيني الجنوبي . وقد كانت (خصائصها اللغوية قريبة من خصائص العربية التي نزل بها القرآن الكريم . وإن اختلفت عنها في أداة التعريف ، وفي بعض الصفات اللغوية : (11) بل وفي بعض الألفاظ وذلك يعود لتاريخ ظهور هذا اللفظ أو ذاك ، إذ كانت العربية في الفترة التي سبقت ظهور الفصحى تخطو خطوات متسارعة تجاه الفصحى الذي يقدر تاريخه بحدود ((قرن ونصف القرن أو بقرنين من الزمان على أكثر تقدير)) (12) قبل ظهور الإسلام .

ثانياً : مرحلة صدر الإسلام :

لم تكن الكتابة شائعة قبل مجيء الإسلام ، وكانت نسبة الذين يجيدون القراءة والكتابة من العرب ضئيلة جداً ، فالذين يمارسون القراءة والكتابة عند ظهور الإسلام في المدينة لا يتجاوزون بضعة عشر رجلاً (13) ونقلاً عن البلاذري ((دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب منهم : عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وأبو عبيدة بن الجراح ، وطلحة ، ويزيد بن أبي سفيان .

أما النساء اللواتي كن يكتبن فمنهن الشفاء بنت عبد العدوية من رهط عمر بن الخطاب ، وحفصة بنت عمر زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، تعلمت الكتابة من شفاء العدوية ، وأم كلثوم بنت عقبة وكانت عاتشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه تقرأ المصحف ولا تكتب وكذلك أم سلمة)) (14) .

وقد أخذت الكتابة تنتشر بسرعة بعد البعثة النبوية بعد أن شجع الإسلام على ذلك . وكان النبي صلى الله عليه وسلم أول من شجع على الكتابة إذ قبل من أسرى بدر ممن لا يملكون الفداء ، من يعرف القراءة والكتابة منهم أن يعلم عشرة من ناشئة المسلمين (15)

بل كان القرآن الكريم يحض على الكتابة لاسيما فيما يستجد بينهم من أشكال التعامل - كالدِين مثلاً - ودليله من القرآن (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل) (16) ، وكان عدد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ ((اثنين وأربعين كاتباً وأول من كتب له أبي بن كعب .. ومن كتابه : علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت ، وعبدالله بن الأرقم ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والعلاء بن عقبة ومعوية بن أبي سفيان ، ومعيقب بن أبي فاطمة ، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح ، ويعلى ابن أمية ، وحنظلة بن الربيع بن المرقع والحصين بن نمر)) (17) ، ولم تزد الكتابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على كتابة الوحي وكتابة الكتب إلى عظماء العصر في ذلك الوقت . إلا أنهم بعد ذلك وقد ((جاء الملك للعرب وفتحوا الأمصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة ، واحتاجت الدولة إلى الكتابة ، استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلموه وتداولوه ، فترقت الإجابة فيه ، واستحكم ، وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الإتقان)) (18) ومبلغاً من السعة لاسيما بعد تدوين القرآن الكريم وإرسال نسخه إلى الأمصار وقد عكف الكتاب على نسخه وتوسيع دائرة انتشاره . فضلاً عن ذلك فقد أخذت الكتابة تستوعب كل ما يهم أمر المسلمين في معاملاتهم وعقودهم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ((يستخدمها في جميع موثيقه وعهوده وكذلك كان الخلفاء الراشدون من بعده . وتكتظ كتب الحديث والتاريخ والأدب بهذه العهود الموثيق سواء منها ما كان على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان على لسان خلفائه)) (19) رضوان الله عليهم .

أما في عهد الخلفاء الراشدين فمنذ عهد عمر بن الخطاب دونت الدواوين وأصبح لها كتابٌ يحصون الصادر والوارد من أمر الدولة ، وقد اقتضت الحاجة ذلك فشجع ذلك الناشئة وقد غدت الكتابة سلعة رائجة بينهم الأمر الذي ظهر مردوده بعد في المرحلة اللاحقة .

ثالثاً : مرحلة الكتابة وفن التأليف إلى منتصف القرن الرابع الهجري :

اتخذت الكتابة مع بداية القرن الأول شكلاً أكثر تطوراً إذ ما كدنا نصل إلى عصر هشام (105 - 124 هـ) حتى نجد اهتمام الكتاب يرقى إلى مستوى أكثر جودة ومن ثم يتحول إلى نوع من الكتابة الأدبية على يد سالم مولى هشام الذي يعده صاحب الفهرست أحد البلغاء العشرة الأول⁽²⁰⁾ وكذا عبد الحميد الكاتب الذي كتب لهشام لأول عهده بعد أن أصهر لسالم مولاه⁽²¹⁾ ، ومن ثم لمروان بن محمد (127 - 132 هـ) وقد أصبح رئيس ديوانه وعنه أخذ المتراسلون ، ولطريقته لزموا . ولا تفتنا براعته الأدبية في رسائله فحسب ، وإنما يلفتنا منها أنه تحول بطائفة منها إلى رسائل أدبية حقة بعد أن هضم وتمثل ثقافة الأمم السابقة كالفرس⁽²²⁾ مثلاً . والذي يتبع أخبار الكتابة والكتاب يجد فيها مقدمة لظهور كاتب أكثر تمكناً منه ذلك هو عبدالله بن المقفع أو رذبه بن دانويه - الذي قد يكون أول من بعج فن الكتابة ووسع دائرته وأدخله بوابة التأليف الأدبي يدل على ذلك ما تركه لنا من مؤلفات قيمة نذكر منها :⁽²³⁾ .

- 1) كتاب الأدب الصغير : وهو كتاب حكم وأمثال ونصائح أخلاقية.
- 2) كتاب الأدب الكبير ، أو الدررة اليتيمة : وفيه ثقافة متعددة المنابع فارسية ويونانية وإسلامية.
- 3) رسالة الصحابة : والمقصود بالصحابة المقربون من الخلفاء والحكام والمستشارون والحجاب.
- 4) كليلة ودمنة : وهو كتاب يغلب عليه الترجمة ويقال إنه هندي الأصل إلا أن الطابع العربي يغلب عليه .

وإذا عرفنا أن عبدالله بن المقفع قد قتل سنة 142 هـ في خلافة المنصور العباسي أدركنا أنه ربما كان من أوائل الكتاب الذين توسعوا في فن الرسائل ومنهم على سبيل المثال : الجاحظ ، وابن العميد ، والصاحب بن عباد ، والخوارزمي ، وبديع الزمان الهمداني والشريف الرضي وأبو العلاء المعري ، أما أسباب الكتابة المبكرة فيمكن أن تجمل في :

(1) **السبب الأول:** أن الفترة الزمنية التي عاشها هؤلاء الكتاب كانت فترة السمو الفكري والتفجر العقلي، فضلاً عن هضم الثقافة الإسلامية وتمثلها، والإخلاص لها قولاً وعملاً.

(2) **السبب الثاني:** أن القوم كانوا في مأمن من عدوان السلطان. وكان السلطان نفسه متعلماً مهذباً ملماً بأطراف من العلم؛ ومواقف الرشيد والمأمون وغيرهم من خلفاء بني العباس ووزرائهم وقضاتهم وقوادهم توضح إلى أي مدى كان العلماء محترمين مبجلين بين العامة والخاصة.

(3) **السبب الثالث:** أن الكثرة الغالبة من علماء ذلك العصر قد آتاهم الله تعالى بسطة في العمر، وفسحة في الأجل قضوها كلها في تحصيل العلم، ثم في التأليف فيه وكان متوسط أعمارهم بين الثمانين والمئة⁽²⁴⁾. فالأصمعي عاش (104) سنوات ويونس بن حبيب (88) سنة، وهشام الكلبي (100) سنة وأبو عبيدة (99) سنة والهيثم بن عدي (97) سنة والمدائني (93) سنة وابن الأعرابي (81) سنة والجاحظ (105) سنوات وأبو العباس ثعلب (91) سنة، وابن طيفور (76) سنة والمرزباني (87) سنة، والثعالبي (80) سنة وأصغرهم سناً ابن قتيبة عاش (63) سنة.

(4) **السبب الرابع:** ما كان عليه المجتمع من صلاح، ومن قيم صحيحة كفلت العلم والعلماء، وروجت لهم بضاعتهم. فما بين العامين، العام (41) هـ الذي بدأت منه الدولة الأموية حكمها، والعام 334 هـ الذي سقطت فيه الخلافة العباسية في أسر البويهيين الفرس قامت أغنى الحضارات العربية والإسلامية، وأكثرها خصوبة، وشملت من البلاد ما لم تشمله من قبل أو بعد، على امتداد ذلك التاريخ الطويل.

وفيها جميعاً كان الأدب يورق ويونع ويعطى ثماره المرجوة. يستوي في ذلك مشرقه مع مغربه، وبدايته مع نهايته، وكان التواصل الفني يتساقق فيه باطراد، ويسجل في كل يوم كشفاً جديداً، مما جعله يحفل بالمنجزات العلمية، ويغنى بجهود العلماء

العاملين ، الذين وقفوا حياتهم من أجل العلم ، الذي كان دينهم في ذلك الوقت . وإذا كان قد بدأ في العهد الأموي بداياته البسيطة ، من رواية شفوية، ومن تدوين أول، ومن جمع ورصد وتعقب لآثار السلف الصالح؛ فضلاً عن الترجمات العلمية التي بدأت مع مطلع القرن الهجري الثاني ، في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز⁽²⁵⁾ فإن حلقات التواصل فيه لم تنقطع ، بل الذي يترصد ذلك ، يجده يتعاقب بشكل سلمي ، وكل لبنة فيه تشكل أساساً لسابقتها ، وفق سنن التطور وما يؤدي إليه عادة من إضافات جديدة وقد شاء الله أن يستمر ذلك لمدة تقرب من ثلاثة قرون ، ويكفي أن نعرف أن كل ما نرسل فيه من فوائد علمية مؤصلة يعود تاريخها إلى تلك الحقبة ، التي تم فيها تعويد العلوم وتأصيلها ، ووضعها وفق الأسس العلمية الصحيحة ، ويمكن أن نذكر طائفة ممن كان لهم فضل سبق في هذا المضمار ومنهم⁽²⁶⁾ :

- 1- الأئمة الاجتهادون : أبو حنيفة وأنس بن مالك والشافعي وابن حنبل وقد عاشوا خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين .
- 2- أصحاب كتب الحديث النبوي : البخاري ومسلم وابن ماجه وأبو داود والترمذي والنسائي وقد عاشوا خلال القرنين الثالث والرابع .
- 3- المؤرخون ومنهم : البلاذري صاحب فتوح البلدان ، واليعقوبي وله تاريخ اليعقوبي ، وابن جرير الطبري صاحب تاريخ الرسل والملوك ، وابن طيفور صاحب تاريخ بغداد ، وقد عاشوا بين القرنين الثالث والرابع .
- 4- العلماء الطبيعيون : ومنهم الكندي وقد ذكر له أكثر من مئتي كتاب ، والرازي وقد كان مديراً لمارستان بغداد ، وأفلح من عمل في الطب ، والفارابي ويعد لوحده موسوعة علمية . وقد عاشوا جميعاً بين القرنين الثالث والرابع .
- 5- الأدباء والشعراء : وقد برع منهم في العصر الأموي أصحاب النقائض : جرير والأخطل والفرزدق . وفي العصر العباسي المخضرمون أمثال : بشار وابن هرمة ، وابن ميادة ثم خلفهم أمثال : أبي نواس ، وأبي تمام ،

وابن الرومي والبحتري وابن المعتز. كما برع منهم في النقد والنقد الأدبي : ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه والصولي وأبو جعفر النحاس وابن الأنباري المتوفي 328هـ . وقد كان يحفظ (300) ألف بيت شعر وشاهد قرآني .

وهؤلاء جميعاً : من أئمة مجتهدين ، ومن علماء عاملين ، ومن أدباء مبدعين ، ومن شعراء موهوبين ، يعدون بما قدموه من اجتهاد مؤصل ، ومن ريادة أولى في البحث والتحقيق ، ومن قرائح وأفكار ، بناء النهضة العلمية في عصورها الزاهرة والأسس التي قامت عليها الحضارة العربية الإسلامية على امتدادها الطويل. وهم الذين يعرفون وفق المصطلح العلمي بالقدماء وقد رأينا كيف أن الكثرة الغالبة منهم تحتشد عند تخوم المئة الثالثة أو تتخطاها قليلاً إلى الرابعة وهذا يتفق وما ذهب إليه الذهبي في ميزان الاعتدال من أن نهاية القرن الثالث هي الحد الفاصل بين القدماء والمتأخرين ، ومن جاء بعدهم إلى مطلع العصر الحديث كاد يكون عالة عليهم .

رابعاً : مرحلة التأليف الموسوعي من (350 - 1215هـ) :

تعد هذه المرحلة وفق المفهوم الحديث من حيث توزع الأدوار بين الشعوب الإسلامية أممية إسلامية تعاور الحكم فيها أمم شتى⁽²⁷⁾ ، مع الإقرار بسلطة الخليفة وبقدسية الخلافة. فقد كان العمق الحضاري الذي خلفه العرب في القرون الثلاثة الأولى كافياً للسيادة الحضارية ، لاسيما أن الوسم العربي الإسلامي قد مهر مرافق الحياة كلها ، وجعلها عربية مسلمة صرفاً تمتاز بخاصية اللغة والدين والاستعداد النفسي والوجداني لقبول تبادل الأدوار بروح رياضية سمحة بعيدة عن الاستعلاء والتعصب وحب الذات .

وقد كان دين الإسلام ولغة العرب الأصريين القويتين اللتين عمتا المسلمين يومذاك، وكانت حلقات التواصل بينهما على أشدها فوصلت ببعديها ما بين المشرق والمغرب . وكانت القرائح والأفكار على امتداد البلاد الإسلامية لا تكاد تختلف إلا بمقدار ، وكان النسغ العربي الإسلامي الذي طم جذوره الفاتحون الأوائل ، ورعاه الخلفاء العظام ، الأمويون والعباسيون ، قد أتى ثماره بعدما قاموا به من جهود جبارة في رعاية العلم

والعلماء . وقد كان من المفروض له أن يستمر ، إلا أن الضعف العربي الذي أصاب الدولة العباسية خلال الفترة من 247 إلى 334 هـ بعد قتل المتوكل وفساد الدولة ، وتمرد الموالي الأتراك ، قد أصاب العلماء كفل منه ، فشدوا الرحال إلى بلدان شتى ، في المشرق والمغرب . وقد ساعدهم على ذلك قيام دول وإمارات ترعى العلم والعلماء أمثال : الدولة الأموية في الأندلس من (138 — 403 هـ) والدولة السامانية وراء النهر (261 — 389 هـ) والدولة الزيارية في جرجان (316 — 434 هـ) والدولة الحمدانية في الجزيرة و حلب من (292 — 394 هـ) والدولة البويهية في العراق وفارس (320 — 447 هـ) والدولة الغزنوية في أفغانستان والهند (351 — 582 هـ) والدولة الفاطمية في مصر وشمال أفريقيا (296 — 567 هـ) .

وقد عاصرت هذه الدول العصر العباسي الثالث ، وكان لها تأثير عظيم في إحياء العلوم ، بما نبغ من ملوكها أو أمرائها أو وزرائها من محبي العلم والآخذين بناصر العلماء والناس على دين ملوكهم ، وإذا أراد الله بالناس خيراً جعل العلم في ملوكهم وأمرائهم . والملك في علمائهم ، لأن العلم لا يورق ويثمر إلا في ظل ملك أو أمير يتعهده ويأخذ بيد أصحابه . إلا أن الملاحظ أن العلم مع بداية هذه المرحلة بدأ يفقد محجته الأولى ومحضنه الأول . فقد آذاه الشتات بقدر ما أفاده ، فالذي يقرأ خطه البياني خلال الأعوام من (334 — 923) يلاحظ أنه نازل ، وإن كان قد بدا أكثر زهواً خلال العصر البويهي والعصر السلجوقي الذي ظهرت فيه الموسوعات العلمية ، ذلك أن العمل الموسوعي المتأخر إنما هو حصاد فعل متقدم ولا علاقة له بالابتكار فهو تقعيد وتأسيس وتبويب ، وإعادة جمع وترتيب . لكن التوزع غير المبرمج الذي نشأ بشكل عفوي ، بعد الخلل الذي لحق ببغداد لاسيما بعد اجتياح التتار سنة 656 هـ قد أدى إلى ضياع كثير منه ، وإلى تلف بعضه ، وحرق بعضه وسرقة بعضه الآخر . وقد كانت النتيجة أن قلت المكتبات الكبرى ، لذهاب أكثرها حرقاً وغرقاً ، وفي أثناء الفتن ، أو في الفتوح على أيدي المغول في الشرق والأسبان في الغرب ، فقد أحرق جنكيز خان من المكتبات في بخارى ونيسابور وغيرها من مدائن العلم في فارس ما لا يدرك إحصاؤه ، ولم يرد

ذكره مفصلاً ، لأنه جاء تابعاً لما أتاه ذلك الطاغية من الهدم والتخريب . أما هولاكو فقد ذكر التاريخ إتلافه كتب العلم ببغداد . وكذلك في الأندلس فإن الأسبان كانوا كلما فتحوا بلداً أخرجوا العرب عنه وأحرقوا كتبهم ، وآخر مكتبة أحرقها الأسبان مكتبة غرناطة على يد الكاردينال زيمنس ، في آخر القرن التاسع للهجرة . إذ أمر بإحراقها ، ثم أمر الجنود فطافوا في المدينة وأخذوا ما كان في أيدي المسلمين من كتب وأحرقوها . ثم أصدر أمراً بتحريم اللغة العربية . والحقيقة أنه بعد كارثة بغداد لم تقم للعلماء قائمة فيها وقد خبت الشعلة العلمية ، ولم يعد منها غير بصيص أمل دال على تلك الأرومات المخبأة ، التي سلمت من الحرق أو الغرق أو السرقة ، وقد ظلت هذه الحالة منسحبة على بقية ما تبقى من علوم العرب ومن معارفهم أمداً طويلاً ، ولم تتخلص من تلك المخاطر إلا جزئياً وحسب حال كل إقليم منها . ويمكن أن يمتاز النشاط العلمي في هذه المرحلة تبعاً لنشاط الدول التي قامت فيها . وهو بعامة يمكن أن يوزع على العصور التالية :

- 1- **العصر البويهي (334-447هـ)**: ويعد العصر الذهبي للعلم بخاصة . فيه نضجت العلوم ، وظهرت الكتب الوافية ونبغ المفكرون والمشتغلون بالعلم والأدب من الشعراء والأدباء والمؤرخين والجغرافيين واللغويين والفلاسفة في مدائن كثيرة ممتدة من التركستان إلى الأندلس . وقد أدى اطلاع أهل الأدب على الكتب الفلسفية والمنطقية إلى إضافة كثير من العلوم والمعارف كما أن الاختلاط بين الأقاليم الأخرى أدى إلى التوسع في أغراض الشعر كالوصف مثلاً ، وإلى إضافة فنون جديدة كالزجل والموشح⁽²⁸⁾ . وإلى اشتغال عدد كبير من العلماء في الشعر والأدب والتأليف بشكل عام، الأمر الذي أدى إلى تنامي عدد العاملين في هذا المجال . وقد نبغ من الشعراء أبو الطيب المتنبّي ت 354 ، وأبو فراس الحمداني ت 357 هـ وابن هاني الأندلسي ت 363 هـ ، وأبو العلاء المعري ت 449 هـ ومن الأدباء : أبو الفرج الأصبهاني ت 356 هـ ، والثعالبي ت 429 هـ وابن رشيّق ت 456 هـ ومن الكتاب: ابن العميد ت 360 هـ وبديع الزمان

الهمذاني ت 398 هـ . ومن العلماء الطبيعيين : ابن سينا ت 428 هـ ، وأبو الريحان البيروني ت 440 هـ .

2- **العصر السلجوقي** (447 هـ - 656 هـ) : وهو عصر ازدهار علمي وفني ، يمتاز عما تقدمه بنضج العلم وبداية ظهور المدارس العلمية المنظمة . وأقدم مدرسة افتتحت في بغداد المدرسة النظامية التي افتتحها نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقي وقد كان لها شأن كبير في العالم الإسلامي . وقد تعاقبت في العصور التي جاءت بعد ، وظلت بقاياها مستمرة إلى العصر الحديث وكان ممن نبغ من أصحاب الشأن في هذا العصر من الشعراء : ابن سناء الملك ت 608 هـ وعمر بن الفارض ت 632 . ومن الكتاب: القاضي الفاضل وزير صلاح الدين (ت 596 هـ) وابن أبي الشخباء كاتب المنتصر الفاطمي ت 482 هـ⁽²⁹⁾ ومن المؤرخين : ابن عساكر ت 571 هـ ، وعز الدين بن الأثير ت 630 هـ وسبط بن الجوزي ت 654 هـ . ومن علماء الدين ابن حزم الظاهري ت 456 هـ ، وأبو حامد الغزالي ت 502 هـ ومحمد بن تومرت ت 524 هـ . ومن الفلاسفة : محمد بن رشد ت 595 هـ ومحمد بن طفيل ت 581 هـ . ومن الجغرافيين : ياقوت الحموي ت 626 هـ والرحالة ابن جبير ت 611 هـ .

3- **عصر المماليك** (648 - 923 هـ) : وهو عصر ما بعد سقوط بغداد ويطلق عليه اسم العصر المغولي نسبة لاجتياح المغول مدائن العالم الإسلامي . وقد بدأ بسقوط بغداد وبذهاب نفائس الكتب التي كانت موزعة بين بغداد وبخارى ونيسابور والري ودمشق فطالتها أيدي التتار وأتلفتها وحرمت منها العلماء العاملين . فتحول بعدها الثقل إلى القاهرة المعزية ونشط العلماء في الديار المصرية واستجدت حركة من الجمع والتأليف ، وقد كثروا في الشام ومصر وشمال أفريقيا واشتهروا بألقابهم⁽³⁰⁾ . كالدمشقي والحلبلي ، والقاهري والفيومي ، والإسكندري والمقدسي والحموي والحمصي والتونسي وقد صارت القاهرة ملجأ لعلماء العربية ، ونشطت المدارس الرسمية التي أسسها الزنكيون والأيوبيون

والماليك . واختلفت حسب مذاهبها وأغراضها ، كما انصرف كثير من العلماء إلى الاشتغال بالفلسفة والفلك والرياضيات وقد نبغ من الشعراء : البوصيري ت 695هـ وسراج الدين الوراق ت 695 هـ . وابن نباتة المصري 768هـ والشهاب محمود ت 725 هـ ومن اللغويين : ابن مالك توفي 672هـ وابن منظور ت 711هـ وابن هشام ت 861هـ ومن المؤرخين : ابن كثير ت 774هـ وابن خلدون ت 808هـ ومن الموسوعيين : النويري ت 732 هـ ، وجلال الدين السيوطي ت 911 هـ ، ومن الفقهاء : ابن تيمية ت 728هـ وابن قيم الجوزية ت 751 هـ والرحالة ابن بطوطة ت 779 هـ .

4- **العصر العثماني (923-1341 هـ)** ⁽³¹⁾ : ويعد هذا العصر من العصور المتأخرة ، ولا يذكر إلا ويذكر معه الضعف والتخلف ، بالرغم مما كان له من سابقة في الجهاد ، وقد ظهرت في أوائل هذا العصر ثمار العصور السابقة ونضجها ثم أخذت تتلاشى مع تقادم العهد حتى كادت تنعدم مع مطلع العصر الحديث وقد انحصرت في الشروح والحواشي والتعليق وشروح الشروح ونحوها ، حتى جاز أن يسمى هذا العصر بـ (عصر الشروح والحواشي) كما سمي العصر المغولي (عصر الموسوعات والمجاميع) ⁽³²⁾ وأهم ما صدر منها : خزانه الأدب لعبد القادر البغدادي ت 1093 هـ ، وتاج العروس في شرح جواهر القاموس للسيد مرتضى الزبيدي ت 1205 هـ ، ونفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب لمحمد بن أحمد المقرئ التلمساني ت 1041 هـ وكشف الظنون في أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ت 1068 هـ .

خامساً : - مرحلة الطباعة :

وهي المرحلة المتأخرة ، التي تحتل حيزاً زمنياً متوسطاً بين العصور الوسيطة والحديثة، وهي تمثل النقطة الأكثر أهمية في تاريخ العرب وقد انتقلوا فيها من عصر المخطوط إلى عصر المطبوع ، وهي مرحلة يصح المقارنة فيها بين عصر السراج

والشمعة وعصر القناديل المضئية بعد اكتشاف الكهرباء و وصول التيار إلى المنازل والبيوت بعامه .

أما بالنسبة لبدايات الطباعة ، ولتاريخ ظهورها على وجه التحديد ⁽³³⁾ : فإن لدير قزحيا في شمالي لبنان فضل سبق إلى اقتناء أول مطبعة في بلاد الشام إلا أن الطباعة فيها كانت بالحرف الكرشوني ، إذ طبعت سفر المزامير في 1019 هـ / 1610 م باللغة السريانية وباللغة العربية مكتوبة بالحرف الكرشوني . أما آلة الطباعة بالحروف العربية فقد عرفها الوطن العربي أول ما عرفها سنة 1118 هـ / 1706 م . في حلب على يد البطريرك أثناسيوس دباس الذي كانت تربطه بقسطنطين حاكم ولاية الأقالق الرومانية علاقة طيبة الأمر الذي جعل البطريرك يجلب معه المطبعة إلى حلب فيما بعد وإن كانت هذه المطبعة لم تؤت ثمارها المرجوة لاقتصارها على الأغراض الدينية والتجارية ⁽³⁴⁾ . ولم تدخل المطبعة إلى البلاد العربية حقيقة إلا مع مطلع العصر الحديث وتحديداً بعد الحملة الفرنسية على مصر سنة 1213 هـ / 1798م . (ومن أول ما يذكر من المطابع العربية مطبعة في الأستانة عاصمة الدولة العثمانية أنشئت سنة 1816 م . ومطبعة في القاهرة سنة 1822 م . وقد اشتهرت الأخيرة باسم مطبعة بولاق أو المطبعة الأميرية ، وقد أنشأها والي مصر محمد علي باشا ، وكان يطبع فيها جريدة الحكومة الرسمية المعروفة باسم (الوقائع المصرية) و منشورات الحكومة ومراسيمها والكتب المدرسية التي كانت تدرس في المدارس التي أنشأها هذا الوالي ، وقد استمرت تعمل بعده وطبع فيها كثير من الكتب العربية المخطوطة القديمة أو المؤلفة حديثاً أو المترجمة إلى العربية عن اللغات الأجنبية ⁽³⁵⁾ .

((وقد بلغ عدد الكتب التي طبعت فيها بين سنتي 1822 و 1830 هـ نحو خمسين كتاباً وارتفع العدد في نهاية سنة 1850 إلى ثلاث مئة كتاب في مختلف الشئون الأدبية والتاريخية والفنية ومن أول المطابع العربية المطبعتان الأميركية واليسوعية في بيروت اللتان أنشئتتا في أواسط القرن التاسع عشر . ومما ذكرته المصادر أن عدد المطابع التي أنشئت في القدس بين عامي 1830 و 1871 بلغ إحدى عشرة مطبعة)) ⁽³⁶⁾ .

((ولقد صدر في جميع بلاد العرب قبل سنة 1908م أكثر من 800 جريدة ومجلة ومن هذا العدد (650) في مصر وحدها مما يسوغ القول : إن عدد المطابع في مصر كان كبيراً جداً . ولقد كان يصدر في كل من دمشق وبغداد ، البصرة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر بعض الجرائد والمجلات مما يسوغ القول : أنها كان فيها مطابع وحركة طباعة)) (37) .

و ((رافق إنشاء المطابع العربية واتساع نطاق حركة الطباعة نهضة علمية حيث تسنى طبع كثير من الكتب العربية المخطوطة القديمة من دينية وتاريخية، وأدبية وحيث طبع كثير من الكتب العربية المؤلفة حديثاً في مثل ذلك، وطبع كثير من الكتب المترجمة عن اللغات الأجنبية)) (38) .

ويقدر ((أن ما طبعته مطبعة بولاق وحدها بين سني 1832 — 1842 من الكتب المترجمة عن اللغات الأوربية قد بلغ 243 كتاباً، وبلغ عدد الكتب التي ترجمتها مدرسة الألسن التي كان أنشأها الوالي محمد علي واستمرت بعده في نفس الفترة ألفي كتاب، ناهيك عما يمكن أن يكون قد طبع من مخطوطات عربية قديمة، ومن مؤلفات عربية حديثة التأليف)) (39) .

كما ((روي أن عدد نسخ الكتب العلمية والأدبية التي طبعتها المطبعة الأميركية وحدها في بيروت في عام 1861 قد بلغ (57500) كتاباً، بيع منها في نفس السنة (15715) من الكتب الأدبية، و (23472) من الكتب العلمية . واستمر هذا الجهد يتسع سنة بعد سنة بقية القرن التاسع عشر إلى سنة 1908 ، وهو ممثل في آلاف الكتب المختلفة)) (40) .

((وصار الأفراد والأسر ينشئون في بيوتهم مكتبات خاصة تضم المئات والألوف من الكتب .. ومن أشهر المكتبات العامة دار الكتب الخديوية التي صار اسمها دار الكتب المصرية ، ومكتبة الأزهر ، ومكتبة الكلية - الجامعة الأميركية ، ومكتبة الكلية الجامعة اليسوعية ، والمكتبة الظاهرية في دمشق ، والمكتبة الخالدية في بيت المقدس وإن كانت

هذه مكتبة أسرية في الدرجة الأولى فلها نظائر في حلب وبغداد ودمشق والقاهرة وغيرها (((41).

وهذا الثابت المختصر من الحديث عن المطابع وما صاحبها من طباعة يفتح المجال واسعاً للحديث عن المخطوط الذي كان بحجم الحركة العلمية ، التي بدأت مع بداية الدعوة الإسلامية واستمرت إلى عصر الطباعة . وربما بسبب من تنقل العلماء الواسع ، ومن الكوارث التي أصابت العالم الإسلامي، ومن النهب والسلب والحرق والتدمير الذي صاحب الغزو الأجنبي توزع ذلك المخطوط على القارات الخمس وأصبح أمر الحفاظ عليه يتطلب كلفة أكبر مما قد يتصوره الإنسان العادي . وقد تطلب الأمر جهوداً حثيثة ذات صفة رسمية وأكاديمية من أجل انتشاره مما هو فيه وإخراجه للناشئة من جديد ليفيدوا منه ، وليكون جزءاً من التراث الحي في عصر أحوج ما يكون فيه الإنسان إلى تراثه وقيمه .

ولقد اتخذ إخراج المخطوط من جديد وطابعته شكلين مختلفين :

الشكل الأول : يتمثل في طباعة المخطوط كما هو بدون التعرض لصحته، أو ما هو عليه من قريب أو بعيد سوى الخط . وقد كان هذا الشكل ما ذهب إليه بعض الناشرين الذين هدف أكثرهم إلى التجارة حيث كانت تجارة الكتب تدر أرباحاً هائلة بصرف النظر عما كان يعتور ذلك من أخطاء بعضها قد يطال المادة العلمية ذاتها ، وبعضها يطال الكتاب وكاتبه معاً، من حيث نسبة الكتاب أو عنوانه، أو النسخة التي اعتمدت دون سواها ، مع ما قد يكون طراً عليها من تصحيف أو تحريف أو تغيير أو تبديل أو إضافة أو حذف أو غير ذلك من أشكال الاعتلال التي قد تصيب الكتاب المطبوع.

الشكل الثاني: يتمثل في إعادة النظر في المخطوط قبل طبعه ، وقد تفاوتت من حيث الصحة تفاوتاً راح فيه بين أن يكون لصيقاً بالشكل الأول أو أن يكون على درجة مقبولة من الجودة . ففي السوق اليوم نماذج مختلفة يمكن أن نذكر منها:

1- النموذج الأول: اقتصر جهد الناشر فيه على قراءة المخطوط وإعادة كتابته وفق

قواعد الإملاء الحديث وفهرسته وإعادة إخراجه من جديد. دون النظر في مادته

العلمية وما قد يكون أصابه عبر التاريخ الطويل الذي مر به وهو مركون على الرفوف ، أو منتقلاً من بلد لآخر أو متداولاً بين الأيدي من تصحيف أو تحريف . وهذا النموذج أشبه بالنسخة المصورة . ولا يعتمد عليه .

2- النموذج الثاني : وهو يقترب من التحقيق لكنه يقتصر على :

(أ) النسخة الواحدة .

(ب) إعادة كتابته وفق قواعد الإملاء الحديث .

(ج) تحقيق الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة وشرح بعض المفردات الصعبة وعزو بعض الأبيات الشعرية إلى مظانها .

(د) فهرسته فهرسة حديثة ثم نشره مع الإشارة إلى تحقيقه وصفة محققه .

ونموذج ذلك عندنا كتاب الصناعتين لمصنفه أبي هلال العسكري⁽⁴²⁾ المتوفي سنة

395 هـ ، وهو من إصدارات دار الكتب العلمية ببيروت، ومحققه الدكتور مفيد قميحة ،ومما يؤخذ على ذلك التحقيق :

(1) لم يقدم المحقق أية معلومات عن نسخ الكتاب عن عددها وعمّا هي عليه من جودة

وإن كان قد أشار ص (11) في الهامش رقم (2) إلى وجود اختلاف في النسخ في

(مَكْرَسَةُ تَرْبُونَا) . ولم يحل مشكلتها أو يفصل فيها بينما نجده بعد ذلك ينذر أن

يذكر النسخ أو يتعرض لها . وتعليقه هذا دلنا على :-

(أ) أن هذه النسخة ليست الوحيدة .

(ب) أن هناك عدداً من النسخ الأخرى .

لذا كان في المسألة قصور في التحقيق دلّ على ذلك إهمال النسخ وما قد تفتحه

أمامنا من أبواب قد تكون على غاية من الأهمية ، لاسيما من حيث المادة العلمية .

وفضلاً عنه لم يشر المحقق إلى أي من الرموز والمصطلحات التي لجأ إليها في أثناء

تحقيقه لمتن الكتاب كما أنه لم يشر للعنوان وصحة نسبه ولم يميز بين النسخ كقوله :

نسخة (أ) أو نسخة (ب) أو (ج) أو نسخة (د) وهكذا فهو مثلاً في ص 316 في

الهامش رقم (4) يقول في بعض النسخ ينسب لعنتره . ولم يوضح . وهذا ما جعلنا نشك فيما يقوله .

2) قام المحقق بنسبة بعض الشواهد الشعرية إلى أصحابها ، والبعض الآخر تجاهله تماماً فنحن نرى ص 168 خمسة شواهد شعرية لم ينسب منها إلا شاهداً شعرياً واحداً هو في الأصل معزى لصاحبه ، وكذا في الصفحة التي تليها لم ينسب الشاهد الأخير واكتفى بشرح بعض مفرداته وقد كان منهجه في التحقيق أن يعرف المعروف من الشواهد بتحديد مكانه في ديوان صاحبه . أما المبهم فكان يغض الطرف عنه .

3) قام المحقق بشرح بعض المفردات التي اعتقد أنها صعبة .

4) لم يكن دقيقاً من حيث صحة الكتابة؛ فأنت تجد ص 489 القول (وقد أنكر الفضل بن يحيى اليرمكي على أبي نواس ابتدائه) والصحيح ابتداءه لأنها في موقع المفعول به وكذلك في ص 490 السطر الخامس قبل الأخير لفظة (اثنان) وهي من الأسماء العشرة التي لا تهمز وقد همزها . وكذا في ص 493 السطر التاسع (فاسترذل ابتدائها) والصحيح ابتداءها لأنها في موقع المفعول به وكذلك في ص (496) المقطع الأخير من الصفحة نجد خطأين إملايين في أقل من سطرين . فلفظة (الاستماع) وردت مرتين مقطوعة الهمزة علماً أن (الاستماع) مصدر لفعل خماسي همزته همزة وصل . ونجد في ص 495 في الشاهد الثالث في قوله :

في الخد إن عزم للخليط رحيلاً
مطر تزيد به الخدود محولا

نجد هنا حذف همزة إن والأصل أن يقول (إن) وعلى مثل ذلك قد نجد ما يصعب إحصاؤه من الأخطاء التي توافرت في متن الكتاب التي دلت على هذا الشكل من التحقيق .

النموذج الثالث : التحقيق العلمي وهو تحقيق محكك أقامه صاحبه على أساس من القواعد العلمية التي عليها فن التحقيق والتي تعد مستنبطة من طبيعة المخطوط ومما هو عليه وذلك من جوانب أربعة :

الجانب الأول : يتعلق بالمخطوط وكاتبه . وبالعنوان وصحته ، وبنسبته إلى صاحبه .

الجانب الثاني: ويتعلق بالنسخ وبما هي عليه من اختلافات، وبتواريخها وأرقامها ونسخة الأصل منها، وبعدها أو قريبا من عصر صاحبها .

الجانب الثالث: ويتعلق بالخط الذي كتب به المخطوط وبطبيعة رسمه وبما اكتتفه من غموض أو اعتوره من إشكال أو تخلله من رموز ومصطلحات كان عليها العلماء في عصر كتابة المخطوط .

الجانب الرابع: تحقيق المتن أي : نص المخطوط . وهو يكون عادة بعد معالجة الجوانب الثلاثة الإجرائية المنهج . التي تكون عادة قبل التحقيق . حيث يتناول الباحث في أثناء التحقيق ما يلي :

- 1- إعادة كتابة المخطوط من جديد وفق القواعد الإملائية الصحيحة وبضبط لغوي مع مراعاة القواعد النحوية والصرفية في أثناء النقل .
- 2- تحديد نسخة الأصل ويكون ذلك تبعاً لقرابها من صاحب المخطوط أو لجودتها دون سواها من النسخ الأخرى .
- 3- مقارنة نسخ المخطوط مع نسخة الأصل وإظهار الاختلافات الواردة في بعض النسخ في الهامش .
- 4- التحقق من صحة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والتواريخ ، والرجال والأبيات الشعرية ونسبتها إلى أصحابها أو مظانها نسبة صحيحة ، والإشارة إلى مواضع الخطأ إن وجدت .
- 5- شرح المبهم من الألفاظ والعبارات والمصطلحات العلمية شرحاً مستوفياً يتعلق بطبيعة المادة وذلك بالرجوع إلى كتب الأصول التي تتعلق بكل منها من معاجم لغوية أو ذات صفة اختصاصية . وفضلاً عن ذلك التأكد من صحة المادة العلمية التي وردت في النص .

ومثل هذا التحقيق هو الشائع أكاديمياً وهو المتبع عند السادة المحققين بل هو التحقيق العلمي الذي يجب أن يفعله المحققون ليتّسم تحقيقهم بالمنهجية ومثلنا لذلك كتاب (لباب الإعراب المانع من اللحن في السنة والكتاب) تأليف الإمام عبدالوهاب بن أحمد

الشعراني المتوفي سنة 973هـ . تحقيق الدكتور عبدالله عبدالقادر الطويل . مطبعة دار البدر للتشر والتوزيع والترجمة . مصر . المنصورة لسنة 1428هـ - 2007م .

لقد قسم الباحث المؤلف إلى قسمين رئيسيين القسم الأول : وزعه على فصلين الفصل الأول : خص به الإمام الشعراني ؛ حياته وآثاره . وقد تناول فيه اسمه ونسبه وشيوخه وتلاميذه وآثاره وقد بلغت اثنتين وستين مؤلفاً أرجعها جميعاً إلى مظانها وعرف بالمطبوع منها تعريفاً مقبولاً . فكان ذلك بمثابة كشف عن آثار ذلك العالم الجليل الذي خلف مثل هذا الكم الهائل من المصنفات . كما حدد تاريخ وفاته ، فد لنا صنيعة على عصر المؤلف الأمر الذي ساعدنا على فهم المؤلف والدخول إلى عالمه الخاص فيما قدم من جهد .

الفصل الثاني : وقد كان أكثر سعة وفيه قام المحقق بتوثيق اسم الكتاب بأدلة مقبولة وبشاهد موثق كما قام بتوثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه بأدلة موثقة بعضها من المخطوط وبعضها الآخر من المظان الموثقة . ثم تناول بعد ذلك منهج المؤلف في مصنفه فذكر أنه وزعه على ستة أبواب وذيله بخاتمة وهي في رأيه خاتمة حاوية لجميع ما في الكتاب بطريقة مختصرة وواضحة ، وقد أورد قوله منها: ((فامتحن بذلك ما شئت من أبواب النحو تجده راجعاً إلى هذه الخاتمة))⁽⁴³⁾ كما تناول الغرض من تأليف الكتاب ، وعرف بمصادره وهي من الكتاب والسنة ومن الشعر . ثم انتقل إلى وصف المخطوط وبيان نسخه وقد انحصرت في نسختين : نسخة الأصل ، والنسخة ل ، ثم عرف بها تعريفاً مجزياً ربي أخير خاتمة الكتاب ذكر أنها كتبت في سنة ألفه ومئتين وثلاثة وثلاثين من الهجرة ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان منهجه في التحقيق وبيان الرموز والمصطلحات التي اتخذ منها وسيلة لضبط النص وتحريره . ثم أورد ذلك بمسورات عن بعض المخطوط فكان ذلك عملاً مبدعاً في تقديرنا ؛ محكماً علمياً ، ومرتبباً ترتيباً جيداً .

القسم الثاني : وقد تناول فيه المحقق تحقيق نص كتاب لباب الإعراب وقد ذيله بفهرس وبمصادر الدراسة والتحقيق ومراجعتها . وبصفحة المحتويات التي أورد فيها ثبناً

مفصلاً بما صنع من دراسة أو تحقيق أو تعريف بالمؤلف وآثاره . وما يهمننا فيه تعامله مع المتن . حيث انحصر ذلك في :

- 1- الإشارة إلى ما انفردت به نسخة عن أخرى. والإشارة إلى صوابية ما أثبتته.
- 2- التعريف بأعلام الرجال .
- 3- الإشارة إلى بعض الزيادة التي يقتضيها السياق وقد وضعها بين (....) ينظر ص 44 . وقد تكرر هذا في أماكن أخرى . وهو اجتهاد منه .
- 4- التأكد من صحة ما جاء فيه من مسائل نحوية بالإشارة إلى المصادر التي نقل منها وبالإشارة إلى مواقف النحويين من ذلك قال في 64 الهامش رقم (5) هذا مذهب الخليل وسيبويه. و قد قام بشرح بعضها إذا اقتضت الحاجة ذلك كما في ص 69 الهامش رقم (24) حيث فصل في الظرف تفصيلاً معللاً وموثقاً وكذلك في ص (8) وقد فصل القول في من التي هي لابتداء الغاية وذلك في الهامش رقم (3) .
- 5- نسبة الشعر إلى قائله . كما في ص 49 . وقد نسب الشعر لابن الحاجب وكذلك ص 78 وقد نسب قول الشاعر (عار عليك إذا فعلت عظيم) إلى أبي الأسود الدؤلي ولعله رجح ذلك .
- 6- التحقق من صحة الآيات القرآنية .
- 7- التحقق من صحة الأحاديث النبوية . فقد أخرج في قوله في الحديث (كاد الفقر أن يكون كفراً) قال في ص 66 الهامش رقم (1) أخرجه أبو مسلم السكني والبيهقي في الشعب من رواية يزيد الرقاش عن أنس ويزيد ضعيف . وفي رواية الطبراني في الأوسط وجه آخر بلفظ (كادت الحاجة أن تكون كفراً) قال: فيه ضعف . وهذا دل على دقته في المسألة والأمر نفسه مع قوله في ص 76) وفي الحديث : (إياكم وخضراء الدمن) . قال في الهامش رقم (6) وتكلمته (فقيل وما خضراء الدمن ؟ قال المرأة الحسناء في المنبت السوء) قال : رواه

الدار قطني وقد فصل فيه شأن سابقه وقال : تفرد به الواقدي وهو ضعيف وأشار إلى الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية ص (130).

وهذا التحقيق المعطل لا يعني أنه خلا من الهنات فهناك أخطاء ؛ ففي ص (29) الهامش رقم (2) ورقم (3) . الإحالة إلى لباب الإعراب ص 141 والصحيح 114 وفي ص (31) عجز البيت الشعري : (وأبرز ببرزة حيث اضطرك القدر) . أبرز أمر ثلاثي همزته همزة وصل وقد قطعها ، وبذلك كسر البيت . وفضلاً عن ذلك هو من وجوه الخطأ . وفي ص (78) قال في الهامش رقم (1) ينظر اللسان (عطف) والصحيح عظم وليس عطف . وأخيراً في الخاتمة ص 115 . قال (كان الفراغ من كتابته يوم الخميس المبارك الثامن والعشرون من شهر شعبان الخير من شهر سنة ثمان مئة وألف من الهجرة النبوية) وتاريخ ثمان مئة وألف خطأ . ولعل في المسألة تصحيف أو خطأ مطبعي لم ينتبه إليه .

وهذه الأخطاء - وهي ليست كل ما في الكتاب - تعد نزره بالقياس إلى تحقيق كتاب الصناعتين ؛ أو إلى سواه من أشكال التحقيق التجاري الذي يفتقر إلى العلمية . وعليه : يكون فن التحقيق مرتبطاً بعلميته وبأمانة العمل فيه ، وبمنهجيته التي يجب أن تكون دقيقة وصارمة ، وذات أصول وقواعد الخروج عليها يؤدي إلى الضرر بالمخطوط نفسه وبالعلمية والموضوعية التي يتطلبها العمل الجاد .

وهكذا تأتي مرحلة الطباعة لتضع حداً فاصلاً بين مرحلتين متميزتين وقد مثلت نهاية العصر الذي قام عليه نظام المخطوط بعد ظهور المطبوع وما صحب ذلك من التفات إلى القديم ، ومن محاولة إعادة النظر فيه ، بل والتواصل معه ليكون جزءاً من مفردات المرحلة الجديدة التي تتسم بالعلمية والجدة والتقنية المتطورة .

الخاتمة :-

وهكذا نرى أن فن الكتابة والتأليف اتخذ شكلاً متدرجاً توافق مع الفصحى ورقبها ومع الثورة التي أحدثتها الإسلام ، وقد تسارعت وتأثر التطور ، لتنتقل بالعرب من أمة لا تقرأ ولا تكتب ، إلى جهاذة علم ، وأساطين معرفة ، وإلى كم معرفي هائل ، عجزت أم البشر أن تأتي بمثله . وقد جاء ذلك عبر أزمان مختلفة ، ومراحل متعاقبة ، امتدت من عصر ما قبل الإسلام إلى عصر الطباعة ، حيث كان خاتمة ذلك عودة جهاذة العارفين إلى ذلك الكم الهائل من التراث ، وانكبابهم عليه دراسة وتمحيصاً وذلك فيما يعرف بفن تحقيق النصوص ونشرها وهو الظاهرة العلمية الأكثر شيوعاً في هذا العصر. وخلال رحلة البحث هذه يمكن أن نقول: إننا توصلنا إلى النتائج التالية :-

- 1) إن التطور العلمي الهائل الذي حدث في تاريخ العرب اتخذ شكلاً بنائياً ، وأن كل مرحلة منه كانت تمثل أساساً للمرحلة التي جاءت بعدها .
- 2) إن دور العرب وتأثيرهم في العلم والعلماء ، كأن مؤسساً ، ولم يسلموا الراية إلى من جاء بعدهم من شعوب ، إلا بعد أن بعجوا العربية ومدوا آفاقها ، لتصبح اللغة الأكثر شيوعاً من بخارى وسمرقند في المشرق ، إلى قرطبة وشنقيط في المغرب . وهو أمر لما يزل له حضوره المتجدد ، لاسيما بعد الوصول إلى عصر الطباعة ، وظهور فن التحقيق . وعليه فنحن نوصي باتنتين :

- 1- بضرورة الارتفاع بمستوى تحقيق النصوص ، كونه يمثل التواصل الفعال مع التراث ، وهي مسألة غاية في الأهمية ، وذات بعد قومي صرف .
- 2- الإفادة من التراث الذي خلفه العرب في أحقابهم السابقة ، والنسج على منواله وعدم الاكتفاء بتحقيقه ونشره ؛ كونه من وجهة نظر باحثة يعد مرتكزاً قوياً ، وأساساً ثابتاً ، لرقبهم وتقديمهم ولعودتهم إلى الظهور من جديد .

الهوامش والمصادر

- (1) هذا التاريخ يتعلق بالعصر الجاهلي حسب - وإلا هؤلاء فهناك نقوش تعود إلى مراحل أبعد من هذا التاريخ كالذي عثر عليه في اليمن ، وفي بلاد الشام وبلاد الرافدين .
- (2) تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط (8) ينظر : 1 : 24 .
- (3) نفائس الخط العربي ، تأليف حسن قاسم حبش ، دار العلم ، بيروت ، لبنان : 15 .
- (4) الجمعة ، الآية : 2 .
- (5) مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت ، لبنان : 419 .
- (6) نفسه : 418 .
- (7) نفائس الخط العربي 18 – 20 .
- (8) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د.جواد علي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط(1) 1969 . وفيه : النبطي نسبة إلى الأتباط الذين قامت دولتهم في شرق الأردن . وهي دولة عربية محضة ينظر 3: 5_75 .
- (9) الكامل في التاريخ . وابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة 1400هـ – 1800 م. ص: 1 : 200 .
- (10) الروض المعطار في خبر الأقطار تأليف محمد بن عبد المنعم الحميري . تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت لبنان 1984 م. وفيه حران مدينة من ديار مصر (على شاطئ الفرات شمالي مدينة الرقة حالياً) قديمة عتيقة يقال بناها همران أخو إبراهيم عليه السلام . وهو أبو لوط عليه السلام . وإليه تنسب حران وهي مدينة الصانين ، ولهم بها نسل عليه مصلاهم ، ولها أربعة أبواب ، باب الرقة الجنوبي وباب يزيد الشرقي وباب يزيد الشمالي وباب الفرات الغربي . ينظر : ص 192 .
- (11) تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف 1 : 33 .
- (12) الحيوان الجاحظ ، دار إحياء التراث العربي 1388 هـ – 1969 م
- (13) ينظر : نفائس الخط العربي : 20 .
- (14) نفسه : 20 .
- (15) تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف : 2 : 129 . نقلًا عن طيفقات بن سعد ، ج(2) ، ص 14 .
- (16) البقرة ، الآية 282 .
- (17) نفائس الخط العربي : 21 .
- (18) مقدمة ابن خلدون : 420 .
- (19) تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف ، 2 : 430 .
- (20) ينظر : الفهرست لابن النديم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت 1978: ص 182 .
- (21) ينظر : تاريخ الأدب العربي 2: 473 – 479 .
- (22) كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري ت 395 . تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 1401هـ – 1981 م ينظر : ص : 84 .
- (23) السابق 3 : 507 – 526 .
- (24) مناهج التأليف عند العرب ، مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، ط (1) ، 1984 ، ص 20 .
- (25) تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف : 456 .

- (26) الخضرمة في الشعر العربي بين العصرين العباسي والحديث ، د. عبدالعزيز الحاج مصطفى وهي رسالة دكتوراة غير مطبوعة ، تقدم بها صاحبها إلى جامعة بغداد في 1414 هـ 1994 ، ص 16 - 18 .
- (27) المصدر نفسه ، ينظر من 20 - 24 .
- (28) نفع الطيب من غص الأندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المقري التلمساني تحقيق . إحسان عباس ، دار صادر بيروت 1968 ، ينظر : 7 : 5 - 15 .
- (29) مطالعات في الأدب المملوكي والعثماني ، بكرى شيخ أمين ، ص : 360 ،
- (30) تاريخ آداب اللغة العربية جرجي زيدان منشورات دار الحياة ، بيروت ، ينظر : 3 : 117 .
- (31) حضارة العراق الجزء الحادي عشر ، بغداد 1985 م ، ينظر جـ 11 ص 147 ، فيه العثماني والمملوكي عصر وأحد .
- (32) تاريخ آداب العرب ، جرجي زيدان 3 : 285 .
- (33) مطالعات في الأدب والعثماني : 76 - 77 .
- (34) نشأة الحركة العربية الحديثة ، محمد عزة دروزة ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت 1368 هـ - 1949 ينظر : 129 .
- (35) نفسه : 130 .
- (36) نفسه .
- (37) نفسه .
- (38) نفسه .
- (39) نفسه : 131 .
- (40) نفسه .
- (41) نفسه .
- (42) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري . تحقيق مفيد قميحة .
- (43) لباب الإعراب المانع من اللحن في السنة والكتاب . للإمام عبد الوهاب أحمد الشعراي ت 973 هـ ، دراسة وتحقيق د. عبدالله عبدالقادر الطويل ، دار البدر ، مصر 1428 هـ - 2007 م . ص : 29 .

المستدرك على ديوان الفرزدق



د. طرّاف طارق النهار

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، القائل: إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا، أما بعد:
فالشعر ديوان العرب، ومنتهى حكمهم وإليه يصيرون. وقديماً قال أبو عمرو بن العلاء: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وقرأ لجاكم علم وشعر كثير". وهذه حقيقة يدل عليها قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين.

وحتى هذا القليل من الشعر الذي وصلنا، أصبحنا نفقد في كل مرحلة عدداً من دواوينه، أو قدراً منه، تناثرت أجزاءه في ثنايا المصادر. إذ إن عملية جمع الشعر غير قادرة على استكمالها، ما دامت الرواية الشفوية رافداً من روافدها، والمظان الرئيسية غير متوافرة. وهذا ما دفع الباحثين والمحققين إلى الاستدراك والتعقيب حول ما نُشر من شعر أو جمع من أبيات. وهذا أمرٌ طبيعي ما دام من جهود البشر، ومن شأن الإنسان أن يخطئ وينسى فلا يدرك ذلك إلا بعد حين. وقديماً قال العماد الأصبهاني: "إنني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا،

لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

ومن هذا المنطلق جاء جهدي المتواضع في الاستدراك على عدد من الدواوين الشعرية، التي أربت على ثلاثين ديواناً، يتراوح عدد أبياتها المستدركة بين بيت واحد وعشرات الأبيات، وأول هذه الدواوين ديوان الفرزدق، إذ وصل عدد الأبيات المستدركة عليه ما يربو على مئة وخمسين بيتاً. وليست هذه نهاية المطاف، فلربما جاء من يزيد على هذا الجهد جهداً آخر، من خلال البحث والتتقير في المظان والمصادر المتناثرة، ولكل مجتهد نصيب.

ولا يخفى على القارئ الكريم ما لشعر الفرزدق من أهمية كبيرة جعلت يونس بن حبيب يقول عنه: "لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب" إذ امتد الاستشهاد بشعره إلى مجالات مختلفة، فاستمدت كتب التاريخ بعض شواهدا منه، كما اعتمدت عليه كتب اللغة والبلدان ومعجمات اللغة في مجال الاستشهاد والتدليل والاحتجاج.

ولعل ما يلفت الانتباه في المستدرك على ديوان الفرزدق، غلبة المقطعات الشعرية والأبيات المفردة عليه، وهذا لا يقلل بأي حال من جودة شعره. وهذا ما دفع الجاحظ إلى القول: " وإن أحببت أن تروي من قصار القصائد شعراً لم يُسمع بمثله، فالتمس ذلك في قصار قصائد الفرزدق؛ فإنك لم تر شاعراً قط يجمع التجويد في القصار والطوال غيره". وهناك من الأبيات المستدركة ما اختلطت نسبتها في بعض المصادر، فمنهم من نسبها إلى الفرزدق ومنهم من نسبها إلى غيره، فأثرت أن أضع تلك الأبيات في نهاية البحث تحت عنوان: ما نسب إلى الفرزدق وإلى غيره. علماً أن من تلك المصادر التي أوردت نسبة بعض تلك الأشعار إلى الفرزدق - ووردت في غيرها من المصادر لغيره - ما هو أقدم زماناً من حيث التأليف ولذلك أرجح نسبتها إلى الفرزدق.

أما الموضوعات التي دار عليها هذا الشعر، فهي كثيرة ومتنوعة، يأتي في المقدمة منها ما يصور حياة مجتمعه، فقد كان الفرزدق واسع الخيال، دقيق الملاحظة، مما ساعده على الوصف وجعله من أبرع الوصافين في العهد الأموي، ووصفه هذا يتناول المرثيات أكثر من المعنويات، أما مدحه فيغلب عليه الطابع التكسبي، وأما هجاؤه فكان

لاذعاً، وفي أغلبه يتناول الأعراض، ولا يخلو من فحشٍ ومجون. وقد حاولت ما استطعت أن أحيل الأبيات المستدركة إلى المناسبات التي قيلت فيها توخياً للفائدة. ولا يسعني في هذا المجال الاسترسال، إذ لا بد من الذهاب إلى شعره للوقوف على التفاصيل والإحاطة بدقائق الأمور.

وختاماً: فهذا جهد المقل، تواصلت فيه عبر سنوات الدراسة، إذ بدأت في أثناء إعدادي لأطروحة الدكتوراه، وأنهيته في خلال عملي أستاذاً في الجامعة. والله أسأل أن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، خدمةً للغة القرآن العظيم، ولتراث أمتنا التليد، إنه سميع مجيب.

الاستدركات

اجتمع الفرزدق وجريير والأخطل، عند عبد الملك بن مروان فقال لهم: ليصف كل واحد منكم نفسه في شعره، فقال الفرزدق⁽¹⁾: (الوافر).

فَإِنْ تَكُ زِقُ زَامِلَةً فَشِعْرِي لِمَنْ هَاجَيْتَهُ دَاءً عِيَاءً

وزوج جريير بن الخطفي، بنته عضيدة من ابن أخي امرأته، وكان منقوص

العضد، فخلعها منه، أي: طلقها بفدية فقال الفرزدق⁽²⁾: (البيسط).

عَلَامٌ لُمْتُ اللَّيِّ أَقْبَلْتُ تَحْمِلُهَا حَتَّى أَطَّلَعْتُ بِهَا أَسْكِفَةَ الْبَابِ⁽³⁾

كِلَاهُمَا حِينَ جَدَّ الْجَرِيَّ بَيْنَهُمَا قَدْ أَقْلَعَا وَكِلَا أَنْفِيهِمَا رَابِ

يَا ابْنَ الْمَرَاغَةِ، جَهْلًا حِينَ تَجْعَلُهَا دُونَ الْقُلُوصِ وَدُونَ الْبِكْرِ وَالنَّابِ⁽⁴⁾

قدم عبد ربه العدوان البصرة، فانطلق به رجل يقال له ملحان إلى فاسقة يقال لها الزرافة، فلقيه حروري فضربه بالسيف، فقال الفرزدق⁽⁵⁾: (الطويل).

حَسِبْتُ الْحَرُورِيَّ الزُّرَافَةَ سَاقَهَا إِلَيْكَ ابْنَ مِلْحَانَ الَّذِي أَنْتَ صَاحِبُهُ

أَتَى وَدُنَّ عَبْدٍ وَالزَّنَاءُ مُحْكَمٌ بِذِي طَبَعٍ لَمْ تَنْبُ عَنْهُ مَضَارِبُهُ

وقال الفرزدق حين دخل على زوجته ظبية⁽⁶⁾: (البيسط).

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى نَعْظٍ فَجِئْتُ بِهِ حِينَ النَّقَى الرِّكْبُ الْمَحْلُوقُ وَالرِّكْبُ⁽⁷⁾

قَدِمَ الْأَقْرَعُ بْنُ أَبِي كَرِشَاءٍ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَأَتَى قَبْرَ غَالِبِ أَبِي الْفَرَزْدَقِ فَعَاذَ بِهِ،
وَقَالَ لِلْفَرَزْدَقِ: قَدْ أَتَيْتَ قَبْرَ أَبِيكَ فَعَدَّتْ بِهِ، لِنُكَلِّمَ فِي أَخِي حَكِيمٍ، وَكَانَ أَخَذَ فِي سَرَقِ
بِالْبَصْرَةِ. فَتَكَلَّمَ فِيهِ فَأُخْرِجَ. فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ⁽⁸⁾: (الطويل).

دَعَا ابْنَ أَبِي كَرِشَاءٍ دَعْوَةَ مُرْهَقٍ
فَقُلْتُ لَهُ صَبْرًا حَكِيمًا فَإِنِّي
دَعَا ابْنَ حَكِيمٍ دَعْوَةَ فَأَبَاءَهَا
وَعَاذَ بِأَحْجَارٍ عَلَى قَبْرِ غَالِبِ
سَادَقَعُ عَنكَ الشَّرُّ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
عَلَى كُلِّ لِصٍّ مِنْ مَنَافٍ وَحَارِبِ⁽⁹⁾

لما ولي خالد بن عبد الله العراق، ولي مالك بن المنذر شرطة البصرة، فقال
الفرزدق⁽¹⁰⁾: (الطويل).

وَرَهْدَتِي فِي شُرْطَةِ الْمِصْرِ أَنْسِي
وَمَا مَالِكٌ إِلَّا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ
لِعَمْرِكَ مَا أَشْبَهْتَ جَدَّكَ مَالِكًا
رَأَيْتُ عَلَيْهَا مَالِكًا عَقَبَ الْكَلْبِ
مُضِيبَةَ الْأَنْيَابِ تُوَجِّفُ فِي الرُّكْبِ⁽¹¹⁾
وَلَا جَدَّكَ الْجَارُودِيَا عَقَبَ الْكَلْبِ

تزوج عمر بن يزيد، عاتكة بنت الملاءة، فقال الفرزدق: ⁽¹²⁾: (الطويل).

لَقَدْ بَيَّنَّتْ بِنْتُ الْمِلاءَةِ مَنْ نَعَى
وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ⁽¹³⁾: (الطويل).

لَقَدْ عَضَّ عَضًا عَلَى السِّيفِ عَضَّةً
كَفَتْ ضَرْبَةَ الْعَضَاضِ إِذْ سَلَّ سَيْفُهُ
بِأَنْيَابِهِ قَدْ أَتُكَلَّتْ أُمُّ زَيْنَبَا
رَجَالًا شُهُودًا مِنْ تَمِيمٍ وَعُغَيْبَا

اتخذ الفرزدق على النوار جارية سوداء فسامها مكية، ويقال بل أولها جارية
سامها مكية، فكانت إذا حمس الشر بينه وبين النوار اکتى بها، وقال⁽¹⁴⁾: (الرجز).

ذَاكُمْ إِذَا مَا كُنْتُمْ مَحْمِيَةً
بِإِدَارِمِي أُمُّهُ ضَرْبِيَّةُ
صَمَّخَمَحْ يَكْنَى أَبَا مَكِيَّةَ⁽¹⁵⁾

ومدح الفرزدق الزنج فقال⁽¹⁶⁾: (الرجز).

يَا رَبِّ خُودٍ مِنْ بَنَاتِ الزَّنْجِ
أَقْعَبَ مِثْلَ الْقَدْحِ الْخَلْنَجِ
تَحْمَلُ تَنْوَرًا شَدِيدَ الْوَهْجِ
يَزْدَادُ طَيِّبًا عِنْدَ طَوْلِ الْهَرَجِ⁽¹⁷⁾

مَحَجَّتْهَا بِالْأَيْرِ أَيَّ مَحِجٍّ (18)

فقال له النوار: ريحها مثل ريحك.

أقام عبيد الله بن زياد حين وجهه مروان على قرقيسياء⁽¹⁹⁾ سنة، فلم يقدر على شيء، فتوجه يريد العراق، فلقي التوابين، ثم سار يريد العراق فقتل بالخازر، فقال الفرزدق⁽²⁰⁾: (الطويل).

أَلَا رَبُّ مَنْ يُدْعَى الْفَتَى لَيْسَ بِالْفَتَى وَلَكِنَّمَا كَانَ الْفَتَى ابْنُ زِيَادٍ
نزل بنو كعب بن العنبر اللهابة⁽²¹⁾، وكان بينهم وبين بني فقيم قتال، فقتل منهم قتلى فأدت إليهم بنو تميم ثلاثمائة بعير وستة أعبد، فقال الفرزدق⁽²²⁾: (الطويل).
عَقَلْتُمْ وَلَمْ يَعْقَلْ لَكُمْ مَنْ أَحَبَّكُمْ ثَلَاثُ هُنَيْدَاتٍ وَسِتَّةُ أَعْبِدٍ
ضرب رجل من بني النعمان بن سنان يقال له النعمان رأس رجل منهم يقال له وارد، فنبا عنه السيف، فقال الفرزدق حين نبا سيفه عن رأس الأسير⁽²³⁾: (الطويل).
وَسَيْفُ بَنِي نَعْمَانَ بِالشَّعْبِ ذِي الصَّفَا نَبَا فِي يَدِي نَعْمَانَ عَنْ رَأْسِ وَارِدٍ
أرسل فراس بن سمي الفزاري⁽²⁴⁾ يطلب الفرزدق فحذره فهرب، فأرسل إلى النوار امرأته فحبسها، ولحق الفرزدق بالبادية، ثم لحق بيزيد بن عبد الملك، وقال ليزيد⁽²⁵⁾: (الطويل).

سَبَقْتُ إِلَيْكَ الطَّالِبِينَ وَإِنَّهُمْ لَخَلْفِي وَقُدَّامِي عَلَى كُلِّ مَرْصَدٍ
فإن يك في البيضاء مفتاح قيده فعند فراس نفسه في المشيد

وقال الفرزدق لخالد القسري حين قدم العراق أميراً لهشام⁽²⁶⁾: (الطويل).

أَلَا قَبَّحَ الرَّحْمَنُ ظَهْرَ مَطِيَّةٍ أَنْتَنَا تَهَادَى مِنْ دِمَشْقَ بِخَالِدِ
وَكَيْفَ يَوْمَ النَّاسِ مَنْ كَانَ أُمَّهُ تَدِينُ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِوَاحِدِ
بَنَى بَيْعَةَ فِيهَا الصَّلِيبَ لِأُمَّةٍ وَيَهْدِمُ مِنْ بَغْضِ مَنَارِ الْمَسَاجِدِ

مات أبو رجاء عمران بن تميم، وكان يصلي ببني عطار ما يقارب الثمانين سنة، فشهد الفرزدق جنازته وهو يقول⁽²⁷⁾: (الطويل).

ألم تر أن الناس مات كَبِيرُهُمْ
وَمِنْ قَبْلِ مَا مَاتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
كتب الفرزدق إلى الخيار بن سبرة، وكان الحجاج قد ولاه عُمان، يستهديه جارية
فقال الخيار⁽²⁸⁾: (الوافر).

كَتَبْتَ إِلَيَّ تَسْتَهْدِي جَوَاراً
فرد عليه الفرزدق قائلاً⁽³⁰⁾: (الوافر).

أَلَا قَالَ الْخِيَارُ وَكَانَ جَهْلًا
فَلَوْلَا أَنَّ أُمَّكَ كَانَتْ عَمِّي
وَأَنَّ أَبِي لِعَمِّ أَبِيكَ لَحَاً
شَدَدَتْ عَلَيْكَ شِدَّةُ أَعْوَجِي
قَدْ اسْتَهْدَى الْفَرَزْدَقُ مِنْ بَعِيدٍ
أَبَاهَا كُنْتَ أَخْرَسَ بِالنَّشِيدِ
وَأَنْكَ حِينَ أَغْضَبَ مِنْ أَسْوَدِي
يَدُقُ شَكِيمَ مَجْدُولِ الْحَدِيدِ⁽³¹⁾

زعموا أن بكرأ أعانت الأزد، حينما قاتل محمد بن المهلب قيساً، فقال الفرزدق⁽³²⁾:
(البسيط).

وَالْأَزْدُ قَدْ نَظَمَتْ بِالْمَرْبِذِينَ وَقَدْ
حَلُّوا بِأُرْعَنْ مِثْلَ الطُّودِ جَرَّارِ

كان أبو عمرو بن عمار عالماً بالعربية، وقرأ القرآن على عبد الله بن كثير المكي، فقال
الفرزدق⁽³³⁾:

مَا زِلْتُ أَفْتَحُ أَبْوَابَهَا وَأَغْلِقُهَا
حَتَّى أَتَيْتُ فَتَى مَحْضًا ضَرِيْبَتَهُ
حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا عَمْرُو بْنِ عَمَّارِ
مَرِ الْمَرِيْرَةِ حُرًّا وَابْنَ أَحْرَارِ

وذم الفرزدق زهيراً لمعاونته النوار، فقال⁽³⁴⁾: (الوافر).

لَبِئْسَ الْعِبَاءُ يَحْمِلُهُ زُهَيْرُ
لَقَدْ أَهَدَتْ وَلِيَدِنَا إِلَيْكُمْ
عَلَى أَعْجَازِ صِرْمَتِهِ نَوَارُ
عَوَاتِرَ لَا تَقْسِمُهَا التَّجَارُ

وقال الفرزدق يمدح السري بن عبد الله بن الحارث⁽³⁵⁾: (الرجز).

سَرِيٌّ لَقَّاكَ مَلِيْكُ الْأَمْرِ
عَاقِبَةُ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْحَشْرِ
الْأَجْرُ ذَخْرًا وَهُوَ خَيْرُ ذَخْرِ
وَشَرُّ مَا تَدْرِي وَمَا لَا تَدْرِي
وَأَنْتَ بَعْدَ اللَّهِ مُعْطِي الْوَفْرِ
مَا بَكَ عَنْ مَكْرَمَةٍ مِنْ قِصْرِ

ومطعمُ البطنِ وكاسي الظهرِ

طلب خالد بن عبد الله القسري الفرزدق، فلحق ببشر بن مروان، فقال الفرزدق⁽³⁶⁾:
(الطويل) .

وما كفَّ عني خالدٌ عن تقيةٍ	ولكنْ بدتْ دوني اللبوثُ الهواصِرُ
غداةَ رأى من مالكٍ تحتَ غايها	ورائي ودوني من يخافُ المحاذِرُ
تحلَّلتَ إذ أقسمتَ أنك قاتلي	وكفرتَ إذا آليتَ أنك قَادِرُ
أتوعدني والمالكان ⁽³⁷⁾ كلاهما	ورائي وسعدٌ والحوولُ للكراكِرُ ⁽³⁸⁾
همُ منعوني من زيادٍ وقد رأى	زيادٌ مكاني وهو للناسِ قاهرُ
ومن مُصعبٍ حيثُ القباغُ لخوفه	عليَّ ولما تستطعني زماجرُ ⁽³⁹⁾

وجه نجدة بن عامر إلى البوادي من يأخذ من أهلها الصدقة، ففعلوا إلا بني تميم بكاطمة، وأعانهم أهل طويلع، فوجه نجدة إليهم من أغار عليهم، وقتل منهم نيفاً وثلاثين رجلاً، ثم دعاهم بعد ذلك فأجابوه، وأخذ منهم الصدقة، فقال الفرزدق⁽⁴⁰⁾: (الطويل) .

ولسنا بأقوام يبيعون دينهم	إذا علموا أن لا سبيلَ إلى التمرِ
وما كنت مذ شددت على السيف قبضتي	لأنقض بيعاً بين زمزم والحجر

يعني بيعة ابن الزبير.

لقي الفرزدق جارية لبني نهشل، فجعل ينظر إليها نظراً شديداً، فقالت له: مالك تنظر؟ فوالله لو كان لي ألف حر ما طمعت في واحد منها، قال: ولم يا اخنساء؟ قالت: لأنك قبيح المنظر سيء المخبر فيما أرى، فقال: أما والله لو جربتني لعفى خبري على منظري، قال: ثم كشف لها عن مثل ذراع البكر، فتضبعت له عن مثل سنام البكر فعالجها، فقالت: أنكاح بنسيئة؟ هذا شر القضية، قال: ويحك، ما معي إلا جيتي، أفتسليبنني إياها ثم تسنمها وقال⁽⁴¹⁾: (الرجز) .

أولجت فيهما كذراع البكر	مُدملكِ الرأسِ شديدِ الأسرِ ⁽⁴²⁾
زادَ عليَّ شِبْرٌ وَصَفِ شِبْرٍ	كَأَنِّي أَوْلَجْتُهُ فِي جَمْرٍ

يَطِيرُ عَنْهُ نَفْيَانُ الشَّعْرِ نَفَى شُعُورِ النَّاسِ يَوْمَ النَّخْرِ

حبس خالد بن عبد الله القسري عمر بن هبيرة فقال الفرزدق⁽⁴³⁾: (الطويل).

لَعَمْرِي لَسِنٌ نَابِتٌ فزارة نوبة لمن حدث الأيام تحسبها قسر
لَقَدْ حبس القسري في سجنٍ وأسط فتىً شيطمياً ما ينهه الزجر⁽⁴⁴⁾
فتىً لم توركه النصارى ولم يكن غداء له لحم الخنازير والخمر

كتب هشام بن عبد الملك، إلى خالد القسري بتخلية سبيل الفرزدق، فقال الفرزدق يمدح الأبرش⁽⁴⁵⁾: (الطويل).

لَقَدْ وَثَبَ الْكَلْبِيُّ وَثْبَةً حَازِمٍ إلى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ نَفْسًا وَعُنْصُرًا
إِلَى خَيْرِ أُنْبَاءِ الْخَلِيقَةِ لَمْ يَجِدْ لِحَاجَتِهِ مِنْ نُؤْهَهَا مُتَأَخِّرًا
أَبِي حَلَفَ كَلْبٌ فِي تَمِيمٍ وَعَقْدَهَا كَمَا سَنَّتِ الْآبَاءُ أَنْ يَتَغَيَّرَا

وجه يزيد بن المهلب إخوته يرتادون له موضعاً للمعسكر، فاختاروه بالعقر، بين المدائن والكوفة، فقال الفرزدق⁽⁴⁶⁾: (الطويل).

أَهْلًا زَجَرْتَ الطَّيْرَ إِنْ كُنْتَ زَاجِرًا غَدَاةً نَزَلَتْ الْعَقْرَ إِنَّكَ تَعْقِرُ
كتب بلال بن أبي بردة إلى الشماخ عامله على اليمامة في تسخير الإبل، فسخر إبلاً لابن الفرزدق، فجعل ابن الفرزدق يعقرها، فضربه الشماخ مئة سوط، فاستعدى الفرزدق بلالاً، فلم يعده فقال⁽⁴⁷⁾: (الطويل).

فَلَوْ كَانَ مِنْ جُهَالِ قَوْمِي عَدْرَتُهُ وَلَكِنَّ عَبْدًا مِنْ شِعَاعَةِ أَحْمَرَ
وقال الفرزدق⁽⁴⁸⁾: (الطويل).

وأعطى عدي أسنته واسنت أمه أبا خالدٍ والخيلُ تَدْمَى نُحُورُهَا
كتب خالد القسري إلى مالك بن المنذر، أن خذ الفرزدق فاحبسه، وأظهر أنه إنما حبسه، فأمر مالك أيوب الضبي، فاحتال له حتى أخذه، فهجا الفرزدق أيوب بقوله⁽⁴⁹⁾:
(الطويل).

فلو كنت قيسياً إذا ما حبستني وَلَكِنَّ زَنْجِيًّا غَلِيظًا مَشَافِرُهُ⁽⁵⁰⁾

مَتَّ لَه بِالرَّحْمِ بِنِّي وَبِنَّه
وَقُلْتُ: امْرؤٌ مِنْ آلِ ضَبَّةٍ فَاعْتَرَى
فَسَوْفَ يَرَى النُّبِيَّ مَا اجْتَرَحَتْ لَهُ
سَلُّقِي عَلَيْكَ الْخُنْفَسَاءَ إِذَا فَسَتْ
وَتَأْتِي ابْنَ زَبِ الْخُنْفَسَاءِ قَصِيْدَةً
تَعَذَّرْتَ يَا بَنَ الْخُنْفَسَاءِ وَلَمْ تَكُنْ
فَأِنَّكُمَا يَا بَنِي يَسَارٍ نَزَوْتُمَا
لِزَنْجِيَّةٍ بظراء شقق بظرها

وكانت أم النوار خراسانية، فقال لها في أم مكيَّة⁽⁵¹⁾: (الطويل).

أَعْرَكَ مِنْهَا أَدْمَةَ عَرَبِيَّةٍ
عَلَّتْ لونها إنَّ البجادي أَحْمَرُ

هجا الفرزدق رجلاً من بني تميم، فجاءت أمه إلى قبر غالب فاستجارت

به، فقال الفرزدق⁽⁵²⁾: (الطويل).

أَتْنِي فَعَاذْتَ مِنْ هَجَائِي بِغَالِبٍ
فلا والذي شق استها لا أضيروها

وقال الفرزدق في طيسلة وكان شاعراً⁽⁵³⁾: (الطويل).

أَطِيسَلُ لَوْ أَدْرَكَتُ أَمَكُ نَكَتُهَا
ولكنها مَاتَتْ وَأَنْتَ صَغِيرُ

كان بالبصرة مولى لبني حنيفة يكنى أبا الخشناء، يتولى بعض عمل البريد

بالبصرة فمات، فسأل قوم من بني حنيفة الفرزدق أن يرثيه فقال⁽⁵⁴⁾: (الطويل).

لَيْتَكَ أبا الْخَشْنَاءِ بَغْلٌ وَبَغْلَةٌ
ومخللة سوء قد أبيد شعيرها⁽⁵⁵⁾

وَمَجْرَقَةٌ وَمَرْوَحَةٌ وَمَجْسَةٌ
وطير أوارى تداعت شطورها⁽⁵⁶⁾

وَفَرَاتِقٌ يَبْكِي عَلَى رِزْقِ شَهْرِهِ
ومقرعة صفراء بال سيورها⁽⁵⁷⁾

ولى ابن الزبير، عبيد الله بن عبيد الله البصرة، وحضر قتل مصعب، فلما قتل

هرب ثم أومن بعد، واستعمله عبد الملك على السوس تقصيراً به فمات بها، فقال

الفرزدق⁽⁵⁸⁾: (الكامل).

إِنَّ الرزِيَّةَ لا رزِيَّةَ مثلهَا

تزوج الفرزدق ظبية من بني مجاشع، فلما دخلت عليه عجز عنها، فقال رجل من بني كوز: عجزت عنها يا أبا فراس، فوالله إني لأحمل عليه جزة صوف، ثم أدرج بها، فقال الفرزدق⁽⁶⁰⁾: (الوافر).

لنعم الأيرُ أيرُك يا بن كوز

يُقلُ جِزارة الكِشِ الجِزيرِ
أسرت بكر الأقرع بن حابس، ويقال: إنه فدى نفسه وتخلص، ويقال: إن بني يربوع تخلصوه، فقال الفرزدق⁽⁶¹⁾: (الطويل).

تمسح يربوع سبالاً لئيمة

بها من مني العبد رطب وياس
وقال الفرزدق⁽⁶²⁾: (الطويل).

ولو أن ما في سفن دارين صبحت

بني وكان جارم ما طيبت ریح خنيس⁽⁶³⁾

تزوج الفرزدق ظبية بنت مجاشع بعد النوار، وبعد أن أسن وضعف، تركها عند أمها بالبادية، ولم يكن صداقها عنده، فكتب إلى أبان بن الوليد البجلي، فأعطاه فمدحه وساق إليها مهرها، فقال الفرزدق⁽⁶⁴⁾: (الطويل).

لقد طال ما استودعت ظبية أمها

فهذا زمان رد فيه الودائع

النقى عثمان بن المفضل وأصحاب عدي في الرحبة التي عند دار الإمارة فافتتلوا، فصرع جيهان بن محرر السعدي، فحماه معاوية بن أبي سفيان من زياد بن أبي سفيان، فقال الفرزدق⁽⁶⁵⁾: (الطويل).

دعا ابن أبي سفيان والخيل دونه

تثير عجاجاً بالسنايك ساطع

فكر عليه مثل ما كر مخدر

من الأسد يحمي وأردات المشرع

خطب علي بن الهيثم امرأة من بني مجاشع، وخطبها غيره فتزوجها، وحين دخل بها قال الفرزدق⁽⁶⁶⁾: (الطويل).

رأت من بني الهيثم قرماً كأنه

حصان يشل القائدين ويدفع

شهد الفرزدق عند إياس بشهادة فقال: قد أجزنا شهادة أبي فراس، ولكن زيئونا شاهداً، فقام الفرزدق مسروراً، فقيل له: إنه والله ما أجاز شهادتك، ولو أجازها لم يستزد شاهداً، فقال: ولم لا يرد شهادتي وقد قذفت ألف محصنة وقال⁽⁶⁷⁾: (الطويل).

أُتِيْتُ إِيَّاساً شَاهِداً فَأَجَازَنِي إِجَازَةً مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ صَادِقِ
وَمَا اعْتَاضَ مِنِّي شَاهِداً لِيَرِدَنِي إِيَّاسٌ وَلَكِنْ أَخَذَهُ بِالْوَثَائِقِ

كانت لجرير أم غيلان، وكان بها جنون، فتزوجها الأبلق الأسيدي الكاهن، وذلك أنه داواها مما كان بها، فقال الفرزدق⁽⁶⁸⁾: (الطويل).

لئن أم غيلان استحل حرامها حمار الغضا من ثقل ما كان رنقا
لما نال راق مثلها من كعابة علمناه ممن سار غريباً وشرقاً
حبته بمحقوق كأن جبينه صلاية ورس نصفها قد تفلقا⁽⁶⁹⁾
إذا بركت لابن الشغور ونوخت على ركبتيها للبروك وللحقا
فما من دراك فاعلمن لنادم وإن صك عينيه الحمار وصفقا
وكيف ارتدادي أم غيلان بعدما جرى الماء في أرحامها وترقرقا
ستعلم من يخزي ويفضح قومه إذا ألصقت عند السفاد وألصقا⁽⁷⁰⁾
أبيلق رقاء أسيد رهطه إذا هو رجلي أم غيلان فرقا
لعمري لقد هانت عليك طعينة فديت برجليها الفرار المريقا
ولو كان ذو الودع ابن ثروان لالتوت بها كفه أعني يزيد الهبتقا⁽⁷¹⁾

بينما الفرزدق جالس بالبصرة أيام زياد في سكة ليس لها منفذ، إذ مر به رجلان من قومه كانا في الشرطة وهما راكبان، فقال أحدهما لصاحبه: هل لك أن أفزعه - وكان جبناً - فحركا دابتيهما نحوه فأدبر مولياً فعثر من طرف برده فشقه، وانقطع شسع نعله⁽⁷²⁾، وانصرفا عنه، وعرف أنهما هزئاً منه فقال⁽⁷³⁾: (الطويل).

لَقَدْ خَارَ إِذْ يَجْرِي عَلَيَّ حِمَارِهِ ضِرَارَ الْخَنَاءِ وَالْعَنْبِرِيِّ بْنِ أَحْوَقَا
وَمَا كُنْتُ لَوْ خَوَّفْتُمَانِي كِلَاكُمَا بِأَمِيكَمَا عَرَيَانَتَيْنِ لِأَفْرَقَا

وَلَكِنَّمَا خَوْفَتُمَانِي بِخَادِرٍ شَتِيمٍ إِذَا مَا صَادَفَ الْقَرْنَ مَرْقَاً⁽⁷⁴⁾

نزل الفرزدق في بني منقر، فقامت عجوز منهم توقظ ابنتها، فإذا أسود سالخ ممتدّ معها، فاستعانت بالفرزدق فحنا على الأسود التراب حتى انساب، وغمز الفرزدق الجارية، وقبلها فانتهرت وأنها فقال⁽⁷⁵⁾: (الطويل).

وَمُلْتَقَّةُ السَّاقِينِ مَرْتَجَّةُ السَّلَا لَهَوْتُ بِهَا فَبَاتَ تَحْتِي فَرِيْقَهَا⁽⁷⁶⁾
وَأَهْوَنُ عَيْبِ الْمَنْقَرِيَّةِ أَنَّهَا شَدِيدٌ بِيْطُنِ الْحَنْظَلِيِّ لُصُوْقَهَا
رَأَتْ مَنْقَرًا سُودًا قَصَارًا وَأَبْصَرَتْ فَتَى دَارِمِيًّا كَالهَلَالِ يَرُوقَهَا
فَمَا أَنَا هِجْتُ الْمَنْقَرِيَّةَ لِلصَّبِيِّ وَلَكِنَّمَا اسْتَعَصْتُ عَلَيْهَا عَرُوقَهَا

قال الفرزدق في ابن الأشعث الحائك⁽⁷⁷⁾: (الكامل).

أخضبت أيرك للزناء ولم تكن يوم الهياج لتخضب الأبطالاً
وكتب الفرزدق أبياتاً إلى سعيد بن الوليد (الأبرش الكلبي) ليكلم له هشاماً فقال⁽⁷⁸⁾:
(الطويل).

إِلَى الْأَبْرَشِ الْكَلْبِيِّ اسْتَدْتُ حَاجَةً تَوَاكَلَهَا حَيًّا تَمِيمٌ وَوَائِلِ
عَلَى حِينِ أَنْ زَلَّتْ بِي النُّعْلُ زَلَّةً فَأَخْلَفَ ظَنِّي كُلَّ حَافٍ وَتَاعِلِ
فَدُونُكهَا يَا بِنَ الْوَلِيدِ فَإِنَّهَا مَفْضَلَةٌ أَصْحَابَهَا فِي الْمَحَافِلِ
وَدُونُكهَا يَا ابْنَ الْوَلِيدِ فَكَمَّ بِهَا مَقَامَ امْرِئٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ خَامِلِ

تزوج يزيد بن المهلب عاتكة بنت الملاءة، والملاءة أمها، وأبوها الفرات بن معاوية البكائي. وخرج بها إلى واسط فقتل عنها، فقال الفرزدق يشيب بها⁽⁷⁹⁾: (الطويل).

إِذَا مَا الْمَرْوَنِيَّاتُ أَصْبَحْنَ حُسْرًا وَيُكَيِّنُ أَشْلَاءَ عَلَى غَيْرِ نَائِلِ
فَكَمَّ طَالِبُ بِنْتِ الْمَلَاءَةِ إِنَّهَا تُذَكِّرُ رِيْعَانَ الشَّبَابِ الْمَزَائِلِ

كلم الفرزدق الزعل الجرمي في حاجة لراويته أبي شفل، فلم يقضها فقال الفرزدق⁽⁸⁰⁾:
(الطويل).

ألسنت ابن جرم معدن اللؤم والبخل
إذا خُصِّلوا يوماً ونجلوا إلى الأصل⁽⁸¹⁾

سل الزَّعَلَّ عن آياته ثم قل له
وما خلت جرماً يعرفون أباهم
وقال الفرزدق⁽⁸²⁾: (الكامل).

وَتَوَى بِمَنْزِلِهِ الْكَرِيمِ مَقَاتِلَ
فَرًّا اللَّثِيمِ عَنِ اللَّقَاءِ مُبَادِرًا
كتب خالد القسري إلى مالك بن المنذر أن: خذ الفرزدق فإنه هجا أمير المؤمنين، فأمر مالك أيوب بن عيسى الضبي، فتلطف له حتى أخذه، فلما قيل لمالك: قد أخذ الفرزدق، انتفخ وريده غضباً، ولم يطلقه حتى حبس عمر بن يزيد معه، ثم قتله وأشاع أنه مصّ خاتمه فمات، فقال له الفرزدق⁽⁸³⁾: (الطويل).

لَقَدْ قِيلَ قَدِ مَصَّ الْأَسِيدِي خَاتِمًا
وَإِنِّي لِأَخْشَى مِثْلَهَا مِنْهُ إِنَّهُ
بِقَرْنِ أَصَابِ الْقَلْبِ مِنْهُ بِمَخْلَبِ
وَقَدْ ذُقَّ مِنْهُ عَظْمُهُ وَمَقَاصِلُهُ
إِذَا عَلَقْتَ أَنْيَابَهُ وَحَبَائِلُهُ
تَرَمَّلَ مِنْهُ أَنْفُهُ وَجِجَافِلُهُ

خرج الأشهب بن رميلة إلى مروان بن الحكم، فشكا قتل أخيه فقال: قتل بلا ثبوت ولا حق، فوهب له خمسين بغيراً، فقال الفرزدق⁽⁸⁴⁾: (الكامل).

أَرْفُقْ بِقَوْمِكَ يَا مُحَرَّرَ خَالِدِ
عَرِمِ الْهَجِينِ عَلَى مَوَالِي أُمِّهِ
مُرْوَانَ يَعْلَمُ إِذْ يَسُنُّ دِيَاتِكُمْ
قَالَ الْفَرَزْدَقُ⁽⁸⁶⁾: (الطويل).

فَتَى مِنْ بَنِي غَيْظٍ كَأَنَّ جَبِينَهُ
حُسَامٌ جَلَا عَنْهُ فَأَبْلَغَ صَيْقَلُ
يقول الفرزدق في البعيث الشاعر، وأن أمه أمة أصبهاية⁽⁸⁷⁾: (الطويل).

إِذَا مَا أَتَيْنَا أَصْبِيهَانَ وَأَهْلَهَا
فِيَوْمِ حِجَاجٍ فِي الْبَعِيثِ طَوِيلُ
قدّم راوية الفرزدق وجريز والأخطل، على هشام بن عبد الملك، فدخل راوية جريز في فرو، ودخل الآخر في خز، فأنشد راوية الفرزدق شعراً⁽⁸⁸⁾: (الوافر).

كَأَنَّ مَقَالِقَ الرَّمَانِ فِيهِ
وَجَمْرَ غَضِيٍّ قَعْنَنَ عَلَيْهِ حَامِ

حج الفرزدق عام حج هشام، فوصله إبراهيم بن إسماعيل المخزومي بخمس مئة درهم، فقال⁽⁸⁹⁾: (الكامل).

وَأَمِيرُكُمْ شَرُّ الْوَلَاةِ عِلْمَتُهُ وَشَرُّ وِلَاةِ الْمُؤْمِنِينَ هِشَامُ

لما رأى الفرزدق درست بن رباط الفقيمي على المنبر، وكان أسوداً دميماً قصيراً، فقال⁽⁹⁰⁾: (الطويل).

بكى المنبر الشرقي والناس إذ رأوا
أليس عجيباً أن يسود محمداً

عليه فقيمياً قصير القوائم
ألا تلك من إحدى الدواهي العظام

ويقول الفرزدق في أبي ثور الشاعر⁽⁹¹⁾: (الطويل).

أخاف الجراح من عجوز كبيرة
وعند أبي ثور ثلاث روائم⁽⁹²⁾

وقال الفرزدق⁽⁹³⁾: (الطويل).

بني عاصم لا تلجنوها فإنكم
بني عاصم لو كان حياً أبوكم

ملاحئ للسوءات دسم العمائم
للام بنيه اليوم قيس بن عاصم

ولي حاتم بن حمران بعض أمر البصرة فمنع إيلاً للفرزدق من الرعي، فقال الفرزدق⁽⁹⁴⁾: (الطويل).

وتمنع إلي أن تجور إلى الحمى
قربته شرط ابن حمران دونها

وأنت تجيز الحمر يا عبد حاتم
إذا نفذت قامت عليها المآتم

ونكر الفرزدق كردم، وهو من بني العدوية فقال⁽⁹⁵⁾: (الطويل).

لعمرك ما لمنا حبيب ابن محصن
ولكننا لمنا دعي الكرام

قطع رجل من البراجم أنف رجل من بني تميم، فحملت دينه، فأتى صدرأ فلم

يعنه، فقال الفرزدق يهجو⁽⁹⁶⁾: (الطويل).

لحي الله صدرأ من منادى إلى التي
فلو كان صدرأ دارمياً أجابنا

بأمتالها ضاقت صدور البراجم
ولكن صدرأ ليس من صلب دارم

وقف الفرزدق بالبصرة على رجل يكري النساء الحمير، يعرف بباب المكارى، فقال له: أنت باب؟ قال: نعم، فقال⁽⁹⁷⁾: (الطويل).

وَكَمْ مِنْ هُنَّ يَا بَابَ ضَخْمِ حَمَلْتَهُ عَلَى الرَّحْلِ فَوْقَ الْأَخْدَرِيِّ الْمَرَكَبِ⁽⁹⁸⁾

فقال باب: قد حملت النوار فيمن حملت، فقال الفرزدق: غلبني والله.

وحين بايع مروان لابنيه عبد الملك وعبد العزيز بالعهد، قال الفرزدق⁽⁹⁹⁾: (الطويل).

وَلَوْلَا بَنُو حَسَّانَ أَسِيفُ عَزَّكُمْ لَعَادَ نِصَابُ الْمَلِكِ فِي آلِ هَاشِمٍ

وَلَكِنْ أَبِي مَرْوَانَ أَنْ يَقْبَلَ التِّي يُسَبُّ أَبُو الْعَاصِي بِهَا فِي الْمَوَاسِمِ

كان الفرزدق يختلف إلى نباد في البصرة يقال له سنان، فغلا التمر فاستخفى

سنان من دين عليه، فقال الفرزدق⁽¹⁰⁰⁾: (الطويل).

غَلَا التَّمْرَ وَاسْتَخْفَى سِنَانَ وَفَرَّخَتْ خَفَافِيشَ فِي رَاقُودَةِ الْمُتَنَّمِّ

تزوج الفرزدق طيبة بنت دلم بن الهيثم، فعجز عنها لكبره، فأنشأ يقول⁽¹⁰¹⁾: (الطويل).

لَعَمْرِكَ إِنَّ رَبِّي أَتَانِي بِطَيْبَةٍ سَرِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ بِي لَرَحِيمٌ

بِمَمْكُورَةِ السَّاقِينَ مَهْضُومَةِ الْحَشَا إِلَى الزَّادِ فِي الظُّلْمَاءِ غَيْرِ قُرُومِ⁽¹⁰²⁾

أتى الفرزدق عبد الله بن الأهم يسأله علماً لبعثته فقال له: يا فرزدق لو كنت

قتباً لكنت ملحاحاً عقرة. قال: ولم؟ قال: لأنك لا تخلو من مساعلة قومك وإخوانك، قال

الفرزدق: فوالله ما مالك إلا من ألحف المسائل، فقال عبد الله: إني ألحف ولا أتلّف، وأنت

تسأل الناس إلحافاً وتبذر إسرافاً. فقال الفرزدق⁽¹⁰³⁾: (الطويل).

وَلَا تَسْرُجْ عَبْدَ اللَّهِ يَوْمًا قَاتِمًا أَمَانِيَّ عَبْدَ اللَّهِ أَضْغَاتُ حَالِمٍ

نزل الفرزدق على حمزة بن عبد الله بن الزبير، ونزلت النوار بنت أعين على

أم هاشم بنت منظور بن زبان، أم امرأة عبد الله بن الزبير، فجعلت ابنة منظور تشفع

لها، فرأى أن هوى عبد الله في النوار، فقال⁽¹⁰⁴⁾: (البسيط).

أَمَا بَنُوهُ فَلَمْ يَقْبَلْ شَفَاعَتَهُمْ وَشَفَّعُوا بِنْتَ مَنْظُورِ بْنِ زَبَانَ

ليس الشفيغ الذي يأتبك مُؤتراً مثل الشفيغ الذي يأتبك عرياناً
دخل الفرزدق المدينة، فنادم قوماً منهم الأحوص وغيره، وإنه لمع فتیان من
أهلها يشرب إذ عبث به رجلان، فقال لهما⁽¹⁰⁵⁾: (الكامل).

أُتعلَّمَانِ بِي الهجاء وختنتي قد هزني وهجاني الثقلان
زعمت نساؤكما الفوارك إنما أيراکما وحرّاهما مثلان⁽¹⁰⁶⁾
فلقد زعمن وهنّ غير كواذب أن ليس فوق خصاکما أيران
وقال الفرزدق⁽¹⁰⁷⁾: (الرجز).

كيف تراني قالباً مجنّي أقلبُ أمري ظهره للبطن
قد قاتل الله زياداً عني

مات محمد بن الحجاج، ومحمد أخ الحجاج، فقال الفرزدق يرثيهما⁽¹⁰⁸⁾: (البيسط).
إني لباك على ابني يوسف جزعا ومثل فقدمها للدين يبيني
ما سدحي ولا ميت مسدهما إلا الخلائف من بعد النبيين
مرّ بالفرزدق نسوة يزفن عروساً، فأنشأ يقول⁽¹⁰⁹⁾: (المتقارب).

أنتك النساء بأحراحها يقدن حراً ضيقاً حجره⁽¹¹⁰⁾
إلى عائر كذراع الفنيق قليل لذي مثله فتره

وتزوج الفرزدق جاريةً لبني نهشل، فحملت منه ثم ماتت بجمع⁽¹¹¹⁾، فقال الفرزدق⁽¹¹²⁾:
(الطويل).

وغمد سلاح قد رزئت فلم أنح عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لأنّ المنايا أخرته لياليا
ولكن ريب الدهر يعثر بالفتي فلم يستطع رداً لما كان جائيا
كما مثله في مثلها قد وضعتُه ومازلت وثاباً أجر المخازيا

الشعر المنسوب إلى الفرزدق وإلى غيره

حفر خالد بن عبد الله القسري النهر المعروف بالمبارك. فقال الفرزدق، ويقال
الموج التغلبي⁽¹¹³⁾: (الوافر).

كأنك بالمبارك بعد شهر
تخوض غموره بقع الكلاب
كذبت خليفة الرحمن عنه
وسوف يرى الكذوب جزا الثواب

ودخل الفرزدق على عبد الملك، ويقال سليمان بن عبد الملك، فقال له: صف لي
النساء ما بين عشرين إلى مئة سنة، فأنشأ يقول⁽¹¹⁴⁾: (الطويل).

مَتَى تَلَقَّ بِنْتَ الْعَشْرِ قَدْ نَضَّ تَدْيَهَا
كَلْوَلُوهَ الْغَوَاصِ يُؤْنَقُ جِيْدَهَا⁽¹¹⁵⁾
تَجِدُ لَذَةً مِنْهَا لَخْفَةَ رُوحِهَا
وَعَرْتَهَا وَالْحُسْنَ بَعْدُ يَزِيدُهَا
وَصَاحِبَةُ الْعَشْرَيْنِ لَا شَيْءَ مِثْلَهَا
فَتَلِكِ الَّتِي يَلْهُو بِهَا مَنْ يَفِيدُهَا
وَبِنْتُ الثَّلَاثَيْنِ الشِّفَاءُ حَدِيثُهَا
مِنَ الْمَوْتِ لَمْ تَهْرَمْ وَلَمْ يَدْوِ عَوْدُهَا
وَإِنْ تَلَقَّ بِنْتَ الْأَرْبَعِينَ فَعَبْطَةٌ
وَخَيْرُ نِسَاءِ الْأَرْبَعِينَ وَلَوْدُهَا
وَصَاحِبَةُ الْخَمْسِينَ فِيهَا بَقِيَّةٌ
لِنَائِكِهَا إِنْ شَاءَ صَاحِبُ عَمُودِهَا
وَصَاحِبَةُ السَّبْعِينَ قَدْ رَقَّ جِدُهَا
وَفِيهَا مَتَاعٌ لِلَّذِي قَدْ يُرِيدُهَا
وَصَاحِبَةُ السَّبْعِينَ لَا خَيْرَ عِنْدَهَا
وَلَا لَذَةَ فِيهَا لِمَنْ يَسْتَفِيدُهَا
وَدَاتُ الثَّمَانِينَ الَّتِي قَدْ تَحَشَفَتْ
مِنَ الْكِبَرِ الْمَفْنِي وَوَلَاخَ وَرِيدُهَا
وَصَاحِبَةُ التِّسْعِينَ يَرْجُفُ رَأْسُهَا
إِنْ اللَّيْلِ أَرَسَى قَلْبَ فِيهِ هَجُودُهَا
وَمَنْ يَطْلُبُ الْأُخْرَى فَلَا عَقْلَ عِنْدَهُ
تَنْظُرُ بِأَنَّ النَّاسَ طَرَأَ عِبِيدُهَا

وعثر بابن ناشرة فرسه، فاندقت رجله، وقتل وهزم أصحابه، فقال أبو حراثة،
ويقال ابن عرادة، ويقال الفرزدق⁽¹¹⁶⁾: (الطويل).

لَعَمْرِي لَقَدْ هَدَّتْ فَرِيشَ عُرُوشِنَا
بَأَبْيَضِ نَفَّاحِ الْعَشِيَّاتِ أَزْهَرَا
فَلَا صَلْحَ حَتَّى تَحْتَطَّ الْخَيْلُ بِالْقَنَا
بِنَا وَبِكُمْ أَوْ نَصْدِرُ الْأَمْرَ مَصْدَرَا
أَلَا لَا فَتَى بَعْدَ ابْنِ نَاشِرَةَ الْفَتَى
وَلَا خَيْرَ إِلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَدْبَرَا

أكان حَصَاداً لِلْمَنَايَا اذْدرَعَنَّهُ
فَتَيَّ حَنْظَلِيّاً لَا يَسْزَالُ مُوَفَّقاً
لَحَى اللّهُ قَوْمًا أَسْلَمُوا وَقَدْ رَأَوْا
أَمَا كَانَ فِيهِمْ فَارِسٌ ذُو حَفِيظَةٍ
يَكُرُّ كَمَا كُرَّ الْكَلْبِيُّ مَهْرَهُ

فهلّا تركت النّبت ما كان أخضرا (117)
يجود بمعروفٍ وينكر منكرًا
عناجيجٍ أعطتها يمينك ضمراً (118)
يرى الموت في بعض المواطن أعذرا
وما كرّ إلا خشيةً أن يُعَيّرا

أتى رجل من بني يشكر، الحجاج، وكان شيخاً كبيراً أعور، يريد أن يستغفبه، فقال له الحجاج: إنك عندي لصادق، ثم أمر به فضربت عنقه، ففي ذلك يقول كعب الأشقري، أو الفرزدق (119): (الطويل).

لَقَدْ ضَرَبَ الْحَجَّاجُ بِالْمِصْرِ ضَرْبَةً
تَقَرَّرَ مِنْهَا بَطْنُ كُلِّ غَرِيفٍ

أمر هشام بن عبد الملك بمالك بن المنذر فوجئت عنقه، ثم أمر بحبسه - وذلك لقتله عمر بن يزيد - فمات في السجن، ويقال إن القيسية دسوا إليه من قتله في السجن، ويقال: مص خاتمه، ويقال: مرض ومات حتف أنفه. وفي ذلك قال الفرزدق (120): (الطويل).

ألم تر أنّ اللّهُ ربّي بحولِهِ
فَمَنْ يَكُ عَنْهُ سَائِلاً بِصَنْيَعِهِ
تَظَلُّ الضَّبَاعُ الْعَاوِيَاتُ يَنْشَنُهُ

وقوته أخزى ابن عمرة مالكاً
فقد ظل في أرض الرصافة مالكاً
إذا جنّ مسودّ من الليل خالكاً

وقال عبد الله بن الزبير، ويقال الفرزدق بن غالب (121): (الطويل).

فإن كنت لا تدري ما الموت فانظري
إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهه
ترى جسداً قد غير الموت لحمه
أصابهما أمر الإله فأصباحا
فيركب أسماء الهماليج أمناً
تطيف حوالبه مراد وكلهم

إلى هاني في السوق وابن عقيل
وأخر يهوي من طمار قتيل (122)
ونضح دم قد سال كل مسيل
أحاديث من يهوى بكل سبيل
وقد طلبته مذحج بقتيل (123)
على رقبة من سائل ومسول (124)

فإن أنتم لم تتأروا بأخيكم فكونوا بغايا أراضيت بقليل⁽¹²⁵⁾

صعد عبد الله بن الحارث بن نوفل المنبر، فلم يزل يبايع الناس لعبد الله بن الزبير حتى نعى، فجعل يبايعهم وهو نائم، ماداً يده، فقال الفرزدق⁽¹²⁶⁾: (الطويل).
وَبَايَعْتَ أَقْوَامًا وَقَيْتَ بَعْدَهُمْ
وَبِيَةٌ قَدْ بَايَعْتُهُ وَهَوَ نَائِمٌ⁽¹²⁷⁾

الهوامش

- 1 أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البختري، (ت 279هـ) حققه وقدم له: الأستاذ سهيل زكار، والدكتور رياض زركلي، ط1، 1417هـ - 1996م. دار الفكر - بيروت: 237/12. وجاء في الأصل: إن تك... وبه لا يستقيم الوزن.
- 2 خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ)، تحقيق وشروح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخاتجي بالقاهرة، ط3/1409هـ - 1989م. 96/3، والبيت الأول والثاني في أنساب الأشراف: 94/13، مع اختلاف.
- 3 أسكفة الباب: عتيبه التي توطأ. ينظر لسان العرب، ابن منظور، (ت 711هـ) ط1، 1405هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، مادة (سكف): 576/1.
- 4 القلوص: أول ما يركب من إناث الإبل إلى أن تنتهي، فإذا أنتت فهي ناقة. والناوب والنيوب: الناقة المسنة، سموها بذلك حين طال نابها وعظم. والبكر من الإبل، بمنزلة التي من الناس. ينظر لسان العرب، مادة (قلص): 81/7، ومادة: (نبيب): 776/1، ومادة: (بكر): 79/4.
- 5 أنساب الأشراف: 274/13.
- 6 الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، (ت 356هـ) تحقيق: سمير جابر، دار الفكر - بيروت: 322/21، وينظر، كتاب الأمالي، لأبي عبد الله محمد الزبيدي، عالم الكتب - بيروت، ط2/1404هـ - 1984م.
- 7: 69، وأنساب الأشراف: 116/12.
- 7 نعظ الذكر ينعظ تعظاً ونعوظاً، وأنعظ: قام والتشتر. والركب: ظاهر الفرج، وقيل: هو الفرج نفسه، قال الخليل: هو للمرأة خاصة، وقال الفراء: هو للرجل والمرأة. وأنشد:
لا يقتع الجارية البنضاب ولا الوشساحان ولا الجلباب
من دون أن تلتقي الأركاب ويقعد الأير له أعاب
- ينظر لسان العرب، مادة (نعظ): 464/7، ومادة: (ركب): 433/1.
- 8 أنساب الأشراف: 137/12.
- 9 باؤوا في اللغة: احتملوا، وقيل: باؤوا بقضب أي باثم استحقوا به النار، ينظر لسان العرب، مادة (بؤأ): 38/1.
- 10 أنساب الأشراف: 47/9، وينظر البيت الأول في الأغاني: 380/10، مع بعض الاختلاف.
- 11 ضبيب: الضب، دوية من الحشرات معروفة، ينظر لسان العرب، مادة (ضبيب): 538/1.
- 12 أنساب الأشراف: 338/8.

- 13 أنساب الأشراف: 355/8.
- 14 الأغاني: 323/10، وينظر أنساب الأشراف: 90/12، مع اختلاف.
- 15 الصمحة: البعير الشديدي القوي. ينظر تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، (ت 1205هـ) مكتبة الحياة - بيروت: 184/2.
- 16 الأغاني: 323/10، وينظر أنساب الأشراف: 90/12، مع اختلاف.
- 17 الخلاج: شجر فارسي معرب، والجمع الخلاج، ينظر مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (ت 721هـ) تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1/ 1415هـ - 1994م: 103.
- 18 محج الأديم يحجه محجاً؛ ذلكه ليمرن. ينظر لسان العرب، مادة (محج): 363/2.
- 19 قرقيسياء: معرب كركيسياء، وهو مأخوذ من كركيس، وهو اسم لإرسال الخيل المسمى بالعربية الحلبة، بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق، وعندها مصب الخابور في الفرات. ينظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، (ت 626هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت: 328/4.
- 20 أنساب الأشراف: 449/6.
- 21 الهابة بالكسر: من ديار ضبة، فيه ركابا عذبة، تخترقه طريق بطن فلج، ينظر، معجم البلدان: 27/5.
- 22 أنساب الأشراف: 34/13.
- 23 أنساب الأشراف: 92-91/4.
- 24 ولاء عمر بن ربيعة الفزاري البصرة سنة 103هـ، لعهد يزيد بن عبد الملك. ينظر تاريخ خليفة بن خياط العسكري، (ت 240هـ)، تحقيق الأستاذ: سهيل زكار، 1414هـ، دار الفكر - بيروت: 260، وتاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، (ت 571هـ) تحقيق: علي شيري، 1415هـ، دار الفكر - بيروت: 436/12.
- 25 أنساب الأشراف: 271/8، والبيت الثاني من المصدر نفسه: 190/13.
- 26 سير أعلام النبلاء، الذهبي، (ت 748هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وحسين الأسد، ط9، 1413هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت: 427/5، والأغاني: 316/1، وطبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، (ت 231هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة: 346/2. وينظر أنساب الأشراف: 36/9، البيت الأول والثاني فقط.
- 27 أنساب الأشراف: 366/12.
- 28 أنساب الأشراف: 106/12، وفي لسان العرب: 464/7، ينسب إلى الفرزدق.
- 29 الإيعاظ: الشبق، وأنعظت المرأة: شبقت واشتهت أن تجامع. ينظر لسان العرب، مادة (نَعَظ): 464/7.
- 30 الأغاني: 363/10، وينظر أنساب الأشراف: 106/12، مع اختلاف.
- 31 الشكم بالضم: العطاء وقيل الجزاء، ينظر لسان العرب، مادة (شَكَم): 323/12.
- 32 أنساب الأشراف: 305/8.
- 33 البيان والتبيين، الجاحظ، (ت 255هـ) تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب - بيروت: 170/1، أنساب الأشراف: 53/13، وأدب الكاتب، ابن قتيبة، (ت 276هـ) حققه وضبط غريبه وشرح أبياته: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، 1382هـ - 1963م، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة: 354. مع اختلاف.
- 34 الأغاني: 396/9، والبيت الأول في أنساب الأشراف: 80/12، مع اختلاف.
- 35 أنساب الأشراف: 92/4.
- 36 أنساب الأشراف: 90/6.
- 37 المالكان: مالك بن زيد منا، ومالك بن حنظلة.

- 38 الكركرة: الجماعة من الناس، والجمع كراكر. ينظر تاج العروس: 520/3.
- 39 الزمجرة: الصوت، وخص بعضهم به الصوت من الجوف، ويقال: سمعت لقلان زمجرة، وقلان زماجر وزماجير. ينظر لسان العرب، مادة (زَمَجَرَ): 329/4.
- 40 أنساب الأشراف: 180/7. وجاء في الأصل: لسانه بأقوام... وبه لا يستقيم الوزن.
- 41 الأغاني: 320/10، وينظر أنساب الأشراف: 91/12.
- 42 الملوك: الحجر الأملس المستدير. ينظر لسان العرب، مادة (دَمَلَكَ): 429/10.
- 43 الكامل في اللغة والأدب، المبرد، كتب هوامشه: نجيم زرور و تغاريد بيضون، ط1، 1407هـ - 1987م، دار الكتب العلمية - بيروت: 87، وينظر البيت الثاني والثالث في أنساب الأشراف: 102/12، مع اختلاف.
- 44 الشبظمي: الفتى الجسيم، وقيل الطويل. ينظر لسان العرب، مادة (شَبْظَمَ): 323/12.
- 45 الأغاني: 338/10، وتاريخ مدينة دمشق: 397/7، والأبرش هو سعيد بن الوليد، وينظر أنساب الأشراف: 74/12، وقبسه البيتان الأول والثالث فقط مع اختلاف.
- 46 أنساب الأشراف: 319/8. وجاء في الأصل: هماً لأجرت... وبه لا يستقيم الوزن.
- 47 أنساب الأشراف: 102/12.
- 48 أنساب الأشراف: 308/8. وجاء في الأصل: أعظم... وباسته، وبه لا يستقيم الوزن.
- 49 الأغاني: 334/10، وينظر الأبيات: 6,3,2,1، أنساب الأشراف: 319/8 مع اختلاف.
- 50 المشقر للبيعر كالثقة للسان. ينظر لسان العرب، مادة (شَفَّرَ): 419/4.
- 51 الأغاني: 323/10، وينظر أنساب الأشراف: 96/12، مع اختلاف. ومكبة ابنة القرزدي، وكانت زنجية.
- 52 أنساب الأشراف: 74/12.
- 53 أنساب الأشراف: 224/13.
- 54 أنساب الأشراف: 95/12.
- 55 المخلاة: جمع الخلى، وهو الحشيش الذي يحتشرون به يقول الربيع. ينظر لسان العرب، مادة (خَلَا): 243/14.
- 56 الأوار: حر النار والشمس والعطش والدخان، يتقبل لسان العرب، مادة (أَوَرَ): 35/4.
- 57 الفرانق، الذي يدل صاحب البريد على الطريق، ينظر لسان العرب، مادة (فَرَنَّقَ): 307/10.
- 58 أنساب الأشراف: 143/10.
- 59 الرزية: الفجيعة والمصيبة. ينظر لسان العرب، مادة (رَزَأَ): 245/8.
- 60 أنساب الأشراف: 93/12.
- 61 أنساب الأشراف: 185/12.
- 62 تصحيقات المحدثين، الحسن بن عبد الله بن سهر، العسكري (ت 382هـ)، تحقيق: محمود أحمد ميرة. ط1/ 1402، المطبعة العربية الحديثة: 553، أنساب الأشراف: 387/11، تاج العروس: 226/8، مع اختلاف، وإكمال الكمال، لابن ماكولا، (ت 475هـ)، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة: 292/2، و أنساب: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاتي، (ت 562هـ)، تقديم وتعليق: عبد الله هجر البارودي، ط1/ 1408هـ، دار الجنان - بيروت: 8/2.
- 63 دارين: فريضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند. ينظر معجم البلدان: 432/2.
- 64 أنساب الأشراف: 93/12، وينظر الأغاني: 323/10، واسمها فيه "ظبية".
- 65 أنساب الأشراف: 262/12، و 306/8.
- 66 أنساب الأشراف: 117/12.

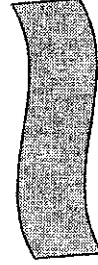
- 67 أنساب الأشراف: 348/112.
- 68 خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب: 96/3، وينظر للبيت السادس والتاسع والعاشر في، أنساب الأشراف: 236/12، والبيت الأول والثاني في المعاني الكبير في أبيات المعاني، لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1/1405هـ - 1984م: 588/1، مع اختلاف.
- 69 الصلاة: كل حجر عريض يدق عليه عطر أو هبب. ينظر لسان العرب، مادة (صلا): 468/14.
- 70 السفاد: نرو الذكر على الأنثى من الحيوان. ينظر لسان العرب، مادة (سقد): 218/3.
- 71 ذو الوداع، واسمه: يزيد بن ثروان، وكان يضرب به المثل في الحُقم، والهبئق: الوصيف. ينظر لسان العرب: 365/10.
- 72 شمع النعل: قبالتها الذي يشد إلى زمامها، وهو أحد سيور النعل، وهو الذي يدخل بين الأصبعين. ينظر لسان العرب، مادة (شسَع): 180/8.
- 73 الأغاني: 339/10، وينظر أنساب الأشراف: 97/12. مع اختلاف.
- 74 الخادر بالخاء المعجمة: هو الأسد في خدره، وأسد شميم: أي عابس. ينظر لسان العرب، مادة (خَدَر): 318/12 و 239/12.
- 75 ينظر البيت الثاني والثالث والرابع في الشعر والشعراء، لابن قتيبة، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت - لبنان: 388/1، والبيت الأول والثاني في أنساب الأشراف: 67/12.
- 76 امرأة رجراجة: مرتجة الكفل يترجح كفلها ولحمها. ينظر لسان العرب، مادة (رَجَج): 282/2.
- 77 أنساب الأشراف: 351/7.
- 78 الأغاني: 338/10، وينظر في أنساب الأشراف: 81/9، وتاريخ مدينة دمشق: 297/7 مع اختلاف.
- 79 الأغاني: 296/13، وينظر أنساب الأشراف: 98-99، ومعجم البلدان: 136/4، مع اختلاف.
- 80 أنساب الأشراف: 102/12.
- 81 اتجمل الأمر انتجالاً: إذا استبان ومضى، ينظر لسان العرب، مادة (تَجَل): 648/11.
- 82 أنساب الأشراف: 420/7.
- 83 أنساب الأشراف: 47/9.
- 84 أنساب الأشراف: 66/12.
- 85 الهجنة من الكلام ما يعيبك، والهجين: العربي ابن الأمة لأنه معيب. ينظر لسان العرب، مادة (هَجَن): 431/13.
- 86 أنساب الأشراف: 384/11.
- 87 أنساب الأشراف: 115/12.
- 88 أنساب الأشراف: 414/8.
- 89 أنساب الأشراف: 389/8. وجاء في الأصل: أميركم شر...، وبه لا يستقيم الوزن.
- 90 أنساب الأشراف: 270/8، وينظر البيت الأول في البيان والتبيين: 353/1.
- 91 أنساب الأشراف: 62/13.
- 92 نوق روائم: جمع رائمة، وفلان رؤم للضميم أي ذليل راض بالخسف، وهو مجاز. ينظر تاج العروس: 303/8.
- 93 الأغاني: 368/9، وينظر أنساب الأشراف: 357/6، والتذكرة الحمدونية، تصنيف ابن حمدون، محمد ابن الحسن بن محمد بن علي، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر - بيروت، ط1/1996م: 192/9، والبيت الأول في البيان والتبيين: 439/1.
- 94 أنساب الأشراف: 245/13.

- 95 أنساب الأشراف: 148/12.
- 96 أنساب الأشراف: 414/8.
- 97 محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت نحو 502هـ)، تحقيق: الدكتور رياض عبد الحميد مراد، دار صادر - بيروت، ط1/ 1425هـ - 2004م: 50/2، التذكرة الحمدونية: 253/7، وينظر أنساب الأشراف: 75/12، مع اختلاف. وجاء في المصدرين الأخيرين: كم من حر ياب....، وبه لا يستقيم الوزن.
- 98 الخدرة: اسم أتان كانت قديمة، والأخدرى منسوباً إليها. ينظر لسان العرب، مادة (خَدَرَ): 233/4.
- 99 أنساب الأشراف: 270/6.
- 100 أنساب الأشراف: 95/12.
- 101 أنساب الأشراف: 116/12.
- 102 امرأة مكورة الساقين: مستديرة الساقين، والقرم: شدة الشهوة إلى اللحم، ينظر لسان العرب، مسادة (مكر): 184/5، ومادة (قَرِمَ): 473/12.
- 103 أنساب الأشراف: 76-77. وجاء في الأصل: لا ترخ...، وبه لا يستقيم الوزن.
- 104 الشعر والشعراء: 387/1، بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (ت463هـ)، تحقيق: محمد مرسي الخولي، ط2/ 1402هـ - 1982م. دار الكتب العلمية - بيروت: 41/3، وينظر أنساب الأشراف: 81/12، والتذكرة الحمدونية: 193/9، والعقد الفريد، أحمد ابن محمد بن عبد ربه الأندلسي، (ت328هـ)، تقديم الأستاذ: خليل شرف الدين، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط2/ 1990م: 96/6، والإصاية في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، (ت852هـ) تحقيق الشيخ: عادل أحمد عيسى الموجود، ط1، 1415، دار الكتب العلمية - بيروت: 176/6، والبيت الثاني في مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة أحوال الزمان، عفيف الدين، عبد الله بن أسعد اليافعي اليماني، (ت768هـ)، تحقيق: عيد الله الجبوري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1/ 1405هـ - 1984م: 374/1، والمستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبخشي، (ت850هـ)، تحقيق: الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1/ 1403هـ - 1983م: 203/1، يدون نسبة، وتاريخ دمشق: 177/36، وسير أعلام النبلاء: 567/9، والإعجاز والإيجاز، ومعه منظومة (جوامع الكلم)، فسي تاريخ العرب والإسلام، لأبي منصور الثعالبي، (ت429هـ)، دار صعب - بيروت: 148. مع اختلاف.
- 105 أنساب الأشراف: 70-71.
- 106 النساء الفوارك: اللاتي يطمحن إلى الرجال ولسن بقاصرات الطرف على الأزواج. ينظر لسان العرب، مادة (فَسْرَكَ): 474/10.
- 107 جهمرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، ط2، 1988: دار الفكر - بيروت: 211/1، وينظر أنساب الأشراف: 292/5، مع اختلاف.
- 108 الكامل في اللغة والأدب: 412/1، التذكرة الحمدونية: 264/4، خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب: 66/8، التعازي والمراثي، للمبرد، حققه وقدم له: محمد الديباجي، دار صادر - بيروت، ط1/ 1412هـ - 1992م: 203، وينظر البيت الثاني في شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت769هـ) محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي - بيروت: 69/1.
- 109 أنساب الأشراف: 73-74.
- 110 الحر، بتشديد الراء حر المرأة، وحرح الرجل أوع بالمرأة. ينظر لسان العرب، مادة (حَرَحَ): 432/2.

- 111 جمع: المزدلفة، ينظر معجم البلدان: 163/2.
- 112 الأغاني: 320/10، وينظر، أنساب الأشراف: 91/12، ما عدا البيت الثالث مع اختلاف. وجاء في المصدرين في عجز البيت الثالث: لو أن المنيا....، وبه لا يستقيم الوزن، وفي محاضرات الأدباء: 382/4، البيت الأول والثاني مع خلاف.
- 113 أنساب الأشراف: 64/9، وينظر معجم البلدان: 51/5، وفيها: وقال المفرج بن المرفع، مع اختلاف.
- 114 أنساب الأشراف: 103-104. وتنسب إلى الفرزدق، والبيت الثاني زيادة من، الأماشي في المشكلات القرآنية والحكم والأحاديث النبوية، لإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن القاسم الزجاجي، دار الكتاب العربي - بيروت: 61 - 62، مع اختلاف.
- 115 نض الماء: سال قليلاً قليلاً. ينظر لسان العرب، مادة (نَضَضَ): 236/7.
- 116 أنساب الأشراف: 118/12، وجاء فيه: فتى حنظلي، وينظر الأبيات: 8,7,6,4,1، في الأغاني: 260/22، وفيها لأبي حزابة، والبيان والتبيين: 539/1، الأبيات: 8,7,6,4,3، وفيها، قال أبو حزابة، الأبيات: 5,4,3، وفيها: وقال مسعود بن مالك الجرمي، وديوان الحماسة، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده - مصر، 1374هـ - 1955م: 408/1، الأبيات: 5,4,3، وفيها: وقال آخر، والحماسة البصرية، صدر الدين علي بن الحسن البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، ط3، 1403هـ - 1983م، عالم الكتب - بيروت: 263/1، الأبيات: 7,6,4,1، وفيها: وقال أبو حزابة الحنظلي، وفتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذري، (ت 279هـ)، 1379هـ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة: 492/2، الأبيات: 5,4,3,1، وفيها: قال أبو حزابة، ويقال حنظلة بن عرادة، ودلائل الإعجاز في علم المعاني، لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني، (ت 471هـ) تحقيق: د. محمد النتجي، ط1، 1995م. دار الكتاب العربي - بيروت: 124/1، الأبيات: 5,3، بدون نسبة، مع اختلاف.
- 117 زدرع القوم: اتخذوا زرعاً لأنفسهم. ينظر لسان العرب، مادة (زَرَعَ): 141/8.
- 118 العنوج: الرائع من الخيل ومن النجائب، ويجمع عناجيح، ينظر كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل ابن أحمد الفراهيدي، (ت 175هـ)، تحقيق: الدكتور مخدي المخرومي، وإبراهيم السامرائي، ط2/ 1409هـ، مؤسسة دار الهجرة: 232/1.
- 119 الكامل في اللغة والأدب: 281/2، أنساب الأشراف: 280/7.
- 120 أنساب الأشراف: 44/9، وينظر الحيوان، الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، د.ت، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة: 224/1، وفيه أنها تنسب للجارود بن أبي سيرة. مع اختلاف.
- 121 أنساب الأشراف: 341/2، والبيت الرابع زيادة من الأماشي الشجرية، للإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري، عالم الكتب - بيروت، ط3/ 1403هـ - 1983م: 168/1، منسوبة إلى ابن الرنيس الأسدي، وفي تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي - بيروت: 285/4، منسوبة إلى عبد الله بن الزبير الأسدي ويقال للفرزدق، ولسان العرب: 502/4، وتاج العروس: 359/3، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، (ت 393هـ) تحقيق: أحمد بن عبد الغفور عطار، ط4، 1407هـ، دار العلم للملايين - بيروت: 726/2، منسوبة لسليم بن سلام الحنفي، والأخبار الطوال، أبو حنيفة الدينوري، (ت 282هـ) تحقيق: عبد المنعم عامر، ط1، 1960م، دار إحياء الكتب العربية - بيروت: 242، منسوبة إلى عبد الرحمن ابن الزبير الأسدي. وتاريخ دمشق: 259/28، لعبد الله بن الزبير الأشجيم. وتهذيب الكمال، أبو الحجاج يوسف المزي، تحقيق الدكتور: بشار عواد معروف، ط4، 1413هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت: 427/6، وقال شاعرهم. وسير أعلام النبلاء: 308/3، وقال الشاعر. وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ط1، 1404هـ، دار الفكر - بيروت: 304/2، فقال شاعرهم. والإصابة: 71/2، فقال شاعرهم، البداية والنهاية، الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت 747هـ) تحقيق: علي شيري، ط1،

- 1408هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت: 169/8، قال رجل شاعر. وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، (ت656هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - بيروت: 237/15، قال الشاعر. والقطعات الكبرى، ابن سعد، (ت230هـ) دار صادر - بيروت: 42/4، قول الشاعر، والبصائر والذخائر، لأبي حسان التوحيدي، تحقيق: الدكتورة ودداد القاضي، ط1، 1408هـ - 1988م دار صادر - بيروت: 115/8، الأبيات، 103، بدون نسبة، ومجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني، (ت518هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت: 281/1، الأبيات: 1، 2، بدون نسبة، ونسب فريش، لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، (ت236هـ)، دار المعارف - القاهرة، ط/3: 84، ورد فيه البيت الأول فقط، بدون نسبة أيضاً،
- 122 الظمار: وهو المكان العالي، وقيل هو اسم جبل. ينظر لسان العرب، مادة (ظَمَر): 502/4.
- 123 الهملاج: من البراذين واحد الهمالج، ومشبهها الهملجة، فارسي معرب، والهملاج: حسن سير الدابة في سرعة. ينظر لسان العرب، مادة (هَمَلَج): 393/2.
- 124 زيادة من مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني، (ت 356هـ)، تحقيق: كاظم المظفر، المكتبة الحيدرية في النجف، ط2: 72.
- 125 زيادة من مقاتل الطالبين: 72.
- 126 أنساب الأشراف: 405/4، وتنسب في الطبقات الكبرى: 25/5، لسحيم بن وثيل اليربوعي، وقد ورد هذا البيت في المصادر الآتية منسوباً إلى الفرزدق. تاريخ مدينة دمشق: 220/27، وتاريخ الطبري: 396/4، والبداية والنهاية: 261/8، والصحاح: 89/1، والنهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (ت606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، ط4/1364هـ، مؤسسة اسماعيليان - قم: 92/1، ولسان العرب: 222/1، وتاج العروس: 152/1. مع اختلاف.
- 127 النبية: السمين، وقيل الشاب الممتلئ البدن نعمة، وبه لقب عبد الله بن الحرث لكثرة لحمه في صغره. ينظر لسان العرب، مادة (نَبِيْب): 222/1.

أصوات الاستعلاء في العربية وأثرها الدلالي



د. خالد محمد حماش*

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد.. فإن اللغة العربية قد حظيت بعناية ربانية خاصة قبل نزول القرآن، إذ هيا لها من القرائح الصافية والأذهان الذكية والبيئة المناسبة ما جعلها أهلاً لتلقي وحى السماء كتاباً خالداً خاتماً لجميع الرسالات معجزاً في نظمه وأسلوبه وتأثيره، باعتراف العرب جميعاً ممن آمنوا به وصدقوه وممن اعترفوا بسمو بلاغته وإن لم تكتب لهم السعادة بالإيمان، وممن كابروا بألسنتهم وأقروا بعجزهم وسكوتهم عن محاولة الإتيان بسورة واحدة من مثله عندما تحداهم مرة تلو المرة.

ثم زادت هذه اللغة بالقرآن بهاءً وجمالاً، وازدادت محبة أهلها لها ففدوها بأرواحهم وعقولهم وعكفوا على تأملها ودراستها ووضع القواعد لحفظها عندما لمحوا شيئاً من اللحن والتغيير فيها، فوضعوا لنا معجمات لحفظ مفرداتها وقواعد للصرف والنحو لحفظ أبنية كلماتها وتراكيبها وقواعد في البلاغة لحفظ وضبط أساليبها وكشف أسرار جمالها وتأثيرها.

ولم يفنهم أن يضعوا الضوابط الدقيقة لمخارج أصواتها وصفات حروفها وقواعد نطقها وأثر بعضها في بعض، أثناء نطق الكلمات والجمل وما يحدث فيها من تقسيم وترقيق وإدغام كامل وناقص، وما سوى ذلك، فقدموا لنا علماء في الأصوات سبقوا به العالم مئات السنين، وكان سبباً في حفظ أصوات هذه اللغة أمام التطور اللغوي، وأمام كثرة العاميات العربية وعبوبها ومشاكلها، حيث بقي النطق السليم الدقيق للقرآن خاصة والعربية عامة محفوظاً بالقواعد والتطبيق على مر الأزمان والعصور.

وهذا البحث تناول جانباً من هذا العلم وهو (أصوات الاستعلاء في العربية) وميزاتها وأقوال العلماء القدماء والمحدثين فيها وأثرها على غيرها من الأصوات داخل التركيب، ثم عرّج على أثر هذه الأصوات في الدلالة، راجياً أن يكون هذا البحث خطوة جادة في الكشف عن كثير من أسرار هذه اللغة الشريفة، وعملاً متواضعاً في التعريف بجهود علمائنا العظام في حفظها. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الاستعلاء والتفخيم لغةً واصطلاحاً:

الاستعلاء لغة: الارتفاع والعلو، «علا في المكان من باب سماء واستعلى الرجل علا»⁽¹⁾، «والعين واللام والحرف المعتل ياء كان أو واو أو ألفاً يدل على السمو والارتفاع لا يشذ عنه شيء»⁽²⁾، «وعلا في الجبل صعد، وعلا في الأرض تكبر»⁽³⁾، والاستعلاء ضد الانخفاض.

أما الاستعلاء اصطلاحاً فهو: ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى⁽⁴⁾، ويقول ابن جني: «ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك إلى الأعلى»⁽⁵⁾، وهذا التعريف مستمد من سيبويه⁽⁶⁾.

وحروف الاستعلاء سبعة جمعت في قولهم: «خص ضغط قسط»⁽⁷⁾، حروف الإطباق (ص ض ط ظ) والغين والخاء والقاف⁽⁸⁾.

قال ابن الجزري⁽⁹⁾: «هي حروف التفخيم على الصواب وأعلاها الطاء، كما أن أسفل المستقلة الياء».

ولم يزد أحد على هذه الأصوات شيئاً إلا أنهم ألحقوا بها اللام والراء المفخمتين⁽¹⁰⁾، ويمكن زيادة الألف المدية المفخمة إليها أيضاً.

سبب التسمية: من خلال المعنى الاصطلاحي يتبين لنا سبب تسمية هذه الأصوات بأصوات الاستعلاء أو الأصوات المستعلية «لأن الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك فينطبق الصوت مستعلياً بالريح مع طائفة من اللسان مع الحنك، هذا مع حروف الإطباق، ولا ينطبق الصوت مع الغين والحاء والقاف وإنما يستعلي الصوت غير منطبق»⁽¹¹⁾.

ويقول الحصري⁽¹²⁾: ووصفت هذه الحروف بالاستعلاء لاستعلاء أقصى اللسان عند النطق بها. وينقل عن العلامة المرعشي⁽¹³⁾: «إن المعتبر في الاستعلاء إنما هو استعلاء أقصى اللسان، سواء استعلي معه بقية اللسان أم لا».

وفي وصف هذه الحروف بالاستعلاء مجاز لأن المستعلي في الحقيقة إنما هو آخر اللسان، وأما الحروف فمستعل عندها اللسان، فكان حق التعبير أن يقال: الحروف المستعلي عندها اللسان، ولكن حصل فيه اختصار فقيل الحروف المستعلية، وعلاقة المجاز المجاورة⁽¹⁴⁾.

والتفخيم لغة: رجل فخم، أي عظيم القدر، و(التفخيم) التعظيم⁽¹⁵⁾.

واصطلاحاً: تعظيم الحرف بجعله في المخرج سميئاً وفي الصفة قوياً ويقابله الترفيق من الرقة، وهي النحافة ضدّ السمن، وفي الاصطلاح: تنحيف الحرف بجعله في المخرج نحيفاً وفي الصفة ضعيفاً. وعرف بعضهم التفخيم بأنه: النطق بالحرف غليظاً ممثلاً الفم بصداه⁽¹⁶⁾.

بين الإطباق والاستعلاء:

كل مطبق مستعل وليس كل مستعل مطبقاً، فإن حروف الاستعلاء تحتوي على حروف الإطباق كاملة، فحروف الإطباق كلها مستعلية، فبينهما خصوص وعموم⁽¹⁷⁾، أي أن كل مطبق مستعل وليس كل مستعل مطبقاً.

وحروف الإطباق هي: الصاد والضاد والطاء والظاء.

والإطباق لغة: من أطبق الشيء غطاه وجعله مطبقاً⁽¹⁸⁾، ومن هذا قولهم أطبق

الناس على كذا، كأن أقوالهم تساوت حتى صير أحدها طبقاً للآخر⁽¹⁹⁾.

ولا يبعد المعنى الاصطلاحي عن هذا المعنى، يقول سيبويه: «إذا وضعت لسانك في

مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف»⁽²⁰⁾.

ويقول ابن جني⁽²¹⁾: «أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له»، فهو إذن إطباق يحصل عند النطق بهذه الحروف الأربعة بين ظهر اللسان والحنك الأعلى، يرافقه استعلاء بطبيعة الحال، أما بقية حروف الاستعلاء وهي: (الخاء والغين والقاف) فيرتفع معها أقصى اللسان وهو الاستعلاء، ولو نظرت إلى المرآة وأنت تنطق هذه الحروف الثلاثة الأخيرة لرأيت ظهر أقصى اللسان يرتفع إلى الحنك الأعلى، ولو نظرت إلى المرآة وأنت تنطق حروف الإطباق لما شاهدت ظهر اللسان أصلاً لأنه في هذه الحالة يكون جلّه مرتفعاً إلى الحنك الأعلى وهذا هو الفرق بين الإطباق مع الاستعلاء وبين الاستعلاء بدون إطباق، والله أعلم بالصولب.

ومن عجيب الموافقات أن رسم أصوات الإطباق الأربعة يبدأ بشكل (ص) وهو قريب من شكل اللسان أثناء النطق بهذه الأصوات.

والإطباق درجات فهو على الإجمال إطباق ولكن قد يزيد كثيراً حتى يغلق مخرج الحرف تماماً وهي صفة الشدة فيجتمع مع الإطباق شدة، فالشدة اشتداد الحرف في مخرجه حتى لا يخرج معه صوت⁽²²⁾، فإذا اجتمع أيضاً مع الشدة جهراً، والجهر منع النفس أن يجري معه عند النطق به لقوته وقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه⁽²³⁾، عندها لا بد لإخراج هذا الصوت من أحد أمرين: إما بالحركة إن كان متحركاً فيكون إخراج الحرف بالتباعد، (أي: بتباعد عضوي المخرج)، فإن كان الحرف ساكناً لسبب نحوي أو صرفي فلا بد من القلقة لإخراج الحرف حيث يقلل الحرف أو يقلق⁽²⁴⁾ ليتمكن الهواء من التسرب والخروج فيظهر الصوت.

وسميت القلقة بهذا الاسم لظهور صوت يشبه النبرة عند الوقوف على حروف القلقة وزيادة إتمام النطق بهن⁽²⁵⁾.

وحروف القلقة خمسة يجمعها (قطب جد) وذلك لاجتماع الشدة والجهر فيهن.

والحرف الوحيد المقلد من بين حروف الإطباق هو (الطاء)، وهو أعلى درجات الإطباق إطباقاً، والطاء أضعفها، والصاد والضاد متوسطتان⁽²⁶⁾.

ومن الفروق بين أصوات الإطباق وبقية أصوات الاستعلاء أن أصوات الإطباق مخارجها في غير منطقة الإطباق، وإنما إطباق اللسان مع الحنك الأعلى هو عرض يحصل مع خروج الحروف من مخارجها، أما الغين والحاء والقاف فهي قريبة جداً من منطقة الإطباق فبذلك اشتركت مع حروف الإطباق بصفة الاستعلاء لما في رفع مؤخر اللسان إلى الحنك الأعلى من الاستعلاء والتفخيم⁽²⁷⁾.

ويقسم الدكتور أحمد مختار عمر⁽²⁸⁾ الأصوات المفخمة إلى ثلاثة أنواع:

أ- أصوات كاملة التفخيم (ص- ض- ط- ظ واللام المفخمة).

ب- أصوات ذات تفخيم جزئي وهي: (خ - غ - ق).

ج- صوت يفخم في مواضع ويرقق في مواضع وهو: الراء.

والتفخيم عنده معناه: ارتفاع مؤخر اللسان إلى أعلى قليلاً في اتجاه الطباق اللين وتحركه إلى الخلف قليلاً في اتجاه الحائط الخلفي للحلق ولذلك يسميه بعضهم (الإطباق) بالنظر إلى الحركة العليا للسان، ويسميه بعضهم (التحليق) بالنظر إلى الحركة الخلفية للسان، ويلاحظ أن حروف الإطباق لها مقابل مرقق فالصاد تقابلها السين، والضاد تقابلها الدال والطاء تقابلها التاء، والطاء تقابلها الزاي.

أما الخاء والغين والقاف فليس لها مقابل مرقق ولذلك تتساهل اللغة في ترقيقها لأنه لا يترتب عليه تداخل فونيمي. وربما يكون هذا الحكم في غير قراءة القرآن، أو في اللغات العامية، ولم ينبه الدكتور أحمد مختار عمر إلى أن اللام في أغلب حالاتها مرققة. ويمكن أن نخلص مما ذكرناه إلى أن حروف الاستعلاء نوعان: نوع دائم التفخيم وهي المجموعة في قولهم: (خص ضغط قظ) لا يستثنى منها شيء في حال من الأحوال، ونوع عرضي التفخيم وهي (اللام والراء) أما اللام فتفخم في اسم الله تعالى، بعد فتحة أو ضمة إجماعاً، أو بعد بعض حروف الإطباق في بعض الروايات، وأما الراء فتفخم إذا كانت مضمومة أو مفتوحة مطلقاً في أكثر الروايات، والساكنة في بعض

الأحوال، على تفصيل في ذلك، وهذان الحرفان في حال تقخيمهما يكونان من الحروف المستعلية⁽²⁹⁾.

والألف المدية أيضاً تفخم إذا سبقها حرف مفخم، ويبدو أنهم لم ينكروها مع الحروف المفخمة لأنها تبع لما قبلها، يقول ابن الجزري⁽³⁰⁾: «وأما الألف فالصحيح أنها لا توصف بترقيق ولا تفخيم بل بحسب ما تتقدمها فإنها تتبعه ترفيقاً وتقخيماً، ولذلك لا تكتب لوحدها في الحروف الهجائية وإنما توضع مع حرف اللام فتكتب هكذا (لا) وما وقع من كلام بعض أئمتنا من إطلاق ترفيقها فإنما يريدون التحذير مما يفعله العجم من المبالغة في لفظها إلى أن يصيروها كالواو».

واختلف في مراتب حروف الاستعلاء فبينما عدّ مكي بن أبي طالب⁽³¹⁾ القاف أشدها استعلاء، نرى ابن الجزري⁽³²⁾ قد عدّ الطاء أعلاها استعلاء.

واللافت للنظر أن الحرفين من حروف القلقة التي يجتمع فيها الجهر والشدة، فكأن الجهر والشدة زادا من استعلائهما.

ومن يذهب إلى أن الإطباق زيادة في الاستعلاء يرى أن الصواب مع ابن الجزري لأن الطاء مطبقة، فهي أعلى حروف الاستعلاء استعلاء وتقخيماً، والحق أن تذوق القاف مع الطاء يكاد يقطع بأن القاف أكثر تقخيماً.

وقد رتب الشيخ محمود خليل الحصري⁽³³⁾ حروف الاستعلاء في القوة على هذا الشكل ط، ض، ص، ظ، ق، غ، خ، من غير تعليل أو مصدر.

وتتفاوت حروف الاستعلاء في التقخيم بحسب حركاتها وما يليها من أصوات، فإن أعلى درجات التقخيم إذا جاء بعد حرف الاستعلاء ألف مدية مثل: (خائفين، وغالبين) يليها في التقخيم حالة مجيء حروف الاستعلاء مفتوحاً مثل: (خآقوا) يليها حالة الحرف المستعلي مضموماً مثل: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾، يليها حالة الحرف المستعلي ساكناً مثل: ﴿يخلق ما يشاء﴾، يليها حالة الحرف المستعلي مكسوراً مثل: ﴿وقيل يا أرض...﴾، وحروف الاستعلاء وما لحقها لا تخرج عن التقخيم في كل هذه الحالات ولكن تتفاوت درجات التقخيم ارتفاعاً وانخفاضاً⁽³⁴⁾.

وهناك رأي وجيه قاله صاحب نهاية القول المفيد، وهو أن اللام المفخمة في لفظ الجلالة أعلى مراتب التفخيم أي أعلى من حروف الاستعلاء السبعة⁽³⁵⁾. وبعد هذا التمهيد في التعريف بالاستعلاء والإطباق والتفخيم في الأصوات العربية يمكننا أن نتعرف على كل حرف من حروف الاستعلاء الدائمة منها وهي: (خص ضغط قظ) والعرضية، وهي: الراء واللام والألف المدية، ونبدأ بالحروف المطبقة ثم الحروف المستعلية من غير إطباق ثم المفخمة عرضاً.

- الطاء -

قال الليث قال الخليل: «والتاء والتاء والذال نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى»⁽³⁶⁾، «والنَّطْعُ والنَّطْعُ والنَّطْعُ والنَّطْعُ ما ظهر من غار النعم الأعلى وهي الجلدة الملتزقة بعظم الخليقاء فيها آثار كالتحزيز، وفي الحديث: ((هَلِكِ الْمُتَنَطِّعُونَ))؛ هم المتعمقون المعالون في الكلام الذين يتكلمون بأقصى حلوهم تكبراً... قال ابن الأثير: هو مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى في الفم»⁽³⁷⁾.

وبيّن سيبويه مخرج الطاء مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا⁽³⁸⁾، وبيّن صفاته فقال: «هو مجهور»⁽³⁹⁾، مطبق شديد، ومن حروف الاستعلاء»⁽⁴⁰⁾.

وقد وافق ابن جني سيبويه في كل ما ذهب إليه، وزاد عليه أنه صوت مشرب قائلاً: «واعلم أن في الحروف حروفاً مشربة تحفز في الوقف وتضغط عند مواضعها، وهي حروف القلقة (ق - ج - ط - د - ب) لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت وذلك لشدة الحفز والضغط»⁽⁴¹⁾.

والمقصود بالوقوف هنا السكون، يقول ابن الجزري: وذهب متأخرو أئمتنا إلى تخصيص القلقة بالوقف تمسكاً بظاهر ما رأوه من عبارة المتقدمين أن المراد بالوقف ضد الوصل، وليس المراد سوى السكون فإن المتقدمين يطلقون الوقف على السكون... ونقل عن الأستاذ أبي الحسن شريح أنه قال في كتابه (نهاية الإتقان في تجويد القرآن): «أن القلقة تكون متوسطة كباء الأبواب ومتطرفة كباء لم يتب»⁽⁴²⁾.

وأما عند المحدثين فالطاء صوت شديد (انفجاري) مهموس يتكون كما تتكون التاء

غير أن وضع اللسان مع الطاء يختلف عن وضعه مع التاء، فاللسان مع الطاء يتخذ شكلاً مقعراً منطبقاً على الحنك الأعلى ويرجع إلى الوراء قليلاً، وهو أسناني لثوي مفخم مطبق (43).

والملاحظ أن المحدثين جعلوا الطاء مهموسة على حين هي مجهورة عند القدماء، وقد وضع الدكتور كمال بشر ثلاثة احتمالات (44) لتفسير هذا الخلاف، الأول: أن القدماء أخطأوا التقدير فظنوا أن الطاء مجهورة.

والثاني: أن الصوت تطور في نطقه فلعلم كانوا ينطقونه في القديم بما يشبه نطق الضاد الحالية، والضاد الحالية صوت مجهور، وهي النظير المطبق أو المفخم للدال، ومعنى هذا الكلام أن ضادهم كانت تختلف عن ضادنا الحالية، أي أنها صوت لا نظير له في نطقنا الحالي، ويؤيد هذا الاحتمال الثاني بشقيه نص سيبويه، أن الضاد «لا يخرج من موضعها شيء غيرها» (45)، على حين أن ضادنا الحالية تخرج من منطقة التاء والطاء والدال، وهذا الاحتمال أخذ به د. إبراهيم أنيس (46).

والثالث: لعلم كانوا يصفون صوتاً يشبه طاء صعيد مصر وبعض السودانين، وهو صوت مشرب التهميز، وقد سجل هذه الملاحظة الدكتور تمام حسان (47).

أما الاحتمال الأول فهو مستبعد لما رأيناه من دقة الأولين في وصف الأصوات، كما أنها من حروف القلقة التي لا بد فيها من اجتماع الشدة والجهر وإلا لما قلقت لو كانت مهموسة كما هو الحال في التاء والكاف فهما شديداً مهموسان، وهمسهما حال بينهما وبين القلقة، فإن صوت الهمس الخفيف عقب النطق بهما عند تسكينهما هو الذي جنب الحرف القلقة.

وأما الثاني فيمكن التسليم به إذا كان النظر في صفة الحرف إلى عامة الناس أو إلى غير المدققين في مخارج الحروف وصفاتها من القراء المجيدين الذين تلقوا القراءة عن شيوخهم، لأنه بالفعل لدى العامة وكثير من المثقفين قد تغيرت مخارج كثير من الحروف بتأثير لهجاتهم فيعرف المتحدث بالفصحى عادة إن كان شامياً أو مصرياً أو عراقياً أو سودانياً من خلال مخارج حروفه، أما قراء القرآن المجيدون المحققون فلا تظهر آثار

لهجاتهم على قراءتهم، فإن كان المحدثون يتحدثون عن الطاء عند غير القراء المحققين، وهذا هو الأرجح لأنهم في الغالب يعتمدون المنهج الوصفي ويصفون واقع اللغة لدى الناس، فإن الطاء لدى هؤلاء الناس قد تغيرت ولا يبعد أن تكون قد تراجعت عن صفة الجهر لقربها من التاء المهموسة، فقد تخرج لدى بعض الناس تاءً مستعلية، وقد سمعتها في عمران (محافظة في اليمن قرب صنعاء) قريبة من الضاد فيقرأ بعضهم: (وأضيعوا الله) بدل ﴿وأطيعوا الله﴾. وفي ذلك ما فيه من تغير في الدلالة.

وأما قول سيبويه الذي استدل به د. كمال بشر فهو كلام دقيق يعبر عن دقة مخرج الضاد وتفردته وليس بالضرورة أن لا يكون قريباً من مخرج آخر فإن مخرج الضاد لدى القراء له من الضوابط ما يحصنه من الاختلاط بغيره ولكن مع كثير من الدقة والحذر والرياضة كما أشار القدماء.

وشيء آخر لابد من التنبيه إليه وهو أن الجهر أيضاً مراتب كما هو الحال في التفخيم وقد تكون الطاء أقل جهراً من غيرها، وتذوق ذلك بالطريقة المعهودة بوضع الإصبع على الحنجرة والنطق بالحرف يثبت ذلك.

ولا ننسى أخيراً أن القرآن الكريم محفوظ وحفظه يتطلب حفظ لغته وفي مقدمة حفظ لغته حفظ أصواته، ومصدق ذلك ما رأيناه من الجهود الضخمة لعلماء القراءات والتجويد في ضبط هذا الأمر، وما أثبتته علم الأصوات الحديث من دقة نظرهم وملاحظاتهم، برغم قلة الأدوات بين أيديهم أمام ما توافر للباحثين المحدثين، فأبي حديث عن فقد بعض الأصوات وتطورها وتبدلها ينال من هذا الحفظ المؤكد فينبغي أن نكون منه على حذر.

صوت الطاء ضمن قانون المماثلة:

يبدل الطاء من تاء افتعلت: إذا جاءت فاء افتعلت صاداً أو طاءً أو ضاداً تقلب طاءً البتة؛ وذلك لتماثل مع أخواتها: الصاد والطاء والضاد في الإطباق والاستعلاء، نحو: اصتبر - اصطبر، واضترب - اضطرب، واظتهر - اظطهر - اظهر.

يقول ابن جني: «لما رأوا التاء بعد هذه الأحرف والتاء مهموسة وهذه الأحرف مطبقة،

والتاء مخففة قربوها من لفظ الصاد والضاد والطاء بأن قلبوها إلى أقرب الحروف منهن وهو الطاء لأن الطاء أخت التاء في المخرج وأخت هؤلاء الأحرف فسي الإطباق والاستعلاء، وقلبوها مع الطاء طاءً أيضاً لتوافقها في الجهر والاستعلاء وليكون الصوت متفقاً⁽⁴⁸⁾.

إبدال الطاء من تاء فعلت، فحصت - فحسط، ضبطت - ضبطاً قياساً على اصطبر واطلع، وسببه شدة اختلاط الفعل بالتاء حتى صارت جزءاً لا يتجزأ من الكلمة⁽⁴⁹⁾.

- الطاء -

عدها الخليل من الأصوات اللثوية مع الذال والتاء؛ لأن مبدأها من اللثة⁽⁵⁰⁾، وبين سببويه أن مخرجها ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا⁽⁵¹⁾ وصفاته: مطبق⁽⁵²⁾ مجهور رخو احتكاكي مستعل⁽⁵³⁾. وقد وافق ابن جني سببويه في جهر الطاء⁽⁵⁴⁾. وهذا ما استقر الأمر عليه عند اللغويين والقراء⁽⁵⁵⁾.

أما المحدثون فقد حددوا مخرجها بوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلى بصورة تسمح بمرور الهواء من خلال منفذ ضيق فيحدث الاحتكاك مع ارتفاع مؤخرة اللسان تجاه أقصى الحنك، كما يرجع إلى الخلف قليلاً فيحدث الإطباق، فالطاء صوت مما بين الأسنان، احتكاكي (رخو) مجهور، مفخم، مطبق، وينطق هذا الصوت خطأ كما لو كان زياً مفخمة كما في اللهجات الشامية والمصرية، وبعض اللهجات تخرجه بشكل صحيح كما هو عند العراقيين⁽⁵⁶⁾.

والخلاف بين القدماء والمحدثين في الطاء هو تسميته باللثوي كما جاء عند الخليل وشرح المفصل والنشر، ويتعجب د. إبراهيم أنيس من هذه التسمية دون أن يعلق عليها⁽⁵⁷⁾.

والحق أن الرأي الراجح هو ما ذهب إليه المحدثون بدليل أننا لو حاولنا نطق الطاء بتقريب طرف اللسان من اللثة لظهر صوت آخر قريب إلى الضاد.

والطاء حرف خاص بالعرب كما جاء في لسان العرب⁽⁵⁸⁾، وكما ذكر ابن جني أن الطاء ليست من كلام النبط بدليل أنهم يقلبونها طاءً كما في ناطور إذ إن أصلها ناطور⁽⁵⁹⁾، وإن كان بعضهم يعد الطاء فصيحة، في هذه الكلمة.

قانون المماثلة وحرف الظاء:

إذا جاء فاء افتعل ظاءً نقلب التاء ظاءً مثلها ثم تدغم في الأولى، ففي اظْهَر - اظْهَر - اظْهَر.

ومنهم من إذا كانت الفاء ظاءً أبدل التاء طاءً، ثم أبدل الظاء طاءً وأدغم الطاء في الطاء فيقول اظْهَر بحاجتي، وظلمته فاظْلَم لي، وذلك لما بين الظاء والطاء من المقاربة في الإطباق والاستعلاء⁽⁶⁰⁾.

- الصاد -

عدها الخليل من الحروف الأصلية مع السين والزاي، لأن مبدؤها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان⁽⁶¹⁾. وقد جاء في لسان العرب⁽⁶²⁾: «وأسلة اللسان طرف شبائه إلى مستدقه، ومنه قيل للصاد والزاي والسين أسلية... وفي كلام علي رضي الله عنه: (لم تجف لطول المناجاة أسلات أسنتهم...)، وفي حديث مجاهد: إن قطعت الأسلة فبين بعض الحروف ولم يبين بعضاً، يحسب بالحروف، أي تقسم دية اللسان على قدر ما بقي من حروف كلامه التي ينطق بها لغته، فما نطق بها فلا يستحق ديته، وما لم ينطق به استحق ديته».

وأما سيبويه فقد أبقى مخرج الصاد مع الزاي والسين إلا أنه جاء بها على غير ترتيب الخليل في المخارج فقد جعلها بعد النطعية (ط، ت، د) على حين كانت عند الخليل قبلها، ويقول: ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد⁽⁶³⁾، ثم ذكر صفة الصاد فعده مهموساً⁽⁶⁴⁾ مطبقاً⁽⁶⁵⁾، مستعلياً⁽⁶⁶⁾ يمنع الإمالة رخواً⁽⁶⁷⁾.

وفي المفصل ما بين الثنايا وطرف اللسان، وهي مع الزاي والسين: أسلية لأن مبدؤها من أسلة اللسان، وهو مستدق طرف اللسان، وهي حروف الصفير⁽⁶⁸⁾ وهي كذلك عند القراء وفي مقدمتهم ابن الجزري⁽⁶⁹⁾.

أما المحدثون فإنهم لا يكادون يخالفون القدماء في تحديد مخرج الصاد وصفاتها، فهو يخرج باعتماد طرف اللسان خلف الأسنان العليا فهو لثوي (أسلي عند الخليل)

المقابل المفخم (المطبق) للسين، مهموس احتكاكي (رخو عند سيبويه)⁽⁷⁰⁾.

يقول د. إبراهيم أنيس: الصاد صوت رخو مهموس يشبه السين في كل شيء سوى أن الصاد أحد أصوات الإطباق، فعند النطق بالصاد يتخذ اللسان وضعاً مخالفاً لوضعه مع السين؛ إذ يكون مقعراً منطبقاً على الحنك الأعلى، مع تصعيد أقصى اللسان وطرفه نحو الحنك، ومع رجوع اللسان إلى الوراء قليلاً ككل الأصوات المطبقة⁽⁷¹⁾.

وأصوات التخميم عند د. إبراهيم أنيس هي أصوات الاستعلاء عند القدماء⁽⁷²⁾، وبالمقارنة بين القدماء والمحدثين نجد أن المحدثين لم يزيدوا شيئاً على ما أتى به الأولون فيما يخص صوت الصاد، من مخرج وصفات وقد يكون القراء زادوا على المحدثين صفة الصفير للصاد مع السين والزاي كما جاء في المفصل والنشر، وقد تقدمت الإشارة إليه.

وهذا يدل على عمق تأويل وعبقريّة نادرة عند علماء العربية الأوائل مع عدم توافر الإمكانيات والأجهزة المتوافرة في العصر الحديث.

قانون التماثل مع الصاد:

وكثيراً ما يحل صوت الصاد مكان السين إذا ولي السين غين أو خاء أو قاف أو طاء مثل: يساقون ويصاقون، وسقر وصقر، وسخر وصخر، وأصبغ وأصبغ، وسراط وصراط، وسقت وصقت، وسويق وصويق، وسهلب وسهلب، يقول الشاعر:

تنيف إذا اقورت من القود وانطوت بهاد رفيع يقهر الخيل صلهب

ويجوز أن تكون الصاد في صلهب لغة ويجوز أن تكون بدلاً من سين سلهب لأن سلهب أكثر تصرفاً من صلهب⁽⁷³⁾.

والحكمة من ذلك عند سيبويه كراهية العرب أن ينتقلوا من الأسفل إلى الأعلى ويفضلون أن يبدأوا بالأعلى فيسهل عليهم الانحدار بعد ذلك⁽⁷⁴⁾.

- الضاد -

يعدّها الخليل شجرية مع الجيم والشين لأن مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم⁽⁷⁵⁾ ، وسيبويه جعل مخرجها من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس⁽⁷⁶⁾ ، كما عدّها من حروف الإطباق⁽⁷⁷⁾ والاستعلاء⁽⁷⁸⁾ والرخوة⁽⁷⁹⁾ المجهورة⁽⁸⁰⁾ ، ويصفها بالاستطالة، «وأنها تخالط غيرها بعد خروجها فتستطيل حتى تخالط حروف اللسان فسهل تحويلها إلى الأيسر»⁽⁸¹⁾.

وفرق بين الضاد والضاد الضعيفة، ويشير إليه ابن يعيش⁽⁸²⁾ في شرح المفصل قائلاً: «والضاد الضعيفة لغة قوم اعتاصت عليهم، وربما أخرجوها طاءً، وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، وربما راموا إخراجها من مخرجها فلم يأت لهم ذلك فخرجت بين الضاد والطاء».

وتابع ابن جني سيبويه في كل ما ذهب إليه، وزاد عليه وصفاً جديداً بقوله⁽⁸³⁾: «وأما الضاد فلأن فيها طوياً وتفشياً فلو أدغمت في الطاء لذهب ما فيها من التفشي فلم يجر ذلك» فإذا كان يقصد بالتفشي ما قصده سيبويه بالاستطالة فلا جديد عند ابن جني بخصوص الضاد، ما خلا مقولته⁽⁸⁴⁾: «واعلم أن الضاد للعرب خاصة ولا توجد في كلام العجم إلا في القليل».

يؤكد د. إبراهيم أنيس أن هذه المقولة بدأت تظهر في القرن الرابع الهجري بعد أن ألف الصحاح بن عباد كتابه الذي سماه: «الفرق بين الضاد والطاء»⁽⁸⁵⁾ ، وذكر ذلك ابن فارس «وزعم ناس أن الضاد مقصورة على العرب دون سائر الأمم»⁽⁸⁶⁾ ، ويقول ابن مكي الصقلي: «هذا رسم قد طمس، وأثر قد درس من ألفاظ جميع الناس خاصتهم وعامتهم حتى لا ترى أحداً ينطق بالضاد ولا يميزها من طاء...»⁽⁸⁷⁾. وهذا كلام قيل على سبيل المبالغة وليس على سبيل الحقيقة.

كما يضعف د. إبراهيم أنيس⁽⁸⁸⁾ الحديث القائل: «أنا أفصح من نطق بالضاد»⁽⁸⁹⁾، وقد نبه قبله إلى ذلك ابن الجزري وقال إنه حديث لا أصل له ولا يصح⁽⁹⁰⁾.

ومما تمتاز به الضاد أنها من بين خمسة أحرف يدغم فيهن ما قاربهن ولا يدغمن

هن فيما قاربهن، وهن الراء والشين والفاء والميم (ضم شفر) (91).

وأما عند المحدثين فالضاد صوت مخرجه أسناني لثوي وصفته مجهور انفجاري (شديد) مفخم (مطبق) (92).

يقول د. إبراهيم أنيس (93): «والضاد في أيامنا على ثلاثة أشكال، المصرية: أقرب إلى الدال، والعراقية أقرب إلى الظاء حتى كادت أن تقاربها، والشامية وهي أقرب شيء إلى الوصف المحدث، ولو أنها صعدت قليلاً إلى موطن الظاء لقاربت اللفظ القديم، ولا عجب في ذلك فالخلاف حول نطق الضاد قديم، فقد كان فريق من العرب في صدر الإسلام يخلط بين الضاد والطاء وهي لغة حكاها الفراء عن المفضل، قال (94): «من العرب من يبديل الضاد ظاءً فيقول عظت الحرب، ومن العرب من يعكس فيقول (الضهر) وهذا لا يجوز العمل به في كتاب الله تعالى».

ويقول السيوطي: والضاد من أصعب الحروف في النطق (95).

إذن فالخلاف بين القدماء والمحدثين حول الضاد هو أنها:

أ) عند المحدثين أسنانية لثوية على حين هي عند القدماء قريبة من وسط الحنك، يقول د. كمال بشر (96)، ويعود سبب الخلاف بيننا وبينهم إلى أحد أمرين:

1- إما إخفاق الأولين في تحديد موضع مخرجها.

2- وإما اختلاف ضادنا عن ضادهم.

وأراني أميل إلى الاحتمال الثاني لأن صعوبة نطقها جعل مخرجها يزحف إلى الأمام قليلاً عند قوم فتقرب من الظاء، وترجع قليلاً عند آخرين فتقرب من الدال، والدليل على ذلك أن القراء الجيدين يحققونها على وصفها عند الأقدمين، وسرّ تحقيقها في صفة الاستطالة التي تميزت بها عند سائر الأصوات، لأن اللسان بهذه الاستطالة ينفرش في أعلى الفم حتى تصل إحدى حافتيه فتلامس ما يحاذيها من الأضراس، أو كلاهما (97)، وترك هذه الصفة التي تحتاج إلى رياضة وصبر في اكتسابها، هو الذي جعل هذا الصوت لا يتحقق له مخرجه الصحيح، والله أعلم بالصواب.

ب) عند المحدثين شديدة (انفجارية) وعند القدماء رخوة (احتكاكية).

وسبب هذا الخلاف أن الأقدمين يعدونها جانبية كاللام، وذكر ذلك باحث نواقة هو حفني ناصف فقال: «والضاد واللام يتوزعان حافة اللسان»⁽⁹⁸⁾ ولما فيها من التفشي والاستطالة كما نص على ذلك سيبويه وابن جني.

والرأي أن تتمسك بوصف القدماء مسترشدين بالقراء ونعلم الناس النطق الصحيح، لا أن نسلم بما آل إليه حال الناس في نطقهم للضاد؛ لأن الأصل في وضع هذا العلم قديماً هو الحفاظ على النطق الصحيح للقرآن والعربية كما كان ينطق على عهد رسول الله ﷺ.

- الغين -

عد الخليل⁽⁹⁹⁾ مخرجها من الحلق وجعل ترتيبها الخامس في مدارج الحلق بعد العين والحاء والهاء والحاء، وجعل الخاء والغين في حيز واحد.

وأما سيبويه فقد جعلها قبل الخاء في أدنى مرتبة في الحلق من الفم⁽¹⁰⁰⁾ وهي عنده صوت مجهور⁽¹⁰¹⁾ رخو⁽¹⁰²⁾ مستعل⁽¹⁰³⁾.

ونص شريح على أن الغين قبل الخاء وهو ظاهر كلام سيبويه، ونص مكي على تقديم الخاء، وقال ابن خروف النحوي: إن سيبويه لم يقصد ترتيباً فيما هو من مخرج واحد⁽¹⁰⁴⁾. كما يرى ابن يعيش أن الخاء أقرب إلى الفم من الغين⁽¹⁰⁵⁾. وذكر ابن جنّي أن الغين مجهور، مستعل، ورخو، موافقاً سيبويه⁽¹⁰⁶⁾.

أما المحدثون: فالغين عندهم هو النظير المجهور للخاء مخرجه من أقصى الحنك احتكاكي (رخو)، يرتفع أقصى اللسان حال النطق بهذا الصوت بحيث يكاد يلتصق بأقصى الحنك، وبحيث يكون هناك فراغ يسمح للهواء بالنفاذ مع حدوث احتكاك، وتتذبذب الأوتار الصوتية في حال النطق به⁽¹⁰⁷⁾. وهو من أصوات التقخيم الاستعلاء⁽¹⁰⁸⁾.

ورغم أن الدكتور كمال بشر يضع الغين بعد الخاء فإنه يؤكد أن مخرج الغين والحاء واحد، ولا فرق بينهما سوى بالجهر والهمس⁽¹⁰⁹⁾.

- الخاء -

هو من أصوات الحلق عند الخليل وسيبويه كما مر، والفرق بينه وبين الغين فسي المخرج ضئيل جداً حتى صعب تحديد السابق منهما في مدارج الحلق. والحاء عند سيبويه صوت رخو⁽¹¹⁰⁾ (احتكاكي) مهموس⁽¹¹¹⁾ مستعل⁽¹¹²⁾ وأشار ابن جني إلى أن الخاء حرف مهموس⁽¹¹³⁾. وعند المحدثين هو نظير الغين المهموس وهو احتكاكي (رخو) ومخرجه من أقصى الحنك⁽¹¹⁴⁾ وهو من أصوات الاستعلاء⁽¹¹⁵⁾. ونكر الأنطاكي أن مخرجه طبقي، والطبق فيه يلتقي أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى، فإن كان الالتحام تاماً حدث صوت الكف، وإن كان غير ذلك حدث صوتا الغين والحاء⁽¹¹⁶⁾.

- القاف -

يقول الخليل⁽¹¹⁷⁾: «وأما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم». والعكدة والعكدة: أصل اللسان وعقدته وفي الحديث: إذا قطع اللسان من عقدته ففيه كذا، العكدة أصل اللسان وقيل معظمه، وقيل وسطه⁽¹¹⁸⁾. وهذا تحديد جيد لمخرج القاف والكاف أما الجيم فلا ينطبق عليه تماماً، وقد ذكر الخليل أن «القاف والكاف لهويتان والكاف أرفع»⁽¹¹⁹⁾. ويحدد سيبويه مخرج القاف من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك⁽¹²⁰⁾، وصفاته: الجهر⁽¹²¹⁾ والشدة⁽¹²²⁾ والاستعلاء⁽¹²³⁾. ويؤكد ابن جني⁽¹²⁴⁾ ما جاء عند سيبويه ويضيف عليه أن القاف من الحروف المشربة أو المقلقلة، ويبدو أن مصطلح (مشربة) الذي يعني به المقلقلة لم يلق قبولاً لدى الدارسين. أما عند المحدثين فإن صوت القاف يخرج برفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الحلق واللهاة مع عدم السماح بمرور الهواء من الأنف، وبعد الضغط مدة، يطلق الهواء فجأة فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً، ولا يتذبذب الوتران عند النطق به، فهو صوت لهوي شديد مهموس⁽¹²⁵⁾.

ويؤكد الدكتور إبراهيم أنيس أن القاف عند مجيدي القراءات صوت شديد مهموس⁽¹²⁶⁾ ويذكر⁽¹²⁷⁾ أن القاف في أيامنا تلفظ على ثلاثة أوجه:

1- قريبة من الغين لدى القبائل العربية في السودان وبعض القبائل في جنوب العراق، ويقول: وقد تكون هذه هي القاف المقصودة في كتب القدماء والتي كان ينطق بها فصحاء العرب في العصور الأولى، أي أقول: إن هذا الرأي مستبعد جداً لأن الغين صوت رخو والقاف صوت شديد مقلقل، وما أبعد القلقله التي سببها انحباس الهواء عند مخرج الحرف عن الرخاوة التي تجعل الهواء يمر بيسر وسهولة.

2- وهي همزة عند الشاميين والمصريين، أقول: وفي الغالب همزة مفخمة.

3- تشبه الجيم المصرية، ولكنها أعمق في الحلق وأكثر استعلاءً، وهذا نطق البدو للقف، ومن خلال ما رواه ابن خلدون عند نطق البدو في عصره أنها بين القاف والكاف، وأن هؤلاء البدو قبائل حجازية في المغرب كانت قد هاجرت في القرن الخامس الهجري ويرجح الدكتور إبراهيم أنيس أن تكون هذه القاف هي المقصودة باللغات القديمة المجهورة.

فالأمر لا يعدو أحد احتمالين في تطور النطق بالقاف، إما أن المخرج تراجع إلى الوراء فلم يجد بين أصوات الحلق صوتاً شديداً إلا الهمزة وإما أن يكون قد تقدم إلى الأمام فكانت (الجيم المصرية) أقرب الأصوات منه.

وعلى كل حال فإنني أرى أن القاف التي ينطقها القراء المجيدون والذين تلقوا قراءاتهم مشافهة عن شيوخ اتصل سندهم في القراءة هم الذين يمثلون النطق الصحيح لهذا الحرف لا غير. وعلى علماء الأصوات أن يسعوا بكل الوسائل للعودة إلى النطق بالقاف إلى أصلها، وليس التسليم بواقع نطقها لدى الناس.

وقد تكون درجة جهرها قليلة فالتبس على المحثثين قياسها كما هو الحال في صوت الطاء.

الأصوات المفخمة عَرَضاً:

وبعد الانتهاء من استعراض الأصوات المستعلية (المفخمة) الملازمة للتفخيم نستعرض ثلاثة أصوات أخرى تفخم في حالات خاصة، فإذا زالت هذه الحالات الخاصة عادت إلى أصل تصنيفها وهي الاستفال أو الترقيق.

1- الألف اللينة:

يقول الخليل⁽¹²⁸⁾: «وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح. ويقول⁽¹²⁹⁾: «في العربية تسعة وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون صحاحاً لها أحياء⁽¹³⁰⁾ ومدارج، وأربعة جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف».

وكن يقول كثيراً⁽¹³¹⁾: الألف اللينة والواو والياء، هوائية أي إنها في الهواء والألف اللينة من حروف العلة، يقول ابن جني⁽¹³²⁾ فجميع الحروف صحيح إلا الألف والياء والواو اللواتي هن حروف المد والاستطالة.. إلا أن الألف أشد امتداداً وأوسع مخرجاً وهو الحرف الهاوي. ويقول: والحروف التي اتسعت مخرجها ثلاثة: الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها وألينها الألف... أما الألف فتجد الحلق والقم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر⁽¹³³⁾.

والألف اللينة لا تكون إلا ساكنة⁽¹³⁴⁾... ولا يبتدأ بها ولا تكون أصلاً في الأسماء المتمكنة ولا الأفعال إنما تكون بدلاً أو زائدة⁽¹³⁵⁾. ولا تقبل الحركات، إذن فالألف اللينة صوت مدي جوفي هوائي لا يكون إلا ساكناً ولا يقبل الحركات ولا يأتي ما قبله إلا مفتوحاً، ويتبع ما قبله في الصفة، كما مر معنا، فإن كان ما قبله مفخماً كان مفخماً وإن كان ما قبله مرققاً رقق، ولا يلفظ وحده؛ ولذلك وضعه واضع حروف المعجم مع اللام (لا) خلاف بقية الأحرف التي رسمت وحدها⁽¹³⁶⁾. «ولا توصف الألف بترقيق ولا

تفخيم بل بحسب ما يتقدمها فإنها تتبعه ترفيقاً وتفخيماً» (137).

- اللام -

وضع الخليل مخرج اللام مع الراء والنون من ذلق اللسان من طرف غار الفم. وقال: لا ينطلق اللسان إلا بالراء واللام والنون. وضم إلى هذه الحروف الحروف الشفوية وسمى الجميع الحروف الذلقة، وهي كثيرة الدوران في الكلام العربي لذلاقتها، وما خلت كلمة رباعية أو خماسية من هذه الحروف إلا كانت من غير كلام العرب (138). واللام صوت مجهور متوسط (بين الشدة والرخاوة) منفتح مستقل مرقق (139)، وتفخم من اسم الله تعالى بعد فتحة أو ضمة إجماعاً أو بعد بعض حروف الإطباق في بعض الروايات القرآنية واللهجات العربية (140).

- الراء -

من حروف الذلقة، ومخرجها مع اللام والنون من ذلق اللسان من طرف غار الفم (141). وهو صوت مجهور، متوسط، منفتح، مستقل مرقق في الأصل (142). بمعنى أنها لم تصنف مع حروف الاستعلاء، ولكنها تفخم وجوباً إذا كانت مفتوحة أو مضمومة، وإن كانت ساكنة سكوناً أصلياً وسبقت بفتح أو ضم أو كسر عارض كما في نحو: (ارتدوا، ارجعوا، اركعوا) أو كسر أصلي منفصل عنها بفواصل «ربّ ارجعون» أو أصلي وبعدها حرف استعلاء (قرطاس، مرصاد) ويجوز تفخيمها وترقيقها في راء (فرق) فتفخيمها لوجود حرف الاستعلاء بعدها وترقيقها للكسر الذي في حرف الاستعلاء أو لكسر ما قبلها وبعدها، وفي (مصر) و(القطر) حال الوقف عليهما، واختار ابن الجزري (143) في (مصر) التفخيم وفي (القطر) الترفيق نظراً لحال الوصل. وفي ما سوى ذلك يجب ترقيقها (144).

«وانفرد صوت الراء بكونه مكرراً صفة لازمة له لغظه» (145). وقوله: لغظه على

التغليب لأن أغلب حالات الراء التفخيم، وهذه الصفة تجتنب من غير مبالغة (146).

ومما يلتفت النظر فيما مضى من استعراض آراء القدماء في مخارج هذه الأصوات

وصفاتها، أن الخليل ذكر مخارج الحروف في كتاب العين ولم يعرض لصفاتها، على حين ذكر سيبويه المخارج والصفات في الكتاب، وهذا يدعو للتساؤل: أيعقل أن يكون سيبويه مع قرب وفاته من وفاة أستاذه قد اكتشف صفات الحروف بعد أستاذه، والغريب في الأمر أن صفات الحروف عند سيبويه تكاد تكون مكتملة ناضجة...

والرأي عندي أن صفات الحروف كانت معروفة لدى الخليل ولكنه لم يكتبها أو يضمنها في مؤلف كما هو الحال في كثير من آرائه النحوية، وإنما كان يملئها على تلاميذه ومنهم سيبويه الذي كان أكثر تلاميذه حرصاً على تسجيل آراء أستاذه. والتي ظهرت بعد ذلك في مؤلفه الشهير الكتاب الذي حوى جل آراء الخليل ومن سبقوه في النحو والصرف والأصوات... والله أعلم.

تأثير حروف التنخيم فيما جاورها:

إن صفة الاستعلاء أو التنخيم الإطباق في أربعة من أصواتها كما مرّ معنا قد أكسبت هذه الأصوات صفات مميزة عن بقية الأصوات ضمن قانون المماثلة فهي حروف قوية قلما تتأثر بغيرها وكثيراً ما تؤثر هي فيما جاورها من الأصوات، وهذه علامات عدة اقتصت بها هذه الأصوات بسبب التنخيم، وهي أنها:

1) تمنع الإمالة: يقول سيبويه في باب ما يمتنع من الإمالة التي أملتها فيما مضى⁽¹⁴⁷⁾: «فالحروف التي تمنع الإمالة هذه السبعة: (ص- ض- ط- ظ- غ- ق- خ) إذا كان حرف منها قبل الألف منعت الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى فلما كانت هذه الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلي وقربت من الألف كان العمل من وجه واحد أخف عليهم فيدغمونه، ولا نعلم أحداً يميل هذه الألف إلا من لم يؤخذ بلغته».

ويبدو أن سيبويه قد تسرع في هذا الحكم، فقد وردت الإمالة في بعض الكلمات التي سبقت فيها الألف بحرف من حروف الاستعلاء مثل: (النصاري) التي أمالها الدوري عن الكسائي⁽¹⁴⁸⁾. و(برضى)⁽¹⁴⁹⁾ و(طه)⁽¹⁵⁰⁾ و(أوصاني)⁽¹⁵¹⁾ و(أنصاري)⁽¹⁵²⁾ و(يلقاه) أماله ابن ذكوان وله وجه بالفتح، و(الغار)[التوبة:40]

رويت بالإمالة عن الدوري، وأمال حمزة الألف الواقعة عيناً من الفعل الثلاثي في عشرة أفعال منها: خاف وطاب وخاب، وأمال المطوعي ﴿وما هم بضارين﴾ [البقرة: 102]، و(أضاء) في الوقف، وهذه من القراءات العشر المعتمدة.

وقد أحسن أستاذي الأنطاكي⁽¹⁵³⁾ عندما سماها مضعفات المقتضي للإمالة والغريب أن صاحب النشر الذي يكثر من النقل عن سيبويه لم ينقل رأيه في هذه المسألة ولم يرد عليه.

(2) تفخيم اللام: من المعلوم أن اللام صوت منحرف نلق مستقل (مرقوق) ولكنه يفخم - كما مر معنا- في اسم الله تعالى إذا سبق بفتح أو ضم إجماعاً وتفخم أو (تغلظ)⁽¹⁵⁴⁾ اللام بشرطين عند ورش⁽¹⁵⁵⁾:

- 1- أن يجاور اللام الصاد أو الطاء أو الظاء ساكناً أو مفتوحاً من دون فاصل مثل: (يوصل - مطلع) أو بفاصل نحو: (طال - فصلاً - يصالحا) واللام المشددة لا تعد فاصلاً مثل: (يُصلّبوا - طَلّتم - ظلّ)⁽¹⁵⁶⁾.
- 2- أن تكون اللام مفتوحة⁽¹⁵⁷⁾.

(3) تفخيم الراء: وقد مرّ بنا من بين شروط تفخيم الراء إذا كانت ساكنة وسبقها كسر أصلي متصل بها ولحقها حرف استعلاء مضموم أو مفتوح في الكلمة نفسها نحو: «قرطاس - مرصاد - فرق»⁽¹⁵⁸⁾ فقد كان حق الراء الترقيق ولكن وجود حرف الاستعلاء بعدها جعلها مفخمة.

(4) تفخيم الألف المدية: وهي التي تلي أصوات الاستعلاء⁽¹⁵⁹⁾، وقد تحدثنا عنها سالفاً.

(5) تعذر إدغام أصوات الاستعلاء في غيرها من الأصوات إلا نادراً وعلى خلاف: - فقد أدغم أبو عمرو الضاد في الشين بخلاف عنه في قوله تعالى: ﴿لبعض شأنهم﴾ [النور: 62]⁽¹⁶⁰⁾.

- وتدغم الصاد إذا سكنت في التاء ولكن مع إبقاء صفة الإطباق للاحتفاظ بشخصيتها: ﴿لئن بسطت﴾ [المائدة: 28]، ﴿فرطتم﴾ [يوسف: 80]، ﴿أحطت

بما [النمل: 22] (161).

- وأدغم أبو عمرو الغين في مثلها بخلاف عنه «بيتغ غير» [آل عمران: 85] (162).
- وتدغم القاف في الكاف في «نخلقكم» [المرسلات: 20] ولكن مع إبقاء صفة الاستعلاء عند الجميع عدا أبي عمرو (163). علماً بأن الكاف قريبة جداً من القاف في المخرج.

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «ويظهر أن السر في ذلك هو أن شيوخ هذه الأصوات في اللغة قليل، هذا إلى أن هذه الأصوات تحتاج إلى جهد عضلي كبير في النطق بها مما يستلزم لفنائها من الكلام أن يمر الصوت في أكثر من مرحلة، مثل الانتقال من الاستعلاء إلى الاستفال أو من الشدة إلى الرخاوة أو من الجهر إلى الهمس وغير ذلك» (164).

ومن الواضح أن قوة هذه الأصوات وفخامتها تباين عليها أن تذوب في غيرها.
(6) قلة مجيء الجيم مع حروف الاستعلاء: فإن الجيم من الأصوات المرفقة ولا تكاد ترد مع صوت واحد من أصوات التفخيم، وقد نص الجواليقي في المعرب، والشهاب الخفاجي في شفاء الغليل على أن الجيم لا ترد مع الصاد والقاف والطاء في كلمة عربية ولذلك اعتبرت الكلمات: منجنيق (165)، وصولجان (166)، وطاجن (167) أعجمية.

أما مجيء الجيم مع حروف التفخيم الأخرى فنادر جداً مثل: خرج، نضج جحظ (168).

(7) قلب الحرف المجاور لحروف الاستعلاء من مرقق إلى مفخم في مثل سقت - صقت، سويق - صويق، بسط - بصط، سقر - صقر. والعلة أنهم يضعون ألسنتهم في موضع المستعلية ثم يصوبون ألسنتهم، فالانحدار أخف عليهم من الإصعاد (169).

(8) إبدال تاء افتعلت طاءً إذا كان فاء الفعل أحد حروف الإطباق، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الموضوع (170).

ومن ذلك كلمة «تصطلون» [القصص:29] حيث قلبت التاء طاءً لمجاورتها الصاد، وكذا كلمة: (اصطبر) و(اطلع).

(9) وكثيراً ما تتأثر الحروف المجاورة لحروف الاستعلاء فتتقم لمجاورتها لها فتتأثر بها كالهزمة في كلمة: أخبر، وأصحاب، وأضغاث، وأطلع، وأغطش، وأرأيت، وأقبل، وكالهاء في مثل كلمة: تظاهرا، وتقهر، واللام في مثل كلمة: يصلها التي يمتد فيها تأثير التفتيح إلى الهاء والألف بعدها عند كثير من الناس. ولذلك نبه علماء القراءات على الخطأ في هذا وسمى ابن الجزري هذه العملية بتخليص الحروف أي الاحتراز ألا يؤثر بعضها في بعض، فيطغى الصوت المفخم على الصوت المرقق، والصوت القوي على الصوت الضعيف.

الأثر الدلالي لأصوات الاستعلاء في المفردات:

بعد أن تعرفنا على الميزات الصوتية لحروف الاستعلاء، وأثرها في ما جاورها من الأصوات، يحق لنا أن نتساءل: هل لهذه الأصوات أثر دلالي في المفردات التي ترد فيها؟ وهل هناك علاقة بين فخامة الحروف وفخامة المعنى؟ وهل بالضرورة أن تكون كل مفردة حوت حرفاً أو أكثر من حروف التفتيح أن يكون معناها مفخماً؟!.

الحق أننا لا نستطيع أن نجزم بقانون حتمي لمثل هذه العلاقة فاللغة العربية بعمرها المديد ونشأتها البعيدة في التاريخ وسعة مفرداتها وتنوعها يصعب الإحاطة بها للوصول إلى مثل هذه النتيجة الحتمية، فلا بد أن تخالف هذه القاعدة العديد من المفردات... ولكن المتأمل في كثير من المفردات العربية يلحظ وجود مثل هذه العلاقة بين الألفاظ ومعانيها بشكل لافت للنظر، ولطالما ذكر النقاد حسن اختيار الألفاظ في النصوص الأدبية فما كان جرسها قوياً شديداً فخماً ناسب مواقف الحمية والبأس والمعالي والفخر، وما كان جرسها رقيقاً سهلاً ناسب مواقف الغزل والنسيب وما شابهه، وهل الجرس ناتج إلا عن صفات حروف الكلمات.

والحديث عن جرس الألفاظ وتناسيها مع معانيها يعيدنا إلى إحدى نظريات نشوء اللغة، وهي نظرية المناسبة الطبيعية التي قال بها عباد بن سليمان الصيمري

(ت250هـ) من معتزلة البصرة⁽¹⁷¹⁾، والتي لخصها ابن جني بقوله: «وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الرياح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الطيبي وغير ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندي وجه صالح ومذهب مقبل»⁽¹⁷²⁾.

ولعل هذا الرأي فيما يخص نشأة اللغة يكون مقبولاً لدى لغات كثيرة، وإن كان الأمر لا يعدو الافتراض الذهني المقبول عقلاً، ولكن اللغات عندما توسعت تجاوزت هذا الأمر وأصبحت علاقة صفات الحروف بدلالاتها أقرب إلى العشوائية لدى كثير من اللغات، وقد تنطبق هذه النظرية على عدد قليل من المفردات، أما في العربية فقد لاحظ القدماء ومنهم ابن جني سعة هذه العلاقة فهو يقول: «إن كثيراً من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه، وأصوات الأفعال التي عبر عنها، ألا تراهم قالوا: قضم في اليابس وخضم في الرطب، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، وكذلك قالوا: صرّ الجندب فكزروا الراء لما هناك من استطالة صوته، وقالوا صرصر البازي فقطعوه، لما هناك من تقطيع صوته، وسمّوا الغراب: غاق، حكاية لصوته، والبط بطاً، حكاية لأصواتها...»⁽¹⁷³⁾.

ويقول ابن جني: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأصوات فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها، فيعدلونها بها ويحتنونها عليها، وذلك أكثر مما ندره، وأضعاف ما نستشعره»⁽¹⁷⁴⁾.

ويستدل على ذلك بأمثلة عديدة منها: القضم، والخضم؛ حيث جعلوا القاف لليابس لشدتها وقوتها، والحاء للرطب لرخاوتها، مع أن الحرفين مقفمان، وفي الخبر: «قد يدرك الخضم بالقضم» أي: قد يدرك الرخاء بالشدّة⁽¹⁷⁵⁾.

ومن ذلك النضح والنضخ وهما بمعنى واحد، إلا أن الثانية تدل على القوة التي عبر عنها صوت الخاء المستعلي ومنه قوله تعالى: «فيهما عينان نضاختان» [الرحمن: 66]، «فجعلوا الحاء -لرقتها- للماء الضعيف، والحاء -لغلظتها- لما هو أقوى منه»⁽¹⁷⁶⁾.

وفي مقارنة بين كلمات ثلاث وهي: قرت وقرد وقرط، يقول: «فالتاء أخفت الثلاثة فاستعملوها في الدم إذا جف لأنه قصد ومستخف في الحسن عن القرد وهو النيباك» (177) في الأرض ونحوها، وجعلوا الطاء - وهي أعلى الثلاثة صوتاً - للقرط الذي يسمع» (178). كما يفرق بين السين والصاد في كلمتي: الوسيلة والوصيلة فيقول: «والصاد أقوى صوتاً لما فيها من الاستعلاء، والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة وذلك أن التوسل ليست له عصمة الوصل والصلة، بل الصلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء... والتوسل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسل جزءاً أو كالجاء من المتوسل إليه، وهذا واضح، فجعلوا الصاد لقوتها للمعنى الأقوى والسين لضعفها، للمعنى الأضعف» (179).

ومن ذلك سد وصد «فالسد دون الصد لأن السد للباب يسد، والصد جانب الجبل والوادي والشعب، وهذا أقوى من السد الذي يكون لتقب الكوز ورأس القارورة ونحو ذلك، فجعلوا الصاد لقوتها للأقوى والسين لضعفها للأضعف» (180).

وكذا في قسم وقصم «فالقصم أقوى فعلاً من القسم، لأن القصم يكون معه الدق وقد يقسم بين الشيتين فلا ينفك أحدهما، ولذلك خصت بالأقوى الصاد، وبالأضعف السين» (181).

ومن ذلك سعد وصعد فسعد بالسين المارقة للأمر المستحب، والسعادة أمر معنوي نفسي فيه اليسر والسهولة والانشراح، أما صعد بالصاد المفخمة فيكون للأمور التي تحتاج إلى عناء ومشقة كالصعود في الجبل ونحوه، ومنه قوله تعالى، مشياً حالة ضيق الصدر للمتكبرين عن الإيمان: ﴿كأنما يصعد في السماء﴾ [الأنعام: 125].

وإذا اجتمع في كلمة واحدة حرفان مفخمان أو أكثر فإن ذلك سيؤدي في الغالب إلى قوة وفخامة معنى هذه الكلمة، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً مثل:

صرخ: وهو ارتفاع الصوت، وقد استخدمها القرآن تعبيراً عن صوت المستغيث من ألم أو مصيبة أو فجيعة، قائلاً: ﴿وهم يصطرون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً﴾ [فاطر: 37] أي في النار، ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون﴾ [يس: 43].

والشيطان يقول لأتباعه الذين استصرخوه لما قضي الأمر ووقع العذاب عليهم ﴿ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي﴾ [إبراهيم:22].

وصخ: وهو الصوت العالي ومنه (الصاخة) الصيحة تصم لشدتها، ومنه سميت القيامة (182).

وصرع، وصرط، وصعر، أي أمال خذه من الكبر، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾. وصغر: وهو ضد الكبر، والصغار بالفتح الذل والضميم، والصاغر الراضي بالضم (183). وصرم: وهو القطع.

وصعق: ومنه (الصاعقة) نار تسقط من السماء في رعد شديد ومنه قوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾ [الزمر:68]، وقصم، وقضم، وصفق: وهو إغلاق الباب بقوة (184).

وصغا: أي أمال، وخرص ومنه قوله تعالى: ﴿قتل الخراصون﴾، وقضى، وخلق، وخرق، وخصم، وغلط، وغلظ، وطرق وقبض، وقصر، وأغطش، وطغى، وغمط، وقط، وغص، وصقر، وقصر، وصبغ وضغط، ولا يخفى ما في هذه الكلمة من القوة والشدّة والغلظة.

ولن نجد كبير عناء في اكتشاف عناصر القوة والفخامة في معاني هذه الكلمات وغيرها مما كان فيه حرف أو أكثر من حروف التخميم على تفاوت في شدتها وإطباقها وجهرها وفي نوع الصوت التي يقع معها في الكلمة، فإن ممازجة الحرف الضعيف للحرف المفخم قد يقلل من تخميم الكلمة وقد تحدث عن ذلك ابن جني قائلاً: «ومن طريف ما مر بي في هذه اللغة التي لا يكاد يعلم بعدها ولا يحاط بقاصيها ازحام الدال والتاء والطاء والراء واللام والنون إذا مازجتهم الفاء على التقديم والتأخير فأكثر أحوالها ومجموع معانيها أنها للوهن والضعف ونحوهما من ذلك: السدالف للشيخ الضعيف والشيء التالف، والظليف المجان، وليست له عصمة الثمين» (185).

وبهذا الرأي نستطيع أن ننسر عدم تأثير الطاء المستعلية -مثلاً- في كلمة لطيف وطريف، وظفيف، وخفيف، وسخيف، ونحو ذلك.. على حين لم تؤثر في كلمات أخرى

مثل (نفق) ومشتقاتها نحو أنفق: وما يحتاج إلى كثير من الجهد، والنفق وهو ما يحفر تحت الأرض والجبال، والنفاق وما فيه من الجهد والعسر والتصنع...

وهناك العديد من المفردات بحرف مفخم واحد وهي تحمل التفضيم في دلالتها كما في صمد، وقمح وقد وردتا في قوله تعالى: ﴿الله الصمد﴾، ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون﴾ [يس:8] أي: رافعو الرؤوس لا يستطيعون خفضها فهم كمن وضع غل من حديد في رقبته.. وكذا في زعق، وشهق، وشرق، وسحق، وتقل، وكظم، وجرج، وبرق، وزبق، وشمط، وقلق، ومرق، وسمق، وطرق، وأبق، وطمر، وقبر، ونحو ذلك، ولك أن تتبع مثل هذه الألفاظ وستجد أنها تكاد لا تخرج عما قلناه من تناسب فخامة أجراسها مع فخامة وقوة معانيها.

ويلاحظ أن تشديد حرف الاستعلاء في الكلمة أيضاً يزيد من قوة معناها مثل قوله تعالى: ﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾ [يس:49]، فهي تدل على استغراق القوم في الخصام واللجاج، وفي قوله تعالى: ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ إذ تدل هذه الكلمة على قوة المعنى وشدة فخامته، وكما في كلمة شطّ، وقطّ وحقّ وخطّ، وغطّ.

وكذا في مد الحرف المستعلي مداً طويلاً حيث يعقبه حرف مثقل كما في قوله تعالى: ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ [النازعات:20].

وإذا اجتمع حرفا استعلاء مع المد والتضعيف بلغت قوة الكلمة أوجها كما في قوله تعالى: ﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ [عبس:] فجرس الكلمة يكاد يصم الأذان ويعبر بحق عن شدة هول صيحة يوم القيامة.

من كل ما مرّ نستطيع القول: إن حروف الاستعلاء لها تأثير كبير على دلالة الكلمة التي ترد فيها على تفاوت -كما مر بنا- في عدد الأصوات المستعلية الواردة في هذه الكلمة، وفي شدة استعلائها أو فخامتها أو إطباقها وشدتها ورخاوتها، وفي تضعيفها ومدّها، وما إلى ذلك من العوامل المساعدة التي تؤكد على تناسب صفات هذه الحروف مع دلالاتها أو معانيها.

كل هذا يدل على أن اللغة العربية لها خصوصية ظاهرة في هذا المجال وتتمتع

بصفات جعلت المتأملين لهذه اللغة قديماً وحديثاً حائرين في أمر نشأة هذه اللغة، أهى توقيفية أم اصطلاحية تواضعية؟ وإن كانت اصطلاحية تواضعية - وهو المرجح لدي- (186) فقد هيا الله لها أذهاناً ذكية وفطراً صافية ذواقة عرفت كيف تصطفي مفرداتها وتصوغها صياغة شاعرية موسيقية تناسب فيها بين أجزاسها ومعانيها إلى حد كبير، وقد أشار ابن جني وهو يناقش فكرة التوقيف والاصطلاح وفكرة التناسب إلى هذا قائلاً: «كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا - وإن بعد مداه عنا- من كان أطف منا أذهاناً وأسرع خواطر وأجراً جناناً...» (187).

وقد تجد كلمة هنا وكلمة هناك خالفت ما ذهبت إليه، مثل: رق أي أصبح رقيقاً ومشتقاتها، ودق، أي أصبح دقيقاً وكلمة رقيق وكلمة صفيق بمعنى الشيء الخفيف ورقيق ونحو ذلك، فبعض هذه الكلمات لها من التأويل ما يعيدها إلى النسق الذي رسمناه مثل: رق ورقيق التي هي عكس الغلظة والقسوة، فأقول: إن الرق بفتح الراء لا يتأتى إلا بالطرق الشديد كالسيف وكل صفيحة واستعير لما لا يحتاج إلى الطرق، كالصحيفة وكل ما كان رقيقاً بالخلقة أو بالصناعة، والرق بكسر الراء وهو العبودية وتحويل الإنسان الحر أصلاً إلى عبد مسترق هو تعريضه لأشد القوة والقسوة حتى زال عن حريته، وكذلك كلمة دق ودقيق التي تدل على النعومة ما آلت إلى ذلك في الأصل إلا بعد أن تعرضت للدق العنيف واستعير هذا الاسم بعد ذلك لما لا يدق وله صفة الدقيق...

أما كلمة رقيق فإن وجود الفاء فيها هو الذي نال من فخامتها وكذلك فإن الرقيق الذي يرفق بالناس بأخلاقه وماله وكلامه إنسان عظيم وهذا المعنى لا يخلو من الفخامة لأن الفخامة ليست دائماً قسوة..

وأما إن عثرنا على عدد من الكلمات عصيت على التأويل وخالفت ما ذهبنا إليه فهي لا تقدر بهذا النسق لأنها تبقى بحكم القليل النادر.

ولا يفوتني في ختام هذا البحث أن أشير إلى أقخم مفخم في الأسماء وهو اسم الله ولفظ الجلالة، فإن اللام فيه رغم كونها في العربية حرفاً مستقلاً مرققاً، إلا أنها وبما تتمتع به من قابلية ذاتية لتكون كاملة التفخيم - كما مر بنا- وجب لها هذا التفخيم عند

جميع القراء لتتناسب مع فخامة وجلالة ومهابة رب العزة سبحانه وتعالى.. إلا إذا سبقت بكسر لما في الانتقال من الكسر إلى التفخيم من صعوبة ومشقة في النطق وهذا ما يتنافى مع السلاسة والانسائية في النطق وهو ما تأباه العربية.

فكل الحمد والشكر والخضوع والسجود لمعلي شأن هذه اللغة ونسأله تعالى أن يطلعنا على مزيد من جمالها وأسرارها وأن يوقفنا على أسرار إعجاز كتابه الكريم الذي شرف هذه اللغة وزادها جمالاً وبهاءً ورفعةً وسمواً.

الخاتمة

بعد هذه الإطلالة العجلى على أصوات التفخيم في العربية والتي عرفت فيها معنى التفخيم والاستعلاء والإطباق، وميزت هذه الحروف وأقوال علماء اللغة القدماء والمحدثين فيها.

ثم توقفت عند كل صوت من الأصوات المفخمة دائماً وهي: (خص ضغط قظ) لأبين مخرج هذا الصوت وصفاته عند القدماء والمحدثين، وإن كان ثمة فرق فقد حاولت التوفيق ما استطعت بين الرأيين أو تعليل هذا الخلاف مع تبين الرأي الأرجح من وجهة نظر الباحث واجتهاده.

ولقد درست مع حروف التفخيم الدائمة حروفاً يعرض لها التفخيم في بعض حالاتها وهي: الألف المدية، واللام، والراء وبينت أيضاً أقوال العلماء القدماء والمحدثين فيها والحالات التي تقخم فيها.

ثم بينت أثر هذه الأصوات في ما جاورها من الأصوات مبيناً ما هو مسموح به، وما هو محظور ينبغي التنبه لعدم الوقوع به مستعيناً بقواعد التجويد التي نص عليها علماء القراءات متأسين بالنطق الشفهي الذي تناقله الرواة مشافهة جيلاً بعد جيل من قراءة جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ إلى يومنا هذا.

ثم تحدثت عن الأثر الدلالي لهذه الأصوات المفخمة في الكلمات التي ترد فيها، وقد ترجح لدي من خلال استعراض عدد كبير من هذه المفردات وجود علاقة كبيرة بين وجود هذه الأصوات في الكلمات والمعنى الذي تؤدي إليه، وأن هذه العلاقة تتفاوت في الغالب بحسب عدد الأصوات المفخمة التي ترد في الكلمة، فكلما زاد عدد الأصوات

المفخمة في الكلمة الواحدة زادت نسبة تفخيم المعنى كما في غاظ وطرق وصحّ، وصحّ. كما يقوم تضعيف أو تشديد الحرف المفخم بزيادة قوة وفخامة المعنى كما في شقّ، وشطّ. وقد يكون للمد اللازم قبل الحرف المفخم المضعف زيادة في التفخيم كما في الحاقّة، أما إذا كان المد مسبقاً بحرف مفخم فإنّ الفخامة تبلغ أوجها كما في قوله تعالى: (الصاخة).

ثم بينت أن هذه القاعدة قد لا تطرّد في ظاهر بعض الكلمات مثل رق ودق ولكننا بالتأويل نستطيع أن نردها إلى النسق الذي رجحناه. ولكن مع ذلك فهناك عدد من المفردات يخالف هذا النسق وهي قليلة والقليل لا يفسد حكم الكثير.

كما يظهر جلياً من خلال هذا البحث أن للعرب قديماً جهوداً علمية طيبة في مجال علم الأصوات سبقوا بها العالم أكثر من ألف سنة في الاستقصاء والدقة والضبط وكان دافعهم في ذلك حب هذه اللغة والإعجاب بها - كما يظهر من أقوالهم - والحفاظ عليها من الضياع والتحريف والتغيير الذي يسري عادة على أي لغة ما لم يحطها أهلها بالرعاية والضبط والمراجعة والتقعيد.

ولقد كان هؤلاء العلماء بجهودهم وصنيعهم العظيم هذا ستاراً لقدّر الله تعالى مصداقاً لقوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾. وأخيراً: بعد هذا التعقيب الموجز حول إطلالتنا العجلى هذه على أصوات الاستعلاء في العربية وأثرها الدلالي فإنني أوصي بما يلي:

- 1- الاهتمام بدراسة مخارج الحروف وصفاتها في العربية، إجراء الفحوص المعملية الحديثة لهذه الأصوات للوصول إلى نتائج نهائية حول الاختلافات بين القدماء والمحدثين، وأن تجرى هذه الفحوص على قراء القرآن المتقنين.
- 2- التوسع في دراسة الأصوات في أقسام اللغة العربية والتركيز على النطق الصحيح وترك الآثار اللهجية والمخالفة للنطق الفصيح.

- 3- إعطاء مادة التجويد أهمية كبيرة في المدارس والجامعات، وتأمين المدرسين الأكفاء لها.
- 4- التوسع في ملاحظة الأثر الدلالي لجرس الحروف في الكلام العربي، وإجراء بحوث إحصائية معجمية توصلنا إلى نتائج مؤكدة؛ فإن في ذلك تعزيزاً لأهمية اللغة العربية في نفوس العرب وغير العرب، وتحفيزاً للعرب للحفاظ عليها والاعتزاز بها.

قائمة المصادر

- 1- أحكام قراءة القرآن الكريم، محمود خليل الحصري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط2، 1996.
- 2- أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله بن محمود بن عمر الزمخشري (ت528هـ)، دار صادر، بيروت 1965م.
- 3- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط5، 1975.
- 4- تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، ابن مكي الصقلي، تحقيق: د. عبد العزيز رضا.
- 5- التمهيد في علم التجويد، محمد بن الجزري (ت833هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1989.
- 6- جهد المقل في التجويد، للإمام المرعشي، مطبعة إلياس ميرزا اليورغاني، 1898، ومعه بيان جهد المقل، للمرعشي.
- 7- حق التلاوة، حسني شيخ عثمان، ط7، 1407، مكتبة المنار، الأردن.
- 8- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط4، بغداد 1990.
- 9- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق: لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار عمان، الأردن، 1404.
- 10- سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1983.
- 11- شرح المفصل، ابن يعيش، المطبعة المنيرية، مصر.
- 12- الصاحب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، تحقيق: د. مصطفى الشويحي، مؤسسة بدران، بيروت، 1963.
- 13- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ) تحقيق: عبد الغفور عطار، دار الكتاب العراقي.
- 14- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مطابع الرسالة، الكويت.
- 15- علم اللغة العام.. الأصوات، د. كمال بشر، القاهرة 1970.
- 16- الفرق بين الضاد والظاء، الصاحب بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، 1952.

- 17- فقه اللغة العربية، د. كاصد ياسر الزيدي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1987.
- 18- قصد السبيل فيما في اللغة العربية من دخيل، محمد الأمين بن فضل الله المحبسي، تحقيق: د. عثمان محمود الصيني، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 1994.
- 19- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، 1988.
- 20- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.
- 21- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكى، دار الشرق العربي، بيروت، ط2.
- 22- المزهري في علوم اللغة، السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى ورفيقيه، مطبعة البابي.
- 23- معاني القرآن، الفراء، تحقيق: محمد علي النجار وآخرين، ط1، دار الكتب، مصر، 1955.
- 24- معني اللبيب، ابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغاني، بيروت، ط5، 1979.
- 25- المقاييس في اللغة، ابن فارس، تحقيق: شهاب الدين أبي عمرو، دار الفكر، ط2، 1998.
- 26- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، دار الفكر، لا ت.
- 27- نهاية القول المفيد في علم التجويد، الشيخ محمد مكي نصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1349.

الهوامش

- 1- الصحاح م(علا).
- 2- المقاييس، أحمد فارس ص690.
- 3- أساس البلاغة، الزمخشري.
- 4- أحكام قراءة القرآن، الحصري ص90.
- 5- سر صناعة الإعراب 1/62.
- 6- الكتاب 2/264.
- 7- سر صناعة الإعراب 1/62. حق التلاوة ص92.
- 8- التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري ص100.
- 9- النشر 1/202.
- 10- حق التلاوة ص92.
- 11- أحكام قراءة القرآن ص91.
- 12- جهد المقل لا ص31، عن أحكام قراءة القرآن ص91.
- 13- أحكام قراءة القرآن ص92.
- 14- الصحاح م(فخم).
- 15- أحكام قراءة القرآن ص147.
- 16- نفس المصدر.
- 17- الصحاح م(طبق).
- 18- المقاييس، أحمد بن فارس ص631.

- 19- للكتاب 406/2.
- 20- سر صناعة الإعراب 61/1.
- 21- التمهيد ص 98.
- 22- نفسه ص 98.
- 23- نفسه ص 101. والقلقة والقلقلة بمعنى واحد، وهي الحركة والشدة. اللسان م (لحق).
- 24- نفسه ص 101.
- 25- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، ص 122-123، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمان، 1404.
- 26- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ص 80.
- 27- دراسة الصوت اللغوي ص 104.
- 28- جهد المقل، المرعشي ص 31، عن أحكام تلاوة القرآن ص 92.
- 29- النشر في القراءات العشر 203/1-215.
- 30- الرعاية ص 124-125.
- 31- النشر 202/1-220.
- 32- أحكام قراءة القرآن ص 149.
- 33- التمهيد، ابن الجزري ص 128-129. وينظر: أحكام تلاوة القرآن، محمود الحصري ص 149-150.
- 34- نهاية القول المفيد، الشيخ محمد مكي نصر، ص 103.
- 35- العين 58/1.
- 36- لسان العرب (نطع).
- 37- الكتاب 405/2.
- 38- الكتاب 406/2.
- 39- سر صناعة الإعراب 63/1.
- 40- النشر 203/1-204.
- 41- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ص 62. علم اللغة العام، كمال بشر ص 129. المحيط 28/1.
- 42- علم اللغة العام ص 131-132. وينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة، د. غاتم قدوري الحمد ص 61.
- 43- للكتاب 405/2.
- 44- الأصوات اللغوية ص 62-63.
- 45- مناهج البحث في اللغة ص 94.
- 46- سر صناعة الإعراب 217/1-218.
- 47- سر صناعة الإعراب 224/1.
- 48- العين 58/1.
- 49- للكتاب 405/2.
- 50- نفسه 406/2.

- 51- نفسه 2/264.
- 52- سر صناعة الإعراب 1/227.
- 53- ينظر: النشر، ابن الجزري 2/214.
- 54- علم اللغة العام، كمال بشر ص 152-153.
- 55- الأصوات اللغوية ص 47.
- 56- سر صناعة الإعراب 1/227.
- 57- لسان العرب مادة (ظاء).
- 58- سر صناعة الإعراب 1/218.
- 59- العين 1/58.
- 60- اللسان (أسل).
- 61- الكتاب 2/404.
- 62- نفسه 2/405.
- 63- نفسه 2/406.
- 64- نفسه 2/264.
- 65- ابن يعيش م 2/ ج 10 ص 125.
- 66- النشر 1/203.
- 67- علم اللغة العام، د. كمال بشر ص 153.
- 68- الأصوات اللغوية ص 76.
- 69- نفسه ص 80.
- 70- سر صناعة الإعراب، ابن جني 1/209-212.
- 71- الكتاب 2/264.
- 72- العين 1/58.
- 73- الكتاب 2/405.
- 74- الكتاب 2/406.
- 75- الكتاب 2/264.
- 76- شرح المفصل م 2/ ج 10 ص 127-128.
- 77- سر صناعة الإعراب 1/218.
- 78- نفسه 1/214.
- 79- تحقيق: الشيخ محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف بغداد 1952.
- 80- لصاحبي ص 7.
- 81- تنقيف اللسان وتلقيح الجنان ص 91، تحقيق: د. عبد العزيز رضا.
- 82- الأصوات اللغوية ص 55-56.
- 83- مقني اللبيب، ابن هشام 1/155.

- 84- النشر 220/1.
- 85- سر صناعة الإعراب 214/1.
- 86- علم اللغة العام، د. كمال بشر ص 132-133. الأصوات اللغوية. د. إبراهيم أنيس ص 47. المحيط، لأططاي 28/1.
- 87- الأصوات اللغوية ص 55.
- 88- معاني القرآن ص 499.
- 89- المزهري 48/2.
- 90- علم اللغة العام ص 135.
- 91- ولذلك حدد ابن جني مخرجها فقال: «ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر». سر صناعة الإعراب 47/1.
- 92- تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية ص 17-24.
- 93- العين 58/1.
- 94- الكتاب 405/2.
- 95- نفسه 406/2.
- 96- نفسه 264/2.
- 97- النشر 199/1.
- 98- شرح المفصل م 2/ ج 10 ص 137.
- 99- سر صناعة الإعراب 61/1-65.
- 100- الأصوات اللغوية ص 88. علم اللغة العام ص 155.
- 101- نفسه ص 80.
- 102- علم اللغة العام ص 117.
- 103- الكتاب 406/2.
- 104- نفسه 405/2.
- 105- نفسه 264/2.
- 106- سر صناعة الإعراب 183/1.
- 107- علم اللغة العام، كمال بشر ص 154.
- 108- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ص 80.
- 109- المحيط 19/1.
- 110- العين 52/1.
- 111- لسان العرب (عكد).
- 112- العين 58/1.
- 113- الكتاب 405/2.
- 114- نفسه 406/2.
- 115- نفسه 264/2.

- 116- سر صناعة الإعراب 61/1.
- 117- علم اللغة العام ص 138. الأصوات اللغوية ص 87.
- 118- الأصوات اللغوية ص 80.
- 119- نفسه ص 80-87.
- 120- العين 52/1.
- 121- العين 57/1.
- 122- هذا تصحيف، وخطأ في النحو، والصواب (أحيان) وحيز الصوت مخرجه.
- 123- العين 52/1.
- 124- سر صناعة الإعراب 62/1.
- 125- سر صناعة الإعراب /1
- 126- سر صناعة الإعراب /1
- 127- سر صناعة الإعراب 653/2.
- 128- ينظر: النشر 199/1.
- 129- نفسه 215/1.
- 130- العين 58-52/1.
- 131- النشر 203-202/1.
- 132- النشر 215/1.
- 133- سر صناعة الإعراب 62-61/1.
- 134- النشر 106/2.
- 135- أحكام تلاوة القرآن ص 163-155.
- 136- النشر 218/1.
- 137- نفسه 219/1.
- 138- الكتاب 264/2.
- 139- النشر 58/2.
- 140- الميسر في القراءات العشر ص 94.
- 141- النشر 31/2.
- 142- الميسر ص 97.
- 143- المحيط 99/1.
- 144- تستعمل هذه الكلمة مع اللام خاصة وهي بنفس معنى التفخيم، حق التلاوة ص 68.
- 145- الميسر في القراءات ص 116.
- 146- ينظر: النشر 119/2.
- 147- حق التلاوة ص 72.
- 148- المحيط 43/1.

- 149- الميسر في القراءات العشر ص32.
- 150- النشر 19/2. والميسر ص33.
- 151- الميسر ص34.
- 152- النشر 19/2. والميسر ص35.
- 153- الأصوات اللغوية ص188.
- 154- قصد السبيل، المحجبى 366/1.
- 155- نفسه 237/2.
- 156- نفسه 246/2.
- 157- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ص80-81.
- 158- الكتاب 265/2.
- 159- ص22 من البحث.
- 160- المزهر، السيوطي 16/1.
- 161- الخصائص، ابن جنى 47/1-48. وينظر: فقه اللغة العربية، د. كاسد ياسر الزبيدي ص43.
- 162- الخصائص 66/1.
- 163- نفسه 159/2.
- 164- نفسه 159/2.
- 165- نفسه 160/2.
- 166- النباك: ارتفاع وانخفاض في الأرض، المقاييس (نباك).
- 167- الخصائص، ابن جنى 160/2.
- 168- نفسه 162/2.
- 169- نفسه 162/2.
- 170- نفسه 162/2.
- 171- الصحاح (صح).
- 172- نفسه (صفر).
- 173- نفسه (صفق).
- 174- الخصائص 160-159/2.
- 175- والآية التي يستدل بها من ذهب إلى التوقيف وهي «وعلم آدم الأسماء كلها» تحتل أن الله تعالى قد خلق في آدم القدرة على تسمية الأشياء وإيجاد اللغة، وهذا هو ما يفرق الإنسان عن الحيوان، وهو مصداق قوله تعالى: «خلق الإنسان». علمه البيان.
- 176- الخصائص 48/1.

القات في الفقه الإسلامي



د. مازن حسين حريري*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنه يصح أن يقال عن القات ما قيل عن المتنبى-الشاعر المعروف:- لقد ملأ الدنيا وشغل الناس، حقاً لقد ملأ القات الدنيا وشغل الناس- في اليمن على الأقل - فهو شغلهم الشاغل، وحديثهم المتواصل، وهمهم المصاحب، لا يكاد يخلو مجلس منه أو من ذكره والحديث عنه؛ تعلق به قوم تعلق الرضيع بأمه، وأحبه حتى لامس حبه شغاف قلوبهم، وسكن مشاش عظمهم، ومك عقولهم وسيطر على تفكيرهم، فبدلوا في سبيله الغالي والرخيص، وأكرموا أيما إكرام، وخصوه بأكبر الغرف وأفخمها وأفضلها في بيوتهم، وأعدوا له الطقوس التي تليق به في نظرهم، وتلي رغبتهم وتداوي عشقهم وهيامهم به؛ وكرهه آخرون فذموه ومقتوه، وابتعدوا عن مجالسه، وعابوا على متعاطيه كل ما يتعلق به، ودعوا إلى نبذه ومنعه وتكلموا في ذلك وألفوا الكتب وكتبوا المقالات ونظموا الأشعار.

* جامعة تعز - كلية الآداب - قسم الدراسات الإسلامية

فالقائات يعد من المفصلات الرئيسة في حياة الناس في اليمن، وله تأثير لا يستهان به في جوانب حياتهم المختلفة اجتماعيًا واقتصاديًا وصحياً وأخلاقياً ودينياً. وقد اختلفت آراء الفقهاء فيه، وتعددت وجهات نظرهم إليه، فبعضهم حرّمه وأدرجه ضمن المخدرات، وبعضهم أحله ولم ير فيه سوى أنه نبات كبقية النباتات، وبعضهم فصلّ القول في حكمه، وبعضهم توقف ولم يجزم فيه برأي.

ولذلك فإن هذه الدراسة تكتسب أهميتها من أهمية القات ذاته، ولما كانت هذه الأهمية متعددة الجوانب واسعة الآفاق فإن التركيز على جانب واحد أكثر جدوى، وأرجا نفعاً من الخوض في الجوانب جميعها، ومن هذه الرؤية فإن الباحث سيتناول في دراسته هذه القات من الناحية الفقهية، لعله يخرج برأي راجح يوضح حكمه، مع الإشارة إلى أن ذلك لا يعني عدم التعرض لمعرفة مكونات القات، وآثاره على جوانب الحياة المختلفة، بل لابد من الإشارة إليها؛ لأنه لا يمكن فصل الفقه عن الحياة، كما لا يمكن الخروج برأي راجح في القات بعيداً عن معرفة مكوناته، ودراسة آثاره الناتجة عنه.

وهذا يستلزم معرفة ما قاله الفقهاء أو كتبوه عن القات، واستقراء آرائهم والاطلاع على أدلتهم -أغلبها- ودراستها، مع الرجوع إلى كتاب الله جل وعز، و سنة نبيه الكريم محمد ﷺ، ويتطلب النظر إلى الواقع المعاش وملاحظة التأثيرات المختلفة التي يتركها القات على متعاطيه، مع التعرف على آراء أهل الاختصاص من أطباء وكيميائيين واقتصاديين فيه.

وقد جعلت هذه الدراسة في مبحث واحد احتوى على هذه المقدمة، ومطلبين، وخاتمة، وفيما يأتي بيان ذلك:

المطلب الأول

ذكر القات عند الفقهاء

لم يذكر الفقهاء المتقدمون القات في كتبهم - وهذا حسب اطلاعي -، وربما كان القرن العاشر الهجري هو أول تاريخ حصل فيه خلاف واسع مكتوب عن القات، وهذا ما أشار إليه ابن حجر الهيتمي⁽¹⁾ في رسالته عن القات حيث قال: ((فإني لا أعرف فيه

كلامًا بعد مزيد من التفتيش والتتقير في كتب الشرع والطب واللغة لغير أهل عصرنا ومشايخهم))⁽²⁾، وإن وجدت بعض الفتاوى والآراء فيه قبل ذلك، إلا أنها كانت قليلة ومحدودة؛ كما سيأتي بعد قليل، وهذا لا يعني أنه لم يكن معروفًا قبل هذه الفترة، بل لعله كان قد ظهر قبل ذلك بكثير، إلا أنه لم يكن منتشرًا بكثرة، أو أنه لم يكن مؤثرًا في حياة الناس، ولا مثيرًا للجدل لقلّة متعاطيه، ولما انتشر في البلاد، وذاع صيته بين الناس، وكثر متعاطوه، واختلفت الأنظار فيه؛ كان لابد من الإفتاء فيه والكتابة عنه، وفيما يأتي سأعرض ملخصات لأهم الفتاوى والمؤلفات في القات عند الفقهاء:

أولاً: فتاوى الفقهاء في القات:

لعل أقدم ما يمكن اعتباره فتوى في القات -حسب اطلاعي- هي ما تضمنته الرسالة التي بعث بها العالم الجليل أحمد بن علوان⁽³⁾ إلى أحد ملوك بني رسول، في أوائل القرن السابع الهجري؛ يطالب فيها بأن تقوم الدولة باستخدام القوة لمنع القات، واقتلاع شجرته؛ فقد أفسد إيمان المسلمين، وشغلهم تعاطيه عن أداء الفرائض الدينية خاصة صلاة المغرب، حيث كان يأتي والناس مقبلون بمضغون القات دون أن ينتبهوا لأداء الفريضة⁽⁴⁾.

ومن الفتاوى القديمة أيضًا فتوى العلامة محمد بن سعيد بن كبن⁽⁵⁾، فقد سئل عن القات فأجاب بحله، ووضع قصيدة في مدحه⁽⁶⁾.
ومنها فتوى العلامة حمزة بن عبد الله الناشري⁽⁷⁾، فقد حرمّ القات وألف فيه منظومته المشهورة التي مطلعها:

ولا تأكلن القات رطبًا ويابسًا فذاك مضر داؤه فيه أعضلا⁽⁸⁾.

ومنها فتوى علامة زبيد وفقهها أحمد بن عمر المزجّد⁽⁹⁾، حيث قال: وأما القات والكفتة⁽¹⁰⁾ فما أظنه يغير العقل ولا يُصدِر عن الطاعة، وإنما يحصل به نشاط وروحنة وطيب خاطر لا ينشأ عنه ضرر، بل ربما كان معونة على زيادة العمل، فيتجه أن حكمه: إن كان العمل طاعة فتناوله طاعة، أو مباحًا فتناوله مباح؛ فإن للوسائل حكم المقاصد.

وتشبهها فتوى العلامة أحمد بن الطيب الطينداوي⁽¹¹⁾، فقد أفتى بحل القات، وعبارته تشبه عبارة المزجد إلى حد بعيد⁽¹²⁾.

ومنها فتوى العلامة الشهيد محمد بن سالم البيهاني⁽¹³⁾، وفيها: ((لا أقيس القات والتنباك⁽¹⁴⁾ بالخمير في التحريم، وما يترتب عليه من عقاب في الآخرة، ولكن أقول: هذا قريب من هذا وكل مضر لصحة الإنسان في بدنه أو عقله أو ماله فهو حرام))⁽¹⁵⁾. ومنها ما يمكن أن يسمى فتوى للعلامة أحمد بن قاسم العنسي⁽¹⁶⁾ حيث ذكر أن القات قد يحرم أكله على شخص دون شخص، نحو أن يكون في شخص علة، وكان أكل القات أو نحوه كالقبول يضره فإنهما يحرمان⁽¹⁷⁾.

ثانياً: مؤلفات الفقهاء في القات.

* رسالة ابن حجر الهيتمي:

ذكر الهيتمي في رسالته التي سماها: تحذير النقات من استعمال الكفتة والقات⁽¹⁸⁾، أنه ألفها لما عرض عليه بمكة المكرمة ثلاثة مصنفات تتضمن آراءً مختلفة عن القات، أرسلها إليه أهل اليمن، اثنان في تحريمه وواحد في حله، وطلبوا منه إبانة الحق فيها، والتقريب لما فيها من حكم القات تحليلاً وتحريماً وتخصيصاً وتعميماً.

وبعد مقدمة بين فيها أن العلم بحقيقة هذا النبات متعسر؛ لأنه لا طريق إلى العلم بها إلا خير الصادق وهو ما لا يمكن بعد وفاة النبي ﷺ، أو التجربة وهي متعذرة عنده، فلم يبق إلا أخبار النقات ممن استعمله وتعاطاه، وبعد سؤاله النقات ممن تعاطى القات وجد اختلافاً في الآراء فبعضهم لم يجد به أي ضرر يذكر وبعضهم وجد فيه ضرراً؛ لذلك أحجم عن أن يجزم فيه بتحليل، أو تحريم، وغلب على ظنه أن سبب ذلك الاختلاف يرجع إلى أنه يختلف تأثيره وعدم تأثيره باختلاف الطباع، وأنه لا يمكن التوفيق بين هذه الأخبار المتناقضة مع عدالة قائلها، وبعد كذبهم إلا بأن يفرض أنه يؤثر في بعض الأبدان دون بعض، وإذا فرض صدق هذا الظن، وأن هذا النبات يختلف باختلاف غلبة بعض الأخلاط فورا ذلك نظر آخر، وهو أن ما يختلف كذلك هل النظر فيه إلى عوارضه اللاحقة له فيحرم على من ضره دون من لم يضره؟ أو إلى ذاته؟ فإن كان

مضراً لذاته حرم مطلقاً، وإلا لم يحرم مطلقاً، والأول هو الذي يصرح به كلام أئمتنا -
الكلام للهيتمي - في غير هذا من النباتات الضارة فهو المعتمد هنا.

وقد بين أن اختلافهم هذا ليس حقيقياً؛ لأن من نظر إلى أنه مضر بالبدن، أو العقل
حرمه، ومن نظر إلى أنه غير مضر لم يحرمه، فهم متفقون على أنه إن تحقق فيه ضرر
حرم، وإلا لم يحرم فليسوا مختلفين في الحكم، بل في سببه فرجع اختلافهم إلى الواقع.
ثم ذكر حجج القائلين بحله، وكلها تعتمد على ما أخبر به بعض العلماء الثقات الذين
تناولوا القات وجربوه، ولم يجدوا به أي ضرر يذكر فصرحوا بحله.

ثم أورد حجج القائلين بتحريمه، وهي:

1- نقل عن عدد من العلماء الثقات⁽¹⁹⁾ قولهم بتحريمه لأضراره المتعددة، وكان
بعضهم قد استعمله وجره، وبعضهم نظر إلى أحوال متعاطيه فحرموه لضرره
وإسكاره.

2- إن النبي ﷺ ((نهى عن كل مسكر ومفتّر))⁽²⁰⁾ قال في النهاية ما معناه: إن
المفتّر ما يكون منه حرارة في الجسد وانكسار⁽²¹⁾. وذلك معلوم ومشاهد في القات
ومستعمليه كسائر المسكرات.

3- إنه لا نفع فيه يعلم قط، وفيه كثرة يبس الدماغ والخروج عن الطبع وتقليل شهوة
الغذاء واللباه⁽²²⁾ ويبس الأمعاء والمعدة وبردها وغير ذلك.

4- ومنها أن جميع الخصال المذمومة التي ذكرها العلماء في الحشيشة موجودة في
القات؛ مع زيادة حصول الضرر فيما به قوام الصحة وصلاح الجسد من إفساد
شهوة الغذاء واللباه والنسل، وزيادة التهاك عليه الموجب لإتلاف المال الكثير
والموجب للسرف.

5- ومنها أنه من ظن أن فيه نفعاً فهو لا يقابل ضرره.

6- ومنها أنه شارك كل المسكرات في حقيقة الإسكار وسببه...؛ فلهذا كثر ضرره.

وبعد مناقشة ابن حجر لأدلة كلا الفريقين لم يجزم بالتحريم على الإطلاق؛ لأنه لا يصح الاستناد إلى بعض الأخبار دون بعضها الآخر لتناقضها، لكنه يرى أنه لا ينبغي لذي مروءة أو دين، أو ورع، أو زهد، أو تطوع إلى كمال من الكمالات أن يستعمله؛ لأنه من الشبهات لاحتماله الحل والحرمة على السواء، أو مع قرينة، أو قرائن تدل لأحدهما وما كان كذلك فهو مشتبّه أي اشتباهه، فيكون من الشبهات التي يتأكد اجتنابها بقوله ﷺ: ((فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه))⁽²³⁾، وبقوله ﷺ: ((لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا لما به البأس))⁽²⁴⁾.

وبقوله ﷺ: ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك))⁽²⁵⁾، وساق جملة أحاديث كلها تدل على ضرورة اجتناب الشبهات، ثم قال:

((وإذا تقررت لك هذه الأحاديث، وعلمت أن غاية أمر هذه الشجرة أنها من المشبهات؛ تعين عليك إن كنت من الثقات والمنتقين أن تجتنبها كلها، وأن تكف عنها فإنه لا يتعاطى المشبهات إلا من لم يتحقق بحقيقة التقوى، ولا تمسك من الكمالات بالنصيب الأقوى)).

وردّ على من زعم أنها تعين على الطاعة بقوله: ((لا أوافق من قال: إنها قد تكون وسيلة لطاعة فتكون مستحبة؛ لأن محل إعطاء الوسائل حكم المقاصد إنما هو في وسائل تمحضت لذلك بأن لم تكن وسائل لشيء آخر، وخلت عن أن يقوم بها وصف يقتضي تأكد تجنبها وأكل هذه ليس كذلك؛ لأنه قام بها ما يقتضي التجنب مما أوضحناه وقررناه، فالصواب ترك أكلها دائماً، ولا حاجة بالموفق إلى أن يستعين على طاعته بما قال جماعة من العلماء بحرمة... كيف ودرء المفاصد أولى من جلب المصالح كما أطبق عليه أئمتنا رحمهم الله تعالى)).

وحض من أراد الاستعانة على الطاعة بتقليل الغذاء بحسب الإمكان كما في حديث ((حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه))⁽²⁶⁾.

* رسالة الإمام يحيى شرف الدين (27):

وممن كتب عنه أيضاً الإمام يحيى شرف الدين في مؤلفه بعنوان: (الرسالة المانعة من استعمال المحرمات الجامعة في علة التحريم بين الحشيشة والقات وغيرها من سائر المسكرات)⁽²⁸⁾ وفيه حرم القات أيضاً، واعتبره من المسكرات؛ لأنه يقلل العقل ويذهب به، وقد أشار إلى أنه يسكر بعض الشيء، وأنه ليس من الضروري أن تكون المادة المسكرة إسكاراً كاملاً حتى تعتبر من المسكرات المحرمات.

واستدل لما ذهب إليه ببعض القصص والمشاهدات التي تدل على ذلك، كما أشار إلى أن كثيراً مما ذكره العلماء ضمن المسكرات المحرمات لا يذهب معه كل العقل، كما بين العلماء أن المسكر ما من شأنه أن يسكر حتى وإن أسكر شخصاً واحداً من مئة شخص، فهو محرم على المئة وعلى غيرهم. كما عرّف السكر والسكران والمسكر، وقد ذكر المؤلف أضراراً متعددة للقات كلها تؤكد على ثبوت ضرره على مستعمليه مما يجعل القول بتحريمه لازماً عنده.

* مؤلف العلامة يحيى بن الحسين (29):

كان أكثر كلام العلامة يحيى عن التتن-الدخان- حيث بين عدم ثبوت تحريمه، وذكر في مؤلفه هذا رسالة الإمام يحيى شرف الدين السابقة عن القات، وأنه اعتبره من المسكرات المحرمات؛ لذلك أمر أن يكتب بقلع غروسه فقلعت.

وقد خالف المؤلف هذا الرأي مع عدد من علماء عصره، وانتهى إلى القول: إن القات غير مسكر وغير ضار، وإن ضرره اليسير مرده إلى اختلاف طبائع أكلية، وهذا لا يقتضي تحريمه، مستدلاً لذلك بأن العسل يضر بمرضى الصفراء، وأكل الشعير يضر بمن لم يتعود عليه. وقد أشار إلى أن هناك نوعاً من القات مضر.

* رسالة الشيخ محمد الإمام:

حرم الشيخ محمد بن عبد الله الإمام (معاصر) القات في رسالته بعنوان: تحذير أهل الإيمان من تعاطي القات والشممة⁽³⁰⁾ والدخان؛ وذلك لأن في القات مادة مخدرة،

ولثبوت أضراره الدينية، والبدنية، والاجتماعية، والاقتصادية، وجعل القات ضمن الخبائث التي حرمها الله سبحانه وتعالى (31).

* ذكر القات في الموسوعة الفقهية الكويتية:

في هذه الموسوعة تم إدراج القات ضمن المخدرات المحرمة؛ لما ينتج عنها من تغييب العقل، وقد يؤدي تعاطيها إلى الإدمان، مما يسبب تدهوراً في عقلية المدمنين وصحتهم، وتغيير الحال المعتدلة في الخلق والخلق. وفيها أن حرمة المخدرات الجامدة لا لعينها، بل لضررها، وكذلك القات فإنه لا يحرم لعينه بل لنتائجها (32).

ثالثاً: استنتاجات:

من خلال الاطلاع على الفتاوى والمؤلفات السابقة نجد أنها في الغالب تنطلق في الحكم على القات من وجهين، الأول: الإسكار أي هل هو مسكر أو لا؟ فمن رأى أنه يذهب بالعقل ويغيبه ولو قليلاً حكم بإسكاره، وبالتالي قال بحرمته، ومن رأى أنه لا يغيب العقل ولا يذهب به قال بطله؛ لأنه لا إسكار فيه.

الوجه الآخر: الإضرار أي النظر إلى أضراره الصحية المتعددة، فمن رأى أنه يتسبب ببعض الأمراض حكم عليه بالحرمة؛ لأن كل ضار محرم. أما من أباحه فقد زعم أنه قد يضر قومًا ولا يضر آخرين؛ شأنه في ذلك شأن كثير من المأكولات التي قد يتأذى منها بعض الناس، فتصبح محرمة عليهم دون غيرهم.

فالمرتكز الذي اعتمد عليه أغلب الفقهاء إذاً هو الإسكار والإضرار، أما بقية الآثار الناتجة عن تناول القات فلم يُعنِ الفقهاء بها كثيراً كالأثار الاقتصادية والاجتماعية والدينية وغيرها، إلا ما نجده في رسالة الإمام ابن علوان إلى أحد ملوك بني رسول، حيث بين فيها أن علة طلبه بمنع القات واقتلاع شجره هي: أنه أفسد إيمان المسلمين رشحهم تعاطيه عن أداء الفرائض الدينية (32). وفي هذا إشارة إلى أن ابن علوان تنبه إلى أثر آخر غير السكر والضرر، هو أثره على الدين، فوجده أثراً سلبياً سيئاً، فطلب منعه.

ويتضح لنا أن القول بالتحريم - سواء أكان التحريم لذات القات أم لنتائج وآثاره - هو الغالب على ما سبق من فتاوى ورسائل، حتى أن الذي لم يجزم بالتحريم مطلقاً كابن

حجر الهيتمي، نراه يميل إليه، ويبحث على ترك القات وتجنبه ويسوق الأدلة لذلك. كما يتبين مما سبق أن كثيراً من أضرار القات الصحية كانت معروفةً عندهم، ولم يكونوا بحاجة إلى إجراء الفحوص والتحليل الطبية والمختبرية لإثبات ذلك.

المطلب الثاني آثار القات وحكمه

لا يمكن الحكم على القات بالنظر إلى بعض آثاره دون البعض الآخر، بل لابد من معرفة مكوناته الكيميائية، وآثاره على الإنسان وجوانب الحياة المختلفة؛ كي تكون الرؤية واضحة جلية؛ خصوصاً مع هذا التباين في حكمه وتردد الفتاوى بين الإباحة والتحریم، ولذلك كان لابد من معرفة أمور كثيرة تتعلق بالقات وآثاره، ومن ثم استخلاص حكمه، وفي ما يأتي بيان ذلك:
أولاً: هل القات مادة إدمان؟

عند تحليل القات لمعرفة المكونات الكيميائية له تبين أن المادة الفعالة فيه هي الكاثينون، وأثبتت الدراسات أن هذه المادة تشبه إلى حد بعيد مادة الامفيتامين الصناعية التي تعد مادة تسبب الإدمان النفسي، وسمى العلماء القات الامفيتامين الطبيعي، وقال بعضهم: هما وجهان لعملة واحدة. وللمادتين آثارهما على الجهاز العصبي. والكاثينون هي المادة الرئيسية المسؤولة عن إحداث الكيف عند من يستخدم القات، وهي تمتص وتختزل وتفرز من الجسم بسرعة؛ لذلك فإن فترة أثرها قصيرة. فالقات ليس مسكراً بمعنى أنه لا يغيب الوعي، بل ينشط في الساعات الأولى ثم يحدث قلقاً بعد ذلك.

وفي القات مركبات أخرى كالكاثين والـ ميت كاثينون وغيرهما، ومعظمها مركبات تسبب أضراراً صحية كزيادة ضربات القلب، وزيادة ضغط الدم، والآثار الطرفية وغيرها... (34).

ثانياً: آثار القات الصحية والنفسية

أشرت سابقاً إلى أن العلماء في الماضي تعرفوا على كثير من الآثار الصحية الضارة التي تنتج عن تعاطي القات، وفي زماننا هذا تطور العلم بشكل واضح مما أتاح فرصة لاكتشاف أضراره -أكثرها-، ومن هذه الأضرار إجمالاً ما يأتي:

تأثيرات سامة وضارة على: الجهاز العصبي المركزي، الجهاز العصبي الطرفي، الجهاز الهضمي، عملية هدم وتحويل المواد الأساسية في الجسم.

كذلك فإن للقات آثاره الضارة على جهاز الدوران ومركبات الدم، وله آثار ضارة على بنية الجسم وخلاياه، وهناك آثار على الجهاز البولي والتناسلي، كما أنه سبب مباشر في انتشار الأمراض⁽³⁵⁾.

وهناك أضرار ناتجة عن المواد المستخدمة معه مثل التدخين، أو المرشوشة عليه عند الزراعة كالمبيدات الزراعية، ((فالقوات الذي يعامل بالمبيدات أكثر خطراً من سائر المزروعات المعاملة بالمبيدات؛ لأن القات لا يغسل ولا يعامل بالحرارة قبل الاستهلاك))⁽³⁶⁾.

كذلك الأضرار التي تحدث بسبب الطقوس والعادات المصاحبة لتناول القات، كالجلوس في أماكن مغلقة غير صحية، ولجوء البعض إلى عدم شرب الماء منذ الصباح لأنهم يعتقدون أن الجفاف يحسن تأثير القات، كذلك استخدام المباشق والأكواب المشتركة مما يساعد في انتشار الأمراض⁽³⁷⁾.

أما عن آثاره النفسية ففي القات مواد تسبب التعود أو الإدمان النفسي، وهذه المواد تسيطر نفسياً على المدمن ولا تسيطر عليه جسدياً، فإذا انقطع عنها فجأة، فإنه يشعر باضطرابات نفسية مثل الضيق والتبرم والقلق.

وبعض مكوناته كالكاثين تسبب الأرق الشديد للمتعاطي، بحيث يمضي جزءاً كبيراً من الليل بحالة أرق شديد وسهاد مترافق بشرود ذهني طويل، وتخيم عليه حالة من الكآبة والحزن والانقباض النفسي، وإذا كان المرء ممن يفرطون في تعاطي القات،

ويواجهون مشاكل حياتية صعبة، فإن تكرار القلق وقلة النوم والتوتر النفسي والعصبي عندهم لفترة طويلة قد يدفع بعضهم إلى الجنون الفعلي⁽³⁸⁾.

وللقات آثار رئيسة أثناء المضغ، وآثار رئيسة بعده نجلها فيما يأتي:
أولاً: آثاره أثناء المضغ:

تنشيط عقلي، تنشيط جسمي، الإحساس بالراحة، القدرة على السهر، زيادة الكلام في أوله، قلة الكلام في آخره، زيادة القدرة على التركيز، اضطرابات في البول.
ثانياً: آثاره بعد المضغ:

السهر، الخمول، القلق، عدم التركيز، الميل إلى الوحدة، السلس المنوي عند الرجال، الضعف الجنسي، قلة الشهية، صعوبة في التبول⁽³⁹⁾.

ثالثاً: آثار القات الاجتماعية

للقات آثار اجتماعية خطيرة من أبرزها ما يأتي:

1- استنزاف دخل الأسرة، حيث إن كثيراً من المخزنيين يصرفون معظم وارداتهم المالية على شراء القات، وهم راضون مقتنعون بصواب ما يفعلون، في حين يحجمون عن حاجات أسرهم وأولادهم، من كساء وغاز وعلاج وتعليم.

2- تفتيت الأسرة، وزعزعة استقرارها العائلي، وزيادة حالات الطلاق.

حيث تؤكد العديد من الدراسات التي أجريت على الأسرة اليمنية أن انتشار القات ومجاسه؛ يؤدي إلى عدم قيام الأسرة بوظائفها بشكل صحيح، فالأبوان ليس لديهما الوقت الكافي للقيام بتنشئة أولادهما التنشئة النفسية والاجتماعية السليمة، فلا يقوم الأبوان بمتابعة نمو أطفالهما، ولا متابعة تحصيلهم العلمي، ولا رعايتهم وإرشادهم إلى محاسن الأخلاق، أو مناقشة ما يعرض لهم من مشاكل ومنغصات؛ لأن غياب الأب وكذا الأم عن المنزل وحضورهما مجالس القات فترة طويلة من اليوم؛ يجعلهما يتركبان الأسرة ويهملان الاهتمام بها. كما أن الكثير من حالات الطلاق بين الزوجين تحدث بسبب القات.

3- تدهور القيم الأخلاقية في المجتمع.

وهذا أثر بالغ السوء، ونتيجة طبيعية لتعاطي القات؛ فالشخص الذي لا يتجاوز دخله الشهري خمسة وعشرين ألف ريال يمضي على سبيل المثال - يأكل القات يوميًا بمعدل خمسمئة ريال على أقل تقدير، وهذا سيضطره لتأمين مال القات بأي أسلوب كان، لذلك تنتشر السرقات والاختلاسات والرشاوى في المجتمع، وأحياناً يلجأ متعاطي القات للتحايل على الناس أو التسول منهم لأجل القات، بل الأشد من ذلك أن بعض النساء يجبرن أولادهن على التسول بسبب القات، وبعضهن قد تلجأ للدعارة من أجله أيضاً⁽⁴⁰⁾.

رابعاً: آثار القات الاقتصادية والبيئية

لا شك أن اقتصاد أي دولة هو عصب حياتها، وبقدر ما يكون اقتصادها قويًا مزدهراً بقدر ما يكون دخل الفرد فيها جيداً ورفاهه متحققاً، وللقات آثاره السلبية على الاقتصاد والبيئة، أذكر منها ما يأتي:

1- التوسع بزراعته، وهذا يؤدي إلى تدهور إنتاج المحاصيل الزراعية؛ إذ بلغت المساحة المزروعة بالقات نحو 80 ألف هكتار عام 1990/ مشكلاً بذلك 7,48% من مساحة الأشجار المثمرة، و58% من مساحة المحاصيل النقدية، وهذه المساحة ارتفعت عام 1995م إلى 92 ألف هكتار، أصبحت تشكل في الوقت الراهن 50% من قيمة الناتج الزراعي، ونحو 15% من الناتج المحلي الإجمالي⁽⁴¹⁾.

2- ومعلوم ما لذلك من آثار سلبية على الأمن الغذائي في البلاد، لاسيما أنه استحوذ على 60% من مساحة الأراضي الأكثر خصوبة، كما استحوذ على نسبة عالية من البنى الأساسية مثل المياه والعمالة المدربة وشبكات الطرق، وتجدر الإشارة إلى أن معدل الاكتفاء الذاتي من الحبوب قد انخفض بسبب توسع زراعة القات من 80% عام 1975م إلى 2,24% عام 1997م، وأن المساحة المزروعة بالذرة في محافظة إب قد انخفضت بنسبة 50%.

2- حلّ محلّ المنتجات المعدة للتصدير، مما أصاب الاقتصاد اليمني بكارثة حقيقية تتضح من خلال عجز ميزان المدفوعات الذي بلغ 711 مليون دولار عام 1977م⁽⁴²⁾.

3- يؤدي إلى إهدار دخل الفرد والأسرة، وإلى نقص إنتاجية الفرد؛ وهذا عائد لما يسببه القات من أرق وسهر يقلل من نوم متعاطيه، وبالتالي يقلل من نشاطه، بالإضافة إلى سوء التغذية الناتج عن تعاطيه مما يسبب الأمراض المتعددة التي تعيق نشاطه وإنتاجه.

4- زيادة الواردات الزراعية، و زيادة أسعار السلع الأخرى.

5- ساعد القات من خلال ازدهار زراعته وتجارته على خلق جيش من العاطلين عن العمل يتخذون منه مهنة أساسية في عمل غير منتج، فهو لا يدر على البلاد أي عملة صعبة.

6- أثار القات بشكل كبير في استنفاد المياه الجوفية، كما أثر سلبيًا على الثروة الحيوانية⁽⁴³⁾.

خامسًا: آثار القات الدينية والأخلاقية

لم يتعرض الباحثون - في الغالب- لدراسة آثار القات على بعض القضايا الدينية والأخلاقية، مع الإشارة إلى ما سبق ذكره من أن أحمد بن علوان قد رأى ضرورة منعه وقلع شجرته بسبب تأثيره على أداء الفرائض⁽⁴⁴⁾، وما أورده الشيخ محمد الإمام حيث ذكر بعضًا من آثاره الدينية⁽⁴⁵⁾، والحقيقة أن هذه النظرة إلى تأثير القات على الدين والأخلاق مهمة جدًا؛ لأهمية الدين والأخلاق في حياة الأفراد والجماعات، وكل ما يضر بهما ينبغي منعه والتصدي له، ومن هذه الآثار ما يأتي:

1- يؤدي تناول القات إلى ترك الصلوات عند البعض، خصوصًا صلاة الظهر والعصر والمغرب، والبعض يؤدي الصلاة قبل وقتها كي يلحق أول وقت التخزين، والبعض الآخر يلجأ إلى الجمع بين الصلوات بلا عذر- حتى سمي البعض هذا الجمع جمع التخزين-.

2- أضف إلى ذلك ما أشرنا إليه سابقاً، من لجوء البعض إلى السرقة أو الرشوة أو غير ذلك من المخالفات الشرعية التي تؤثر بدورها على دين المرء، وتقلل من ارتباطه بالله تعالى، وتضعف الوازع الديني لديه.

3- ثم إن إضاعة الأوقات الثمينة في انتقائه وشرائه ومضغه لأكثر من ثلث اليوم، أمر لا يقره الشرع؛ لأنه يكره للمرء أن يضيع وقته فيما لا فائدة فيه، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ))⁽⁴⁶⁾.

4- كذلك فمن أضراره الإسراف وإضاعة المال، حيث يتم التفاخر في المبالغ التي تصرف لأجل القات ويتباهى الناس بذلك، وهذا السرف والإنفاق فيما لا فائدة فيه، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾⁽⁴⁷⁾، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾⁽⁴⁸⁾، وقال جل وعز: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾⁽⁴⁹⁾.

وإضاعة المال مكروهة في الشريعة الإسلامية، فعن المغيرة بن شعبة ؓ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال))⁽⁵⁰⁾. ((وإضاعة المال: بصرفه في غير وجوهه الشرعية، وتعريضه للتلذذ وذلك إفساد والله لا يحب الفساد))⁽⁵¹⁾.

و عن أبي برزة الأسلمي ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفق، وعن جسمه فيم أبلاه))⁽⁵²⁾.

5- أما القضايا الأخلاقية، والذوقية منها على وجه الخصوص فحدث عنها ولا حرج، وكان طقوس القات ومجالسه لا محذور فيها في هذا المجال، إلا ما رحم الله، وربما يقال: يباح في مجلس التخزين ما لا يباح في غيره، ولا أقول هذا إلا بعد خبرة ومعاشة، ومشاهدات واقعية - وإن لم توجد عند البعض إلا أنها لا ينكرها

منصف-، فتجد الشخص يفتersh قارعة الطريق ويتكئ على حجر أو أكياس من الأسمنت أو ما أشبه ذلك، وهو في كامل نشوته وسعادته يقذف بأعواد القات هنا وهناك لا يبالي إن كان تصرفه هذا لائقاً أو لا، مع أن العلماء قديماً عدوا هذا التصرف من خوارم المروءات.

وإذا نظرت إلى هيئة المخزن نفسه ترى عجباً، فقد نفش خده يميناً أو يساراً بطريقة مخيفة، وقد تجده يخرج الفضلات من فمه دون مراعاة لمن كان بجواره، ثم إذا انتهى من مضغه يخرج من فمه في أي مكان كان كيفما اتفق، ولعله يفعل ذلك في الطرقات أو الباصات إن كان راكباً، ولربما قذفك ببعض ما يخرج من فمه وكأنه لم يفعل شيئاً. والأغرب من هذا كله أن هذا الأمر مباح عند غالبية المخزنين، ويتساهلون فيه لدرجة أنه يُنظر إلى هذا الشخص كأنه لم يفعل شيئاً.

ولا ينبغي الاستهانة بمثل هذه الأمور أو التغاضي عن فاعليها، فإن من نعم الله تبارك وتعالى على الإنسان أن كرمه وأعلى شأنه ورفع قدره، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾⁽⁵³⁾، وقد حرصت الشريعة الإسلامية على المحافظة على هذه المكانة للإنسان عن طريق كثير من القواعد والتعليمات والسنن الناظمة لذلك، فالمحافظة على الذوق العام وعدم خدشه، وغرس القيم والأخلاق المؤدية لذلك، أمر لا بد منه لاستقامة المجتمع المسلم على القيم السامية والأخلاق الرفيعة، وفي بعض عادات القات ما فيها من خرم هذه القيم والأخلاق.

سادساً: استخلاص حكم القات

بعد الاطلاع على ما قاله الفقهاء والعلماء في القات، و بعد التعرف على الأضرار التي يسببها في الدين والخلق والصحة والاقتصاد والمجتمع والبيئة، فما الحكم الذي يمكن استخلاصه في القات بعد هذا كله؟

وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي الإشارة إلى أمرين:

أحدهما: أن للقات أنواعًا متعددة، حسب ما أفاد كل من يعرفه، فإذا وجد من هذه الأنواع نوع مخدر- وقد أقرّ أهل الخبرة بوجوده لكنه نادر وغالي الثمن- فحكمه حكم بقية المخدرات المسكرات؛ لأنه أشبهها في علة التحريم وهي الإسكار فكان مثلها محرماً، فقد قال رسول الله ﷺ: ((كل مسكر حرام))⁽⁵⁴⁾.

وهذا النوع من القات لا أتحدث عنه هنا؛ لأنه نادر وحكمه واضح، بل الحديث عن الأنواع الأخرى العادية المتداولة في السوق اليمنية خصوصاً، والتي تحدث عنها العلماء وذكرها آثارها سابقاً.

الأمر الآخر: أنه لا يمكن الفصل بين القات كنبات له مكوناته وصفاته، وبين آثاره ونتائجه المرتبطة به للحكم عليه، فهذه الآثار والنتائج لها أثر بالغ الأهمية في الحكم عليه.

والذي يبدو بعد كل هذا أنه لا يمكن القول بتحريم القات لذاته مطلقاً، ولا اعتباره ضمن المخدرات؛ وذلك لأن المكونات الأساسية له لا تسبب سوى الإدمان النفسي فقط، وليس فيه الإدمان الجسدي المتوفر في بقية المسكرات، ويتأكد هذا إضافة إلى ما قاله المختصون، عندما نعرف أن أشخاصاً كانوا يتعاطون القات فترات طويلة، فإذا انقطعوا عن تناوله لسبب من الأسباب كالسفر والعيش في بلد لا قات بها، فإنهم لا يتأثرون كثيراً بهذا الانقطاع، ويمارسون حياتهم اليومية بشكل طبيعي.

ومعلوم بالمشاهدة المستفيضة أن الذي يأكل القات -المُخزّن- يقود السيارة بكل مهارة في أوعر الطرق وأكثرها خطورة، ويعمل في الأماكن المرتفعة والخطرة، ويتقن عمل الحرف التي تحتاج إلى دقة وتركيز وإتقان، وغير ذلك من الأعمال التي لو فعلها سكران لما قدر على شيء منها، فلو كان القات مسكراً مثلها لكانت النتيجة واحدة، وهذا ما لم يحصل.

كما أن بعض الآثار الصحية الناتجة عن تعاطيه، قد توجد عند شخص ولا توجد عند آخر، وهذه الآثار قد تسببها بعض الأطعمة والمشروبات الأخرى كالشاي والقهوة والمشروبات الغازية وغيرها، وهذا يؤيد القول: إن القات ليس محرماً لذاته.

ولكن عدم القول بتحريمه لذاته لا يجعله مباحاً أو مشروعاً في الأصل؛ لأن أضراره الأخرى الثابتة بعد تحليله علمياً تجعله ضمن المكروهات؛ فهو بالتأكيد لا يدخل ضمن الطيبات التي أباحها الشرع عموماً، قال تعالى: ﴿ وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ (55).

أما من حيث ما يسببه القات من أضرار دينية أو اجتماعية أو اقتصادية أو بيئية أو غيرها، فيمكن القول: إنه محرم لغيره؛ لأن أضرار القات بالغة الخطورة، تمس الفرد وتمس تكوين المجتمع في أبرز جوانبه وأهم مقوماته.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا ضرر ولا ضرار)) (56). فهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين، وهو من الأحاديث التي يدور عليها الفقه (57)، ويمكن تطبيقه في مختلف المجالات، فكل ما من شأنه أن يحدث الضرر أو الضرار فهو ممنوع محظور في الشرع الحنيف.

وإذا حرم الشيء لغيره فهو كالمحرم لذاته من حيث الكف عنه واجتنابه، فكلاهما طلب من المكلف الكف عنه حتماً وإلزاماً.

والذي يبدو أنه لا بد من القول بتحريم تعاطي القات في حق من كان يضره في بدنه، أو يؤدي به إلى التفريط في الفرائض الدينية، أو يؤدي به إلى السرقة أو الرشوة أو التفريط بالأمانة وتضييع الأعمال والأوقات، أو كان يضر بالأسرة و رعايتها، أو كان يؤدي إلى ارتكاب الحماقات التي تخدش الأدب وتخرم المروءة. أما من لم يؤثر تعاطيه للقات في شيء مما ذكر آنفاً فإن القات لا يكون محرماً في حقه، لكن لا ينبغي لذي مروءة أو دين، أو ورع، أو زهد، أو تطلع إلى كمال من الكمالات أن يستعمله؛ لأنه من الشبهات التي يتأكد اجتنابها بقوله صلى الله عليه وسلم: ((فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه)) (58)، والله أعلم.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والنبوات، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فقد تم الاطلاع على آراء الفقهاء في القات من خلال فتاواهم ورسائلهم، وتعرفنا على مكوناته وآثاره الضارة صحياً ونفسياً واجتماعياً واقتصادياً ودينياً وأخلاقياً، واتضح أنه ليس محرماً لذاته، بل يحرم لغيره لذلك لا ينبغي لصاحب دين أو ذي عقل أو مروءة أن يتعاطاه، فالخير كله في اجتنابه والابتعاد عنه.

وحيث إن هذا النبات قد استشرى في البلاد، وسيطر على العباد، وأصبح تعاطيه مما عمت به البلوى، فإن منعه فجأة قد يسبب أضراراً ومشاكل لا يمكن تفاديها؛ لذلك لا بد من تضافر الجهود لإيجاد البدائل المناسبة التي تسهم في الحد منه، ثم منعه نهائياً، ولذا فإن الباحث يوصي بما يأتي:

1- التدرج في منعه والتقليل من تعاطيه، وذلك بعمل الآتي:

أ- أن يصرح الفقهاء بتحريم تناول القات في حق كل من يضره في بدنه أو دينه أو ماله أو عقله أو مجتمعه. وبذلك يقل عدد المتعاطين له، حتى يأتي وقت يمكن منعه نهائياً؛ نظراً لأخطاره الأخرى.

ب- أن لا يسمح بزراعته إلا في أماكن محددة يختارها أهل الاختصاص، ولا يسمح بتناوله في أماكن العمل والمعسكرات ونحو ذلك، كما تتم المباحة بين أيام التخزين، وغير ذلك من الوسائل المؤدية لمنعه نهائياً.

2- إقامة المراكز والمنديات التي تسهم في توعية الناس، وتساعد على الاستفادة من الأوقات وعدم هدرها فيما لا فائدة منه.

3- الاستفادة من دور الإعلام في نشر القيم الإسلامية، والتنبيه على خطر القات وأضراره كلها.

4- إنشاء المنتزهات والحدائق العامة التي تتيح مجالات للهو المباح؛ لشغل أوقات الفراغ.

5- توفير فرص العمل، والتشجيع على زراعة المحاصيل ذات الطابع التصديري؛ لكسب العملات الصعبة.

6- قيام العلماء والخطباء ومن على شاكلتهم بدورهم في توعية الناس بأضرار القات، ونشر الفتاوى الدينية الواضحة والصريحة التي تحد من انتشاره.

الهوامش

- (1) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي، ولد بمصر سنة 909هـ، ورحل إلى مكة وتوفي بها سنة 974هـ. انظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر العبدروس (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1405هـ ص 258 وما بعدها).
- (2) الفتاوى الفقهية الكبرى، أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي (المكتبة الإسلامية، تركيا، دت، 225/4)، وسأذكر ملخصاً لهذه الرسالة بعد قليل.
- (3) من أشهر الأولياء في اليمن، ولد في أوائل القرن السابع الهجري وتوفي سنة 665هـ. انظر: الموسوعة اليمنية (مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط 1412هـ-1992م، 56/1).
- (4) انظر: القات في حياة اليمن واليمنيين، رصد ودراسات وتحليل، مجموعة من المؤلفين أبرزهم د. عبد العزيز المقالح (مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط 1981م-1982م، ص 11).
- (5) هو العلامة محمد بن سعيد بن علي بن كبن، فقيه وقاض، توفي في عدن سنة 842هـ. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد دمشقي (دار الكتب العلمية، بيروت، 246/4)، طبقات صلحاء اليمن، عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي السكسكي (ت: عبد الله محمد موسى، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط 1994م، ص 331-332).
- (6) انظر: القات في حياة اليمن واليمنيين، ص 56. وزعم مؤلف الكتاب أنه أول من استفتي عن القات.
- (7) هو العلامة حمزة بن عبد الله بن محمد بن علي الناشري الزبيدي، فقيه شافعي، ولد بنخل وادي زبيد سنة 833هـ، توفي سنة 924هـ. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاتي (دار المعرفة، بيروت، دت، 238/1).
- (8) انظر: الفتاوى الفقهية الكبرى للهيتمي (226/4).
- (9) هو أحمد بن عمر بن محمد السيفي المرادي، قاض من فقهاء الشافعية بتهامة اليمن، ولد في زبيد سنة 847هـ، وتوفي فيها سنة 930هـ. انظر: النور السافر، ص 127 وما بعدها، الأعلام، خير الدين الزركلي (دار العلم للملايين، بيروت، ط 3، 181/1).
- (10) الكفنة: ما يجمع ويرفع من بقايا النباتات بعد أخذ المفيد منها. المعجم اليمني في اللغة والتراث، مطهر الإرياتي (دار الفكر، دمشق، ط 1996م ص 779). وينطقها بعض اليمنيين - كما سمعت - بالكسر: الكفنة، ويقصدون بها بقايا القات.
- (11) هو شهاب الدين أحمد بن الطيب بن شمس الدين الطنبداوي البكري الشافعي، أحد علماء زبيد ولد بعد سنة 870هـ تقريباً، وتوفي سنة 948هـ. انظر: النور السافر، ص 206.
- (12) انظر: الفتاوى الفقهية الكبرى للهيتمي (227/4).
- (13) عالم وفقهه ومصالح من أهل اليمن، ولد في بيجان القصاب بمحافظة شبوة سنة 1326هـ، وتوفي سنة 1391هـ. انظر: الموسوعة اليمنية (821/2).

- (14) يسمى التبغ وهو الدخان، وعبر عنه بعض الفقهاء بالتتن. موسوعة الفقه الإسلامي (دار الكتاب المصري، القاهرة، ط 1410هـ/1990م، 65/13).
- (15) إصلاح المجتمع، محمد سالم البيهاني (دار مصر للطباعة، الفجالة، ط 1351هـ، ص 408).
- (16) هو القاضي صفي الدين أحمد بن فاسم العنسي، ولد تقريباً سنة 1320هـ، وتوفي سنة 1390هـ. انظر: نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، محمد بن محمد يحيى زيارة (تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ط 1979م، 125/1).
- (17) انظر: التاج المذهب لأحكام المذهب، أحمد بن فاسم العنسي (دار الحكمة اليمنية، صنعاء، ط 1414هـ—1993م، 474/3).
- (18) توسعت في عرضها لأهميتها واحتوانها على آراء العديد من الفقهاء في القات. كذلك لأهمية مؤلفها، حيث انتهت إليه الرئاسة في الفتوى على مذهب الأئمة الشافعية في مكة المكرمة. والرسالة موجودة بتمامها في الفتاوى الفقهية الكبرى للهيتمي (الجزء الرابع من ص 223 إلى ص 231).
- (19) منهم: للفقير أبو بكر بن إبراهيم المقرئ الحراري الشافعي، والفقير إبراهيم العراقي، وأحمد بن إبراهيم المقرئ، وكان له معرفة بالطب وغيره، وقد حرره الفقيه العلامة حمزة الناشر لضرره.
- (20) أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في السنن (المكتبة العصرية، بيروت، ترقيم: محمد محيي الدين عبد الحميد، كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر، رقم 3686)، وأحمد بن حنبل في المسند (ترقيم الشركة العالمية للبرامج، برقم 25416)، أخرجه عن أم سلمة رضي الله عنها.
- (21) النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري (ت: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ط 1399هـ—1979م، 408/3).
- (22) الباه: النكاح أو الجماع. انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (دار صادر، بيروت، ط 1 د.ت، 479/13—478، مادة ب و ه).
- (23) أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه (مراجعة محمد علي القطب وهشام البخاري، والترقيم لمحمد فؤاد عبد الباقي المكتبة العصرية، بيروت، ط 1418هـ/1997م، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم 52)، و مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحه (ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم 1599)، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.
- (24) أخرجه: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي في السنن (ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1408هـ/1987م، كتاب صفة القيامة والرفائق والورع، باب ما جاء في صفة أولي الحوض، رقم 2375)، وقال عنه حسن غريب، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، رقم (4215)، و محمد عبد الله الحاكم في المستدرک على الصحيحين، (ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1411هـ/1990م، 355/4)، وصحح إسناده من حديث عطية السعدي.
- (25) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرفائق والورع، باب منه، رقم (2442)، والنسائي أحمد بن شعيب في السنن (ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط 1406هـ/1986م، كتاب الأشربة، باب الحث على ترك الشبهات، رقم 5711)، وأحمد برقم (1630)، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي في السنن (ت: فوزان أحمد

- زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1 1407هـ، كتاب البيوع، باب دع ما يربيك إلى ما لا يربيك، رقم 2532)، والحاكم في المستدرک (15/2)، وصححه من حديث الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما.
- (26) أخرجه محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار التراث العربي، بيروت، ط1975م، من حديث المقدم بن معد يكر، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، رقم 3349).
- (27) هو الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى، ولد في رمضان سنة 877هـ بحصن حضور، حكم اليمن سنة 912هـ وتوفي سنة 965هـ. انظر: اللطائف السنوية في أخبار الممالك اليمنية، محمد بن إسماعيل الكيسي (ت: خالد أبا زيد الأترعي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط1 1426هـ/2005م، ص195-196).
- (28) انظر: ثلاث رسائل في القات، جمع وتحقيق عبد الله محمد الحبشي: ص9 وما بعدها.
- (29) هو العلامة يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد، ولد تقريباً سنة 1035هـ وتوفي نيف 1080هـ. انظر: البدر الطالع (228/2-229)، ولم يجزم الشوكاني بتاريخ مولده أو وفاته؛ لأن أهل عصره أهملوا ذكره.
- (30) هي التبع المسحوق الذي يستعمله الناس للمضغ في الفم [يوضع تحت اللسان] أو ليستشفوه بالأنف، وتسمى أيضاً البرتقال، وبعضهم يقول: البرتقال، وهي مأخوذة من البرتغال أي أهل البرتغال، وهم الذين نقلوا التبغ إلى ديار الشرق. انظر: بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام، حسين بن أحمد العرشي (ت: الأب أنستاس ماري الكرمل، دار إحياء التراث العربي، د.ت، ص153-154).
- (31) انظر: تحذير أهل الإيمان من تعاطي القات والشمة والدخان، محمد عبد الله الإمام (مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1 1426هـ - 2005 م ص5 وما بعدها). وينظر: فتوى في حكم القات، محمد عبد الله الإمام (مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط2 2000م).
- (32) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت (نشر وزارة الأوقاف، الكويت، 34/11).
- (33) انظر: ص2 من هذا البحث.
- (34) انظر: بحث المكونات الكيميائية للقات، د. أحمد محمد الحضرائي، د. نجيب سعيد غانم، موجود في كتاب القات نظرة متكاملة لمحاور القات وآثاره، مجموعة من العلماء والباحثين (مطابع الكتاب المدرسي، وزارة التربية والتعليم، اليمن، ص144-146)، كيمياء القات: ماهيتها، خصائصها، تأثيرها، محمد علي الفاطمي، ص28، القات والطيب، محمد عوض باجبير، ص71-73.
- (35) انظر: كيمياء القات: ماهيتها، خصائصها، تأثيرها، محمد علي الفاطمي (مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط1 1420هـ - 1999م، ص20)، بحث أضرار بعض مركبات القات الكيميائية على صحة الإنسان، للباحثين: د.حماد نواف الفرحان، د.خالد يحيى العبيدي (مجلة الثوابت العدد 33 يوليو - سبتمبر 2003م، اليمن، ص89-96).
- (36) القات نظرة متكاملة لمحاور القات وآثاره: ص180.
- (37) انظر: القات والطيب، محمد عوض باجبير (مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، د.ط، د.ت، ص23).
- (38) انظر: المخدرات، هاني عرموش: ص195، كيمياء القات، محمد علي الفاطمي: ص28.
- (39) انظر: القات نظرة متكاملة لمحاور القات وآثاره: ص162.

- (40) انظر فيما سبق: المخدرات، هاني عرموش: ص196، المرأة اليمنية ومجالس القات، دراسة نفسية اجتماعية، نجاة محمد صائم خليل (دار المجد للطباعة والنشر، صنعاء، ط1 د.ت. ص103)، فتوى في حكم القات، محمد عبد الله الإمام، ص24، القات نظرة متكاملة لمحاو القات وآثاره: ص84، جريدة المشكلة، العدد 28 مارس - أبريل 2006م، تعز.
- (41) جريدة البيان، الإمارات العربية المتحدة، دبي، الخميس 25 رمضان 1421هـ - 21 ديسمبر 2000م، القات نظرة متكاملة لمحاو القات وآثاره: ص137.
- (42) انظر: القات بين السياسة وعلم الاجتماع، عبد الملك المقرمي (دار آزال، بيروت، المكتبة اليمنية، صنعاء، ط1 1407هـ - 1987م، ص85-86)، جريدة البيان الإماراتية للمرجع السابق.
- (43) انظر القات نظرة متكاملة لمحاو القات وآثاره: ص137، دراسات طبية، اليافعي (مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، د.ط. د.ت. ص15).
- (44) راجع: ص2 من هذه الدراسة.
- (45) انظر: تحذير أهل الإيمان من تعاطي القات والشمة والدخان، ص16.
- (46) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، رقم (6412)، والترمذي، كتاب الزهد، باب الصحة والفراغ نعمتان...، رقم (2226)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحكمة، رقم (4170)، وأحمد برقم (3038)، والدارمي، كتاب الرقاق، باب في الصحة والفراغ، رقم (2707).
- (47) الإسراء (27).
- (48) الأنعام (141).
- (49) الأعراف (31).
- (50) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد الزرقاني (دار الجيل، بيروت، د.ت. 4/411).
- (51) أخرجه الترمذي، كتاب صفة الغيامة والرفائق والورع، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، رقم (2341)، وقال حسن صحيح، وأخرجه الدارمي، كتاب المقدمة، باب من كره الشهرة والمعرفة، رقم (537).
- (52) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم (4343)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، رقم (1733)، ونص الحديث: عن أبي موسى رضي الله عنه قال: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم أنا ومعاذ بن جبل إلى اليمن فقلت يا رسول الله إن شرباً يصنع بأرضنا يقال له المسزر من الشعير وشراب يقال له البهق من العسل فقال كل مسكر حرام.
- (53) الإسراء (70).
- (54) الأعراف (157).
- (55) أخرجه دار قطني علي بن عمر في سننه (ت: السيد عبد الله هاشم، دار المعرفة، بيروت، ط1386هـ / 1966م، 3/77، 4/228)، وأخرجه الحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه. انظر: المستدرک علی الصحیحین (2/66)، والبيهقي أحمد بن الحسين بن علي في السنن الكبرى (ت: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ط1414هـ - 1994م، 6/69)، ونقله عبد الرحمن بن أحمد بن رجب في جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1408هـ - 1988م، ص301). والحديث صحيح كما ورد في صحيح الجامع الصحيح وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني (المكتب الإسلامي، بيروت، ط3 1408هـ / 1988م، رقم 7517، 2/1249).

- (56) انظر: سنن أبي داود (283/2)، جامع العلوم والحكم: ص303، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار، محمد بن علي الشوكاني (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، 294/5).
- (57) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم (52)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم (1599)، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

Novel as a Tool of Highlighting Evil:
Fagin (The Old Jew) as an Incarnation of Evil.
A Study of Charles Dickens' *Oliver Twist*.

Asmael AL-Shemi*

I

Through reading and perusing the evil doings done by Dickens's villainous character Fagin, many questions are raised in this regard. Does Dickens want to shed light on the evil acts practiced daily in his homeland and era? Does he want to give a message that mercy, pity, goodness kindness, humanity, compassion, morals, values, ideals, affection, and ethics have ended , lost and become meaningless and valueless before material needs, egoism, self-interest, gluttony, greed, appetite of life, life of pleasures, and the instinct of survival? Or does he want to say that humans live in a material world in which material and personal interests and carelessness have become dominant on all humanitarian, ethical, emotional and moral considerations and values? Or it is the inherent nature of people irrespective of their circumstances; people who are good remain good and people who are evil remain evil by nature. Does Dickens intend to criticize the evil people because they are evil by nature and they are not ready to change that approach even if their circumstances would change from bad to good? He does not criticize those evil people themselves, but he criticizes the society, which sets them in such conditions, at the same time he sheds light on the causes and motives behind those evil doings done by those villains in order to raise a critical question? (Why do these people do these evil doings

* جامعة ذمار - كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية

mercilessly, ruthlessly, carelessly, fearlessly, wickedly, cruelly, and insistently? Many questions are raised here and need an answer.

Through this paper, firstly, I am going to start with displaying and highlighting the evil doings and acts done by the villainous character Fagin, and the injury or harm he has caused to others around him, then I will try to find answers to those questions raised above, then to get the real purpose of Dickens behind raising that evil through his major character Fagin.

Fagin is a villain of the novel *Oliver Twist*. Most of the evil acts in the novel are centered on him and he is the dynamo behind most of those evil doings in the novel. "One of Dickens' most famous and wicked characters ever written was Fagin. He, being a dark and thieving character, enforces the terrible problems of the society, to give the reader an idea as to how some people had to live through during the 1800s..."¹

He leads a band of criminals, robbers, thieves, pickpockets, housebreakers and so on. He is an incarnation of evil and the devil himself. He lives with those criminals in his den and makes his boys tempt and lure other boys who are homeless, poor, orphans, and innocent. He gets them engaged in the world of crime. He is materialistic, thinks only of money, and does everything possible for money. His only concern is money. "In *Oliver Twist*, Charles Dickens' main bad character is Fagin. Fagin lives in the back streets of London and runs an organisation whose aim is to rob people."² "Fagin is the ringleader of a small group of thieves and pickpockets, Fagin seems to have quite a responsible attitude towards his band, being the leader. He possesses a very charismatic manner and uses terms of endearment (e.g. "my dear") towards everyone. However, he is not a person to anger, as he is also shown to have an intense rage..."³ "The way Dickens describes Fagin, gives the reader the impression that Fagin is evil, and possibly the focal villain of the

story. The portrayal of Fagin is an almost exact replica of the devil himself. He is described as having "matted red hair", which is associated with the devil's red fur;..."⁴

Fagin shows great terror towards the boy Oliver, and he gets him live a terrifying life and spends most of his times in horror and fear. He is responsible for involving the boy Oliver the (protagonist) in the world of crime and his mingling among pickingpockets, criminals, housebreakers, thieves, robbers and burglars,

"You'd like to be able to make pocket-handkerchiefs as easy as Charley Bates, wouldn't you, my dear?" said the Jew" (O.T.Ch. 9) "do everything they bid you, and take their advice in all matters -- especially the Dodger's, my dear. He'll be a great man himself, and will make you one too, if you take pattern by him. -- Is my handkerchief hanging out of my pocket, my dear?" said the Jew, stopping short." (O.T.Ch. 9)

Fagin does his utmost and exerts all his efforts to pervert the boy and to get him a professional criminal, a pickpocket and a thief. Fagin uses all his authority and villainy over the boy Oliver to corrupt him. Fagin uses several methods to persuade the boy to get involved in the community of evil and crime, and stealing.

"See if you can take it out, without my feeling it: as you saw them do, when we were at play this morning." Oliver held up the bottom of the pocket with one hand, as he had seen the Dodger hold it, and drew the handkerchief lightly out of it with the other. "Is it gone?" cried the Jew. "Here it is, sir," said Oliver, showing it in his hand. "You're a clever boy, my dear," said the playful old gentleman, patting Oliver on the head approvingly. "I never saw a sharper lad. Here's a shilling

for you. If you go on, in this way, you'll be the greatest man of the time. And now come here, and I'll show you how to take the marks out of the handkerchiefs." Oliver wondered what picking the old gentleman's pocket in play, had to do with his chances of being a great man. But, thinking that the Jew, being so much his senior, must know best, he followed him quietly to the table, and was soon deeply involved in his new study."(O.T.Ch. 9)

He forces the boy to take part optionally in many processes of pickpocketing, robberies and thefts. He threatens Oliver, who is still fresh and a little boy, with a knife upon seeing him (Fagin) checking his box of stolen jewelries although the young boy is honest and does not care about that box.

"What's that?" said the Jew. "What do you watch me for? Why are you awake? What have you seen? Speak out, boy! Quick -quick! for your life!" "(O.T.Ch.9) "I wasn't able to sleep any longer, sir," replied Oliver, meekly. "I am very sorry if I have disturbed you, sir." "You were not awake an hour ago?" said the Jew, scowling fiercely on the boy. "No! No, indeed!" replied Oliver. "Are you sure?" cried the Jew: with a still fiercer look than before: and a threatening attitude. "Upon my word I was not, sir," replied Oliver, earnestly. "I was not, indeed, sir.""(O.T.Ch.9)

After the villain's several persistent attempts of persuading the boy of pickpocketing and upon the failure of Oliver of pickpocketing the gentleman, and his sudden disappearing due to the arresting of him, Fagin becomes very furious upon losing the boy Oliver. He screams at others and threatens them fiercely and requires them to bring the boy back to the den in any way.

"Where's Oliver?" said the Jew, rising with a menacing look. "Where's the boy?" "What's become of the boy?" said the Jew, seizing the Dodger tightly by the collar, and threatening him with horrid imprecations. "Speak out, or I'll throttle you!" "Will you speak?" thundered the Jew: shaking the Dodger so much that his keeping in the big coat at all, seemed perfectly miraculous." (O.T.Ch. 13) "We must know where he is, my dears; he must be found," said the Jew greatly excited. "Charley, do nothing but skulk about, till you bring home some news of him! Nancy, my dear, I must have him found. I trust you, my dear, -- to you and the Artful for everything! Stay, stay," added the Jew, unlocking a drawer with a shaking hand; "there's money, my dears. I shall shut up this shop to-night. You'll know where to find me! Don't stop here a minute. Not an instant, my dears!" (O.T.Ch. 13) On the other hand, the villain Fagin incites Nancy to look for Oliver and track him as so as to capture him claiming that he is her brother who has run away from the house, by using that evil trick she has earned the others' sympathy and help, thus she manages to bring him back to that corrupted and evil community. As a result, they manage to get him back to their den making him live among them and imposing him their conduct and their evil life; the life of crime and perversion. "Don't," cried Oliver, struggling. "Let go of me. Who is it? What are you stopping me for?" "The only reply to this, was a great number of loud lamentations from the young woman who had embraced him; and who had a little basket and a street-door key in her hand. "Oh my gracious!" said the young woman, "I've found him! Oh! Oliver! Oliver! Oh you naughty boy, to make me suffer such distress on your account! Come home, dear, come. Oh, I've found him. Thank

gracious goodness heavens, I've found him!" With these incoherent exclamations, the young woman burst into another fit of crying, and got so dreadfully hysterical, that a couple of women who came up at the moment asked a butcher's boy with a shiny head of hair anointed with suet, who was looking on, whether he didn't think he had better run for the doctor. To which, the butcher's boy: who appeared of a lounging, not to say indolent disposition: replied, that he thought not. "Oh, no, no, never mind," said the young woman, grasping Oliver's hand; "I'm better now. Come home directly, you cruel boy! Come!" "What's the matter, ma'am?" inquired one of the women. "Oh, ma'am," replied the young woman, "he ran away, near a month ago, from his parents, who are hard-working and respectable people; and went and joined a set of thieves and bad characters; and almost broke his mother's heart." "Young wretch!" said one woman. "Go home, do, you little brute," said the other. "I am not," replied Oliver, greatly alarmed. "I don't know her. I haven't any sister, or father and mother either. I'm an orphan; I live at Pentonville." "Only hear him, how he braves it out!" cried the young woman. "Why, it's Nancy!" exclaimed Oliver; who now saw her face for the first time; and started back, in irrepressible astonishment. "You see he knows me!" cried Nancy, appealing to the bystanders. "He can't help himself. Make him come home, there's good people, or he'll kill his dear mother and father, and break my heart!" "What the devil's this?" said a man, bursting out of a beer-shop, with a white dog at his heels; "young Oliver! Come home to your poor mother, you young dog! Come home directly." "I don't belong to them. I don't know them. Help! help!" cried Oliver, struggling in the man's powerful grasp. "Help!" repeated the man. "Yes; I'll help

you, you young rascal! What books are these? You've been a stealing 'em, have you?" Give 'em here." With these words, the man tore the volumes from his grasp, and struck him on the head. "That's right!" cried a looker-on, from a garret-window. "That's the only way of bringing him to his senses!" "To be sure!" cried a sleepy-faced carpenter, casting an approving look at the garret-window. "It'll do him good!" said the two women. "And he shall have it, too!" rejoined the man, administering another blow, and seizing Oliver by the collar. "Come on, you young villain! Here, Bull's-eye, mind him, boy! Mind him!" Weak with recent illness; stupefied by the blows and the suddenness of the attack; terrified by the fierce growling of the dog, and the brutality of the man; overpowered by the conviction of the bystanders that he really was the hardened little wretch he was described to be; what could one poor child do! Darkness had set in; it was a low neighborhood; no help was near; resistance was useless. In another moment, he was dragged into a labyrinth of dark narrow courts, and was forced along them at a pace which rendered the few cries he dared to give utterance to, unintelligible. It was of little moment, indeed, whether they were intelligible or no; for there was nobody to care for them, had they been ever so plain. "Do you hear?" growled Sikes, as Oliver hesitated, and looked around."(O.T.Ch.16) "They were in a dark corner, quite out of the track of passengers. Oliver saw, but too plainly, that resistance would be of no avail. He held out his hand, which Nancy clasped tight in hers. " "Give me the other," said Sikes, seizing Oliver's unoccupied hand. "Here, Bull's-eye!" " (O.T.Ch.16) " "See, here boy!" said Sikes, putting his other hand to Oliver's throat; "if he speaks ever so soft a word, hold

him! D'ye mind!"(O.T.Ch.16) "Mr. Sikes then seized the terrified boy by the collar with very little ceremony; and all three were quickly inside the house."(O.T.Ch.16) "They belong to the old gentleman," said Oliver, wringing his hands; "to the good, kind, old gentleman who took me into his house, and had me nursed, when I was near dying of the fever. Oh, pray send them back; send him back the books and money. Keep me here all my life long; but pray, pray send them back. He'll think I stole them; the old lady: all of them who were so kind to me: will think I stole them. Oh, do have mercy upon me, and send them back!" With those words, which were uttered with all the energy of passionate grief, Oliver fell upon his knees at the Jew's feet; and beat his hands together, in perfect desperation."(O.T.Ch.16)

II

Oliver finds himself again face to face with that hateful, cruel, filthy and disgusting life in the den of Fagin and his criminal boys. Fagin's evil is represented by sending Oliver once again with Sikes and some others to take part in burgling the house of Mrs. Maylie against his will, hence Oliver has been critically wounded; he has been shot by the house's guards. Fagin is the responsible for Oliver's injury and horror. The innocent boy remains injured and under curing for some time in the house of Mrs. Maylie.

"No, no, my dear. Not to stop there," replied the Jew. "We shouldn't like to lose you. Don't be afraid, Oliver, you shall come back to us again. Ha! ha! ha! We won't be so cruel as to send you away, my dear. Oh no, no!"(O.T.Ch.20) "Hush!" said the girl, stooping over him, and pointing to the door as she looked cautiously round. "You can't help yourself. I have tried hard for

you, but all to no purpose. You are hedged round and round. If ever you are to get loose from here, this is not the time." Struck by the energy of her manner, Oliver looked up in her face with great surprise. She seemed to speak the truth; her countenance was white and agitated; and she trembled with very earnestness. "I have saved you from being ill-used once, and I will again, and I do now," continued the girl aloud; "for those who would have fetched you, if I had not, would have been far more rough than me. I have promised for your being quiet and silent; if you are not, you will only do harm to yourself and me too, and perhaps be my death. See here! I have borne all this for you already, as true as God sees me show it." She pointed, hastily, to some livid bruises on her neck and arms; and continued, with great rapidity: "Remember this! And don't let me suffer more for you, just now. If I could help you, I would; but I have not the power. They don't mean to harm you; whatever they make you do, is no fault of yours. Hush! Every word from you is a blow for me. Give me your hand. Make haste! Your hand!" (O.T.Ch.20) "Thus addressing his new pupil, Mr. Sikes pulled off Oliver's cap and threw it into a corner; and then, taking him by the shoulder, sat himself down by the table, and stood the boy in front of him. "Now, first: do you know wot this is?" inquired Sikes, taking up a pocket-pistol which lay on the table. Oliver replied in the affirmative. "Well," said the robber, grasping Oliver's wrist, and putting the barrel so close to his temple that they touched; at which moment the boy could not repress a start; "if you speak a word when you're out o' doors with me, except when I speak to you, that loading will be in your head without notice. So, if you *do* make up your mind to speak without leave, say your prayers first." (O.T.Ch.20) "Nancy, scarcely

looking at the boy, threw him a handkerchief to tie round his throat; Sikes gave him a large rough cape to button over his shoulders. Thus attired, he gave his hand to the robber, who, merely pausing to show him with a menacing gesture that he had that same pistol in a side-pocket of his great-coat, clasped it firmly in his, and, exchanging a farewell with Nancy, led him away.“(O.T.Ch.20) “Before Oliver had time to look round, Sikes had caught him under the arms;...“(O.T.Ch.22) ““Get up!” murmured Sikes, trembling with rage, and drawing the pistol from his pocket; “Get up, or I’ll strew your brains upon the grass.”“(O.T.Ch.22) ““Oh! for God’s sake let me go!” cried Oliver; “let me run away and die in the fields. I will never come near London; never, never! Oh! pray have mercy on me, and do not make me steal. For the love of all the bright Angels that rest in Heaven, have mercy upon me!”“(O.T.Ch.22) ““Now listen, you young limb,” whispered Sikes, drawing a dark lantern from his pocket, and throwing the glare full on Oliver’s face; “I’m a going to put you through there.”“(O.T.Ch.22) ““Keep quiet, can’t you?” replied Sikes, with a threatening look. “The room-door is open, is it?”“(O.T.Ch.22) “Oliver, more dead than alive, gasped out, “Yes.” Sikes, pointing to the street-door with the pistol-barrel, briefly advised him to take notice that he was within shot all the way; and that if he faltered, he would fall dead that instant.“(O.T.Ch.22) ““Mean!” cried the Jew, stamping furiously on the ground. “Where are they? Sikes and the boy! Where are they? Where have they been? Where are they hiding? Why have they not been here?” “The crack failed,” said Toby, faintly. “I know it,” replied the Jew, tearing a newspaper from his pocket and pointing to it. “What more?” “They fired and hit the boy. We cut over

the fields at the back, with **him** between us -- straight as the crow flies -- through hedge and ditch. They gave chase. **Damme!** the whole country was awake, and the dogs **upon** us." "The boy!" "Bill had him on his back, and **scudded** like the wind. We stopped to take him between us; his head hung **down**, and he was cold. They were close upon **our** heels; every man for himself, and each from the gallows! We parted company, and left the youngster **lying in a ditch**. Alive or **dead**, that's all I know about him." The Jew **stopped** to hear no more; but uttering a loud yell, and twining his hands in his hair, rushed from the room, and from the house."(O.T.Ch.25)

" "And the boy, too," said the Jew, straining his eyes to catch a glimpse of her face. "Poor leetle child! Left in a ditch, Nance; only think!" "The child," said the girl, suddenly looking up, "is better where he is, than among us; and if no harm comes to Bill from it, I hope he lies dead in the ditch, and that his young bones may rot there." "What!" cried the Jew, in amazement. "Ay, I do," returned the girl, meeting his gaze. "I shall be glad to have him away from my eyes, and to know that the worst is over. I can't bear to have him about me. The sight of him turns me against myself, and all of you.""(O.T.Ch.26) " "What is it?" pursued Fagin, mad with rage. "When the boy's worth hundreds of pounds to me, am I to lose what **chance** **threw** me in the way of getting safely, through the whims of a drunken gang that I could whistle away the lives of! And me bound, too, to a born devil that only wants the will, and has the power to, to -- ""(O.T.Ch.26)

Fagin conspires with Monks (half brother of Oliver) against the young miserable boy aiming at perverting him and **making** a criminal of him. Fagin gives Monks information about the Oliver's place of

stay, hence he is terrified, attacked and abused by Monks while he is outside the house of Mrs. Maylie. Fagin takes Monks to the house of Mrs. Maylie where the poor boy stays and they appear to him at the window of the house; that caused him a great fear and horror. Fagin urges Monks to track Oliver aiming at scaring and troubling him. Fagin attempts by any means to get Oliver leave the house and leave the good and honest life at Mrs. Maylie's house and get back to that dishonest and evil life in his den with the purpose of bringing him back to his den and the evil and criminal life, on the other hand, attaining his criminal goals through him and getting him a thief, a pickingpocket and a criminal.

"But not mine," said the Jew, submissively. "He might have become of use to me. When there are two parties to a bargain, it is only reasonable that the interests of both should be consulted; is it, my good friend?" "What then?" demanded Monks. "I saw it was not easy to train him to the business," replied the Jew; "he was not like other boys in the same circumstances." "Curse him, no!" muttered the man, "or he would have been a thief, long ago." "I had no hold upon him to make him worse," pursued the Jew, anxiously watching the countenance of his companion. "His hand was not in. I had nothing to frighten him with; which we always must have in the beginning, or we labour in vain. What could I do? Send him out with the Dodger and Charley? We had enough of that, at first, my dear; I trembled for us all." "That was not my doing," observed Monks. "No, no, my dear!" renewed the Jew. "And I don't quarrel with it now; because, if it had ever happened, you might never have clapped eyes upon the boy to notice him, and so led to the discovery that it was him you were looking for. Well! I got him back for you by means of the girl; and then *she* begins to favour him." "Throttle the girl!"

said Monks; impatiently. "Why, we can't afford to do that just now, my dear," replied the Jew, smiling; "and, besides, that sort of thing is not in our way; or, one of these days, I might be glad to have it done. I know what these girls are, Monks, well. As soon as the boy begins to harden, she'll care no more for him, than for a block of wood. You want him made a thief. If he is alive, I can make him one from this time; and if -- if -- " said the Jew, drawing nearer to the other, -- "it's not likely, mind, -- but if the worst comes to the worst, and he is dead -- "

"It's no fault of mine if he is!" interposed the other man, with a look of terror, and clasping the Jew's arm with trembling hands. "Mind that, Fagin! I had no hand in it. Anything but his death, I told you from the first. I won't shed blood; it's always found out, and haunts a man besides. If they shot him dead, I was not the cause; do you hear me? Fire this infernal den! What's that?" "What!" cried the Jew, grasping the coward round the body, with both arms, as he sprung to his feet. "Where?" "Yonder!" replied the man, glaring at the opposite wall. "The shadow! I saw the shadow of a woman, in a cloak and bonnet, pass along the wainscot like a breath!" The Jew released his hold, and they rushed tumultuously from the room. The candle, wasted by the draught, was standing where it had been placed. It showed them only the empty staircase, and their own white faces. They listened intently: a profound silence reigned throughout the house. "It's your fancy," said the Jew, taking up the light and turning to his companion. "I'll swear I saw it!" replied Monks, trembling. "It was bending forward when I saw it first; and when I spoke, it darted away." (O.T.Ch.26)

Fagin employs Noah Claypole on a secret mission to spy upon Nancy's movements.

"You did well yesterday, my dear," said Fagin. "Beautiful!" "I want you, Bolter," said Fagin, leaning over the table, "to do a piece of work for me, my dear, that needs great care and caution." "(O.T.Ch.45) "I can do that pretty well, I know," said Bolter. "I was a regular cunning sneak when I was at school. What am I to dodge her for? Not to -- ""(O.T.Ch.45) ""Not to do anything, but to tell me where she goes, who she sees, and, if possible, what she says; to remember the street, if it is a street, or the house, if it is a house; and to bring me back all the information you can." "What'll yer give me?" asked Noah, setting down his cup, and looking his employer, eagerly, in the face. "If you do it well, a pound, my dear. One pound," said Fagin, wishing to interest him in the scent as much as possible. "And that's what I never gave yet, for any job of work where there wasn't valuable consideration to be gained." "Who is she?" inquired Noah. "One of us." "Oh Lor!" cried Noah, curling up his nose. "Yer doubtful of her, are yer?" "She has found out some new friends, my dear, and I must know who they are," replied Fagin. "I see," said Noah. "Just to have the pleasure of knowing them, if they're respectable people, eh? Ha! ha! ha! I'm your man." "I knew you would be," cried Fagin, elated by the success of his proposal. "Of course, of course," replied Noah. "Where is she? Where am I to wait for her? Where am I to go?" "All that, my dear, you shall hear from me. I'll point her out at the proper time," said Fagin. "You keep ready, and leave the rest to me."""(O.T.Ch.45) "Is that the woman?" he asked,

scarcely above his breath. Fagin nodded yes." (O.T.Ch.45)

On the other hand, Fagin tempts Nancy to abandon her beloved and master Sikes and join him. Although Sikes is his closed friend, Fagin is the responsible for Nancy's murder by Sikes through sending a spy behind her to overhear her conversation with Mr. Brownlow and Rose on the bridge of London. Soon after he informs Sikes of that conversation, as a result Sikes feels fear whether Nancy has disclosed him, hence he angrily beats her to death. Fagin is used to sending spies behind others and tracing them. He always collects the money and the stolen things brought by his boys keeping them only for himself giving those boys very low and little wages in return. He exploits their bad conditions and needs punishing and beating who doesn't obey him. He takes in those homeless and parentless boys and girls exploiting their circumstances and needs then he perverts them making of them criminals, stealers, pickingpockets or robbers.

Fagin asks Noah to relate to Sikes the whole story of Nancy and her meeting with a lady and a gentleman on London Bridge, and to tell him about the whole conversation and details that has run at that conversation. As a result Nancy has been beaten and murdered by Sikes brutally.

"Bolter, Bolter! Poor lad!" said Fagin, looking up with an expression of devilish anticipation, and speaking slowly and with marked emphasis. "He's tired -- tired with watching for *her* so long, -- watching for *her*, Bill." (O.T.Ch.47) "Tell me that again -- once again, just for him to hear," said the Jew, pointing to Sikes as he spoke. "Tell yer what?" asked the sleepy Noah, shaking himself pettishly. "That about -- NANCY," said Fagin, clutching Sikes by the wrist, as if to prevent his leaving the house before he had heard enough. "You followed her?" (O.T.Ch.47) "Yes." "To London Bridge?"

"Yes." "Where she met two people?... ""(O.T.Ch.47) " "Hell's fire!" cried Sikes, breaking fiercely from the Jew. "Let me go!" Flinging the old man from him, he rushed from the room, and darted, wildly and furiously, up the stairs. "Bill, Bill!" cried Fagin, following him hastily. "A word. Only a word." "Let me out," said Sikes. "Don't speak to me; it's not safe. Let me out, I say!" "Hear me speak a word," rejoined Fagin, laying his hand upon the lock. "You won't be -- " "Well," replied the other. "You won't be -- too -- violent, Bill?" "I mean," said Fagin, showing that he felt all disguise was now useless, "not too violent for safety. Be crafty, Bill, and not too bold." Sikes made no reply; but, pulling open the door, of which Fagin had turned the lock, dashed into the silent streets. Without one pause, or moment's consideration; without once turning his head to the right or left, raising his eyes to the sky, or lowering them to the ground, but looking straight before him with savage resolution: his teeth so tightly compressed that the strained jaw seemed starting through his skin; the robber held on his headlong course, nor muttered a word, nor relaxed a muscle,... ""(O.T.Ch.47) "The robber sat regarding her, for a few seconds, with dilated nostrils and heaving breast; and then, grasping her by the head and throat, dragged her into the middle of the room, and looking once towards the door, placed his heavy hand upon her mouth."(O.T.Ch.47) "She staggered and fell: nearly blinded with the blood that rained down from a deep gash in her forehead; but raising herself, with difficulty, on her knees, It was a ghastly figure to look upon. The murderer staggering backward to the wall, and shutting out the sight with his hand, seized a heavy club and struck her down.""(O.T.Ch.47)

III

Thus, we find all Fagin's doings pour in the mouth of evil and go hand in hand with vice, villainy, wickedness and so on. The motivation is greed, self-interest, money worship, egoism or selfishness, degeneracy, moral degeneration, & deterioration, lacks of manners, corruption, self-centralization, immorality and so on. In due of such aspects, we find cruelty, heartlessness, ruthlessness, crafty, cunning, fake, cheat, carelessness, disorder, social chaos... extra and extra of such awful traits are dominated, prevailed and practiced. The writer highlights those traits through his villainous characters particularly Fagin aiming at satirising and criticizing specific situations, conditions and doings or conducts occurring in his society at his time thus, tackling or curing those awful exercises through shedding light on them, thus, opening people's eyes alarming them and drawing their attention and directing that attention towards correct solutions, reforms and change towards the best. "Dickens' *Oliver Twist* had many purposes that are brought up through Oliver's journey. This novel brought forth the messages of poverty, selfishness, capitalism, social welfare and child labour"⁵ "Throughout the novel, Charles Dickens refers to Fagin as "Jew" or "The Jew." In the 1800's anti-Semitism was rife. Fagin is included in *Oliver Twist* to show Charles Dickens' opinion of what the Jews were like in the 1800's and so that Charles Dickens could try to tell his readers what life was like from the view of a low-life common thief - the Jew - Fagin."⁶ "Combining entertainment with a deep critique of the contemporary socioeconomic system and philosophy, Charles Dickens' *Oliver Twist* explores the reality that in Victorian London, crime was neither heroic nor romantic. A setting of debauchery, thievery, prostitution, and murder, Fagin's underworld didactically illustrates the "unattractive and repulsive truth that one's environment--not birth--influences character. Attempting to introduce society to the evil it had created, Dickens penned "Fagin's

Last Night Alive," manipulating both his literal and figurative audience, capitalizing on the current sentiments and issues. By typifying Fagin as the absolute evil, Dickens uses contemporary religious temperaments and society's apathy and ignorance, to reveal a reality about the underworld lifestyle that society was not willing to acknowledge--society is somewhat guilty for the underworld's corruption."⁷ "Although Dickens denied that anti-Semitism had influenced his portrait of Fagin, the Jewish thief's characterization does seem to owe much to ethnic stereotypes. He is ugly, simpering, miserly, and avaricious. Constant references to him as "the Jew" seem to indicate that his negative traits are intimately connected to his ethnic identity. However, Fagin is more than a statement of ethnic prejudice. He is a richly drawn, resonant embodiment of terrifying villainy. At times, he seems like a child's distorted vision of pure evil. Fagin is described as a "loathsome reptile" and as having "fangs such as should have been a dog's or rat's." Other characters occasionally refer to him as "the old one," a popular nickname for the devil. Twice, in Chapter 9 and again in Chapter 34, Oliver wakes up to find Fagin nearby. Oliver encounters him in the hazy zone between sleep and waking, at the precise time when dreams and nightmares are born from "the mere silent presence of some external object." Indeed, Fagin is meant to inspire nightmares in child and adult readers alike. Perhaps most frightening of all, though, is Chapter 52, in which we enter Fagin's head for his "last night alive." The gallows, and the fear they inspire in Fagin, are a specter even more horrifying to contemplate than Fagin himself."⁸ "he intensifies his satire on life and society under the Poor Laws of 1834..."⁹ "The novel's satire emerges as the reader connects Fagin's criminal underworld with Bumble's hypocrisy and selfish plaudits, both of which comprise the malaise of Victorian society exposed through Dickens' irony, sarcasm, and biting language."¹⁰ "Fagin personifies humanity's evil, a satanic underside of the humble compassion exhibited in the novel's most virtuous characters, namely Mr. Brownlow and the Maylies."¹¹ "Fagin's bestial nature threatens

the enclosure of Edenic innocence found in Brownlow's country home with his evil temptations. Fagin's serpentine qualities extend to the character of Bumble, who embodies an institutional and societal evil that complements Fagin's criminal schemes. The evil framework erected by Bumble and Fagin forms the path of experience by which Oliver matures to understand his identity. Fagin ensures youths like the Artful Dodger, Charley Bates, and Oliver Twist for his own monetary benefits... Dickens employs images of confinement and hopelessness in describing the Jew's odious headquarters of evil:¹² "Within the novel's discourse on evil lies Dickens' satire on the situation of the poor caused by the Poor Laws,..."¹³ "Fagin rejects moral and legal laws by indoctrinating adolescents in a life of thievery..."¹⁴ "Dickens uses Oliver's physical torment to evoke the reader's sympathy and incite his or her awareness of society's corruption..."¹⁵ "Fagin, at his best, takes an invested interest in Oliver driven by potential monetary reward, while at his worst, exploits Oliver and endangers his life. He represents the temptation of evil dangled before the growing Twist, who must learn to overcome the attractiveness of criminal fraternity."¹⁶ "Fagin's philosophy unfolds toward monetary incentives;..."¹⁷ "Fagin exposes the utter selfishness that undergirds his motives ..." ¹⁸ "Dickens incriminates the institutions established to help the victims of crime and exploitation by juxtaposing Fagin's criminality with Bumble's hypocrisy, corruption and exploitation. In doing so, he unearths the problem of evil as an ever-present force that dwells not only within the supernatural underworld of Fagin and Sikes but, ironically, looms in the most unsuspecting places, even in the very institutions established to aid society's poor...."¹⁹

References

Charles Dickens, *Oliver Twist*, New Delhi, India. 2002.UBSPD.(All references to the text of *Oliver Twist* have been taken from this edition).

Internet Sources

1. Anonymous. Comment on the character of Fagin in *Oliver Twist*, <http://www.123helpme.com>.
2. Anonymous. Fagin from *Oliver Twist*, <http://www.123helpme.com>
3. Anonymous. The Character of Fagin in *Oliver Twist*.
<http://www.123helpme.com>
4. Ibid. The Character of Fagin in *Oliver Twist*.
5. Anonymous. Comment on the character of Fagin in *Oliver Twist* ,
<http://www.123helpme.com/>
6. Anonymous. Fagin from *Oliver Twist*, <http://www.123helpme.com/>
7. Anonymous. Analysis of Fagin's Last Night Alive in Charles Dickens' *Oliver Twist*, <http://www.123helpme.com/>
8. Anonymous. Fagin,
<http://www.sparknotes.com/lit/oliver/canalysis.html>

9. Jason Zysk. Bumbling Figures, Blundering Society: Fagin, Bumble, and the Problem of Evil in Dickens' *Oliver Twist*, January, 28, 2003.
<http://www.gradesaver.com/classicnotes/titles/oliver/essay1.html>.

10.Ibid.

11.Ibid.

12.Ibid.

13.Ibid.

14.Ibid.

15.Ibid.

16.Ibid.

17. Ibid.

18. Ibid.

19.Ibid.

Arts Journal
Half Yearly Refereed Journal of Humanities
 Issue No. 3 March 2007

Contents

Topic	p-g	Name
Patron's Word	7	Prof. Ahmed Mohammed Al-Hadhrani Rector of Thamar University
Editorial	9	Dr. Mohammed Hezam Al-Amari
Ahmad Mohammed Noman and His relationships with Egypt Culturally.	11	Prof. Sadig Yaseen AL-Helew Dr. Anwar Jasib AL-Tareef
Bakhamra's Resources in His Book "The History of Aden's Mouth" : A Critical Study.	25	Prof. Ra'ad Zahraw Matshar
The Soviet's Strategy and The Security of The Arabic Gulf 1980- 1985.	54	Prof. Kareem Zagheer AL-Maleki Dr. Anwar Jasib AL-Tareef
Conflict of Controlling Thamar between " the Zaidies and the Taheries' in the Age of sultan AL-thafer Amer Bin Taher in The Years 858- 870 of Hijra / 1454- 1465 .	69	Mohammed Ahmad Taher AL-Hag
Educational and Cultural Situations in The Emarah of AL- Habeeleeah AL-Hashmia (Baihan)	78	Prof. Nasr Salim Hadi
Relationships between the Yemeni Mutawakileeah Kingdom and Britain after the first world war until 1925.	96	Dr. Abdullah Saleed AL-Juaeedi Dr. Thabit Saleh AL-Yazeedi
Factors of Changes in the National American Security and Its features.	118	Dr. Abdulkareem Hameed Buraechi
Environment of Yemeni Islands and The Envistment Opportunities.	147	Dr. Ahmad Abdullah Ahmad Humadi
Human Needs From the psychological and Islamic Point of View.	181	Dr. Ali AL-Tariq
Obstacles in the practicl Researches in Taiz University: A Sociological and Practical Research on the Obstacles from the Academic Staff Point of View.	220	Dr. Abdulrazaq Mahmood AL-Heeti
Modern Study of a Traditional Text in " Kaleea and Dimna's Tales".	250	Prof. Sabri Mustem Hammadi
Arabs' Art of Writing (From The Age of Inscription to the Age of Printing)	262	Dr. Abdulaziz AL-Haj Mustafa
An Outlook on AL-Farazdaq's Divan	288	Dr. Tarraf Tareq AL-Nahar
Stressed Sounds in Arabic and Their Semantic Impact	313	Dr. Khald Mohammed Hammash
The Qat in the Islamic Doctrine.	350	Dr. Mazin Hussein Hareeri
Novel as a Tool of Highlighting Evil:Fagin (The Old Jew) as an Incarnation of Evil.A Study of Charles Dickens' Oliver Twist.	373	Dr. Ismael Saleem AL-shami

- Opinions expressed in this journal are solely those of their authors and do not necessarily reflect those of the journal.
- The order of articles in the journal is subject to technical considerations.

Arts

*Half Yearly Refereed Journal of
Humanities
4th Issue July, 2008*

Patron

Prof. Ahmed Mohammed Al-Hadhrani

Editor

Dr. Mohammed Hizam Al-Ammari

Managing Editor

Prof. Kareem Zagheer Al-Maleki

Members of Editor Committee

Prof. Sadiq Yaseen Al-Helew

Prof. Sabri Muslem Hammadi

Dr. Ahmed AL-Abaidi

Dr. Madeeha Rashad

Proof-reading

Dr. Abdul Kareem Al-Bahlah

Editor Secretary

Masha'al Nasser Sharhan

Produced by

Mohammed Mohammed Subeei

Ashwaq Nasser AL-Hamati



Published by : Faculty of Arts

Consultant Committee

Prof. Ameen Abdullah Al-Hemyari

Prof. Ahmed Abdu Salih

Prof. Abdul Aziz Al-Magaleh

Prof. Ahmed Abdullah Al-Sawfi

Prof. Ahmed BaTai'a

Prof. Mahyoob Ghalib Ahmed

Prof. Maresh Ahmed Saeed

All Correspondences are addressed to :

*Thamar University – Faculty of
Arts*

Post Box : 87246 Thamar, Yemen

Tel. Fax : 06/509584

E-mail : arts96@yahoo.com

Arts Journal

All rights reserved

*No part of the publication may be
reproduced without the prior written
permission of the publisher*

*No part of the publication may be quoted
without mentioning the source*

Arts



Published by: Faculty Of Arts Biannual Refereed Journal Of Humanities

NO - 4 - July 2008